عبد الله إمام

الناصرية

دراسة فى فكر جمال عبد الناصر
مدعمة بالوثائق ومحاضر اللجنة المركزية

تقديم:

ضياء الدين داود

عبد الله إمام

الناصرية

دراسة بالوثائق فى الفكر الناصري

تقديم

ضياء الدين داود

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
الاهـــداء	٧
تقـــديم ـ للسيد / ضياء الدين داود	٩
هذا الكتاب	١٣
فلسفة صنعتها مسيرة الثــورة	١٧
الحـــرية	٥١
لا احتكار فى السلاح	٩٩
مهام لكل الناس من أجل السلام	١١٠
ضمانات للنصر على الاســتعمار	١٢١
اسرائيــل قاعدة استعمارية وعنصرية	١٣٥
الطريق الى الحرية السياســية	١٥٦
الاشتراكيــــة	١٧٥
الاشتراكية هى الحل الوحيد الحتمى	١٩٦
نعم .. اشتراكية علميــة	٢١١
الحــرية للشعب ... وليست لاعدائه	٢٢٥
تحالف بدلا من الحرب	٢٧٩
ملكية خاصة .. ولكن	٣٢١
اشتراكية علميــة تؤمن بالدين	٣٦٢

الموضوع	الصفحة
الوحدة	٣٧٩
المضمون الثورى للوحدة	٤٠٨
وثائق	٤٤٥
مفهوم العمل السياسى	٤٤٧
التنظيم العام	٤٤٩
القيادات والكوادر	٤٦١
تنظيم الجهاز السياسى	٤٧٣
تنظيم تحالف قوى الشعب العاملة	٤٧٧
علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات الأخرى	٤٨٥
الديمقراطية الاشتراكية والمفاهيم العالمية	٤٩١
شرح للميثاق قبل ان يصدر	٥٠٥

الإهداء ...

الى الشـــــعب
العــربى فى مصر
صــانع التــاريخ
وصانع الأبطال

تقديم :
بقلم : ضياء الدين داود

قاد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الأمة العربية، والهمها طوال ثمانية عشر عاما من فكره وروحه الكثير وقدم لها من تضحياته ونضاله الأكثر .

وفى أثناء حياته كان منبعا مستمر الفيض بالفكر ، والتحليل مضيئا الطريق أمام الشعب العربى الذى آمن به ، ووثق فيه ، وبادله الحب والاخلاص .

ولقد كان هو بنفسه يقدم فكره فى بساطة وسهولة تصل الى الجميع فتستقر فى نفوسهم ايمانا قويا ، وفهما واعيا ، ثم ينطلق ارادة فاعلة .

وبعد انتقاله الى جوار ربه ، انطلقت الحناجر تنادى بالاستمرار على طريقه ، ومنهجه ، وتطلعت العيون ، والقلوب ، والعقول ، الى تراثه لكى تتخذ منه كما كان ، وكما اراده عبد الناصر مصابيح مضيئة على طريق النضال ، واكمال المسيرة الى غاياتها ..

نصرا يمحو عار الهزيمة ، ويسترد الحق .. وآمالا لما بعد النصر تقيم المجتمع الاشتراكى الذى تنمحى فيه كل صور الاستغلال ..

وامتدت كثير من الأيدى تجمع تارة أجزاء من التراث ، وتبوبها ، وتحلل ، وتفسر تارة أخرى .

كما صدر قرار اللجنة التنفيذية العليا بتشكيل لجنة للتراث ، يرأسها لخطورة مهمتها رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولا شك أن كل الجهود المتناثرة التى تبذل ، وكل الاجتهادات الأخرى سوف تعين اللجنة فى مهمتها ، وهى اسهامات مقدرة ، غير أنه ينبغى الحذر من التأويلات الخاطئة والمغتصبة للكلمات ، والجمل ..

وينبغى التنبه أيضا الى مراحل النضال وما أطلق فيها من شعارات ، وسادها من قيم لا بد بالضرورة أن تتغير بتغير المرحلة ، ومقتضياتها ..

وينبغى أيضا الحذر من استباحة التخريجات التى قد لا تبقى من مبادىء عبد الناصر ، الا عنوانها ، وتحت هذا الستار قد تهدم نفس الفكر وتسىء اليه .

ولقد اطلعنى الأخ عبد الله امام على جهده الذى بذله مخلصا ، وفى حماس ، ومنذ اللحظات التى شعرنا فيها بعمق آلام فراق القائد ، وفداحة الخطب ، وصدق الاحساس بمسئولية كل فرد فى هذه المرحلة نحو فكر عبدالناصر ، وطريق عبدالناصر ، وأهداف عبدالناصر ، وكل بناء فكرى أو تنظيمى أو مادى اقامه عبدالناصر .. اطلعنى على فكرة اخراج هذا الكتاب ، وخطوطه فى تفكيره ، فرحبت بها ، وأخذت أتابع ما ينجز .

والحق انه قد التزم جانب الأمانة فى النقل ، والاستشهاد ، كما وفق فى اختيار معالم بارزة فى فكر القائد ، وفى نضاله : ونجح فى أن يجعل من أحاديثه ، وكلماته مواضيع متصلة ، لا تفصلها سوى تداخلات يسيره توضح ، وتؤكد ، مع استطرادات فى مواقف كانت تحتاج لمزيد من الوضوح أو التناول لجوانب أكثر ، أو التأكيد من الواقع على صدق تحليل المعلم ، وعمق رؤيته وتحليله .

ولقد كان عبد الله امام فى هذا المسلك ملتزما بما أشار اليه من أن عبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة ، فقد كان هو نفســه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .

ان الكتـــاب يتنقل بنا بين السياسة الداخليـــة والتطبيق الاشتراكى ، والقضايا النظرية المختلفة التى طرحها المعـــلم فى هذا المجال ، كقضية الاشتراكية ، وصراع الطبقات والنظرة التحليلية لحقائق العلاقات الاجتماعية ، وارادة التغيير الثورى . وقضايا الحرية والديمقراطية ، والثورة الاجتماعية وقضايا ومعارك بناء الجيش الوطنى وتدعيم الاستقلال الاقتصادى مع اقامة القاعدة الاقتصادية السليمة ودور الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة فى قيادة الاستعمار الجديد ، ومواجهة تحدياتها ومؤامراتها . الى السياسة الخارجية، التى هى انعكاس للسياسة الداخلية ، والتى أملت مبدأ القومية العربية ، والوحدة العربية ، ثم الوحدة الافريقية، والتعايش السلمى، والحياد الايجابى، ونبذ الأحلاف، ومقاومتها ، بل واسقاط كل المحاولات التى بذلت لربط الوطن العربى بها ثم الصراع العلمى بين قوى التحرر الوطنى وقوى الاستعمار الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى كل ذلك كان المؤلف يبذل محاولات مخلصة للتأصيل ، وابراز الأسس النظرية ، مع عدم اغفـــال التطبيق .

وفى يقينى أن هذا المؤلف خطوة هامة وبناءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسنا ، باعتبار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضال الشعب العربى .. عن أنفسنا . وفى سبيل الارساء الصحيح الصادق والأمين لحقائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهى كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التى نرجو كما نمنى أن تتطور .. وتتضاعف ..

هذا الكتاب

هذه ليست دراسة علمية شاملة فى فكر جمال عبد الناصر .. ولكنها محاولة لقراءة هذا الفكر ..

ان فكر عبد الناصر يحتاج الى دراسات متأنية وعميقة ، تكشف ابعاده ، وتبلوره امام الجماهير ، التى آمنت به ، واعلنت انها متمسكة بالسير على هداه .. وفى طريقه .. وعلى ضوء مبادئه ..

واذا كان عبد الناصر لم يترك نظرية مكتوبة .. فانه ترك تراثا ضخما وضع فيه ذخيرة هائلة من الفكر ، والتجربة ..

ولقد خرجت من قراءتى لاجزاء كثيرة من هذا التراث بايمان واحد .. هو ان عبد الناصر كان مصريا .. أولا .. واخيرا ..

انه كان يقف دائما امام كل مشكلة وينظر الى مصر .. أولا ..

يتعاون مع الغرب .. ولكن تبقى مصر ، بعيدة عن سيطرته ..

يصادق الشرق .. وتظل صداقته غير مشروطة بالنسبة لمصر ..

بعيدا عن كل سيطرة ... كان يريد دائما ان يقف ببلاده وامته ..

وبعيدا عن كل مناطق النفوذ .. كان يريد ان تظل مصر والأمة العربية ..

وعندما كان يدرس اقتراحا او مشروعا او صداقة

دولية .. كان يسأل أولا اين بلاده من هذا الاقتراح او هذا المشروع او الصداقة .. هل هناك هدف للسطو على البلاد .. والتسلل اليها .. ليتأكد اولا انه لا هدف ، ولا محاولة للسيطرة ، او السطو او لفرض وصاية على حركتها الطليقة قبل ان يبدأ فى دراسته للمشروع ..

ولقد قال لجريدة ليموند ذات مرة . « الى هؤلاء الذين يسالوننى ايهما افضل الولايات المتحدة او روسيا .. اقول لهم : افضل مصر ..

« فينبغى ان يكون النافع الوحيد لأعمالنا هو مصلحة بلادنا » ..

ولقد كان عبد الناصر يفضل دائما مصلحة مصر مؤمنا .. انها أولا وقبل كل شىء جزء اساسى من الوطن العربى .. ثم انها جزء من القارة الافريقية .. وهى بالضرورة جزء من العالم ..

فهو لم يفصل مصر عن قدرها العربى ، ولا عن واقعها الافريقى والعالمى ..

بل لعل العروبة عند عبد الناصر كانت اساسا تجرى فى دمه ، تكشف وجه مصر العربية .. فالعروبة عنده حقيقة لا يستطيع ان يجادل فيها حتى اكثر الناس معاداة لفكر عبد الناصر التحررى والتقدمى ..

لقد اردت بهذه المحاولة فى قراءة فكر عبد الناصر ثلاثة اشياء :

● اولها : ان اسهم بجهد قليل فاضع امام كل من سيدرس فكر عبد الناصر محاولة لقراءة هذا الفكر ، مرتبة على الدرجة التى تصورت انها قادرة على بلورة وعرض اجزاء كبيرة منه ..

● ثانيا : ان اقول انه يجب على جميع المثقفين فى العالم العربى ، وعلى اجهزة الاعلام ودور العلم ، والتربية فيه أن يدرسوا فكر عبد الناصر ، ويضعوه واضحا كما كان يحب عبد الناصر .. مبسطا امام الجماهير كما كانت هى طريقة عبد الناصر فى عرض الأمور وتبسيطها ..

فالجماهير التى خرجت ملتاعة باكية حزينة يوم علمت بفقد البطل .. لم يغب عن ذهنها فى أتعس لحظات حياتها بالهزيمة العسكرية ، او بالموت ان ترفع شعار الاستمرار .. والاستمرار يعنى استمرار الثورة .. استمرار ارادة التغيير .. استمرار التقدم ، الذى كان عبد الناصر ينشده ، ويسعى اليه . عندما كان يقول دائما اننى لن اقف الا حين يقف استغلال الانسان للانسان ، وان الاشتراكية طريق طويل ليس له نهاية .. والاستمرار سوف يصل بنا الى غايتنا .. وبفكر عبد الناصر الى منتهاه .

● ثالثا : لقد قصدت بهذه المحاولة التى قمت بها وفاء اردت ان اؤكده .. وهو انني عشت فى حياة جمال عبد الناصر ، واننى رايته .. واننى قابلته .. واننى عشت فى امجد وازهى فترات الوطن العربى فى العصر الحديث .. بل اننى اطللت على السياسة من خلال فكر عبد الناصر .. ومن خلال تنظيمات عبد الناصر الجماهيرية ، ومن خلال ايمان لا حد له بجمال عبد الناصر .. المناضل .. والمفكر .. والانسان ..

واخيرا ...

لعلى لم اجد صعوبة فى عرض فكر عبد الناصر ، ومبادئه وانما الصعوبة كانت فى محاولة شرح هذه

الافكار والمبادىء ، فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة . فقد كان هو نفسه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .. وتلك أبرز خاصة فى عبد الناصر صاحب المدرسة السياسية ، وصاحب اسلوب مخاطبة الجماهير حتى فى أضخم الامور ، وأكبرها .. واعقدها .. بكلام بسيط يدخل عقل .. وقلب كل انسان ..

هكذا لم تقابلنى سوى صعوبة واحدة ، هى أن كلام عبد الناصر نفسه كان غنيا عن كل شرح ، وأكثر بلاغة ، وصدقا فى التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ، من أى كلام آخر ..

فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا يوجهه الى المثقفين ، بل انه كان يبسط الأمور ، ويوضحها بحيث يعلمها لكل الناس .. ويضع اقل فئات المجتمع وعيا وثقافة امام اعقد النظريات بطريقة تمكن هذه الفئات من فهمها واستيعابها جيدا ..

وعبد الناصر لم يترك امرا لم يكن له فيه رأى .. ولكنى آثرت ان اركز على الاركان الثلاثة البارزة فى فكره كما صاغها ورتبها .. وهى الحرية ، والاشتراكية والوحدة .

وحتى داخل هذه الاركان الثلاثة لا يمكن ان ادعى اننى استطعت ان اصل الى كل ما يحيط بها فى فكر عبد الناصر ..

ولكنها المحاولة الاولى .. وأملى ان تتطور فى مرة اخرى ..

عبدالله إمام

فلسفة صنعتها مسيرة الثورة

الناصرية فلسفة متكاملة تغطي كل جوانب الحياة ، فلم تقتصر على العموميات ، ولكنها تعرضت لابسط التفاصيل اليومية فى حياة الناس .. فعبد الناصر لم يكتف بان يضع الاطار النظرى لفلسفته ، بل انه كان يزيدها كل يوم ثراء سواء بالتطبيق ، او بالمناقشة ، والقاء الضوء على كثير من تفاصيلها الصغيرة ..

واذا كانت الفلسفة الناصرية قد تعرضت لمشاكل السياسة الدولية وحددت موقفا واضحا من قوى الاستعمار والامبريالية العالمية ، واتخذت الحياد الايجابى وعدم الانحياز منهاجا ، فقد تعرضت بتفصيل اكثر لكل ما يمس السياسة الداخليـة بعد ان نقلت السياسة من صالونات الطبقـة لتكون عمـل رجل الشارع العادى ، ومحور مناقشته ، ومحل اهتمامه .. ولم تضع محظورات على حركتها بنفس القدر الذى لم تضع فيه محظورات على حرية الجماهير فى العمل والحركة ، والحوار ...

ويمكن القـول بأن الناصرية تستهدف اساسا الانسـان .. فالانسان هو كل ما يشغل بال عبد الناصر ... ومن اجل هـذا الانسان صاغ منهجه ليكون فى خدمته ، ويحقق له حريته وكرامته ويسترد به انسانيته واذا كان القـائد قد غاب عنا ، قبل ان يتم البناء المتكامل للمجتمع الذى حدد ابعاد الطريق الذى يسير عليه ، فقد ترك مع ذلك فكرا شامخـا ونظرة متكاملة تجيب على مختلف التساؤلات ، وتضع منهاجا كاملا وشاملا للتقدم .. هذه النظرة هى التى صاغها فى مواثيقه الثورية ، وزادها وضوحا فى مناسبات كثيرة تعرض لمناقشتها فى مواقف مختلفة سـواء فى الاجتمـاعات

المفتوحة مع الجماهير او المغلقة مع القيادات .. والساسة وزعماء العالم .

ولا يمكن أن نفصل اى فكر عن تطبيقه ، خاصة بالنسبة للفكر الناصرى الذى كان يتم تطبيقه فى وجود القائد المناضل صانعه .. وواضعه .. الا أن هذه الدراسة لا تتعرض بشكل اساسى ومباشر للفكر فى التطبيق ذلك أن اهم ما يجب أن نحرص عليه وأن تعيه الجماهير التى آمنت بمبادىء عبد الناصر ، هو هذه المبادىء ذاتها ، وان تضع لها من الاطارات ما يناسب أن تنطلق الى الامام فى اتجاه زحف الجماهير وتقدمها على نفس الاساس وبالطريقة التى رسمها وحدد ملامحها عبد الناصر فى فكره ..

ولا شك أن المنهج الناصرى لم يبدأ من فراغ ، كما انه لا شك ايضا ان هذه الفلسفة المتكاملة لم تولد مع بداية ثورة ٢٣ يوليو .. فلم يكن فى ذهن عبد الناصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو الا الأمل فى حرية الوطن ، والمواطن .. ولكن كيف .. كان هذا هو السؤال الذى استمر يختمر فى ذهن القائد ، ويجيب عليه كل يوم من خلال الممارسة والتطبيق طوال ثمانية عشر عاما « فنحن بعد قيام الثورة .. لم نكن على استعداد ، وذهبنا نلتمس الرأى من ذوى الرأى والخبرة عند أصحابها ، ومن سوء حظنا لم نعثر على شيء كثير » (١)

« ولم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعى كتاب مطبوع وأقول أن هذا الكتاب هو نظرية ، مستحيل .. لو كنا قعدنا نعمل هذا الكتاب قبل ٢٣ يوليو لم نكن عملنا ٢٣ يوليو »

« فى الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومجلد ويقول : هذه هى النظرية ، هذا هو القرآن ، وهذه هى العقيدة ، وقد حدث ذلك ليعطينا ربنا فى حياتنا عبرة وعظة .. »

---

(١) كتاب فلسفة الثورة

« ابتدأ الاسلام بأشهد أن لا اله الا الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله .. ابتدأ الاسلام بهذا .. جملتان .. لم يبدأ بكل ما هو موجود فى القرآن ، ثم بدأ بعد هذا أيضا الاسلام يعطينا عبرا وعظة فى حياتنا فقد قال بالنسبة للسؤال عن الخمر فيها اثم وفيها نفع ، ولكن اثمها أكبر من نفعها .. بعد ذلك قال ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، بعد ذلك حرم الخمر وقال : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشـــيطان فاجتنبوه »

« ٢٣ سنة لغاية تمام القرآن ، وتم نزول القرآن ، لماذا فعل الله ذلك ؟ فعله حتى يعطينا الفرصة والدليل أو الوسيلة التى نقدر أن نعمل بها فى حياتنا وفى دنيانا » (١) .

ويزيد القائد هذا الامر وضوحا ، وكأنه يلقى الضوء على أن هذا الذى يحدث فى بلادنا انما هو نابع أساســا من تجارب عاشت واقع المجتمع ، ومن رؤية واعية وثورية مخلصة لكل ما يدور فيه ، واستجابة لمتطلبات الجماهير وأمانيها .

« يوم ٢٣ يوليــو لا أعرف ابدا أن اتكلم الــكلام الذى اتكلم به الآن ، وذلك لانى لم امش يومئـــذ فى تجربة العشر ســنين التى وجـــدت فيها هذه المــدة ، ويوم ٢٣ يوليـــو لو طلبتم منى محاضرة فى التكتيك اقـــول لـكم محاضرة فى التكتيك أو اى موضوع عســكرى ، أما أن تقولوا أن أتكلم فى الثورة ، فى العمليات التى نتكلم فيها اليوم ، طبعا هذا موضوع من الصعب جدا أن اتكلم فيه .. ان ظروفنا قضت أن التطبيق الثورى ، تطبيقنا الثورى ، كان سابقا للنظرية .. النظرية هى دليل العمل .. من اى شىء تكون النظرية .. هى تأتى من دراسة المشاكل .. ولكن أنا فى رأيى ان الذين يقولون انه ليس هناك نظرية ونريد

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ .

ان نعرف النظرية ، يريدون أن يضعوا لنا عقـدا فحسب .. بأى وسيلة من الوسائل ، وبأى شكل من الاشكال .. كيف نحل هذه العقد .. يقولون لنا « حلوها انتم » .. تكلم اى واحد يقول لك ليست هنـاك نظرية .. ما هى النظرية .. حـدد لى الآن اين نقف » .

« أنا لا استطيع أن أحدد أين نقف .. الشعب هو الذى يحـدد اين نقف .. لا اسـتطيع ان احدد بالنسـبة لى ، أنا لن استطيع ان اقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان ، وكل واحد اصبح يشعر ان فيه فرصة متكافئة مع الآخر » (١)

* * *

التجربة التي بدأ عبد الناصر فى صياغتها منـذ سنة ١٩٥٢ تجربة بالغة الصعوبة والتعقيد . فقد بدأ عبد الناصر زحفه الثورى مع الجماهير دون تنظيم سياسى ، وايضا بدون النظرة الشاملة للتغيير الثورى

« فارادة الثورة لم تكن فى تلك الظروف تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التي نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته .. »

« ولقد كان هذا الشعب هو المعلم الاكبر الذى حمل على عاتقه فى اعقاب بدء العمل الثورى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عمليتين تاريخيتين لهما آثارهما الضخمة » .

« ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبـادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسـة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة الى اهدافها اللامتناهية »

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية .

« ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائمـا بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة فى صـنع مستقبله » .

« والطلائع الثـورية التى صنعت أحداث ليـلة ۲۳ يوليـو لم تكن قد أعـدت نفسها لتحمل مسئولية التغيير الثورى الذى تصدت لمقدماته ، لقد فتحت البـاب للثورة تحت راية المبـادىء الستة المشهورة ، ولكن هذه المبادىء كانت اعلاما للثورة ، ليست اسلوب عمل ثورى ، ولا منهاج تغيير جذرى ، ولقد كان الامر من الصعوبة بمكان خصوصا فى جو التغيير العالمى البعيد المدى العظيم الاثر » .

« لكن الشعب المعلم صانع الحضارة .. راح يلقن طلائعه أسرار آماله الكبرى ومضى يحرك المبادىء الستة بالتجربة والخطأ نحو وضوح فكرى لصنع التصميم الهندسى لبناء المجتمع الجديد الذى يريده .. وراح الشعب الكادح يكدس مواد البنـاء ويكتل جميع القوى الثورية القادرة على الاسـهام فيـه من صفوف الجماهير » (۱) .

هل كان يستطيع عبد الناصر ان يضع نظرية مسـبقة على التطبيق .. رغم ان ذلك لم يحدث ، فانه لو حدث لكان قيدا مسبقا على دور الجماهير فى دفع عجلة الثورة وتطويرها .. فاذا كانت آمال الجماهير ورؤيتها ومتطلباتها متغيرة ، ومتطورة ، فان وضع هذه الآمال فى اطار معين انما هو بمثابة تجميـد لحركة الجماهير ، والوقوف بأمانيها عند حد أيا كان هذا الحد .. فلا شك ان الضرورات الموضوعية تكتشف مع خلال مسيرة العمل والتطبيق ..

---

(۱) الميثاق الناصرى .

ولم يكن موقف عبد الناصر فى ذلك فريدا ، فقد سبقته الى ذلك الماركسية ذاتها ، وهى اليوم نظرية متكاملة احدثت تاثيرا هائلا فى العالم خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ففى منتصف القرن التاسع عشر ، وفى ذروة الرخاءالاقتصادى للمجتمع الراسمالى ، طلع كارل ماركس بكتابه راس المال الذى اعتبره الماركسيون انجيل الطبقة العاملة الحديثة .. ووصفه كارل ماركس بانه « النصب التذكارى لى » .

وكتاب « راس المال » فى راى البعض لا يعدو ان يكون تشريحا علميا للراسمالية ، نشأتها تطورها ، متناقضاتها الباطنية التى لابد ان توصف بها فى نهاية الأمر « اما ماهية النظام الاجتماعى الجديد الذى سوف يخلف النظام البورجوازى وحدود الملكية الاجتماعية وابعادها واسلوب ادارة الاقتصاد فى ظل النظام المنتظر ، واشكال التنظيم السياسى . فنقول ان امثال هذه المسائل وغيرها كثير لم يعرض لها ماركس وانجلز تفصيلا ، **فلا يمكن الادعاء بان ماركس وانجلز طلعا منذ البداية بنظرية اشتراكية مفصلة** ، فعندما اصدرا البيان الشيوعى كانا على ما يبدو يتطلعان الى ثورة ليبرالية على غرار الثورة الفرنسية ، ولم يسعيا ـ وما كان ليسعيا ـ الى ثورة اشتراكية او شيوعية » .

« والبيان الشيوعى تحدث عن وجود الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا وبانه سوف ينتهى بزوال الاولى ، ثم راح يسرد طائفة من المقترحات او المطالب التى يمكن أن تشتمل عليها برامج وسياسات الليبرالية الراديكالية » (١)

وهذا راى فيه كثير من المبالغة ، فلا احد ينكر ان البيان الشيوعى يحتوى خطوطا نظرية واضحة لفكر اشتراكى .. وان هذه الخطوط كانت بمثابة الأصول العلمية للنظرية التى انطلق الفكر الماركسى يضيف اليها ويكملها بعد ذلك ..

---

(١) الدكتور راشد البراوى كتاب « المذاهب الاشتراكية المعاصرة » .

فاى نظرية هى ثمرة عمل ، مع بداية من خطوط فكرية عامة لهذا العمل تتطور من خلال الممارسة .

والقوانين الموضوعية التى كانت هى اساس الماركسية لم يخلقها ماركس ولم يخترعها ، وانما اكتشفت من خلال رؤية علمية لتطور المجتمع ثم صيغت بعد ذلك فى اطارها النظرى ، واثريت بالتطبيق العلمى ..

والبيان الذى أصدره ماركس وانجلز فى ديسمبر ١٨٤٨ وضعا له مقدمات باللغات المختلفة ، وهما يقولان « فى مقدمة الطبعة الالمانية عام ١٨٧٢ » ، « لن المبادىء العامة الواردة فى البيان لا تزال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من الفقرات » .

والبيان نفسه يوضح ان تطبيق هذه المبادىء يتعلق دائما وفى كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية فى وقت معين .

ففى مقدمة الطبعة الروسية عام ١٨٨٢ يقولان : « انهما تحدثا عن كثير من الأوضاع فى البيان ولكن لشد ما تبدل كل ذلك الآن » .

وفى مقدمة الطبعة الالمانية التى صدرت عام ١٨٨٣ يقول انجلز « انه بعد وفاة ماركس .. لم يعد ثمة مجال لاعادة انشاء البيان أو اتمامه ، وان الفكرة الرئيسية فى البيان هى « ان الانتاج الاقتصادى والبناء الاجتماعى الذى ينشأ بالضرورة عنه يؤلفان فى كل عهد تاريخى اساس التاريخ السياسى والفكرى لهذا العهد . ولذا فالتاريخ بأسره منذ انحلال الملكية البدائية المشاعية للأرض هو تاريخ نضال بين الطبقات المسودة ، والطبقات السائدة فى مختلف مراحل التطور الاجتماعى ولكن هذا النضال قد وصل فى الوقت الحاضر الى مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستثمرة المرهقة هى البروليتاريا لا تستطيع ابدا ان تتحرر من نير الطبقة التى تستثمرها وترهقها وهى البرجوازية دون أن تحرر فى الوقت نفسه والى الأبد المجتمع بأسره من الاستثمار والارهاق ، ومن نضال الطبقات » هذه الفكرة

الرئيسية السائدة فى البيان تعود بصورة مطلقة الى ماركس ، واليه وحده » .

وفى بقية مقدمات الطبعات المختلفة يعترف ماركس وانجلز او انجلز وحده ، بأن بعض ما ورد فى البيان قد تخطته مسيرة الجماهير فى دولة ما ، او فى مكان ما من العالم .. ويعترفان أن ما ورد فى البيان انما هو اطار قابل للتطور والنمو .. وهذا طبيعى فاى نظرية ثورية تزداد ثراء من خلال الممارسة ، والاحتكاك العملى بالتطبيق .

* * *

والمبادىء الستة التى رفعتها الثورة منذ أيامها الاولى لم تكن نظرية . ولكنها كانت بمثابة البوصلة للعمل .. بوصلة تحدد خطوات المستقبل فى القضاء على الاستعمار واعوانه ، والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحياة ديمقراطية سليمة .

والدوائر الثلاث : العربية والافريقية والاسلامية التى تحدث عنها عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة كانت مؤشرات أخرى للعمل

ولعل ابرز دليل على ذلك ما يقوله القائد عند ما يلخص المشاكل التى واجهته فى البداية ، بأن ذلك الشعب بدا زحفه « من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة كذلك فان هذا الزحف بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى » ..

فالمبادىء الستة « لم تكن نظرية عمل ثورى كاملة ، ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق الارادة الثورية ، وقد تطورت هذه المبادىء بفضل النضال الشعبى الذى راح يحركها بالتجربة ، والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثرا فيه نحو برنامج تفصيلى يوضح طريق الثورة الى أهدافها اللامتناهية » (١).

---

(١) الميثاق .

اذن « فليست هناك أحداث من صنع الصدفة ، ولا وجود يصنعه الهباء » (١)

وهذه المبادىء العامة . او المؤشرات هى التى قادت عبد الناصر للعمل ، ومن خلالها ، وفى وسط ميدان العمل والتطبيق ومن بين محاولات التجربة والخطأ فى اطار النظرة التى كانت تسعى الى الاتساع والتكامل وفى ظل ظروف صعبة بالنسبة لطبيعة الثورة ذاتها التى قامت دون أن ترتكز على تنظيم حزبى ثورى يسندها ، ويشد من ازرها .

فى ظل هذه الظروف كلها استطاعت الناصرية أن تنمو ، وتتكامل من خلال الممارسة الفعلية والواقعية ، وشقت طريقها تؤكد ظروف مجتمعنا ، وطبيعته الخاصة ، وتضع مؤشرات ، وقواعد عامة فى نفس الوقت قابلة لأن تكون منطلقا للمجتمعات النامية .

فالممارسة اذن هى التى بلورت الفلسفة الناصرية ووضعت لها الأبعاد المختلفة ..

* * *

عندما بدا عبد الناصر الاعداد لثورته كان فقط يملك البوصلة ، وكان أهم مؤشراتها ذلك الذى يقف عند قضية التحرير .. تحرير الوطن من السيطرة الاستعمارية ، وتطهيره من الفساد .. وحول هذه الاهداف العامة تجمع تنظيم الضباط الاحرار ..

ولو انه وضعت امام هذا التنظيم فى بدايته نظرية متكاملة للتحول الاجتماعى على نحو ما حدث فيما بعد ، لادى ذلك الى انقسام هذه المجموعة الصغيرة من الضباط الاحرار الوطنيين ..

فان اهم ما كان يجمع هؤلاء الضباط ، ويلفهم حول التنظيم

(١) فلسفة الثورة .

هو القضايا العامة وابرزها احساسهم بالمهانة لوجود المستعمر على ارض الوطن ، يمتص خيراته ويتحكم فى مقدراته ، ويدير أجهزة الحكم والسياسة فيه ..»

وابرز دليل على ذلك ما قاله أحد أعضاء مجلس الثورة السابق فى تأبين الزعيم الخالد ، فقد قال بالنص :

« لن عبد الناصر كان قادرا على أن يلف (١) حوله قوى مختلفة الاتجاهات والمواقع السياسية والاجتماعية والطبقية . كان قادرا على استنباط واستخلاص الهدف المجمع الذى يستطيع أن يلف حوله كل هذه القوى والاتجاهات .

ونظرة واحدة على تركيب تنظيم الضباط الاحرار وقيادة هذا التنظيم توضح هذه الحقيقة .

ضباط من مختلفو الاتجاهات السياسية والاجتماعية برغم ما بينهم من خلافات فكرية وسياسية على الهدف المجمع الذى رفعه عبد الناصر . تجمعوا والتفوا حول القائد الذى صاغ هذه الشعارات .

- القضاء على الاستعمار واعوانه
- اقامة ديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية
- اقامة جيش وطنى قوى يتاح فيه للجنود الترقى لرتبة الضابط

وبعد الثورة وبعد أن اتيحت لعبد الناصر فرصة قيادة المجتمع كله وامكانية تزعم الأمة العربية كلها برزت هذه الموهبة بروزا واضحا فاستطاع أن يجمع حوله كل الاتجاهات الوطنية والتقدمية بتركيزه على أهداف وطنية محددة يشعر الجميع انهم لا بد ان يعملوا لتحقيقها »

---

(١) خالد محيى الدين فى مقال بمجلة روز اليوسف .

ان هدف الاستقلال الوطنى كان ابرز ما يشغل بال القائد منذ صباه فخرج من اجله فى المظاهرات ، وهو طالب فى المدارس الثانوية وانضم الى الأحزاب التى تصور انها يمكن ان تحققه ، ومن خلالها تعرف على جميع التيارات السياسية والفكرية التى كانت تسود البلاد .

« كان هناك احزاب .. احزاب كثيرة ، ولدنا ، ووجدنا هذه الاحزاب ، وانضممت الى عدد كبير منها ، وأول حزب انضممت اليه كان حزب مصر الفتاة ، ثم تركته » .

« وعندما كنت فى السنة الثالثة الثانوية وبينما كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية وجدت معركة بين البوليس والناس ، وكان البوليس يضرب الناس ، والناس يضربون البوليس ، فاشتركت مع الناس وضربت البوليس ، فقبضوا على ، وادخلونى قسم البوليس ، وكان ذلك بسبب أن حزب مصر الفتاة كان مجتمعا والبوليس يفض الاجتماع ، وبقيت فى القسم الى أن حضر شيخ الحارة واخرجنى بضمانة » .

« وانا لما انضممت الى حزب مصر الفتاة لم استرح ، فتركته وانضممت الى الوفد وكنت أكثر الناس اتصالا به ، وأيضا لم استرح ، فاتصلت بالاخوان المسلمين وكذلك لم اطمئن ، واتصلت بالشيوعيين ، واتصلت بكل الهيئات العاملة فى هذا البلد كما اتصلت بالاحرار الدستوريين والسعديين ، كنت أبحث عن الحقيقة كشاب يريد أن يكافح من أجل بلده ، ولكنى كنت تائها .. وكنت اعتقد انه يمكن أن يكون هناك فائدة ، وأخيرا لم أجد أن هناك اية فائدة »

« ولما دخلت الكلية الحربية وتدرجت فى الجيش ، كان الحل الوحيد أمامى انه يجب ان نقوم بثورة لنقضى على هذا كله ،

ولنبنى مجتمعا جديدا متحررا ، من كل أنواع الظلم السياسى والظلم الاجتماعى (١) » .

التحرر الوطنى اذن هو القضية الأساسية التى كانت تملأ حياة عبد الناصر والتى انفعل بها .. فأخذ ينظم من أجل تخليص البلاد من الاحتلال العسكرى ، ومن النفوذ السياسى الأجنبى . « الذى يؤدى الى الظلم السياسى والى الظلم الاجتماعى » .

وقضية التحرر الوطنى هى التى جعلته يكتب لاحد أصدقائه بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى فرضت فيه قوات الاحتلال حكومة الوفد بالدبابات قائلا : ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين (٢) .

وقضية التحرر الوطنى تمثلت فى ذهن عبد الناصر منذ البداية ليس فقط فى وجود الاحتلال الانجليزى بجنوده ، ونفوذه ، بل فى العهود الطويلة من المعاناة للشعب المصرى ضد الغزاة تلك العهود التى حاولت أن تصبغ الشعب المصرى ، وتضيع من معالمه « فانا انظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من الاف الاسر التى تعيش فى العاصمة ، الاب مثلا فلاح معمم من صميم الريف والام سيدة منحدرة من أصل تركى وأبناء الاسرة فى مدارس على النظام الانجليزى ، وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى .. كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين انظر الى هذا واحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها وللتخبط الذى يفترسنا ثم أقول لنفسى :

« سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما ينبغى أن نشد أعصابنا ، ونتحمل فترة الانتقال (٣) » .

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية ٢ ديسمبر ١٩٦١ .
(٢ ، ٣) فلسفة الثورة .

الى ما هو ابعد من ذلك الى بداية تكون الاحساسات الثورية لديكم ».

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :ـ

ـ كثيرا ما سئلت هذا السؤال : **متى اصبحت ثوريا لاول مرة؟** وهو سؤال تستحيل الاجابة عليه ، فهذا الشعور املته ظروف تكوينى ونشئتى وغذاه شعور عام بالسخط والتحدى اجتاح كل أبناء جيلى فى المدارس والجامعات ثم انتقل الى القوات المسلحة .

وما زلت اذكر بوضوح اول صدام لى مع السلطة : كان ذلك فى سنة ١٩٣٣ وكنت يومئذ تلميذا فى الاسكندرية لم ابلغ بعد الخامسة عشرة من عمرى وكنت أعبر ميدان المنشية فى الاسكندرية حين وجدت اشتباكا بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات البوليس ، ولم اتردد فى تقرير موقفى ، فلقد انضممت على الفور الى المتظاهرين دون أن أعرف اى شىء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من اجله ، ولقد شعرت اننى فى غير حاجة الى سؤال ، لقد رايت افرادا من الجماهير فى صدام مع السلطة ، واتخذت موقفى دون تردد فى الجانب المعادى للسلطة .

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف ، لكن سرعان ما جاءت الى المكان الامدادات حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة وهجمت علينا جماعتهم . وانى لاذكر انى ـ فى محاولة يائسة ـ القيت حجرا لكنهم أدركونا فى مثل لمح البصر ، وحاولت ان أهرب لكنى حين التفت هوت على راسى عصا من عصى البوليس تلتها ضربة ثانية حين سقطت ... ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من راسى مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الافلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت فى قسم البوليس واخذوا يعالجون جراح رأسى سألت عن سبب المظاهرة ، فعرفت انها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة فى ذلك الوقت ، للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السجن تلميذا متحمسا وخرجت منه مشحونا بطاقة من الغضب وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبلور أفكارى ومعتقداتى وخططى ولكن حتى فى هذه المرحلة المبكرة كنت أعلم ان وطنى يخوض صراعا متصلا من أجل حريته . . .

● وجه مورجان الى الرئيس مجموعة من الأسئلة حول نشأته الأولى وجو الأسرة الذى عاش فيه مرحلة الطفولة .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ انني الابن الأكبر لأسرة مصرية من الطبقة المتوسطة الصغيرة وقد كان أبى موظفا صغيرا فى مصلحة البريد يبلغ مرتبه الشهرى نحو عشرين جنيها ، وهو مرتب يكفى بصعوبة لسد ضروريات الحياة .

وقد ولدت فى الاسكندرية ، لكن ذكرياتى الأولى تدور حول قرية الخطاطبة وهى قرية تقع بين القاهرة والاسكندرية حيث كان ابى يعمل وكيلا للبوسطة ـ وكنا دائما اسرة سعيدة يحكمها أبى ولكن القوة الحافظة فيها كانت امى التى كنت انا واخوتى نتفانى فى حبها .

وكان ابى قلقا بسبب آرائى السياسية حتى فى أيام التلمذة ، فقد سجن اخوه أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الاثارة السياسية ولذا كانت مخاوفه أن يحل بى ما حل بعمى ـ مخاوف طبيعية ـ فقد كان كل أمله ان نحيا جميعا حياة آمنة بعيدة عن المزعجات .

ولكنى بعد اشتراكى فى المظاهرةالسياسية الأولى دخلتالميدان بكل جوارحى وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة ولا سيما المقاومة الساخطة . ولقد كان ذلك منفذا لا بد منه لعواطفنا الحادة ولشعورنا بالكبت الذى يضغط على وطننا . .

وفى نهاية الأمر ضاق المسئولون فى المدرسة ذرعا بنشاطى ونبهوا ابى فارسلنى الى القاهرة لاعيش مع عمى والتحق بمدرسة أخرى هناك ..

ولعل الحديث الذى ادلى به جمال عبد الناصر الى الصحفي دافيد وين مورجان (١) يكشف كثيرا من الحقائق ليس فقط حول قيام الثورة ، بل واساسا حول فكر جمال عبد الناصر .. كيف تكون والاحداث التى غذته .. فمن خلال الحوار الذى كان الصحفى يسال فيه عن تفاصيل دقيقة عن حياة الزعيم ، وعن التنظيم الذى قام بالثورة ، نوقن ان جذور الفكر الثورى عند جمال عبد الناصر قديمة وانها ارتبطت فى الدرجة الاولى بالتحرر الوطنى وتخليص البلاد من الاستعمار . ويروى القائد فيه كيف كان يستكتشف الطريق الى المستقبل من خلال مسيرة الثورة .

ونظرا لاهمية هذا الحديث الذى يلقى فيه الزعيم بنفسه الضوء على كثير من القضايا التى تثار حول فكر الثورة ، والمنابع الأصلية له . والمعارك التى خاضتها . فقد آثرت أن أنقل أجزاء كثيرة منه لان له اهمية كبرى لدى كل من يدرس ثورة جمال عبد الناصر ، نشأتها ، وقيامها ، والاهداف الاساسية التى كانت تجمع تنظيم الضباط الاحرار من اجلها ..

بدأ الحديث مورجان بقوله : ـ

● **لقد مضت الآن عشر سنوات منذ ان قام نحو من تسعين من ضباط الجيش المصرى بانهاء النظام الاقطاعى فى وطنهم وبالاستيلاء على السلطة فى بلادهم بين يوم وليلة بعد ثورة تكاد ان تكون بلا قطرة من الدماء** ، وقد كانت هذه السنوات العشر سنوات من الثورة المستمرة ومن التغيير المتصل ، وهذه العملية التاريخية لا تزال مطردة ، لكن لعل الوقت الحالى هو انسب الاوقات للتطلع الى الخلف لا الى احداث هذه السنوات العشر الاخيرة وحدها بل

---

(١) حديث للصنداى تايمس الانجليزية يونيو عام ١٩٦٢ .

وسأل مورجان :

● **لقد ذكر عدد كبير من الذين تعرضوا لكتابة قصة حياتكم ان مشاعركم الاولى المعادية لليهود تكونت فى هذه الفترة فقد كانت فى نفس البيت الذى يسكنه عمكم بعض الأسر اليهودية ؟..**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ــ هذا راى ابعد ما يكون عن الحقيقة ــ فانا لم اكن فى أى يوم من الايام معاديا للسامية على المستوى الشخصى ومن العسير على اى مصرى متعلم ان يكون كذلك ــ لقد كانت بيننا وبين اليهود كشعب ــ روابط عديدة فموسى نفسه كان مصريا ، وشعورى المعادى لاسرائيل واعمالى الموجهة ضدها انما تولدت فيما بعد من شيء واحد لا سواه وهو الحركة الصهيونية التى اغتصبت جزءا من الأمة العربية .

وقال مورجان :

● **ان الذين كتبوا تاريخكم ايضا يقولون انه فى تلك الفترة وقعت لكم صدمة نفسية ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ــ ذلك صحيح ، ففى تلك الفترة حدث لى حادث اثر فى عواطفى اكثر من أى شيء آخر فى تلك السنوات الباكرة ــ فقد كان ابى مصرا على معارضة مشاعرى واعمالى الثورة ــ أما أمى فقد كانت تنظر الى السياسة نظرتها الى شيء لا يعنيها وكانت العلاقة القائمة بيننا هى مجرد علاقة الحب الخالص اللذى يربط ما بين الأم وولدها .

ولم أكن اكثر فى رحلاتى لزيارة أسرتى ــ ولكن حين انقطعت أنباء أمى فترة من الزمن سافرت لزيارة الأسرة ، ولما بلغت البيت لم أجد لها اثرا ــ وعلمت انها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد احد

الشجاعة الكافية لابلاغى بموتها ولكنى اكتشفت موتها بنفسى بطريقة هزت كيانى .

وعدت لفورى الى القاهرة حيث كرست نفسى لنشاطى السياسى بصورة اعنف من ذى قبل وخفف الزمن صدمتى ولكنى ظللت مبتعدا عن أسرتى لعدة سنوات ـ فان فقد أمى فى حد ذاته أمرا محزنا للغاية ـ أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت فى شعورا لا يمحوه الزمن وقد جعلتنى آلامى واحزانى الخاصة فى تلك الفترة أجد مضضا بالغا فى انزال الآلام والأحزان بالغير فى مستقبل السنين .

وقال مورجان :

● ان بعض المؤرخين يقولون أن بحثكم عن مجال للعمل السياسى قادكم الى محاولة واسعة لاستكشاف الأحزاب السياسية العاملة فى مصر فى ذلك الوقت ؟ . .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ فى سنوات التكوين هذه شغلت اهتمامى كل الاحزاب السياسية التى كان هدفها الاول أن ترد للشعب المصرى حريته وقد انضممت مدة عامين بعد مظاهرة الاسكندرية الى جماعة مصر الفتاة ولكن تركتها بعد ان اكتشفت انها رغم دعواها العالية لا تحقق شيئا واضحا .

وقد فوتحت فى عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعى لكنى رغم دراستى للمذهب الماركسى ولكتابات لينين وجدت أمامى عقبتين اساسيتين ، عقبتين كنت أعلم انه لا سبيل الى التغلب عليهما .

كان مجرد الظل لسيطرة أجنبية لا استطيع ان اقبله .

وقد كانت لى اتصالات متعددة بالاخوان المسلمين رغم انى لم اكن قط عضوا فى هذه الجماعة ، واحسست بقوة زعيمهم المرشد

العام حسن البنا وهنا أيضا وجدت أمامى صعوبات دينية ، فقد كان فى تصرف الاخوان المسلمين ضرب من التعصب الدينى وما كنت أرضى لا بانكار عقيدتى ، ولا بأن تحكم بلادى طائفة متعصبة كنت واثق من أن التسامح الدينى لابد وان يكون ركنا أساسيا من أركان المجتمع الجديد الذى كنت أرجو ان أراه قائما فى بلادى .

وتبلورت مشروعاتى لمستقبلى بعد عقد المعاهدة المصرية الانجليزية عام ١٩٣٦ التى نجم عنها ان حكومة الوفد اصدرت مرسوما يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم وكنت انا مع نفر من الآخرين الذين ظلوا فيما بعد رفاقا حميمين من بين أول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع ، فالتحقت بالجيش بعد أن كنت أدرس فى كلية الحقوق .

وتخرجت بعد سنتين فى عام ١٩٣٨ من الكلية الحربية بالعباسية ، كان الجيش المصرى حتى ذلك الوقت جيشا غير مقاتل وكان من مصلحة البريطانيين ان يبقوه على حاله ـ اما بعد ذلك فقد بدات تدخل طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون الى مستقبلهم فى الجيش بوصفه مجرد جزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم ، وعينا فى منقباد .. وذهبنا الى منقباد تملأنا المثل العليا ولكن سرعان ما أصبنا بخيبة الأمل فقد كان أكثر الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين ، وقد دفعت الصدمة بعض زملائى من الضباط الى حد الاستقالة اما انا فلم أر جدوى من الاستقالة رغم أن سخطى كان لا يقل عن سخط الآخرين واتجه تفكيرى بدلا من ذلك الى اصلاح الجيش ، وتطهيره من الفساد .. وفى عام ١٩٣٩ نقلت الى الاسكندرية .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين ، وكان ذلك بقصد التدريب لمدة شهر ، وكانت هذه أول مرة احتك

فيها احتكاكا حقيقيا بالبريطـانيين كجنود واشخاص فتركوا فى نفسى اثرا طيبا .

ولم يكن هناك اى تعارض بين استطاعتى ان اشعر بشعور ودى نحـو عدد منهم على المسـتوى الشخصى ـ وأن احترمهم كجنود وبين شـعورى العميق بضرورة التخلص من السـيطرة البريطانية ـ ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن ـ فالأول كان شعورا شخصيا والآخر كان مسألة مبدأ وليس هناك علاقة بين الشعورين.

وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخا تاما ، أما السبيل الى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة الى دراسة وكنت يومئذ لا ازال اتحسس طريقى الى ذلك ، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه الى تجميع عدد من الضباط الشبان الذين أشعر انهم يؤمنون فى قرارالهم بمصالح الوطن .

● وقال دافيد وين مورجان بانه فهم ان الصراع العلنى السافر بين الضباط الاحرار وبين الملك هو ازمة انتخابات نادى ضباط الجيش .

ورد جمال عبد الناصر :

ـ كان ذلك صحيحا فقد تملك الملك الجزع من ان يصبح النادى مركزا للتمرد ، وصمم على ان يكون الرئيس الجديد مرشحا من مرشحيه وهو اللواء حسين سرى عامر وكنت لا اقل عنه تصميما فى الحيلولة دون ذلك ..

وتحدث الرئيس عبد الناصر بعد ذلك عن تطورات الموقف بعد ازمة حل اللجنة التنفيذية لنادى الضباط بأمر من الملك ثم قال :

« ولقد احسست ان تأخير محاولتنا للقيام بثورتنا حتى سنة ١٩٥٥ مسالة مستحيلة ، فان الحوادث تتحرك بسرعة ، والاستعداد الثورى اصبح متحفزا ، ثم ان هيبة فاروق كانت فى الحضيض

لقد قدرت أن الموقف ساعاتها مناسب للقيام بانقلاب اذا عرفنا كيف ننفذه بسرعة وبكفاءة .

وفى منتصف يوليو دعوت الموجودين فى القاهرة من اعضاء الهيئة التاسيسية للضباط الأحرار الى اجتماع وابلغتهم بأن احتمال القيام بالثورة مفتوحا للنجاح ولم يكن من رأيى اعدام الملك فقد كنت أحس أن اراقة الدماء تؤدى الى مزيد من الدماء .. وكنت اريد للثورة أن تضع المقاييس التى ستحاسب دائما بها .

فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة .

وقال مورجان : ـ

● كيف بدا العمل الجدى فى تنظيم الخلايا الثورية ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ كنا بحاجة الى شىء يجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية ـ فاعطانا الانجليز ما نحتاج اليه ـ ففى عام ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط وكانت الحرب تمر فى الصحراء الغربية فى مرحلة حيوية ـ وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر حكومة تؤازرهم مؤازرة ايجابية وذهب السفير البريطانى ـ السير مايلز لامبسون ـ ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة بعد ان حاصر القصر بالدبابات البريطانية وسلم الملك انذارا يخيره بين اسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع ـ وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط ..

كان ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شىء كما كان ابدا ـ وكنت يومئذ فى العلمين حين جاءنى هذا النبأ ـ وما زلت أذكر انفعالى الشديد ـ وقد كتبت فى تلك الليلة الى صديق اقول :

ترى ماذا نحن فاعلون بعد هذا الحادث التعيس الذى تقبلناه بتسليم قوامه الخنوع والمهانة ، الحقيقة هى أن الاستعمار ليست لديه الا وسيلة واحدة يرهبنا بها ـ ولكن يوم يدرك الاستعمار ان المصريين مستعدون للتضحية بأنفسهم فانه سيتراجع كالجعجاع الجبان .

ان حوادث ٤ فبراير قد الحقت العار بمصر ـ لكنها رغم ذلك الهمتنا بروح جديدة ـ فقد ايقظت هذه الحوادث اناسا كثيرين من سباتهم وعلمتهم ان هناك كرامة تستحق ان يدافع عنها الانسان بأى ثمن .

وبالنسبة لى ـ كان عام ١٩٤٥ أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب ـ فقد شهد العام بداية حركة الضباط الأحرار ـ تلك الحركة التى اشعلت فيما بعد شعلة الحرب فى مصر ، ومع ذلك فقد كان ينتظرنا حادث آخر ليتحول استياؤنا وسخطنا المتزايد الى خطة ملموسة للثورة .

وقد ركزت حتى سنة ١٩٤٨ على تاليف **نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الامور فى مصر مبلغ استيائى** ـ والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للاقدام على التغيير اللازم ـ وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول ان نخرج مثلنا العليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة ـ وكانت بى رغبة عارمة للمعرفة ـ فأقبلت على الاطلاع بفهم والتهمت كتب المفكرين من امثال : لاسكى ونهرو ، بل وانيورين بيفان ، وبدات أفكار الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .

● ثم اثار دافيد وين مورجان تدافع الموج الثورى فى مصر خصوصا مع سنة ١٩٤٨ باحداثها الخطيرة فى فلسطين :

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ فى مايو ١٩٤٨ انهت بريطانيا انتدابها على فسطين واحسسنا

جميعا بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكا صارخا لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن للكرامة الانسانية كذلك .

وفى دمشق كان يجرى تأليف فرقة من المتطوعين ، فذهبت الى مفتى القدس الذى كان لاجئا يقيم فى مصر الجديدة وعرضت عليه خدماتى وخدمات جماعتى الصغيرة كمدربين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها - فاجابنى المفتى بانه لا يستطيع ان يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية - وبعد بضعة ايام رفض العرض .

تضايقت - فقد كان هذا يتيح الفرصة امام الضباط المصريين الشبان ليثبتوا قدرتهم على العمل ، وتقدمت بطلب اجازة حتى اتمكن من الانضمام الى المتطوعين - لكن قبل ان يبت فى طلبى امرت الحكومة المصرية الجيش رسميا بالاشتراك فى الحرب .

وكان القرار الذى اتخذته الحكومة هو القرار الصائب - لكن الطريقة التى نفذ بها القرار كانت كارثة .

لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية وكان عمل القيادة على اعلى مستوى فى حكم المعدوم - وتبين ان اسلحتنا فى كثير من الحالات اسلحة فاسدة - وفى اوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستحمام فى غزة للملك فاروق .

وقد بدا ان القيادة العليا كانت مهمتها شيئا واحدا هو احتلال اوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الاستراتيجية - وبغض النظر عما اذا كانت تضعف مركزنا خلال المعركة ام لا - وقد كنت شديد الاستياء من ضباط « الفويلات » أو محاربى المكاتب الذين لم تكن لديهم فكرة عن ميدان القتال أو عن آلام المقاتلين .

وجاءت القطرة الاخيرة التى طفح بعدها الكيل ، حين صدرت الاوامر الى بأن اقود قوة من كتيبة المشاة السادسة الى عراق

ســويدان التى كان الاسرائيليون يهاجمونها ــ وقبــل ان ابدأ فى التحرك نشرت تحركاتنا كاملة فى صحف القاهرة ــ ثم كان حصار الفالوجا الذى عشت معاركه حيث ظلت القوات المصرية تقاوم رغم ان القوات الاسرائيلية كانت تفوقها كثيرا من ناحية العدد حتى انتهت الحرب بالهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة .

وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذى كان قائدا للمتطوعين أثناء هذه الحملة حين هوجمت سيارته وهو فى طريقه الى اجتماع القدس ــ وكان احمد عبد العزيز يقول دائما : ان المعركة الحقيقية فى مصر .

كذلك أوشكت انا ايضا ان أقتل فى الحرب . فقــد جرحت مرتين وفى المرة الثانية مرت الرصــاصة بما لا يزيد عن خمســة سنتيمترات تحت قلبى ، وبينما كنت طريح الفراش فى المستشفى كانت افكار كثيرة وتأملات تمر فى خواطرى .

● **وقال دافيد مورجان : يبدو ان الحوادث اسرعت كثيرا بعد حرب فلسطين ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر : ــ

ــ لقد اتضح لى عندئذ ان المعركة الحقيقيــة هى بالفعل فى مصر ، فبينما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين كان السياسيون المصريون يكدســون الأموال فى ارباح الأســلحة الفاســدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش ، ولقد كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على ــ فكان الملك فاروق هو هدفنــا الاول من نهاية ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ .

واقمنا تنظيما ونسقنا نشاطنا ببطء ونشبت فى منطقة القنال حرب عصابات لتدمير المنشآت البريطانية ــ وكنت أعلم ان عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة قبل أن نستعد تماما امر حيوى بالنسبة لنا ــ وكان فى نيتى أن نحاول القيــام

بثورتنا فى ١٩٥٥ ـ لكن الحوادث املت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير .

وازاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية ١٩٥٢ كانت هناك فكرة ترى ان الحل الوحيد هو اغتيال أقطاب النظام القديم وبدانا باللواء سرى عامر ـ وهو احد قواد الجيش الذين تورطوا تورطا خطيرا فى خدمة مصالح القصر ـ ومع ان ميولى الطبيعية كلها كانت معارضة لهذه السياسة . فقد اخذت على عاتقى مسئولية اول محاولة .

وكانت ليلة لا تنسى ـ فقد اختبات انا وزملائى الذين اخترتهم ليقوموا بالمحاولة معى تحت اسوار الشجيرات المحيطة بفيللا اللواء ، وحين خرج من سياته اطلق النار عليه اثنان من زملائنا كانا على استعداد بالمدافع الرشاشة ـ ولما جرينا لنلتمس الهرب لاحقنا عويل سيدة يمزق القلب وصرخات ملعورة .

ولم اذق للنوم طعما فى تلك الليلة ـ فقد كنت أفكر فيما فعلته وانى لأذكر انى صليت راجيا الا يموت ـ وغمرتنى روح الارتياح عندما قرات فى صحف الصباح انه لم يصب حتى برصاصة واحدة وكانت هذه هى محاولة الاغتيال الأولى والأخيرة التى قمت بها وقد وافقنى الجميع على العدول عن هذا الاتجاه وصرف الجهود الى تغيير ثورى ايجابى .

واشتد التوتر درجة درجة ، حتى بلغ قمته ـ وهنا بدات معركة التعبئة الثورية ـ وبدانا نوالى اصدار منشورات « الضباط الاحرار » وكنا نطبعها ونوزعها سرا .

وكانت الأحداث تتطور بسرعة ولا نملك السيطرة عليها ، كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات ـ وبدات الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علنا ـ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثت ماساة حريق القاهرة ـ ولم تتخذ السلطات اى اجراء ـ النحاس رئيس الوزراء

لزم داره فى جاردن سيتى ، وظل فاروق فى قصر عابدين لا يحرك ساكنا ــ ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول الا فى العصر بعد أن دمرت النار اربعمائة مبنى انزلت بها خسائر فادحة ــ وتركت ١٢٠٠٠ شخص بلا مأوى ، وقد بلغت الخسائر ٢٣ مليون جنيه.

ومن الصعب تحديد من يستحق اللوم فى هذه المأساة ــ فقد بدأ اليوم بمظاهرة عنيفة قامت بها بعض الجماعات المتطرفة ــ لكن السخط الجماهيرى سيطر عليها بعد ذلك فخرج الزمام من يد اى تنظيم وكان تردد الحكومة هو المسئول عن تدمير المدينة وتدهورت الأمور من سىء الى اسوأ فتألفت وزارتان ثم خرجتا من الحكم ولم يبد على الملك ما يدل على استعداده لايجاد حل للموقف ــ وهكذا وجدنا انفسنا فى وضع المعارضة الصريحة له ..

وتحدث الزعيم بعد ذلك عن المشاكل التى واجهت تنظيم الضباط الأحرار عند قيام الثورة ، وخطة ليلة ٢٣ يوليو ، وكيف تم اعتقال عدد من قادة الجيش .. ثم مشكلة التصرف فى الملك .. الذى كان يرى البعض محاكمته او اعدامه ، « وكنت لا ازال على تصميمى أن تكون الثورة بيضاء ما أمكن وقد كنت ارى اخراج الملك من البلاد على وجه السرعة » .

وبعد أن تحدث عن توقيع الملك فاروق على وثيقة التنازل عن العرش ، وكانت آخر كلمات الملك وهو يرحل .. لقد كنت استعد لأفعل بكم ما فعلتم بى . »

بعد ذلك سأله دافيد وين مورجان .

● لقد تابعت الحوادث حتى قامت الثورة ونجحت ماذا حدث بعد ذلك .. وعندما بدأتم ممارسة الحكم ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ــ نجحت الثورة ولكننا لم نكن راغبين فى الحكم مطلقا لا أنا ولا زملائى من الضباط الأحرار ، كنا مصممين على محو كل أثر

للسيطرة الاجنبية وعلى اجراء اصلاح زراعى حاسم لانهاء النظام الاقطاعى الذى اختفى من قبل فى اوربا منذ ثلاثمائة عام وكنت اريد ان يضطلع بالمسئولية حزب يمكن أن يؤتمن زعماؤه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة .

وفى بداية الامر صفقت كل الاحزاب وهللت وتصور كل من الوفد ، والاخوان المسلمين والشيوعيين أن الثورة لهم ، فقد كانوا يحسبون أن من اليسير عليهم تشكيل جماعة من شباب الجيش المتحمسين بما يتفق مع منهجهم ـ ولكنهم عجزوا عن ادراك ما يكمن وراء الثورة من قوة فى الهدف .

وتحدثت مع زعماء كل الأحزاب لكنى لم اجد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه ، بل لقد ذهبت الى اكثر من هذا ، فعرضت على حزب الوفد أن انقل اليه السلطة بشرط ان يضمن جلاء البريطانيين عن منطقة القنال ، وان يطبق الاصلاح الزراعى الذى يحدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد ولكنهم رفضوا وظلوا يدوروا حول الفكر ويبعدوا عنها ..

وهكذا حملنا المسئولية على عاتقنا والأسف يملأ قلوبنا ، ولقد كان عملى يسيطر على حياتى فقلما وجدت الوقت لشىء آخر غير العمل ..

وقال دافيد مورجان :

● لابد ان تجربة مسئولية الحكم كانت امرا جديدا بالنسبة لعملكم السابق ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ صحيح .. وسرعان ما اكتشفت أن حكم بلد من البلاد يختلف اختلافا عظيما عن قيادة كتيبة من الجنود ومع ذلك ، فقد كانت هناك وجوه مشتركة بينهما فقد عرفت فى مرحلة باكرة جدا

ضرورة التخطيط ، **فالاصلاحات التى أردنا ادخالها كان لا بد من تنفيذها على اساس الخطة الطويلة الأجل** ، ولقد شغل التخطيط بالى فى هذه المرحلة ورحت أتحدث عنه مع كل من تتيح لى الظروف فرصة ان التقى به ، وتكون لديهم فكرة عنه او تجربته .. وانى أذكر أن موضوع التخطيط كان أول حديث طويل بين البانديت نهرو وبينى ..

واثناء زيارة من زياراته للقاهرة ركبنا يختا فى النيل واخذنا نتناقش لمدة ٥ ساعات حول تجاربه الخاصة بالتخطيط فى الهند .

ولم أكن أستطيع ان اعتبر نفسى خبيرا كما انه لم يكن تحت تصرفنا الا عدد محدود من الخبراء ولا سيما فى المجال الاقتصادى، وهو مجال ذو أهمية حيوية ، فالخبراء رغم كل شىء قد يكونون فى بعض الأحيان عبئا ، أكثر منهم عاملا مساعدا ، وقد يكونون متحجرين فيما ألفوه من اساليب ، ولهذا فانى افضل المفكرين على الخبراء ، ان التفكير يجب ان يرسم الاطار العام للحركة اولا ثم يجىء دور الخبرة فى خدمة الاطار العام .

* * *

ان هذا الحديث الهام يكشف بوضوح عدة نقاط هامة فى مجال هذه الدراسة :

- **تنظيم الضباط الاحرار كان وليد « استياء وسخط متزايد » على الاستعمار .. زاده الفساد فى الداخل اشتعالا بعد ذلك وان فكرة الثورة رسخت فى ذهن القائد بعد نشوب الحرب العالمية الثانية واحتكاكه احتكاكا حقيقيا بجنود الجيش الانجليزى المحتل .**
- **ان القائد كان يهتم بقضية الجلاء والاستقلال والتحرر الوطنى منذ صباه ، ولكنه كان يطل ايضا على الفكر الاشتراكى فقد اقبل على قراءة كتب ماركس ولينين ولاسكى وبيفان ونهرو بنهم وبدات افكاره الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .**

● ان الثورة كانت تهدف فى البداية الى ان تطور الاحزاب نفسها لتتولى سلطة الحكم وتقوم هى بالتغيير ، وهو ما عبرت عنه صراحة قرارات تطهير الاحزاب ، ومحاولة اعادة تشكيلها فى الداخل . ولكن الثورة ((لم تجد عند الاحزاب اى استعداد لتقديم صالح الشعب على صالحها))

● شغل التخطيط بال القائد ، وبدأ يفضل ان يلتقى بالمفكرين على الخبراء ، فالتفكير يجب ان يرسم الاطار العام للحركة ، والاصلاحات يجب ان تنفذ على مراحل ..

وهكذا كانت البداية التى انتهت بفكر تبلور فى ميثاق العمل الوطنى الناصرى ، وبرنامج ٣٠ مارس وغيرهما من احاديث المعلم القائد ولقاءاته .. وخطبه .. والتى شق التطبيق طريقه على اساسها .

* * *

مفهوم التحرر عند عبد الناصر كان مع ذلك ابعد من ان يرتبط بتحرير مصر وحدها ، فمنذ ساعة مبكرة ادرك ان قضية التحرير للوطن العربى كل لا يتجزأ .. وان ما يحدث فى مصر ، هو جزء من مخطط استعمارى استهدف الامة العربية كلها وانه كان عليه بمثل ما طاف على الاحزاب السياسية فى مصر ، يتلمس فى واحد منها الخلاص من الاحتلال ان يقوم بنفس الجولة يلتمس ايضا الخلاص من الاحتلال الذى يدبر لفلسطين فى وقت مبكر وهو ما اشار اليه فى حديثه مع مورجان ولكنه كان قد وضحه تفصيلا من قبل :

« فأذكر يوما عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ عقد فيه الضباط الاحرار اجتماعا واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين ، وذهبت فى اليوم التالى اطرق باب بيت الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين وكان ما يزال يعيش فى الزيتون وأقول له :

« انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون المتطوعين وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريدون ان يتطوعوا ، وهم تحت أمرك فى اى وقت تشاء » .

« قال لى الحاج امين الحسينى انه سعيد بهـــذه الروح ، ولكنه يرى ان يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا » .

« ثم قال لى الحاج أمين :

« سوف أعطيك ردى بعد استئذان الحكومة »

« وعدت اليه بعد أيام وكان رده - الرد الذى حصل عليه من الحكومة « وهو الرفض »

« ولم نسكت (١) »

❋ ❋ ❋

وعندما يناقش عبد الناصر بعد ذلك (٢) أسباب فشل ثورة سـنة ١٩١٩ يضـع من بين الأسـباب التى ادت الى الفشل اغفـالها للمنطقة العربية التي تحيط بها ، وما يجرى فيها .

« فالقيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء ، وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ، ولم تستطع ان تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية ، وبين القومية العربية .

« لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت ايضا فى أن تتعلم من عدوها الذى تحاربه ، والذى كان يعامل الامة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد .

« ومن هنا فان قيادات الثورة لم تنتبه الى خطورة وعد بلفور الذى انشأ اسرائيل لتكون فاصلا يمزق امتداد الارض العربيـة وقاعدة لتهديدها .

---

(١) فلسفة الثـــورة
(٢) الميثـــاق «

« وبهذا الفشل فان النضال العربى فى ساعة من أخطر ساعات الازمة حرم من الطاقة الثورية المصرية ، وتمكنت القوى الاستعمارية من ان تتعامل مع امة عربية ممزقة الأوصال مشتته الجهد .. »

اذن ففكر عبد الناصر منذ البداية كان يربط دائما بين مخططات الاستعمار التى تهدف لفرض السيطرة على المنطقة العربية كلها .

* * *

وكانت قمة نضوج فلسفة عبد الناصر هي صياغتها وبلورتها فى دليل عمل ، هو الميثاق الناصرى والسؤال هو :

« على اى اساس قدمت هذا الميثاق ..؟ على اساس احساسى ، وما لمسته فى العشر سنين الى فاتت ، وحطيت فيه الآراء اللى اعتقد أنها تحل بعض المشاكل أو التناقضات » (١)

والفلسفة الناصرية لا تنظر الى النظريات السابقة عليها على انها خطأ .. كما انها لا تعترض طريقها ، ولا تأخذ بها كلها ولا ترفضها كلها فى نفس الوقت .

« فالتجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئة جميع النظريات السابقة عليها أو تقطع برفض الحلول التى توصل اليها غيرها فان ذلك تعصب لا نقدر ان نتحمل تبعاته ، خصوصا وان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها ، تجتاز فترة اشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها الى كل زاد فكرى ، لكنها فى حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه وان تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية .. انها تحتاج الى معرفة ما يجرى من حولها .. لكن حاجتها الكبرى هى الى ممارسة الحياة على ارضها (٢) » .

---

(١) حديث الرئيس للمؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢ .

(٢) الميثاق .

ان منهج عبد النـــاصر لا يقف فى وجه التيـارات الفكرية الانسـانية ولا يرفضها مسبقا ، ولا يسلم بعدم صحة كل ما توصل اليه الاخرون من نتائج ، فنضال الشعوب « غير مطالب بأن يخترع مفاهيم جديدة لأهدافه الكبرى (١) »

« والتسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتمـاعى ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء عن التجربة الوطنية .. ان الحلول الحقيقية لمشاكل اى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعب غيره (٢) »

« ومن ثم فان التجربة الثورية العربية لا تستطيع أن تنقل ما توصل اليه غيرها .. »

ولكن ..

« ليس معنى ذلك ان النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه انه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العـام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة (٣) »

وفى نفس الوقت « ليس عليه أن يلتزم التزاما حرفيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر »

ومن هنا فقد كان فكر عبد الناصر ملتقيا مع بعض الافكار التى سبقته ، وكان مختلفا عنها فى نفس الوقت ..

فبينما يلتقى فكر عبـد النـاصر مثلا مع الماركسية فى تحليل التاريخ على أساس ملكية وسائل الانتاج وأن النظام الموجود هو الذى يحمل من التناقضات ما يفرض ضرورة التطور الاجتماعى ، وأن التطـور الاجتماعى تحكمه قوانين موضـوعية ، وان الطريق

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الميثاق .

للديمقراطية يبـدأ بتحرير خبز الفرد .. ويلتقى مع الماركسية فى أفكاره حول صراع الطبقات وغير ذلك .. فانه يضيف الى هـذا الفكر من رؤيته ومن واقع المجتمع افكارا جديدة كفكرة التحالف بين قوى الشعب العاملة والتحول الاشتراكى الذى يمكن ان يحققه تحالف قوى الشعب العاملة وتلعب البرجوازية الصغيرة فيه دورا هاما .. ورؤيته فى الحفاظ على الملكية الفردية والخاصة ، وبنـاء الاشتراكية العلمية فى ظل الايمان بالأديان السماوية .. وغيرها ..

وكما قلت سلفا بانه لا يمكن فصل اى فلسفة او فكر ، او منهج للعمل عن تطبيقه ، والا كان عملا تجريديا .. ولم يكن كذلك فكر عبد الناصر .. فقد كان التطبيق هو الذى يثرى الفكر .. والفكر هو المنبع للتطبيق ، فكان ما يدور فى المجتمع هو تفـاعل سلبا وايجابا بين الفكر والتطبيق ..

ورغم ان مجتمعنـا لم يصـل الى استكمال مرحلة التحول الاشتراكى التى بدات بقوانين يوليو ١٩٦١ ، الا ان ما تم تنفيذه بسرعة وبمعدلات عالية فى هذا الزمن الوجيز الذى غير فيه شكل المجتمع العربى فى مصر ، وامتدت آثار التغير الى بعض المنـاطق العربية وبعض دول آسيا وافريقيا كنتائج مباشرة لهذا الفكر ، هذا وحده دلالة واضحة على أن المسيرة كانت تأخذ طريقها فى ظل ظروف متعددة واجهتها وحاولت اجهاضها والتأثير على مسيرتها فى التطبيق سواء من قوى الرجعية المتآمرة فى الداخل ، أو من قوى الاستعمار والامبريالية فى الخارج التى بلغت ذروة تربصها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما حملت السلاح فى وجه هذه التجربة مكرسة كل جهودها ، واجهزتها للقضاء عليها .

على ان فكر عبد الناصر لم يكن يمر فى مجتمعنا كالسكين فى الزبد ، بل كان يمر من خـلال مقاومات ومعـوقات ، ابرزها وجود بقايا القوى القديمة التقليدية ، التى آثر الفكر الناصرى ان يتركها

ويمنحها حرية الحركة بعد أن جردها من سلاحها وهو المال ، مع أنه ـ عبد الناصر ـ كان ينبه دائما الى وجود حزب رجعى غير معلن نشيط ومتحرك ومع ذلك فانه آثر أن تكون الثورة بيضاء وأن يعبر على هذه القوى بطريقة سلمية نحو التحول الذى ينشده للمجتمع .

* * *

ولا شك ان وجود القائد والمعلم ، ومسيرته بالثورة مع الجماهير كان يمكن أن يعطى للتجربة اعماقا وابعادا جديدة ، لانه رغم اكتمال خط التغيير الثورى ونموه فكرا ..

فقد كان القائد يعلن دائما ان الثورة مستمرة ، وان ارادة التغيير مستمر ، ولكن التاريخ لم يسمح ابدا لعظمائه ولصانعى المبادىء أن يكملوها ، ويرون آثارها الكاملة فى التطبيق ، ليس فقط لأن وجودهم فى حد ذاته كان يمكن أن يعطى اضافات لا نهاية لها ، يمنحونها من فكرهم المتجدد ورؤيتهم البعيدة المدى ، ولكن أيضا لأن القدر لم يمهلهم حتى يكملوا تطبيق ما فكروا فيه ، ويجنوا ثماره ..

ولكن عبد الناصر على كل حال لم يترك تجربته ورؤيته الفكرية غير كاملة ولا غير ناضجة ، بل ان هذه الرؤيا امتدت لتخرج من بلادنا تحمل اسم صانعها الى كثير من الدول النامية ، ودول العالم الثالث ، واصبحت منهاجا أمام الباحثين والدارسين والمناضلين فى جميع انحاء العالم ، وأسلوبا للحياة ترتضيه شعوبا عديدة من العالم لانه يحقق امانيها وآمالها فى التقدم

ولقد احدث هذا الأسلوب تأثيرات عدلت على أساسها كثير من الأفكار والآراء التى سبقته ، وثبت من خلال تجربة عبد الناصر وفكرها ، خطوها ، أو أن هناك طرقا اخرى يمكن أن تؤدى الى نفس المعنى ولكنها أكثر ملاءمة لبعض الشعوب .

ومن أجل ذلك كله رفعت الشعوب العربية ، وكثير من شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية شعارا جديدا اسمه الناصرية .. وهو مجموعة المبادىء والقيم والأسس التى صاغها جمال عبد الناصر بفكره ، لتكون طريقا لتقدم المجتمع ، وصيغة ملائمة لتطوره ، ومنهاجا ـ يصفه بعض المفكرين بأنه نظرية ـ كاملا لحركة ثورية نقلت المجتمع العربى فى مصر من القرن التاسع عشر ، ووضعته على أبواب القرن العشرين ..

الحرية

الحرية فى فكر عبد الناصر .. هي حرية الوطن والمواطن ..

وقد يكون من قبيل الفصل التعسفي ان ندرس كل منهما على حدة ، فالناصرية ترى انه لا حرية للوطن بدون تحرير المواطنين ، ولا حرية للمواطنين فى ظل وطن مستعبد ..

« فشعوبنا لا تصنع بالاستقلال علما ونشيدا ، وصوتا فى عداد الاصوات فى الأمم المتحدة ولكنها تريد الى جانب ذلك ان يكون للاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون كرامة البشر ، كما يصـــون الاستقلال كرامة ارضهم » (١) .

والشعوب فى فكر عبد الناصر لا تستخلص حريتها من قبضـة الغاصب لتضعها فى متحف التاريخ ، ولكنها تستخلص هذه الحرية لكى تمارسها ، وتحس بها واقعا فى حياتها ، وهذا لا يتأكد الا بتحرير لقمة الخبز ، وبتحرير الانسان من كل أنواع السيطرة والضغوط الداخلية والخارجية ..

تحرير الأرض من سـيطرة الاستعمار وضغوطه ، وتحرير المواطن من سيطرة الاقطاع وتحكم راس المال ..

وتحرير الوطن من سيطرة الاستعمار ، لا يتحقق الا بالاستقلال التام ، واتباع سياسة بعيدة عن الدخول فى الأحلاف ، ومنـاطق النفوذ .

---

(١) مؤتمر القمة الافريقى ١٧ يوليو ١٩٦٤ م

وتحرير المواطن من سيطرة راس المال والاقطاع لا يتحقق الا بالتطبيق الاشتراكى الذى يسيطر فيه الشعب على مقدراته الاقتصادية ..

تحرير الوطن والمواطن طريقهما الاستقلال .. والاشتراكية .. عند ذلك تكون هناك حرية حقيقية لجميع الذين يعيشون على أرض الوطن ، ويستظلون تحت سمائه ..

اذن فالقضية واحدة .. قضية الحرية .. والاشتراكية ، والحرية هنا لا تعنى فقط حق المواطن فى أن يخطب ، ويجتمع ، ويسكن ، وينتقل ، ويتعلم ، ولكنها اساسا حقه فى أن يعيش مستقلا ، وحقه فى نصيب عادل من ثروة بلاده .. ومن هذين الحقين تنبع وتتأكد الحقوق الاخرى بطريقة سليمة وفعالة .

هذا التلازم بين الحرية ، والاشتراكية بدأ فى فكر عبد الناصر قبل قيام الثورة ، وتبلور تماما بعد عام ١٩٦١ ، ففى البداية كانت المؤشرات التى لديه هى الاستقلال ، والقضاء على الفساد والانحراف وحول الاستقلال ، كانت المعارك الاولى لعبد الناصر ولثورته ..

* * *

قضية الجلاء ، وطرد الاستعمار هي البند الاول من المبادىء الستة التي أعلنتها الثورة ، وقد كان هذا طبيعيا فمصر منذ الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ وثورة الكفاح لدى الشعب لم تخمد ابدا .. ربما هدأت بعض الأوقات ، ولكنه كان هدوءا على السطح فقط .

واذا تتبعنا أحاديث وخطب عبد الناصر فى تلك الفترة من فجر الثورة ، وبالذات فى أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ نجد ان القضاء على الاستعمار كان هو القضية الوحيدة التى تلح عليه ، والتى كان ينفرد بالحديث عنها وحدها .. ففى اول خطاب عام للزعيم الراحل عندما وقف يتحدث أمام الطلاب لاول مرة فى الجامعة ، كان حديثه

عن الاستعمار البريطانى لمصر .. وتوالت بعد ذلك خطاباته فى محافظات مختلفة ، وكلها كانت تركز على تحرير الوطن كشىء جوهرى ، ومطلب ناضل المصريون طويلا من أجله .. ولذلك فان القضية الأولى كانت فى رايه هى قضية **تحرير ارض مصر .. وهو واجب ابناء مصر كلهم .. الذين يمكن بوحدتهم الوطنية** ، على اختلاف انتماءاتهم ان يتجمعوا حولها ، وأن تتوحد نظرتهم اليها ، حتى ولو كانت هذه النظرة من مواقع مختلفة ، الا أن أحدا لم يكن يختلف حول ضرورة تحقيق استقلال البلاد ، وطرد المستعمر بعد أكثر من ٧٠ عاما من الاحتلال الا الذين اتخذت الثورة موقفا منهم فى البداية وابعدتهم عن السياسة لارتباطهم المباشر بالاستعمار ..

ولقد خلف واقع المجتمع المصرى ، وتجربته ، ومعاناته فى فكر عبد الناصر عقيدة راسخة ، هى كراهيته للاستعمار ومحاربته للاحلاف ، وقد امتدت هذه العقيدة بعد ذلك الى معاداة الاستعمار ، ليس على أرض مصر ، ولكن على كل أرض تلمسها أقدام أجنبى يغزوها ، ويحتكر خيراتها ، ويستذل شعبها ، **واصبحت الناصرية** تساوى معاداة الاستعمار فى كل مكان ، والوقوف بجانب الشعوب **التي تريد ان تتحرر ، وتلفظ الاجنبى الدخيل ..**

موقف واحد .. ضد الاستعمار ، فى مصر .. وفى كل وطن عربى .. هو نفس الموقف ضد الاستعمار فى أفريقيا وفى آسيا وفى امريكا اللاتينية .

موقف أعلنه عبد الناصر صراحة ، وصاغه فى مواثيقه الثورية المختلفة .. وكرره فى كل مناسبة .. ثم راح بعد ذلك يؤكد الموقف تطبيقا عمليا بمناصرة قضايا الشعوب .. والسلام فى كل مكان من العالم الى حد أن حمل شعبنا السلاح دفاعا عن الحرية فى بلاد أخرى .. وذهب خبراؤنا العسكريون يعطون خبرتهم للمناضلين من أجل التحرير فى أماكن متفرقة .

وفى حياة عبد الناصر تحررت بلدان عديدة من افريقيا .. فبعد ثورة ١٩٥٢ تغيرت خريطة افريقيا ، وانحسرت عنها قوى الاستعمار الى حد كبير ..

ولأن عبد الناصر رفض الاستعمار ، وقاومه .. فقد اتخذ الحياد الايجابى موقفا ليس لشعبنا فقط ، بل اصبح احد الخطوط البارزة فى الفكر الناصرى ، فى مجال العلاقات الخارجية والتعاون الدولى .. ذلك الموقف الذى عبر عنه اكثر من مرة باننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ..

***

من اهم الوثائق فى دراسة الفكر الناصرى ، هو اول خطاب عام ألقاه جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لأنه يعكس بوضوح فكر القائد حول الثورة (١) وانها قامت لتقضى على الاستعمار اولا ..

وفى هذا الخطاب تحدث الزعيم الى شباب الجامعة فى ذكرى شهداء الجامعة .. الشهداء الذين سقطوا فى معارك التحرير وقال بالنص :

اخــواني :

لقد كان شباب الجامعة دائما فى مقدمة الذين رفعوا علم النضال والكفاح ضد الظلم والاستعمار وقد كنت طالبا بالمدارس الثانوية اجعل خطاى تسير مع خطى الجامعة ، فأصابتنى فى مثل هذا اليوم من سبعة عشر عاما أثناء اشتراكى فى المظاهرات ضد الاحتلال ، ما أصاب الكثيرين من المكافحين فى سبيل استقلال البلاد وتحريرها .

---

(١) جامعة القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ م

وقد تركت اصابتي اثرا عزيزا لا يزال يعلو وجهي ، فيذكرني كل يوم بالواجب الوطني الملقى على كاهلي كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز .

وفي هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم محمد عبد المجيد مرسي ، فانساني ما أنا مصاب به ، **ورسخ في نفسي ان على واجبا أفني في سبيله** ، أو أكون أحد العاملين على تحقيقه حتى يتحقق ، **وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار وتحقيق سيادة الشعب** . وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى . فازداد ايماني بالعمل على تحقيق حرية مصر .

وانا اذ أقف بينكم اليوم بعد سبعة عشر عاما لاحيي ذكرى الشهداء فان الحق يقضي على بأن اقول : هنا وفي هذا المكان نبتت **هذه الثورة التي تهدف الى القضاء على الاستعمار واعوانه وتحقيق الاستقلال التام للبلاد .**

وان اقل ما يعمل لتخليد ذكرى الشهداء هو أن يقام على قاعدة هذا التمثال رمز لهؤلاء الذين بذلوا ارواحهم فداء لوطنهم . اما التخليد الحقيقي لذكراهم فهو أن نحقق ما ناضلوا من اجله ، وضحوا في سبيله بارواحهم ، واني اعاهدكم في هذا المكان ان نعمل مخلصين على ذلك .

واني لا أود أن أغادر هذا المكان قبل أن اقول لكم ان حركة الجيش ما قامت الا لتحرير الوطن واعادة الحيـاة الدستورية السليمة للبلاد . وان كل هدفنا هو أن نوفر للشعب حرية كاملة لا يمكن سلبها .

لقد حمل ابناء هذه الجامعة دائما مشعل الحرية ، وسيظلون باذن الله يحملون هذا المشعل ، وان أملنا فيكم لعظيم ، وما الجيش الا جزء منكم ، فلنتعاون جميعا حتى نحقق للوطن ما استشهد في سبيله هؤلاء الأبرار والله ولي التوفيق . »

والخطاب الثانى للزعيم يعتبر وثيقة تاريخية ايضـا ، لا لأنه حدد أول الأهداف الأساسية بأنه القضـاء على الاستعمار فقط ، ولكن لأنه تعرض للخلفية التاريخية لثورات الشعب المصرى ضـد الغزو البريطانى منذ البداية . وهى نفس الخلفية التى صاغها فى الميثاق بعد ذلك بعشر سنوات ..

وفى هذا الخطاب يحدد الرئيس هدف الثورة بأنه **تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال** .. ويقرر أن الاحتلال ــ متعاونا مع الأسرة الحاكمة ــ هو سبب الفساد .. والانقسام .. والفرقة بين أبناء الشعب ، وهو فى نفس الوقت السبب الرئيسى فى التخلف ..

ويحلل بوضوح قاطع أن السبب الأساسى الذى قامت من أجله الثورة ، هو تحرير الأرض .. فالثورة لها جذور قديمة مع بداية الاحتلال .. فقد ثار الشعب قبلها بزعامة عرابى ، وثار فى سنة ١٩١٩ وحدثت انتفاضات وطنية بعد ذلك فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ــ ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما هب الشعب ينادى بسقوط فاروق وحاشيته ونظامه ..

والنص الكامل لهذا الخطاب يؤكد رؤية عبد الناصر لتحرير الأرض كهدف رئيسى من أهداف ثورة ١٩٥٢ فهو يقول فى الخطاب بالنص :

« قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلا للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ . »

والواقع أن هذا التاريخ مجافاة للواقع لأنه لم يكن الا آخـر مراحل الثورة ــ فى هذه الفترة ــ أما أولى مراحلها فسابقة لهـذا التاريخ عشرات السنين . انه اليـوم الحادى عشر من يوليـو سنة ١٨٨٢ ، أى قبل التاريخ الأخير بسبعين عاما واثنى عشر يوما بالتحديد .(١)

---

(١) ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ كتاب أهداف الثورة مطبوعات ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة سنة ١٩٥٣ .

ففى ١١ يوليو ١٨٨٢ ضربت الاسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى . ثم كان الاحتلال البغيض . واشتعلت مصر ثائرة . وخرج الجندى الفلاح احمد عرابى على راس الاحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق اهدافها . واكتفت بأن سجلت مولدها وكان لابد لها وقد بدأت طفلة ساذجة صغيرة من أن تصبر حتى تنمو مع الأيام ، حتى اذا اصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به .

لقد حددت الثورة اهدافها منذ اليوم الأول لمولدها « لابد من تحرير مصر .. لابد من جلاء قوات الاحتلال » .

وكلما كانت الثورة تنمو ، كانت هذه الأهداف تزداد عمقا فى ضميرها ، وكلما كانت الأيام تمر ، كانت هذه الاغراض تشتد اتصالا بارادتها ، فما ان اقبلت سنة ١٩١٩ ، وكانت الحرب العظمى الاولى قد انتهت ، حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها . فصاحت « الاستقلال التام او الموت الزؤام » وكانت تعنى ما تقول . فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دما زكيا وتضحية غالية وروحا سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين ولا أمام أذنابهم من رخاص المصريين ولكنها مضت قدما لا تبالى بالخديعة والدس ، واذا كانت الثورة بطبعها طيبة القلب صادقة النية صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت ، واخذت تنتظر الوعود ، فاذا هـذه الوعود سراب !!

واذا بالثورة العارمة التى ولدت لجلاء المستعمرين عن أرض الوطن ترضى بدستور ١٩٢٣ بديلا عن أهدافها الكبرى .

وثارت الثورة على نفسها ! ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها . فما كانت تستطيع الا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حواليها وهى تسخر ممن استغلوها واخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدا يعلن صلته بها . وكان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزا يباهى بانه ابن الثورة وصانعها ومحركها ..

واصبحت الجماهير ضحية هذه المزايدات الوطنية وهذا اللون الجديد من الوان الاستغلال السياسى والاتجار باسم الثورة ، بينما قبعت الثورة نفسها فى ركنها الهادىء ترقب هذا الصراع الجديد . وهذا الاستغلال لاسمها . وهى تسخر من جميع التجار والمستغلين لأنها تعلم أن فرصتها ستعود فتضرب ضربتها وتكشف بها مناورات هؤلاء جميعا وتمضى فى سبيل غايتها الأساسية « التحرير » .

وبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون .

ولكنها اغراض شخصية ومطامع وغايات وصراع على النفوذ . نفوذ الأفراد والأسر والاحزاب . ويتم كل ذلك باسم الثورة البريئة منهم وباسم الشعب المغلوب على أمره .

ثم تتطور الأمور فلا يعود هؤلاء السادة الحكام يكتفون بذلك انما يتعدونه الى ما هو اخطر فتعدوا على كل المقدسات فلا يصبح للسلطة القضائية أى كيان . وانما يصبح الامر فوضى فى يد الحكام والمتسابقين على النفوذ والجاه .. يوفرون لأنفسهم الوانا شتى من المتاع واللذة .

وكان الشعب المصرى المسكين يدفع ثمن هذا كله من عرقه وآلامه .. ودفع التسابق على الحكم هؤلاء الحكام الى أن ينسوا

كل ميزان للكرامة فاندفعوا يتملقون الملك وتسابقوا فى مضاعفة سلطانه وزيادة نفوذه حتى أصبح كل شىء .

وعرف هو فيهم هذا الضعف فأخذ يلعب بهم . ماداموا ينحنون أمام قامته العريضة . . فماذا يمنعه اذن من أن يطلب منهم مزيدا من الانحناء !!

وماداموا يفرطون فى حقوقهم وسلطاتهم ، فماذا يمنعه من أن يستهتر بهم جميعا .

وكانت القدوة القذرة التى يضربها الكبار تنفذ الى الصغار ، فيتسابقون بدورهم فى سبيل الحصول على المنافع الخاصة بالرشوة أو الملق أو الرياء أو أى وسيلة أخرى يمكن أن تحقق لهم هذه المنافع الخاصة .

فمن جانب عم الفساد كل شىء . ومن جانب آخر انقسمت البلاد الى طبقتين واضحتين . طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين .. وأحست كل طبقة من الطبقتين بالثغرة المتسعة التى نشأت بينها . فلاذت كل منهما بوسائل صناعية تحمى بها نفسها من الأخرى .

الى هذا الحد وصل الانقسام فى البلد الواحد والدولة الواحدة .

أما الطبقة الحاكمة فقد تكاتفت برئاسة فاروق وأخذت تحمى نفسها من الشعب بمختلف الوسائل . من فرق البوليس المدرعة الى البوليس السياسى ووسائل الجاسوسية الى القوانين التى تقيد طبقات الشعب فى سلاسل من حديد الى شراء الذمم والضمائر . .

وفئة أخرى تخصصت فى خداع الشعب لمصلحة فاروق ونظامه الى آخر تلك الأساليب البالية التى قصد منها حماية أفراد معينين من سخط الجماهير ..

أما الشعب . . بدأ يتنبه الى هذا الفساد ، وبدأ يحس أن القوم يدبرون له أمرا خطيرا . . فبدأ يتكتل لمواجهة هذا التيار العاصف . . وبدأ ينتهز الفرص ليعبر عن سخطه بمختلف الوسائل التى يملكها . .

وسجل الشعب انتفاضات فى سنوات ١٩٣٠ ، ١٩٣٦ ١٩٤٧ — ١٩٤٨ واخيرا فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حينما هب ينادى بسقوط فاروق ورجال فاروق وحاشيته ونظامه .

وكان الجيش فى هذه الأثناء يتفاعل مع الشعب خطوة خطوة فكلما غلى المرجل فى نفوس الشعب ، غلى بدوره بين ضباط الجيش وجنوده لأن الجيش من الشعب وللشعب .. بيد أن الجيش كان يؤثر الانتظار حتى يستنفد الشعب خطوات كفاحه ، وحتى تصل الأمور الى غايتها من الفساد فيسهل بعد ذلك القضاء على الفساد .

وكان يعز على رجال الجيش وهم من الشعب أن يسود فى أوهام الحكام انهم احدى وسائل اخماد أفكار الشعب التحريرية الاصلاحية .

وأن يتسرب هذا الوهم من أذهان الحاكمين الى اذهان بعض المحكومين من طبقات الشعب الثائر . ولكنهم آثروا ايضا الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فيضربوا ضربتهم القاضية .

وجاء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

بعد سبعين عاما واثنى عشر يوما بالتحديد على مولد الثورة المصرية ..

وهب جيش مصر يباركه الشعب يضرب ضربته .. ولكن هل كان هدف الثورة هو التخلص من فاروق .. **انه هدف تصغر امامه فكرة الثورة .**

ولكن الثورة تهدف الى تغيير النظام لمصلحة الشعب . بعد أن مضى هذا الزمن الطويل والشعب مغلوب .. والغالبون قلة يعدون على أصابع اليدين .

فكان لابد من تغيير الدستور واستبداله بدستور جديد يحقق الحرية والكرامة لكل مواطن .

وكان لابد من حماية الثورة حتى لا تنحرف أو تقصر عن بلوغ غاياتها . كما حدث فى مراحلها السابقة .. وكان لابد من اتخاذ

موقف من استغلال طبقة الحاكمين المتجرين بأسماء الثورات من أن تتاح لهم فرصة أخرى لهذا الاستغلال .

وكان لابد من سن « صك تحرير العبيد » من الذين سادوهم بقوة النفوذ واتساع الملكيات هذا الزمن الطويل .

وكان لابد من عدد عديد من المسائل تتخذ فورا ليصبح الشعب حرا وليحكم الشعب نفسه غير مقيد بشيء ثقيل من الماضي الكريه العفن .

وبهذا تؤمن الثورة أنها تستطيع أن تحقق أهدافها ((تحرير مصر ، لمصر ، ولشعب مصر)) .

وينتهي بذلك أول خطاب تفصيلي للقائد المناضل .. في أول لقاء عام له بالجماهير العريضة ، ولم تكن الثورة قد انقضى عليها ستة شهور .. وفي هذا الخطاب رؤية واضحة لابعاد الثورة التي قام بها .. وكانت في ذلك الوقت تهدف لتحقيق المبادىء الستة وعلى راسها القضاء على الاستعمار واعوانه .

* * *

ويمضي عبد الناصر ليؤكد على قضية التحرير والاستقلال في خطاباته وتصريحاته بعد ذلك .. طوال السنة الأولى والثانية من عمر الثورة .. وليؤكد ان تحرير الأرض هو أولى مهام حركة الضباط الأحرار .

« فهؤلاء الضباط كافحوا الطغيان والاستبداد بكل أشكالهما وقد صهرتهم المقاومة وأدمجتهم في كتلة واحدة لها نفس الأهداف والميول ، **وهدفهم الرئيسي هو ان يروا وطنهم قد فاز باستقلاله التام الخالي من كل أثر من آثار الاحتلال الأجنبي** .. وأمنيتهم أن يروا مواطنيهم يعيشون عيشة كريمة ، وهم متمتعون بالحرية والمساواة » (١) .

---

(١) تصريح لمندوب وكالة الانباء الفرنسية ٢٠ يناير ١٩٥٣ ..

موقف محدد من حرية الوطن .. أن يجلو الاستعمار ، أو يكون الكفاح المسلح لتتطهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للوطن .

« فالحرية حق وان استحقاقنا للحرية لا يتقرر بما أخذناه منها ، بل يحرضنا عليه ما لم ننله بعد .. ان الشعوب التى تساوم المستعمر على حريتها توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها ، لذلك فان اول أهدافنا هو الجلاء بدون قيد أو شرط ، اننا نعلنها عالية مدوية : **يجب ان يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده** » (١) .

« فالاستعمار هو الذى زيف ديمقراطيتنا .. وهو الذى حارب محاولتنا لاقامة حياة دستورية سليمة » .

فموقف الناصرية اذن من الاستعمار واضح منذ فجر الثورة .. وهو قتال الاستعمار حتى التحرير .. فالاستعمار لا يترك الارض التى يحتلها الا مرغما ، وحتى عندما يتفاوض فانه لا يستجيب الا اذا فاوضته الدولة المحتلة من منطق القوة ، والاصرار على التحرير والرفض لكل ما يقدمه من حلول وسط .. فان قوته وجيوشه لتتلاشى أمام وحدة الشعب وتصميمه على نيل استقلاله .

ومن هنا فان الطريق الى تحرير الشعوب ليس عملا يسيرا .. وهو ليس رحلة سهلة ، ولا مناورة كلامية يستخدمها مفاوض ماهر . وانما يجب أن تكون الشعوب مستعدة للقتال ، عازمة عليه ، وأن تستعد لدفع ثمن حريتها غالبا من دماء أبنائها « ان مصر قد أجمعت على ان تصل الى حريتها واستقلالها مهما كانت الصعاب ومهما كانت المشاق وان وجود الاحتلال الاجنبى على أرض بلادنا سبعين عاما يدعونا لأن نستعد لاسوأ الاحتمالات ، واننا اذ نطالب برفع الذل عن رؤوسنا ، هذا الذل الذى ورثناه فانما نهيىء قوانا للساعة الفاصلة وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (٢) » .

---

(١) ٢٣ فبراير ١٩٥٣ فى شبين الكوم .

(٢) المؤتمر السياسى بميدان الجمهورية ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ .

فالاستعمار يقاتل دفاعا عن وجوده ، ولا يفرط فى الأرض التى يمتص خيراتها الا مرغما ، وهو عادة يستعين بقوى من الداخل لتعاون معه ، وتبيع نفسها له .. وهو اذ يمكن لهذه القوة من السيطرة السياسية ، والاقتصادية .. فذلك لأن مصالحها ترتبط بوجوده ، فانها معه .. ولا تتنازل عن مصالحها بسهولة ..

* * *

تحليل تاريخ الشعب المصرى يؤدى الى هذه النتيجة .. ان الاستعمار لم يتنازل مختارا ولا طائعا عن ممارسته لاحتلال الأرض ونهب خيرات الشعب .

« فان شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الاستعمار ضرب مثلا حيا ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب ..

« ان شعبنا كشف الاستعمار العثمانى (١) وقاومه برغم التحايل عليه باستار الخلافة الاسلامية »

« ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسى حتى أرغم المغامر الذى دوخ أوربا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض الى فرنسا ..»

فقد وجدت الحملة الفرنسية على مصر فى منتصف القرن التاسع عشر ان « الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة .

كما وجدت « مقاومة عنيفة لسيطرة المماليك وتمردا مستمرا على محاولاتهم لفرض الظلم على الشعب المصرى ، وبرغم أن هذه المقاومة العنيفة والتمرد المستمر قد كلفا شعب مصر غاليا فى ثروته الوطنية وفى حيويته ، فان الشعب المصرى كان صامدا ثابت الايمان (٢) »

« ثم صمد لمؤامرات الاستعمار العالمى واحتكاراته الدوليةالتى استغلت أسرة محمد على »

(١ ، ٢) الميثاق .

ولقد كانت مصر تعيش فى يقظـة شـعبية ، واثقة بنفسهـا ، تتحفز لامال المستقبل بعد فرار الحملة الفرنسية حتى جاء محمد على ليستغل الارادة الشعبية ويلويهـا لتحقق مطامعه الفردية .. ويتجاهل مصالح الشعب .. « فلن الماساة فى هذا العهـد هى أن محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية التى مهـدت له حكم مصر بوصفها نقطة وثوب الى مطامعـه .. ولقد سـاق مصر وراءه الى مغامرات عقيمة استهدفت مصالح الفرد متجاهلة مصالح الشعب »

« ان اليابان الحديثة بدأت تقدمها فى نفس هذا الوقت الذى بدات فيه حركة اليقظة المصرية ، وبينما استطاع التقدم اليابانى ان يمضى ثابت الخطى ، فان المغامرات الفردية عرقلت حركةاليقظة المصرية ،وأصابتها بنكسة الحقت بها افدح الأضرار »

« ان هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى فى مصر على مصراعيه بينما كان الشعب قبلها قد رد بتصميم ونجاح محاولات غزو متوالية ، كان اقربها فى ذلك الوقت حملة فريزر ضد رشيد »

« ومن سوء الحظ أن النكسة قد وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار ، فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات ، واستنزاف مواردها الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رؤوس الأموال المنهوبة من المستعمرات (١) »

« وكانت النكسة فى مصر بابا مفتوحا لقوى السيطرة العالمية » .

« وبدأت الاحتكارات المالية الدوليـة دورها الخطـير فى مصر ، وركزت نشاطها فى اتجاهين واضحين ، هما حفر قنـاة السـويس ، وتحويل ارض مصر الى حقل كبير لزراعة القطن لتعويض للصـناعة البريطانية عن اقطان امريكا التى قل ورودها الى بريطانيـا بسـبب انتهاء سيطرتها على امريكا ، ثم انقطع وصولها تماما بسبب ظروف الحرب الأهلية الأمريكية » .

١ ـ الميثـاق .

« ولقد عاشت مصر فى هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الأجنبية ولمصلحة عدد من المغامرين الأجانب الذين تمكنوا من السيطرة على أمراء أسرة محمد على وساعدهم على ذلك فداحة النكسة التى أصيبت بها حركة اليقظة المصرية » .

« على أن روح هذا الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة أن تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

« وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه آلاف من شباب مصر الرواد ممن ارسلوا - أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على - الى أوربا ليتمكنوا من العلم الحديث فان هؤلاء استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم بذورا صالحة ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر أن احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر ألوانا رائعة من الأزهار على ضفاف النيل الخالد » .

« وليس صدفة أن هذه الزهور المتفتحة على ضفاف وادى النيل كانت بمثابة الومضات اللامعة التى لفتت أنظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله ومسرحا لفنونه وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة والموهومة » .

« ولقد أحست الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى المنطقة بالأمل الجديد يستجمع قواه ويتحفز ، وكانت بريطانيا بالذات لا تحول أنظارها عن مصر بحكم اهتمامها . بالطريق الى الهند . ومن ثم ألقت بثقلها كله فى المعركة الثورية التى لاحت مقدماتها بين القوى الشعبية وبين أسرة محمد على الدخيلة المغامرة » .

« وكانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة وكان الاحتلال البريطانى العسكرى لمصر سنة ١٨٨٢ ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية وتأييدا لسلطة الخديوى ضد الشعب وهو التعبير عن ارادة الاستعمار فى استمرار بقاء النكسة ومواصلة القهر والاستغلال ضد شعب مصر » .

« ان قوة الاحتلال البريطانى العسكرى ومؤامرة المصالح الاحتكارية الاستعمارية والاقطاع الذى اقامته أسرة محمد على باحتكارها للأرض أو اقتسام جزء منهما بين أصدقائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب . ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية » .

« أن وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصاعب » .

« لقد سكت أحمد عرابى ولكن صوت مصطفى كامل بدا يجلجل فى آفاق مصر » .

« ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد » .

« لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى » .

« وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بان تكون مصر للمصريين »

« وارتفع صوت قاسم أمين ينادي بتحرير المرأة . وكانت تلك كلها مقدمة موجة ، ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعد خيبة الأمل فى الوعود البراقة التى قطعها الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب وفى مقدمتها وعد ويلسون الذى ما لبث هو نفسه أن تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر » .

« وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة يقود النضال الشعبى العنيد الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة أكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم » .

« ان القيادات الثورية لم تستطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الاساليب التى واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب فى ذلك الوقت أن الاستعمار اكتشف أن القوة العسكرية تزيد ثورات الشعوب اشتعالا . ومن ثم انتقل من السيف الى الخديعة وقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات الثورية ان خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقى . وكان منطق الأوضاع الطبقية يزين لها هذا الخلط » .

« ان الاستعمار فى هذه الفترة اعطى من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ومنح من الحرية شعارها واغتصب حقيقتها وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال وزادت المضاعفات خطورة بسبب الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار والذى أوقع الوطن باسم الدستور فى محنة الخلاف على الغنائم دون نصر » .

« وكانت النتيجة أن أصبح الصراع الحزبى فى مصر ملهاه تشغل الناس وتحرق الطاقة الثورة فى هباء لا نتيجة له » .

« وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ التى عقدت بين مصر وبريطانيا » والتى اشتركت فى توقيعها طبقة وطنية تضم كل الاحزاب السياسية

العاملة فى ذلك الوقت بمثابة ، صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ فقد كانت مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى » .

« ان الشعب المصرى بدا يتأهب لاستئناف دوره التاريخى حتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن تنزاح الأشباح الكئيبة لدبابات الاحتلال عن مدنه الكبرى » .

« ولقد عبر الشعب المصرى عن نفسه ، برفضه العنيد أن يشترك فى الحرب ، التى لم تكن فى نظره الا صراعا على المستعمرات والأسواق بين العنصرية النازية وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى جر على البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل » .

« لقد رفض الشعب المصرى كل الشعارات التى رفعها المتحاربون اعلاما فوق رءوسهم ليخدعوا بها الشعوب » .

« وسحب الشعب المصرى كله البقايا الباقية من تأييده للذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال طمعا فى مكاسب السوق السوداء التى فرضتها الحرب وظلالها القاتمة »

« وعمت الشباب المصرى موجة من السخط والغضب على كل الذين مدوا ايديهم للاحتلال وقبلوا وجوده ، ولقد ترددت فى مصر فى ذلك الوقت أصداء طلقات الرصاص ، وتجاوبت أصداء انفجارات القنابل ، وكثرت التنظيمات السرية بمختلف اتجاهاتها وأساليبها (١).

* * *

فى اكتوبر ١٩٥١ وقف مصطفى النحاس فى البرلمان ووراءه مد شعبى كبير وقال للأعضاء انه « باسم مصر

---

١ ـ الميثاق .

وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، وباسم مصر اطالبكم اليوم بالغائها » .

كانت حكومة الوفد مضطرة لاتخاذ هذا القرار استجابة للضغط الشعبى المتزايد ، وبعد أن حملت هى بنفسها القضية وراحت تعرضها على الأمم .. ثم عادت لتستأنف المفاوضات من جديد ، ولكنها لم تصل الى تسوية ..

وبدأت المقاومة المسلحة فى منطقة القناة ... جموع الشباب والعمال يطالبون بأن يحملوا السلاح ، ليحيلوا حياة المستعمر بجنوده الذين بلغ عددهم ٨٠٠ الف فى منطقة القناة الى جحيم .

ولكن حكومة الوفد كانت مترددة ، ذلك أنها لم تقطع الأمل فى الوصول الى اتفاق عن طريق التفاوض ، يحقق لها الابقاء على علاقتها بالانجليز ، والابقاء على « علاقتها » بالأمة المصرية ، باعتبارها حكومة شعبية ، وباعتبار أن الشعب المصرى يرفض الاحتلال ، وان كان لا يرفض اى اسلوب جاد يؤدى الى الجلاء ..

وعاشت مصر فترة مليئة بفورات الحماس ، والعمل النضالى الذى تنظمه وتقوده الجماهير ، وتستاء منه السلطات فى الدولة ، وعلى رأسها السراى الملكية والحكومة الوفدية ذاتها .

وتاريخ هذه الفترة من حياة الشعب المصرى جديرة بالدراسة .. التحليلية وخاصة الدور الذى لعبه الاستعمار متعاونا مع السراى الملكية ، والذى انتهى بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

وللحقيقة « فان شرار الغضب اشعل من الحرائق فى القاهرة اكثر مما اشعلت يد التدبير الخفيفة التى بدأت عملية الحريق » (١)

وكان الحريق فرصة مخططة لضرب الكفاح المسلح ولفرض

---

١ ـ الميثاق .

الاحكام العرفية .. وجاءت وزارة اثر وزارة .. ترفع شـــعارات التطهير قبل التحرير والتخويف من خطر الشيوعية ..

« فقد توالت مؤامرات الاســتعمار الانجلو امريكى فى الفترة الاخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف انظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنـــال الى مشاكل داخلية فى القاهرة » .

« وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق .. وقد جاء الهلالى واعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وان مهمتهــا الرئيسية هى التطهير والقضاء على الفساد ، وقد تناسى ان الفساد الاكبر مصدره الاســتعمار وانه لا يمكن القضــاء على الفســاد الداخلى الا اذا قضى على اسبابه ومصادره » (١) .

* * *

وقفة صغيرة يمكن ان نرصد فيهــا ومن خلالهــا رؤية عبد الناصر الاوضاع الداخلية فى مصر قبل ليــلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى تلك الفترة الحافلة بالنضال من تاريخ الشعب المصرى .

● لقــد كان الغزاة الاجانب يحتلون ، على ارضــه ، وبالقرب منه ، القواعد المدججة بالســلاح ترهب الوطن المصرى ، وتحطم مقاومته .

● وكانت الأسرة المالكة الدخيــلة تحكم بالمصلحة والهوى ، وتفرض المذلة والخنوع .

● وكان الاقطاع يملك حقوله ويحتكر لنفسه خيراتها ولا يترك لملايين الفلاحين العاملين عليها غير الهشيم الجــاف المتخلف بعــد الحصاد .

---

(١) من احد منشورات الضباط الاحرار عقب تاليف وزارة نجيب الهــلالى الاولى .

● وكان راس المال يمارس الوانا من الاستغلال للثروة المصرية بعد ما استطاع السيطرة على الحكم وترويضه لخدمته .

● وكانت القيادات السياسية المنظمة لنضال الجماهير قد استسلمت واحدة بعد واحدة واجتذبتها الامتيازات الطبقية وامتصت منها كل قدرة على الصمود ، بل واستعملتها بعد ذلك في خداع جماهير الشعب تحت وهم الديمقراطية المزيفة .

● وحدث نفس الشيء مع الجيش الذى حاولت القوى المسيطرة المعادية لمصالح الشعب أن تضعفه من ناحية وان تصرفه من ناحية أخرى عن تأييد النضال الوطنى بل وكادت تصل الى استخدامه في تهديد هذا النضال وقمعه .

* * *

ليلة ٢٣ يوليو كانت بداية لحياة جديدة مختلفة لهذا الشعب ، وكانت بداية وضع الخطوط الأولى للفكر الناصرى في مجال التطبيق .. فقد خرجت طليعة من القوات المسلحة لتكون اداة شعبية لتنفيذ ثورة الشعب .. وتحقيق آماله ..

بدات الثورة بطرد الملك فاروق « ٢٦ يوليو ١٩٥٢ » وقانون الاصلاح الزراعى « ٩ سبتمبر ١٩٥٢ » ثم حل الأحزاب « ١٨ يناير ١٩٥٣ » واعلان الجمهورية « ١٨ يونيو ١٩٥٣ » ...

وبدأ العمل من أجل التحرير منذ اللحظة الأولى . ويوضع جمال عبد الناصر الموقف من قضية التحرير فى « أن مصر لا تتردد فى المفاوضات مع انجلترا » .

« ان مصر لن تتردد فى بدء المحادثات غدا مع بريطانيا في سبيل الوصول الى حل عادل عملى لمسألة قناة السويس ، ولكن يجب التسليم مقدما بأننا لن نبحث في اتفاق يشمل الشرق الأوسط ، واننا نعنى بقولنا « نريد بلوغ حل عادل » الجلاء عن منطقة القناة » (١)

---

(١) - تصريح لمراسل جريدة الاوبزرفر في القاهرة فى ١٢ ابريل ١٩٥٣ م

« واحب أن اصارحكم القول باننا لم نعد نؤمن بأن بريطانيا راغبة حقا فى المفاوضة على حل عادل يقوم على أساس الجلاء ، فقد انقضت الأسابيع تلو الأسابيع على اتفاق السودان ، ولم نتلق الى اليوم شيئا من جانبها ، غير محاولة المفاوضة على مسالة الدفاع عن الشرق الأوسط جنبا الى جنب مع مسالة القناة . وان كنا فى احاديثنا الخاصة لم تكف يوما عن القول فى وضوح ، اننا لن نتناقش فى ذلك ولن نبحثه » .

« وقد رايت البريطانيين يسالوننى لماذا ادلى ببيانات مريرة ، واكثر من النذر ، واطيل الوعيد ، ولكن الجلى لكل انسان هو اننا حين نعتقد ان بريطانيا لا تنتوى حل هذه المشكلة مضطرون الى تهيئة شعبنا للنتائج ، وتوطين قومنا على مواجهة العواقب والتضحيات » .

« فبينما نحن نطالب بما يؤمن به كل مصرى بانه حقه الطبيعى بل الحق الذى نؤمن به نحن معشر رجال الجيش بانه الحق الذى لا مراء فيه ولا نزاع ، فلكل بلد استقلاله التام ، وان كل ما نقوله هو اننا سنناضل بكل ما أوتينا من قوة حتى وان اقتضى النضال اراقة الدماء اذا ما أرغمتمونا عليه ارغاما ، والجاتمونا اليه الجاء » .

« وما ترددنا يوما فى مصارحة قومنا باننا سنعانى كثيرا اذا ما حملنا على هذا المحمل ، وستكون تضحياتنا بالغة اذا ما ارغمتمونا على هذا النضال ، ونحن نعرف اننا لن نستطيع ان ندمر الجيش البريطانى ، ولكننا نعرف ايضا آن فى امكاننا ان نجعل مركز بريطانيا فى مصر معدوم الفائدة لها ولحلفائها على السواء » .

« لسنا نريد أن يحدث هذا او يقع ، لانه سيدمر خططنا الداخلية ، ومشروعاتنا الاصلاحية ولكنه اذا حدث فلن يكون حدوثه باختيارنا ، ولا برغبتنا ومشيئتنا ، وانما مرجعه الى اننا قد وجدنا اليوم ، كما وجدنا طيلة سبعين عاما خلت ، ان بريطانيا ترفض الاعتراف بحقنا فى حل عادل ، وتأبى علينا حقوقنا القومية » .

« وفى الحق أن كل ما نبغيه هو قيام علاقات ودية مع بريطانيا حتى يتسنى لمصر أن تتطلع الى عهد تقدم ورفاهية ، وتتخلص الى الأبد عن هذا الجرح الذى لا يندمل ، ونعنى به هذا النزاع القائم بيننا وبين بريطانيا » .

« أما اذا هى اعترفت بعدالة قضيتنا ، ولم تتشبث بمحاولتها اكراهنا على ميثاق اقليمى آخر ، يعده الشعب صورة أخرى من صور الاحتلال ، فيومئذ نستطيع أن نبحث معها فى المسائل الأخرى ويومئذ نستطيع أن نتداول معها فيما بقى من الشئون » .

« فلتدرك الحكومة البريطانية أن الموقف يزداد كل شهر سوء من وجهة نظرها ، فقد تعاقبت الأحداث وتكاثرت التطورات ، كما أن مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط كانت تحمل من الغضاضة والامتهان ما يجعلنا نأبى الحديث عنها أو عن شىء مثلها » .

« ولعلك سائلى : ماذا تريدون اذن ؟ وما هى سياستكم ؟ وجوابى . اننا نريد الجلاء ، ونبغى الاستقلال التام ، ولكننا أيضا نريد أن تبقى منطقة القناة مؤدية عملها محتفظة بقوتها وكفايتها ولسنا نمانع فى البحث فى الوسائل الكفيلة ببقائها ، والاحتفاظ بها كقاعدة مصرية لا شأن لأحد آخر بها » .

« نحن جنود ، بل نحن واقعيون ، ولا يخفى علينا أن لا قبل لنا بالحرص على بقاء هذه القاعدة المترامية المدى كما هى الآن ، واننا سنحتاج الى الفنيين » .

« ولكن يجب أن تكون القاعدة مصرية ، ويجب بالتالى أن يكون لنا الحق فى التماس العون الفنى من أى طريق وان كان هذا أمرا لا أهمية له اذا تعاونت بريطانيا معنا بصدق واخلاص » .

« أما اذا كانت بريطانيا تظن أنها مستطيعة ابقاء الاحتلال تحت ستار المعونة الفنية والخبراء الفنيين ، فليس فى بحث هذا الأمر خير بالطبع ، ولا فائدة ترجى منه ، ولكن اذا كانت تريد أن تنظر الى

هذه المسألة من ناحية مصلحتها ومصلحتنا سواء بسواء ، وأن نتبين من البحث ما هو حقا المطلوب ، وما هو فعلا اللازم ، فلا مفر من الحديث اليها ولا بأس من الكلام معها ، وقد لا نصل الى اتفاق ، ولكن لنحاول ، فلا ضرر ولا ضرار » .

« وقد رأينا البريطانيين أيضا يسألوننا رأينا في الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن الدفاع الاقليمي من ناحية طريقتنا في التفكير وأسلوبنا في بحث المسائل ، ليس شيئا مكتوبا على الورق ، ولا هو بالمدون المسطور ، واعتقادى أن الأقطار العربية كلها تريد فعلا بناء دفاعها وضمان مناعتها ولكنها في اللحظة الراهنة ضعيفة . فاذا ظفرنا جميعا بالمعونة استطعنا أن نبني دفاعنا ، ونعزز قوانا ، ويومئذ تتوافر الأوضاع ، والمواقع الاستراتيجية التى يفيد منها أصدقاؤنا وينتفعون ، اذ لن يتسنى لنا بناء خطوط دفاعنا واستحكاماتنا الا بعون أصدقائنا الذين يقدمون المعونة لنا بدون قيود تمس مصالح بلادنا » .

« وهذه هي النتيجة التى سنصل اليها فى النهاية ، اذ هم الذين سيكونون أصدقاءنا . لقد دلل التاريخ على أن مصر فى الحرب الماضية قدمت من المعونات قدرا يفوق ما كانت المعاهدة تقتضيه ، ويتجاوز ما كنا ملزمين به » .

« أما اذا لم تتم التسوية ، فلا تعتمدوا على تعاون كهذا مرة أخرى ، وكل ما نقوله ، انه اذا كانت بريطانيا لا تنوى الوصول الى تسوية عادلة ، فلا تعتمد علينا في حرب ولا فى سلام بل الواقع انكم ستجدوننا يومئذ أعداء ألداء » .

« ونحن نحاول أن نكون أصدقاء ، ولكن لا يصح أن تنتظروا منا أن نمد لكم أيدينا مستجدين حقنا الطبيعى ، ولا أن نقف منكم موقف المكتوفين » ۔

ويرد جمال عبد الناصر على الحملة التى شنها **اللورد كيلرن السفير البريطانى الأسبق** على مصر لكى يضلل الشعب البريطانى « ويستهين بالحركات الوطنية » فيقول جمال عبد الناصر (١) :

ان « كيلرن يحذر الشعب البريطانى من جمال عبد الناصر ويدعى أننا نضمر الشر لبريطانيا ، فليعلم أن المصريين جميعا ، ونحن قادة حركة الثورة من بينهم لا نضمر شرا مطلقا كما يزعم كيلرن ، لا لبريطانيا ، ولا للشعب البريطانى ولا لغيره من الشعوب ، ولكننا على العكس من ذلك قوم سئمنا ضروب الشر واحلال الخير محله ».

« انى أود أن أوجه الخطاب الى الشعب البريطانى نفسه .. لا لأضلله كما يفعل أمثال اللورد كيلرن ، وانما لأنى فقط ابغى الكشف عن الحقائق حتى يكون على بينة من أمرها فأتساءل :

« هل يقبل الشعب البريطانى لو كان مكاننا احتلال وطنه ضد ارادته ..؟ ؟ »

« وهل كان يقنع بأية حجة أيا كان مظهرها تفرض عليه دوام احتلال اجنبى ؟ لو أنهم تعرضوا له مدى سبعين عاما فقدمت اليهم خلالها الوعود تلو الوعود بالجلاء والانسحاب من أرض الوطن ؟ » .

« ما من شك أن أى شعب يرفض مثل هذا الأمر حرصا على حقه المقدس فى الحرية الكاملة . لقد تحملت بريطانيا الكثير للدفاع عن حريتها خلال الحروب الماضية ولن تكون أقل استعدادا للبذل والتضحية ، بل لعل طاقتنا على ذلك أكبر بعد الذى عانيناه من استعباد دام أكثر من سبعين عاما » .

« اننا حريصون كل الحرص على الوصول الى تسوية سلمية ، ولكننا فى نفس الوقت نصر اصرارا أكيدا على حقوقنا المستمدة من حق الشعوب الطبيعى فى الحرية والاستقلال ، والمستمدة من ميثاق

---

(١) ٥ ابريل ١٩٥٣ .

الأمم المتحدة ، فاذا ما تبددت آمالنا فاننا لن نتردد كأى شعب يشعر بكرامته وحقه المقدس فى الحرية والاستقلال فى ان نسلك اى طريقة توصلنا الى الحصول على حقوقنـــا مهمـــا كانت التضحيات التى نتحملها لنفوز بالحرية ، ولنخلف لأبنائنا من بعدنا اغلى ما يتمتع بلد به : الاستقلال والحرية » .

« انى اقولها كلمـــة قصيرة ، ولكنها صريحة ، وفى هذا ما انا الا اللسان الذى يعبر عما فى نفوس المصريين جميعا . هدف لن يتحولوا عنه مهما كانت الأحوال والاعتبارات : ان تجلوا القـــوات الأجنبية عن أراضينا جلاء كاملا وبدون اى قيد او شرط . فاذا ما أصبحت سيادتنا كاملة . وحريتنا تامة . **فان مصر فى هذه الحالة** ستعرف كيف تتصرف لدفع اى عدوان يهدد سلامتها » .

وتبدا المفاوضات ولكنها فى هذه المرة والكفاح المنظم للشعب المصرى يؤرق الاستعمار ..

تكونت كتائب الفدائيين .. بدأ التدريب العملى والجـــاد .. المدربون هم رجال الجيش ... افراد من القوات المسلحـــة يعدون الخطط ... اتجاه السلطة فى الدولة يتغير ليساند الكفـــاح المسلح .. يذكر سلوين لويد فى مجلس العموم البريطـــانى انه « فى ســـتة اشهر بلغت « الحوادث » فى القاعدة ١٥٠٠ حادثة » . وبدا واضحا ان قوات الاحتلال لن تتمكن من أن تعيش حياة مستقرة .. بعد أن شغلت نصف القوات الموجودة فى منطقة القنال بتامين والدفاع عن النصف الآخر ..

ورات انجلترا فى تلك الظروف ان وجـــودها فى مصر أصبح مستحيـــلا ..

* * *

نبذ الفكر الناصرى الاسلوب التقليدى فى المفاوضة فلم يعـــد ممكنا ان نتصـــور ان الانجليز ســـيرحلون عن طريق التفاوض بنفس الأسلوب القديم ..

التفاوض فى هذه المرة يسنده كفاح مسلح منظم تدعمه قوات الجيش وتسنده الحكومة الثورية . لانه « اذا اعتقدنا ان الاستعمار سيتخلى عنا بسهولة فنحن مخطئون ، فالطريق شاق وصعب ، وسنستمر فى الكفاح مهما يكن الطريق حتى نصل الى اهدافنا .. وسنصل الى نهاية الطريق ان شاء الله بفضل اتحادنا(١) » .

والوحدة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الجاثم على أرض الوطن امر تفرضه الضرورة لمواجهة المحتل ، فالأرض المحتلة هى ارض الوطن كله ، وعلى كل من تظله سماؤه أن يدافعوا عنها « وليذكر الانجليز أن جيش مصر يضم ٢٠ مليونا مصريا (٢) » و « اننا نكون جيشا كبيرا يضم ٢٢ مليونا من المصريين وهو قادر على اخراج المستعمر من البلاد ولن **نعتمد على فئة قليلة ولكننا نعتمد على المواطنين جميعا** ، اننا نكون فى جميع انحاء مصر جيوشا متفرقة .. واننا نوزع السلاح فى جميع انحاء البلاد .. اننا نعمل على تدريب جميع أبناء مصر ولن يستطيع المستعمر أن يبقى فى بلادنا الا بعد القضاء علينا .. ولن يستطيع الانجليز ان يقضوا على ٢٢ مليونا(٣) » .

الوحدة الوطنية اذن ضرورة فى مرحلة التحرر الوطنى بعد ان تعزل العناصر المتعاونة مع الاستعمار ، والتى تفسد الحياة السياسية ، والتى تربط مصالحها ببقائه ووجوده .. على ان هناك فئات أخرى من المجتمع قد ترتبط مصالحها الاقتصادية مع الاستعمار ، ولكنها ترى فى الاجهاز عليه فائدة لها ، اذ تتصور فى تلك المرحلة انها يمكن أن تكون الوريث لراس المال الأجنبى ، ويمكن أن تنمو اذا خلا لها الجو وأصبح لا ينازعها المستعمر بروؤس امواله ، وبحمايته للشركات والمصانع والأشخاص المتعاونين

---

١ — ١٨ ابريل ١٩٥٣ فى حى المنارة بالاسكندرية .
٢ — سرادق هيئة التحرير بدمياط .
٣ — ١٤ يونيو ١٩٥٣ الاسكندرية بمناسبة عيد الفطر .

معه وقد ابرز عبد الناصر هذا الموقف فى المؤتمر الأول للاتحاد القومى :

« بعدين لما أعلنا تمصير الشركات البريطانية والفرنسية ، على طول اتلموا على بعض ، واتقدموا .. وكل واحد فيهم عاوز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء اللى أصلها فرنسية أو اللى أصلها انجليزية .. وأنا فى هذا اليوم قلت ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع باى حال ان احنا نخلى الرأسماليين يريدوا من تحكمهم بأنهم ياخدوا أيضا ممتلكات فرنسا ، وممتلكات انجلترا » .

فمرحلة القضاء على الاستعمار تستلزم توحيد كل الجهود الوطنية ومن أجل ذلك قام أول تنظيم سياسى للثورة هو هيئة التحرير وكان واضحا من الاسم الذى اطلق على هذا التنظيم انه يضم جميع المواطنين بهدف التحرير « فقد قامت هيئة التحرير لتؤكد المعنى المقدس وهو ان الناس قد ولدوا احرارا ليعيشوا احرارا (١) » « وهدفنا وشعارنا هو تحرير مصر وجلاء الغاصب المحتل(٢) » .

« وانني افتتح اليوم مقر هيئة التحرير ، ونحن نعتمد على رسالتها فى تشجيع الحركة ودعم كلمتها والعمل بشعارها ، واذا كنتم تريدون سلاحا تتدربون عليه فعليكم باقامة معسكر ، وعلينا أن نزودكم على الفور بما تحتاجون اليه من السلاح (٣) » والتاريخ لم يعرف أن دولة تكبت باحتلال اجنبى ونجحت فى اجلائه وهى متفرقة تسودها الاختلافات ، فنقطة الابتداء فى **معركة التحرير هى ان نتحد** وان يرانا العدو صفا واحدا لا تتخلله ثغرة (٤) » .

* * *

---

١ ـ فى افتتاح هيئة التحرير بشبين الكوم ٢٣ فبراير ١٩٥٣ م
٢ ـ افتتاح هيئة التحرير بأجا ١٩ ابريل ١٩٥٣ .
٣ ـ افتتاح هيئة التحرير بفارسكور ١٠ ابريل ١٩٥٣ م
٤ ـ ٢٢ يوليو ١٩٥٤ م

ولسنا نريد ان نسترسل فى سرد تفاصيل هذه الفترة الحاسمة من نضال شعبنا والتى انتهت بالوصول الى الخطوط الرئيسية لاتفاقية الجلاء فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ووقعت رسميا فى ١٩ أكتوبر ، وتم فيها الاتفاق على ان ترحل القوات المحتلة عن مصر خلال عشرين شهرا .. فهذه الدراسة لا تهدف الى سرد الاحداث والتاريخ الا بالقدر الذى يكشف عن الفكر الناصرى او يبين جذوره الأولى ..

فى خلال معركة التفاوض الأولى التى دخلتها الثورة كان الشعب فى وحدة وطنية مكونا لهيئة التحرير .. وكان الفكر الناصرى بقدر ما تكشف له عن فكرة الوحدة الوطنية والترابط بين التفاوض والكفاح المسلح ، فانه اكتشف وحدة الاستعمار وايضا اخذ موقفا واضحا منذ البداية ضد الأحلاف العسكرية وهذا ما أكده القائد عندما قال :

« اننا كنا نهدف الى هدفين أولهما الجلاء الكامل لجميع القوات الأجنبية حتى لا تتواجد فى هذه البلاد سوى البذلة العسكرية المصرية ، والهدف الآخر هو عدم الارتباط باى حلف او معاهدة للدفاع المشترك ، وانا أقول اننا نجحنا فى تحقيق هذين الهدفين(١) » .

ويرى الزعيم وحدة القوى الاستعمارية الغربية وترابطها ، وكيف ينهب الاستعمار خيرات الشعب ، وخيراتهـا ويحولها الى سوق لمنتجاتها ، يسرق جهد ابنائها ، ويقدمه لشعوب اوربا وامريكا ، فامريكا ترتبط بانجلترا .. كما أن انجلترا ترتبط بامريكا .. والاستعمار يحاول دائما ان يجسد أمام الشعوب اخطارا لا وجود

---

(١) ٢٦ يوليو ١٩٥٤ .

لها ، وان يوقعها فى الوهم والخوف حتى تظل له السـيطرة .. وليبقى هو المنقذ والحامى ..

ولقد تكونت هذه الرؤية من خلال تجربة الاستعمار الانجليزى فى مصر ..

امريكا ساندته .. امريكا حاولت تحذير الشعب منذ البداية .. امريكا تعاونت مع الانجليز .. وهذا شىء بديهى وطبيعى أن تكون القوى الاستعمارية مترابطة ، وان تحاول أن تقسم العالم الى منـاطق للنفوذ ، فاذا اخذت دولة استعمارية موقفا من دولة استعمارية اخرى ، فانما تفعل ذلك لا عطفا على الشعب ، ولا رغبة فى تحريره ، بل لكى تدخل نفوذها هى فى هذه الدولة ، وتحل مكان زميلتها ..

فعنـدما فشلت انجلترا فى البقـاء وتأكد ان وجودها أصبح مستحيلا ، حاولت هى وأمريكا ان يلعبـا بورقة التخويف .. حتى يفرضا « نوعا » من الوجود ..

« العالم الحر » كله مترابط له أهداف محـددة وواضحـة ، يحاول ان يربط ويجر الشعوب المستبعد اليـه .. بالقوة .. او التخويف .. او العطف .. المهم الا يترك الشعب وحده بلا احتلال اجنبى . لانه فى هذه الحالة سيعانى « فراغا » عليهم أن يملئوه ..

وفكر عبد النـاصر كشف كل هـذه الأساليب منـذ البـداية ورفض ان يدخل ضـمن منـاطق النفـوذ .. أو يرتبط بالذين استعمروا الوطن فهو يقول :

« ان الانجليز يعرفون تماما ان تقوية المواطن المصرى فيهـا اضعاف لقوتهم ونفوذهم فى هذا البلد . انهم يدعون أمام العالم بانهم يعملون على رفع مستوى الحياة فى الامم التى يحتلون ارضها ، وهذا منطق يستحيل فهمه ولا يمكن ان يتفق مع العقل فى قليل أو كثير » .

« ـ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٣ فى منيا القمح »

« وهذا هو العالم الحر ايضا يعلن بأبواقه انه يساعد الشعوب الصغيرة على تقرير مصيرها واختيار الحكم الذى تراه ، وانه يساعد الأمم المتخلفة على أن تنهض » .

« هذا كلام اعتبره المادة المعروفة ب « **الافيون** » **يصدره عالم الغرب لتخدير الشعوب المستعبدة لكى تنام** ، ويظل هذا العالم الحر مسيطرا عليها حتى لا تقوى ، وحتى لا تقف فى وجهه وحتى لا تسعى الى التخلص منه » .

« انهم يعتبروننا اسواقا لترويج منتجاتهم .. وانهم لينهبون خاماتنا ويسرقون جهدنا ويقدمون كل ذلك لأهليهم ولابنائهم . ويعطوننا بدلا منها وعودا خلابة ، وكلاما كله ضلال وتضليل .

واليكم امريكا مثلا : ان كل الصحف تقول انها ستعطينا قروضا . ستساعدنا على تنفيذ مشروعاتنا الانتاجية » .

« انها تعمل على رفع المستوى الصحى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الأمم التى تحتاج الى ذلك » .

« وها نحن اولاء بعد اربعة عشر شهرا من قيام الثورة لم نر شيئا ، ولم نصدق شيئا ، فانها كلها وعود وكلها خداع وكلها بهتان » .

« فلابد من الاعتماد على انفسنا ، ولا يجوز أن يتسرب الى افهامنا ان عدونا سيساعدنا وهو يعمل دائما على اضعافنا » .

« والسبب فى ذلك واضح ، فان امريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفتها انجلترا . وللاثنين عدو مشترك هو روسيا .

« وان امريكا ايها المواطنون لن ترضينا لتغضب انجلترا . فلا تصدقوا ابدا ان امريكا ستساعدنا ، فانها وحليفتها انجلترا خطتهما واحدة وسياستهما مرسومة . فاذا كنا نريد بناء وطن قوى ، ونريد ان يكون لنا أبناء احرار فلا بد من الثقة بأنفسنا والاعتماد عليها كل الاعتماد » ..

ويأتي ايدن الى القاهرة وقد بدأ فعلا جلاء الانجليز وتحرير الوطن ، ويعرض صراحة على عبد الناصر ان تدخل مصر حلفا عسكريا مع انجلترا ولكن عبد الناصر يرفض ويقول له لماذا الحلف وفي مواجهة من .. في مواجهة الاتحاد السوفيتي ..

ولكن من اين يأتي العدوان علينا ، ومن من .. هل نحن نتوقعه ، من الانجليز الذين يعيشون في ارضنا ام من الاتحاد السوفيتي الذي يبعد عنا بثلاثة آلاف ميل .. ويسأل الرئيس جمال عبد الناصر ايدن (١) :

هل تنوى بريطانيا في يوم من الأيام أن تقوم بهجوم عسكري ضدنا .

●● ويرد مستر ايدن :

بريطانيا ؟ تهجم عليكم عسكريا ؟ هل هذا معقول ؟ ذلك شيء غير متصور !.

●● ويقول الرئيس جمال :

اذن فلماذا ترفضون رأينا في الدفاع عن الشرق الأوسط ؟ اننا نريد ان يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد اى اعتداء ، واكرر لك ضد اى اعتداء ، وأنتم ــ ولقد اكدت لى هذا بنفسك الآن ــ لا تنوون الاعتداء علينا ، بل وترون ذلك امرا غير معقول وغير متصور ، واذن فما الذى يضيركم من أن يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد اى اعتداء !

ليس في نيتكم ان تعتدوا ، فاذا جاء اعتداء فسوف يكون من غيركم ، واذا جاء علينا الاعتداء من غيركم فسوف نكون نحن الذين نطلب منكم العون ، ونرجو المساعدة فما هو اصراركم اذن على أن يكون الدفاع عن الشرق الأوسط بأحلاف عسكرية تشتركون فيها معنا ؟

---

(١) مجلة آخر ساعة ٢٠ فبراير ١٩٥٥ .

ان الناس ينظرون الى هذه الاحلاف على انها استعمار جديد .

قد تقول لى : وماذا يهم ما يقوله الناس ؟

وانا اقول لك ان الذى يقوله الناس اهم الف مرة من التوقيعات التى قد تستطيعون الحصول عليها من بعض الحكام فى المنطقة . هل تتصور توقيع اى حاكم على اى حلف عسكرى يساوى شيئا اذا كان شعب هذا الحاكم نفسه لا يقر ولا يرضى بهذا الحلف العسكرى .

ما اسهل ان يوقع الحكام بامضائهم ؟ ولكن الصعوبة ساعة التنفيذ ـ انك فى ساعة الأزمة ـ ستكون فى حاجة الى ان يتعاون معك شعب بأكمله وليس حاكما بمفرده .. هب ان اى حاكم اعطاك فى بلاده قاعدة فما قيمة هذه القاعدة اذا كانت وسط شعب لا يريدها ان تكون ؟ انها قاعدة بلا فائدة بل اكثر من ذلك ، ستكون هذه القاعدة عبئا يتطلب الحماية لنفسه ، ولن تكون سلاحا يبسط الحماية على غيره !

والاخطر من ذلك انه فى مقابل كل قاعدة على الأرض يمنحك اياها توقيع حاكم من الحكام بالرغم من ارادة شعبه ، ستكون هناك عشرات القواعد تحت الارض تعمل لصالح عدوك ! وعلى الاقل تعمل ضدك .

اين هى روسيا ؟

لو قلت للناس الآن تعالوا نوقع حلفا عسكريا مع بريطانيا ضد روسيا ، لنظر الى الناس بذهول وقالوا :

اين هى روسيا ، ان روسيا على بعد ثلاثة آلاف ميل من هنا !

وسوف يقول لى الناس ايضا :

ان بريطانيا هى التى استعمرتنا ، وبريطانيا هى التى احتلت مصر وما زالت تحتل الاردن والعراق وليبيا ، فهل تريد منا ان ننسى

الخطر القائم على ارضنا فعلا ، ونتطلع الى خطر محتمل على بعد ثلاثة آلاف ميل منا ؟

وسوف يكون الناس على حق ان هم قالوا لى ذلك ولن اجد ردا اتمكن به من اقناعهم . ولكنى سأتمكن من اقناعهم اذا قلت لهم :

« ان بريطانيا خرجت من بلادكم ، ونحن الآن احرار ، لقد حققنا استقلالنا بعد كفاح طويل ، وهذا الاستقلال الآن امانة فى رقابنا ويجب أن نحميه ، نحميه ضد أى اعتداء من اى معتد » .

« وسوف يقتنع الناس بهذا الكلام ، وانا واثق ان الشرق الأوسط كله سيهب كرجل واحد لينظم الدفاع عن نفسه ضد اى عدوان » .

« ولقد قلت لى فى بداية حديثنا : « ان بريطانيا لن تعتدى على الشرق الأوسط واذن فان هذا الدفاع لن يكون ضدكم ، وانما سيكون ضد غيركم ممن تسول له نفسه الاعتداء علينا » .

« انت تؤكد لى ان نية الاعتداء علينا مبيتة عند الروس . ليكن .. واذن فسوف يكون دفاعنا عن انفسنا ضدهم اذا هم هجموا علينا » .

* * *

فى هذه الفترة كان عبد الناصر يقود اولى معاركه لتاكيد الاستقلال الذى حصل عليه وضد قيام احلاف عسكرية وضد حلف بغداد الذى بدا يتكون فى عام ١٩٥٤ .. باتفاقيات بين بعض الدول العربية ..

فقد كان ما يهدف اليه الغرب هو تطويق المنطقة بسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات تربطها به دائما ، مستخدما ومركزا على ما يسمى « بالخطر الشيوعى » وكان عبد الناصر واضحا .. فالخطر الشيوعى لا يحيق بنا ، بل اننا نحن على استعداد لأن

نتحالف مع الشيطان لرد أى عدوان يقع علينا فيقول « ليفهموا أيضا ان الدفاع عن الشرق الاوسط يعنى دول هذه المنطقة أكثر من غيرهم ، ولن يستطيع شعب يرزح تحت نير الاستعمار أن يدافع عن استمرار هذا الاستعمار فى وطنه بحجة تخويفه من اعتداء آخر قد يتعرض له هذا الشعب ، وقد لا يتعرض له » .

« اننا نريد جلاء ناجزا كاملا غير مشروط ، ومتى استأصلنا شأفة الاستعمار من بلادنا ، فليطمئن الغرب الى أننا سنكون احرص منهم مئات المرات بل آلافها على حريتنا واستقلالنا ، فاذا تعرضنا لاعتداء أيا كان مصدره فسنقف جميعا وقفة رجل واحد للذود عن حريتنا ..

« وفى هذه الحالة لن نتردد فى محالفة الشيطان نفسه ـ كما قال زعيمهم تشرشل فى الحرب الماضية ـ لرد هذا العدوان » (١) .

ويخصص عبد الناصر خطابه كاملا فى افتتاح الموسم الثقافى للقوات المسلحة ـ لشرح موقفه كاملا من الأحلاف العسكرية الاستعمارية بشكل واضح ومفصل . ويروى قصة الاحلاف ، والاجتماعات واللقاءات التى تمت بشأنها فيقول المعلم (٢) .

« بعد أن نعرف ما يجرى فى العالم يجب أن نعرف ما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط . وسنجد فى هذه المنطقة روحا تحريرية ، نجد هذه الروح فى الشعوب وان لم توجد فى بعض الحكومات » .

« وعندما نرجع الى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ نجد أن الدول الغربية حاولت أن تسد هذه الثغرة بايجاد طريقة لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن لم تستطع أية حكومة من الحكومات الموجودة فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت أن تقبل هذا العمل ، أى اتفاق الدفاع المشترك لسبب واحد هو أن الكراهية التى كانت شديدة بعد

---

١ ـ ١٧ مارس ١٩٥٣
٢ ـ ٢١ مارس ١٩٥٥

فلسطين ونكبة فلسطين ، كانت تؤثر على العرب ، فقد اعتبروا أن الغرب وقد تعاونوا معه دائما ، لكنه لم يوف بعهده ، كما تعاونوا معه فى الحرب العالمية الاولى ، وبعد الحرب العالمية الاولى والدعوة التى أعطاها الغرب للشريف حسين وللعرب الذين عملوا مع الغرب وساعدوه ، كل وعود الغرب نقضها ، وكانت النتيجة أن المنطقة العربية لم تحصل على استقلالها ، ولكنها أصبحت مستعمرات قسمت بين انجلترا ، وبين فرنسا » .

« وبعد الحرب العالمية الثانية ، بقيت الحالة على ما هى عليه ، وكل ما حدث من جديد هو تحرير سوريا ولبنان ولعلكم قرأتم كيف تحررتا ، فقد أراد الغرب اخراج فرنسا من النفوذ الدولى ، فوجد الجماعة الكبار انها فرصة مناسبة فكان الاستقلال ، ولم يكن الغرض هو تحرير البلدين ، ولكن الغرض هو تقلص النفوذ الفرنسى واعتبار فرنسا دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة » .

« وبعد أن تحررت لبنان وتحررت سوريا .. »

« جاء ضياع فلسطين واعطاؤها لاسرائيل .. ومن أجل ذلك لم يتمكن الغرب من تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة » .

« كانوا يعتبرون أن مصر هى العامل الاساسى فى هذا الموضوع ، وان مصر اذا وافقت على الدفاع المشترك الذى وضعوه ، قد ينظم الدفاع عن هذه المنطقة .. فى صالح الغرب » .

« انهم يرون وجوب تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، وقد أوضحنا لهم وجهة نظرنا فى أثناء المفاوضات ، وقلنا اننا لا نستطيع أن نقبل ميثاق الدفاع عن الشرق الأوسط مرة أخرى .. والحقيقة أن المسالة ليست كلاما يقال ولكنها كانت أساس أكبر من هذا ، فهذا الدفاع كله موجه ضد الشيوعية » .

« وقد اعتبروا ان الشيوعية خطر ، ولكنى لا زلت اعتقد أن الاستعمار أو السيطرة علينا من الجانب الآخر يمثل خطرا أكبر » .

« ونحن دولة عاشت تحت نير الاستعمار لمدة ٧٥ سنة فى احتلال بريطانى ، وقبل الاحتلال البريطانى كان الاستعمار التركى لمدة ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة ، وتخلصنا من الاحتلال البريطانى باتفاقية لاحتلال القاعدة لمدة سبع سنوات ، يعنى أن هناك التزاما علينا ، فاذا حدثت حرب فانهم سيأتون لاحتلال القاعدة . ولكن هذا الالتزام نعتبره التزاما بسيطا ، أما فى حالة التحالف أو تنظيم الدفاع عن الشرق سنرتبط بالتزامات اخرى . لست ادرى هل موقفى اليوم يمكننى من استقباء السيادة اذا قبلت القيام بهذا الالتزام أم لا ؟ »

« اننى أعتبر أن مصر فى وقتها الحالى ، وهى تبدأ مرحلة من مراحل التحرير ، **يجب أن تتخلص من كل نفوذ أجنبى تخلصا كاملا** حتى تستطيع أن تقف على اقدامها . لا تدخل أبدا نتيجة الضغط . لا تدخل وهى شاعرة انها ليست قوية .. فنحن من الناحية الاقتصادية لسنا اقوياء » .

« هناك أناس يقولون انه من الناحية الاقتصادية علينا أن نعتمد على نواح خارجية ، وأنا أرد على هذا قائلا اننا اذا اردنا أن نبنى اقتصادنا القومى على اساس سليم ، يجب أن يعتمد علينا اعتمادا كليا » .

« ان المعونة الأمريكية التى حصلنا عليها فى العام الماضى وهى ٤٠ مليون دولار ، وقد وجهناها **لا على أنها اساس من اسس الاقتصاد** ، بل الى نواحى الخدمات ولشق الطرق واصلاح الموانى ، وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى ، فنحن لم نبن عليها أبدا اقتصادنا القومى » .

« نحن اليوم وضعنا يختلف ، لاننا نمر بفترة حاسمة من تاريخنا ، ونعتبر أن هذه الفترة الحاسمة اذا لم توجه التوجيه السليم ، فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى

مجتمع اشتراكي يرتفع فيه مستوى المعيشة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا وانتاجيا » .

« **قلنا في حديثنا اثناء المفاوضات اننا مستعدون للدفاع عن الشرق الأوسط . ولكن على اى اساس ؟.. قلنا لهم انه يجب ان ينبثق الدفاع عن المنطقة . يجب ان يكون الدفاع عن هذه المنطقة بسواعد ابنائها** . لدينا ميثاق الضمان الجماعي . هذا الميثاق تشترك فيه الدول العربية ، ونحن مستعدون لتقوية هذا الميثاق ، اعطونا اسلحة فقط ، فاذا حصل اعتداء علينا فنحن ندافع ، وستجدون في هذه المنطقة قوات عربية جديرة بهذه المهمة . **بدون اى تحالف مع الغرب وبدون اى ضغط من الغرب** ، وبهذا تطمئنون من مواجهة الخطر الآخر اذا كنتم تريدون دفاعا ضد الخطر الشيوعي ، فنحن ايضا لا نرضى بالخطر الشيوعي . ولكنا نخشى السيطرة الغربية كما نخشى الخطر الشيوعي ، وعلى هذا الأساس يجب أن ينبثق الدفاع عن هذه المنطقة من دولها وبسواعد ابنائها بدون اى تدخل أجنبي » .

« اذا وجدتم في التسليح تحقيقا لاية مصالح من مصالحكم فيسروا لنا ذلك » .

« في ابريل سنة ١٩٥٣ ، جاء الى هنا وزير خارجية امريكا ، وتكلمنا معه في هذا الشأن » .

« وقلنا اننا مستعدون للسير خلف قيادة مشتركة منا، وجيش موحد منا ، لانني عندما ادخل في قيادة مشتركة مع انجلترا وامريكا فساكون بينهما في صورة أناس يتقاضون مرتبات في القيادة ، ولكن الأساس الذى سيبنى عليه العمل في القيادة المشتركة سيقوم على كلامهم النافذ ، وبعدها يصبحون هم كل شيء ، ويعيدون من جديد حكاية البعثة ، العسكرية البريطانية ، وانتم تعلمون ماذا كانت تصنع هذه البعثة في الجيش المصري »

« سيكون لهم كل النفوذ : انهم يأتون بالمال ويأتون بالسلاح ، ويضعون الخطة ، وسيقول الباقون « حاضر يافندم » وبهذه الطريقة سنفقد شخصيتنا فقدانا كاملا . »

« من أجل ذلك رفضنا الدفاع المشترك . »

« قالوا ان ميثاق الضمان الجماعى حبر على ورق . قلنا نحن على أتم استعداد لتقويته اذا كنتم ستعطوننا أسلحة يدافع بها الميثاق عن المنطقة . لا تحاولوا أن تجرفوا دول هذه المنطقة فى طريقكم ، فاننى شخصيا اعتقد انه لو ان دول المنطقة أو بعضها مشى فى هذا التيار ، سيؤثر على قوة المنطقة كلها . »

« ولكن كل ما يهمهم فى هذه الناحية هو سد ثغرة . الثغرة الموجودة من باكستان وتركيا وهى أصلا افغانستان وايران . وانهم يعتبرون منطقة ايران غير عميقة اذا لم تنضم اليها العراق . »

« اذن فهم يهتمون بالدفاع ، ونحن نهتم بحريتنا . لقد استعمرنا المستعمرون واحتلوا أراضينا ، وكل ما نريده اليوم هو أن نخلق لنا شخصية مستقلة وقوية . ليست تابعة ، حرة ، توجه سياستها الداخلية كيف تريد وكذلك توجه سياستها الخارجية تحقيقا لصالحها . »

« انا لا أريد أن أسأل غيرى ماذا أصنع فى أى موضوع ؟ . »

« اننى أعطى مندوبى فى هيئة الأمم مبادىء اساسية ، واقول له اعمل على هذه المبادىء ولا أخاف ولا اتردد فى أن اقول رايى بحرية .

فمبادئنا فى هيئة الأمم ، كما أعطيناها للدكتور محمود عزمى هى كما يلى :

— نحن ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية .
— نحن مع تقرير المصير .
— نحن مع حرية الشعوب

((وهذا هو طريقنا الذى نستطيع السير فيه ، ونحن لا نستطيع السير فيه ما دامت هناك سيطرة علينا .))

((اننا — الآن — نستطيع ان نقول رأينا بحرية فى مشاكل العالم ، فمثلا عندما عرضت مشكلة قبرص ، قلنا رأينا فيها بحرية، قلنا اننا مع مبدأ تقرير المصير ، فلو كنت تحت السيطرة والارتباط لا بد أن اذهب فاسأل السفير الانجليزى واقول له : ان مصالحنا متفقة مع بعضها وسياستنا الخارجية مرتبطة ببعضها ، فماذا اقول ؟ فيقول هو : ان قبرص نريدها أن تبقى فى وضعها الحالى تحت السيطرة البريطانية فأذهب هناك لاعطى صوتى مع بريطانيا)) .

((هكذا تسير تركيا اليوم .))

((اننا نرى أننا بهذا الوضع . ندخل فى معركة كبرى ، وهدفنا هو ان تكون لنا شخصية حرة مستقلة .))

((تيتو فى يوغوسلافيا حاول ان يصل بالطريق الاخر . فظل سائرا مع روسيا حتى عام ١٩٤٨ ، وفعلا استطاع أن يحصل لبلاده على انعاش اقتصادى ، ثم أراد مخالفة السياسة التى كانت تأتيه من روسيا . فلم يسمحوا له . فخالفهم ، وانقطعت بذلك جميع الارتباطات التى عقدتها يوغسلافيا مع روسيا وحدث انهيار فى يوغسلافيا واستطاعت يوغسلافيا أن تخرج من تلك الأزمة بصعوبة وبدأ تيتو يوازن الأمور فى بلاده .))

((ونحن فى هذه المنطقة ، ننظر الى المسألة من ناحيتين :
١ — مصر ، وهى تريد ان تقى نفسها ضد اى غدر .

٢ - ان نحافظ على كيانها وعلى شخصيتها وعلى استقلالها وعلى حريتها ، ولا اسمح بوضع بلادى تحت أى نوع من أنواع السيطرة . »

« كنا نعتقد أننا نستطيع تحقيق الغرضين معا بمعنى أن انظم دفاعى كمصرى مع ميثاق الضمان الجماعى العربى ، واذا كان الغرب يجد فى ذلك مصلحة له يسر تسلحنا ، وأحافظ على استقلالى وشخصيتى فى جميع النواحى الداخلية والخارجية بدون اية سيطرة أجنبية . »

« فاعتبر الغرب أن هذا التصرف لا يحقق هدفهم ، وهو تكملة الحلقة حول روسيا »

« اتصلنا بالدول العربية ، ذهب صلاح سالم الى العراق ، وقابل ملك العراق ، وقابل ولى عهد العراق ، وقابل رئيس وزراء العراق ، وتحدث اليه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى والكتلة العربية واتحاد الاخوة الخ .. »

« وبحكم العادة والمجاملات قالوا له كلاما جميلا واقيمت المآدب والاستقبالات اللطيفة ، ونعم وحاضر ، حقيقة أننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . »

« وجاء صلاح من العراق على أساس أن العراق موافق على تقوية ميثاق الضمان الجماعى واعتبرنا هذا نصرا باهرا اذ كيف وصلت العراق الى هذا المستوى وهى تحت حكم نورى السعيد . »

« وجاء نورى السعيد الى مصر ، وبدأنا نتكلم معه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فقال : نعم هذه خطوة عظيمة ، ولا بد ان نخطوها ولا بد أن تسيروا فيها ونحن معكم يدا بيد . »

● قلنا له : وكيف يقوى ميثاق الضمان الجماعى ؟ . »

« **قال** : أرى أن نستدعى سفيرى بريطانيا وأمريكا ونقول لهما اننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فما هى الوسائل وما هى اقتراحاتكم ؟ »

« ● **قلت له** : انا أعرف وسائلهم ومقترحاتهم فقد مضى على عامان وانا أتكلم معهم فى هذا الموضوع ، واذا سألتهم اليوم فان ذلك يعتبر بداية للمفاوضات والمباحثات الجديدة الخاصة به ، وكل الذى أريده الآن هو معرفة وجهة نظرك . »

« **وبعد حيرة ومراوغة قال** : تقوية ميثاق الضمان الجماعى هى أن نوسع هذا الميثاق ، كمجموعة من الدول العربية . »

« ● **قلت له** : وكيف نوسع هذا الميثاق ؟ »

« **قال** : نضم الباكستان . »

« ● **قلت** : وماذا نستفيد من الباكستان ؟ »

« **قال** : ضدنا الخطر الشيوعى ونحن نريد الوقوف فى وجه الخطر الشيوعى . »

« ● **قلت** : وماذا تفيد الباكستان وعندها خمس فرق عسكرية والمفروض أن الجبهة الخلفية هى التى تنقذ الأمامية ، وليس الوراء هو الذى ينقذ الصدر »

« **قال** : بلاش الباكستان . نضم تركيا . »

« ● **قلت** : فرضا أنه حدث هجوم شيوعى . وأنت تريد ضم تركيا . فهل تعتقد أن تركيا بالخمس عشرة فرقة التى عندها يمكن أن تستغنى عن عسكرى واحد وتبعث به اليك أم أن تركيا ستحتاج اليك لانك خلفها ؟ »

« **قال** : بلاش تركيا .. »

« ● **فلما قلت له** ان الباكستان وتركيا لا تستطيعان نجدتك »

« **قال** بلاش تركيا .. احنا نعمل تحالف مع من ينجدوننا لنتحالف مع امريكا وانجلترا وبلاش فرنسا نعمل تحالف مع امريكا

وانجلترا وايران وباكستان ، معهم جميعا ونوسع ميثاق الضمان الجماعي وبهذا نضمن التسليح ونكون عمليين و .. و .. وان فكرة القومية العربية التى تتكلم فيها هذا الكلام الكثير ، ايش الاردن وايش سوريا ، وايش العرب .. وهذا كلام لا اومن به . »

« ● فقلت له : ان هذا الطريق لا نستطيع السير فيه ، واننا **نعتبر ان اشتراك اية دولة من الدول الكبرى فى هذا الدفاع ، قد يحد من موجة التحرر التي نسير فيها** اننا نريد ان ناخذ وضعنا، نريد تقوية شخصيتنا ، نريد دفاعا ينبثق من هذه المنطقة . »

« ثم كتب بلاغا ذكر فيه اننا اتفقنا على جميع النقط .

« ● فقلت له : لا يمكن أن يصدر بلاغ باتفاقنا . واصدرنا البلاغ الغامض الذى لا معنى له وقد نشر وقرأتموه . »

« وسافر نورى السعيد .. وذهب يتباحث هنا وهنا ، ولنورى السعيد فى هذه العملية تاريخ طويل ، تاريخ وليد فلسفة خاصة عبر عنها فى كتاب أرسله لمستر كايزى وزير الدولة البريطانى سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعتبر دول الهلال الخصيب وهى الأردن وسوريا والعراق ، هى الدول التى يمكن أن تتكون فيها وحدة ، لتتألف منها الجامعة العربية ومصر لا تدخل فى نطاق العرب . »

« بقينا نحن فى مصر على نظريتنا وعلى فلسفتنا فى الدفاع ، وحاولنا بكل الطرق أن نقنع ، ولكن الآخرين ــ الغرب ــ حاولوا بكل الطرق تكملة الدرع الشمالى الذى يرونه ناقصا . »

« تحدثوا معنا فى المساعدات العسكرية والمساعدات الاقتصادية وقالوا : اننا سنعطيكم كل هذا .

« اننا نقبل المساعدات العسكرية ، ولكن لا تملى علينا شروط .. »

« اننا غير مستعدين للتوقيع على الشروط التى تربطون بها

الدول . تساعدوننا عسكريا ونحن طبعا لن نستخدمها الا فى الدفاع الشرعى ، قالوا سنعطيكم أسلحة امريكيـــة بدون توقيع الشروط

« ● **قلنا لهم** : نريد سلاحا بالثمن اذا كنتم تريدون مساعدتنا فانتم قد وضعتم أسعارا مختلفة للاسلحة . فقـــالوا سنعطيكم أسلحة بعشرين مليون دولار فى عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ » « وحتى الآن تمخضت العملية الطويلة العريضة عن كلام حلو . »

« ● **قلنا لهم** : مستعدين نشترى .

« ولكننا لم نصـــل معهم الى نتيجة سوى أن هنـــاك أسلحة ستأتى ، وقد قلت لكم هذا منذ عامين ، ذهبنا الى هناك ، وطالت المفاوضة ، ولكنا لم نصل الى شىء . »

« ان النفوذ اليهودى والنفوذ الصهيونى له هناك تأثير كبير جـــدا ، واننى كنت أعتقد أنهـــا ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أى شىء . »

« قلنا ومازلنا نقول ان تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، لن يتم مطلقا الا اذا أعطيت الدول العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لاقامة جيش عربى خالص يدافع عنها طبقا لميثاق الضمان الجماعى . »

« ثم فوجئنا بالبيان العراقى الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٥ » .

« وكان هناك اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية فى ديسمبر الماضى ، وتقابلت معهم واحدا واحـــدا ، **وتحدثت معهم فى انشـــاء جيش عربى يدافع عن العرب ويكون جيشنا ونحن الذين نسيره** فوافقوا جميعا على هذا الرأى ، وكان أكثرهم حماسة له شهبندر وزير خارجية العراق وطلب منا ان تعقد العراق اتفاقية جلاء مع بريطانيا على غرار الاتفاقية المصرية وان تشمل ايران وتركيا بدلا من تركيا ، يعنى فى حالة وقوع اعتداء على تركيا أو ايران ، تعود القوات البريطانية الى احتلال مطارى الحبانية وشيبة بالعراق . »

« قلنا له اننا لا نمانع »

قال : وبعد ذلك نقوى ميثاق الضمان الجماعى ، ان نورى السعيد مؤمن برأيكم وبفكرتكم ، وانه لن يتحالف مع باكستان ولا مع ايران ولا مع أحد ، وكل أمله الآن تقوية الميثاق العربي ، وكان ذلك يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ واتخذنا قرارات توصي الدول العربية جميعها بعدم عقد اى تحالف والاعتماد على الميثاق العربي ووقع عليها جميع الوزراء . »

« وبعد ذلك أعلن الحلف التركى العراقى في ١٢ يناير ١٩٥٥ فى بغداد ، ووجهت الدعوة الى الدول العربية الاخرى . »

« الحقيقة ان هذا الموضوع نعتبره الحل الوحيد لمشكلات العرب جميعا فى هذه المنطقة ، وخصوصا أن مشكلات العرب معلقة ولكن ارتماؤنا فى الاحضان على هذه الصورة . سيجعلنا نفقد شخصيتنا ونفقد استقلالنا الا فى نواح معينة محددة داخلية ومحلية وسيجعل بلادنا ميدانا من ميادين القتال لندافع عن أنفسنا . »

« ان الغرب سيحارب هنا بالقنابل الذرية وأنا القاطن هنا ، وأنا الموجود بهذه المنطقة كيف أستطيع أن أدافع عن نفسى ؟ وكيف احمى نفسى عندما تأتينى الطائرات بالهيدروجينية أو بالقنابل الذرية وأنا المقيم فى هذه المنطقة فماذا أصنع ؟ . »

« كل هذه مسائل لا بد أن نفكر فيها ، كل هذه مسائل تكلمنا فيها قلنا لهم انكم ستدافعون عن هذه المنطقة بالطائرات والقنابل الذرية ، افرضوا انكم لم تنجحوا هل تتركونا هكذا فى الميدان ، » قلنا لهم ان الحل الوحيد لهذا أن توجد منظمة للدفاع من هذه المنطقة منظمة عربية خالصة قوية وليس لها اى ارتباط بالغرب » وبهذا يفكر العدو ألف مرة عشر مرات قبل ان يهاجم هذه المنطقة . لان هذه اذا تركت فرادى ستغرى بالهجوم . اما اذا

كانت هذه المنطقة فيها قوة من ابنائها قد تجعل المهاجم يتردد في الهجوم . »

« نحن هنا كعرب نستطيع أن ننشيء ١٥ فرقة ولكن هـذه النظرية لم تقبل . »

« ودخلت العراق فى الحلف التركى ، واعتبرت أن التحالف قد يكون ضمانا لها ضد اى غزو وعندما جلست اتناقش مع باشا اعيان وافقنى على راى مصر ، ثم قال الحق انهم ضغطوا علينا . »

« ● قلت له : ولماذا رضختم واستجبتم وانت كنت رجلا من المستقلين وكانت لك جبهة قومية قبل أن تكون وزيرا ولكن الان لماذا تغيرت الدنيا ؟ . »

« قال : نحن واقعيون .. كنا قوميين واصبحنا واقعيين ، والحق اننا تحت ضغط . »

« وبهذا يعمل الغرب على ايجاد سياسة انفصالية ، فى هـذه المنطقة او سياسة تباعد لأنهم يدركون أن وجود المصريين هناك سيكون عاملا من عوامل اضعاف النفوذ . »

« فقد رحبنا باستقبال البعوث ، وارسلنا مدرسين هناك ، ولكن هذا طبعا يجد مقاومة .

« فاذا ما وجهنا النظر الى جنوب مصر .. الى السودان .. نجد أن هناك حربا كسبنا فيها الجولة الأولى ولكن جميع هـذه القوى الاستعمارية المتنافرة تعمل ضدنا فى السودان لسبب من الأسباب هو انه معروف جيدا أن مصر اذا وصلت الى الملاكال والى جنوب السودان فاتحاد افريقيا الوسطى والمستعمرات الموجودة ستتأثر فعلا بالروح المصرية التحررية يعنى بعبارة أوضح بالنسبة لافريقيا يعتبر الاستعمار وصول المصريين الى جنوب السودان ودخولهم لاواسط افريقيا ، سيكون خطرا . »

« وما زالت حتى الآن الحرب مريرة بيننا وبين جميع القوى فى السودان وكل مساعداتهم وكل مقـــاومتهم تهـدف الى تقوية الانفصاليين على أساس أن السودان يكون مستقلا والحقيقة ان السودان لم يستقل بهذه الطريقة لأن الانفصاليين ارتبطوا دائما بالانجليز واذا استقل السودان بواسطتهم فسيكون هناك النفوذ البريطانى . »

« أننا نخوض معارك مريرة فى الجنوب ومعارك مريرة فى الغرب وفى الشرق تقوم اسرائيل ونحن لا نخوض هـذه المعـارك حبا فى الهجوم ، ولكنها جميعا بالنسبة الينا معارك دفاعية . »

« وسرنا على طريقنا ، نعنى بمبدأ الدفاع عن العــرب بسواعد العرب ما دامت العراق قد خرجت فليكن تحالف جديد من بقية الدول العربية ، ليستمر المبدأ فى طريقه وتوجد قوة عربية لهـا كيانها تعمل طبقا لهذا المبدأ . »

« اذا كنا والله نريد أن تكون لنا شخصية مستقلة ، ونبينها فى الفترة العصيبة التى نعيش فيها ، فلا بد ان يكون عودنا صلبا قويا . اذا كنا قد قمنا بثورة تدعو الى التحرر وتدعو الى الاستقلال فالمقصود هو أن نتحرر داخليا وخارجيا ، ويكون لنا كيان ويكون لنا تأثير على المحيط الموجود حولنا . اذا أردنا أن نصل الى هذا فلا بد أن نصمد ونصمد .»

« أما اذا أردنا أن نخضع للسيطرة ونسير وراء الأوهام والكلام الجميل البراق ، فسنفقد شخصيتنا وقوميتنا ونسير الى ما لا نحبه وما لا نرضاه . »

« ولكن ثورتنا لا ترضى بهذا ، ولهذا فنحن نحارب فى المحيط العربى . وفى المحيط الافريقى وفى هذه المنطقة كلها ، وبكل اسف اننا لا نحارب القوى الاجنبية فقط ، بل على بالعكس فنحن نحارب لعوان الاستعمار الموجودين فى هذه المناطق ، فطالما هناك اعوان

استعمار فهم يعتقدون ان نفوذهم مستمد من النفوذ الاجنبي ، ودائما هذا الصنف من الناس له نفوذ كما كانوا هناك ولذلك سنجد قوى كبيرة جدا تقاومنا . وعلينا نحن أن نؤدى الواجب في كل الميادين .. ألا نتهاون ولا نستكين ولكننا في نفس الوقت علينا أن نبنى لنا الشخصية القوية . »

« ان الغرب يشعر الآن بأنه حقق جزء من الهدف وهو الرباط الشمالى لكنهم يعلمون أن العمق وهو الجزء الأهم بالنسبة لهذا الرباط لم يتحقق في النقطة التالية وهي القاعدة . القاعدة الموجودة في السويس وهي نقطة الارتكاز في حالة حدوث اعتداء على احدى الدول العربية أو تركيا .. كيف ستعمل هذه القاعدة وهناك اسرائيل وهناك حالة الحرب القائمة بين العرب وبين اسرائيل ؟ . »

« اذن لا بد من انهاء هذا الوضع حتى تصبح لهذه القاعدة فائدة او تنقل القاعدة من هذا المكان اذا استمر الوضع على ما هو عليه هذا هو ما يفكرون فيه . »

« وكل هذه مشكلات لا بد من ان نجابهها ، وغرضنا الاساسى ان تكون لنا شخصية وكيان ونحقق في داخل الوطن استقلاله الداخلى ، وسياستنا الخارجية تكون سياسة وطنية متحررة . »

« ويجوز أن يكون المرء في هذه النواحى عنده مركب نقص ، فيخاف ، لأن الظروف الماضية تدعو الانسان الى الخوف من السيطرة ، وخاصة عندما يذكر أن السفير البريطانى في القاهرة كان يعطى التعليمات واننا لا نريد ابدا أن يعود هذا التاريخ . »

« نقوى جيشنا ، نقضى على الاقطاع ، نقضى على الاحتكار ، نقوى اقتصادنا ، نقضى على سيطرة راس المال على الحكم ، نقضى على النفوذ الأجنبى . وبهذا نستطيع أن نقول اننا حققنا اهداف هذه الثورة . »

لا احتكار فى السلاح

معركة عبد الناصر مع الاستعمار ، اتخذت عدة اشكال ، بدأت بالجلاء ، وبمقاومة الاحلاف العسكرية ، ثم بكسر احتكار السلاح واعلان سياسة الحياد الايجابى ، وعدم الانحياز ..

وبعد ذلك اتخذ عبد الناصر موقفا آخر ، اكثر تشددا وتصلبا عندما أمم قناة السويس .. ورفض صيغة أخرى للارتباط بالغرب فى صورة مشروع ايزنهاور .. والغرب فى مواجهة كل ذلك يمارس ضغوطه الاقتصادية لاجباره على التسليم ، ويفرض عليه حصارا اقتصاديا خانقا ..

رفض عبد الناصر الضغوط ولم يستسلم للحصار ، وظل اكثر صلابة .. واكثر تحديا ، يسير فى خطوط السياسة المتحررة من كل قيود ، والتى ترفض التبعية ..

ومضى هذا الفكر يشق طريقه ، عملا ، وقولا .. ونضالا وقتالا حتى تأكد بخطوط بارزة فى صورة موقف كامل للسياسة الخارجية مع السلم العالمى ، « فالحرية لا تتجزأ ، والسلام لا يتجزأ » مع استقلال الشعوب .. والتعاون الدولى بين الشعوب من أجل الرخاء المشترك هو امتداد طبيعى للحرب ضد الاستعمار والاستغلال ..

ومن هذا الموقف يرفض الفكر الناصرى التمييز العنصرى .. لأنه اكتشف حقيقة مغزاه « فالاستعمار فى واقع امره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها ، وليس التمييز العنصرى الا لونا من الوان استغلال ثروات

الشعوب وجهدها ، فان التمييز بين النـاس على اساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم » .

« أن الرق كان الصورة الأولى من صور الاستعمار والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر اثرها على ضحاياهم ، وانما يلحقون الأذى بالضمير الانسانى كله ، وبما احرزه من انتصارات » (١) .

ويرفض الفكر الناصرى ايضا الحرب .. يؤمن بالسلام وبانه ضرورة حيوية ، لا يتوانى للعمل من اجلها .

« لقد رفع شعبنا فى احلك ظروف المعارك القاسية التى ارغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الاستسلام) ايماءة واضحة الى انه يقبل التعاون الدولى ولكنه يقاوم السيطرة » .

« والسلام لا يمكن ان يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا .. ان السلام لا يمكن أن يستقر على حالة الهوة السحيقة التى تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف .

« ولكن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السـلام العالمى بعد الخطر الاول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة » ...

« فالتعاون الدولى من اجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقرب ما بين مستويات الامم ويزرع المحبة بينها بدلا من سموم الكراهية » .

« ان التعاون الدولى من اجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين من العصر الاستعمارى » .

« انه يشمل فتح الاسرار العلمية للجميع فان احتكار العـلم يهدد البشرية بنوع جديد من السـيطرة الاستعمارية » .

(١) الميثـاق

« كذلك هو يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتضىء جوانب التخلف المظلم » .

« كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من ان تترصد لها وتتربص بها » .

« كذلك هو يشمل الدعوة الى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الاقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم » (١) .

والعمل من أجل السلام هو الذى قاد عبد الناصر الى رفض التجارب الذرية .. والى المشاركة فى مؤتمرات نزع السلاح ..

وهو يرى « أن شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على ارضه ، وأن صدق دعوته للسلام تنبع من حاجته الماسة اليه ، وأن السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الاستمرار فى معركته المقدسة من اجل التطوير .. وأن العمل من اجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعار عدم الانحياز والحياد الايجابى » .

* * *

فى ابريل عام ١٩٥٥ ذهب عبد اناصر الي باندونج .. وهو يحمل بيده غصن زيتون يلوح به للسلام العالمى ، ويرفعه فى وجه المستعمرين ، واعداء الشعوب ..

ولعب عبد الناصر دورا هاما ، فى مؤتمر باندونج وكان قيادة ناجحة وبارزة ومؤثرة فيه ..

وفى باندونج كأن هدف المؤتمر أن يناقش القضايا التى تهم شعوب آسيا وافريقيا وخاصة القضايا السياسية والاجتماعية ،

(١) الميثاق

ويبحث المصالح المشتركة ، ويدعم تعاونها ثم يبحث ماذا تستطيع هذه الدول أن تقدم من اجل السلام العالمى ..

ولاول مرة يخرج عبد الناصر الى مؤتمر عالمى : ولكنه فى هذا المؤتمر الاول كان واضحا وحاسما ..

شرح عبد الناصر دور شعب بلاده فى مقاومة النفوذ الاجنبى فى الشئون الاقتصادية والسياسية .. والمعارك التى خاضها على مدى أقل من ثلاث سنوات من أجل الحصول على الاستقلال وتأكيده ..

واجاب بعد ذلك على تساؤل هام هو :

لماذا تتعدى مصر خارج حدودها لكى تساهم فى حل مشكلات غيرها ..

« فنحن فى عالم .. لا يستطيع أن يعيش أحد فيه بمفرده ، فى عزلة عن غيره .. قوى العدوان أيها الاخوة ، تتقاسم فيما بينها الادوار والغنائم .. قوى السلام لا بد أن تتضامن فيما بينها ، لكى لا تتحول واحدة بعد واحدة فرادى ومعزولة ، لتصبح بعض غنائم قوى العدوان (١) » .

« وفى تلخيص بسيط وسريع .. فان سياستنا كما يلى .. »

« صداقة مع الكل .. واذا وقع الخلاف ، فهو على أساس من المبادىء ..

« وايجابية فى الحركة تنبذ التوقف .. من ايمان بان السلام لا يتجزأ ، والحرية لا تتجزأ ، والرخاء لا يتجزأ ..

« ثم ادراك لحقيقة أن مجتمع الدول .. كما حدث من قبل لمجتمع الافراد يحتاج فيه الكل الى الواحد ، بقدر ما يحتاج الواحد الى الكل (٢)

---

١ ـ عيد النصر ببور سعيد ١٩٦٦

٢ ـ مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٥

« ان المسافات تتلاشى بفضل ثورية وسائل المواصلات ، ويكاد العالم كله أن يصبح كيانا واحدا ، لا تنعزل بعض أجزائه عن الأخرى . وبالتالي فلم يعد ممكنا احتكار الرخاء لبعض سكانه ، وترك البقية منه لتحصد الشقاء .

« ان شعوب الأرض جميعا ساهمت فى صنع حضارة الانسان واذا كان النور قد خبا فى بعض النواحى ، فان شعلته لم تنطفىء .. وانما انتقلت من مكان الى مكان .. ولقد حدث نهب لثروات الشعوب .. بل لقد حدث انتقال الثروات بطرق لا تحتاج منا الى مزيد شرح أو تفصيل .. واذا كنا نريد أن نقيم الآن سوقا للحساب .. نتبين فيها من أعطى ومن أخذ .. وكيف ؟ .. فلنذكر جميعا وليذكر الأغنياء بالذات أن مصادر غناهم لا تنبع من داخل حدودهم السياسية وحدها » .

« واذن فلقد شاركت شعوب الأرض كلها وتشارك فى صنع الرخاء .. وبالتالى فان احتكار هذا الرخاء لا يقيم سلاما .. لا يمكن ان يقوم أو يدوم سلام على الأرض ، مع التباين المروع فى مستويات المعيشة بين الشعوب » (١) .

« أشير .. الى المصاعب التى تواجهها الدول النامية من جانب الاحتكارات الاقتصادية ، حيث الرغبة دائما فى ابقاء هذه الدول مصدرا للمواد الخام بأرخص الأسعار ، وسوقا للمصنوعات الجاهزة بأغلى الأسعار ، الأمر الذى يحدث تناقضا اقتصاديا واجتماعيا خطيرا ، خصوصا اذا ما أضيف امتياز التقدم العلمى فى خدمة الاحتكارات ، وبذلك يصبح الفقراء أكثر فقرا والأغنياء أكثر غنى (٢) .

« ان الفوارق المؤلمة فى مستويات معيشة الشعوب لن يكون من شأنها الا وضع العالم على فوهة بركان لا يهدأ ولا يستقر .. ولا ينام » (٣)

---

١ – مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤
٢ – الكرملين الفلسطيني ١٩٦٥

« ان هناك فوارق مروعة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة .. ويضاعف من الاحساس بهذه الفوارق ان شعوب الدول المتخلفة ترى - وهى على حق فيما تراه - ان رخاء غيرها قد اخذ منها بوسائل النهب الاستعمارى المروعة .. »

« نحن هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكثيرون منكم .. اذا لم نقل معظمكم .. نواجه هذه المأساة .. التى تعرضنا لها قرونا طويلة .. نزحت فيها ثرواتنا الوطنية المدخرة ، واستنزفت بشناعة منظمة .. واذا كنا نرتفع بمشاعرنا وآمالنا عن الحقد .. فاننا نرى ان ابسط مقتضيات العدل تحتم ان يلقى الساعون الى التقدم ، تعاونا أصيلا من جانب السابقين الى هذا التقدم . »

« ان مطلب العدل الاجتماعى هو القوة المحركة للحوادث الآن فى كل وطن واحد .. وهذا المطلب ، مطلب العدل ، يوشك ان يؤدى نفس الدور فى مجتمع الدول .. فى عالم يتحول برغم اتساعه إلى كيان واحد ، تلاشت منه المسافات بفضل التقدم الثورى فى وسائل المواصلات .. »

« ولا نريد أن ينتهى تقسيم العالم الى كتلة غربية وكتلة شرقية .. لتقوم تقسيمات أخرى أكبر واخطر .. »

« كتلة من الفقراء .. وكتلة من الأغنياء .. كتلة من المتقدمين .. وكتلة من المتخلفين .. »

« كتلة فى الشمال من الكرة الارضية من حقها الرخاء .. وكتلة فى الجنوب ليس لها غير الحرمان .. كتلة من البيض .. وكتلة من الملونين .. »

« لا يستطيع الفقر والغنى ان يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. ولا يستطيع التقدم او التخلف ان يعيشا بسلام جنبا الى جنب ..

ولا يمكن للرخاء والحرمان أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. »

« نحن فى عالم واحد .. ونحن جنس بشرى واحد .. مهما اختلفت الالوان .. » (١) .

ان عبد الناصر يرفض السيطرة الأجنبية .. والمبادىء عنده كل لا تتجزأ ، كما ان السلام كل لا يتجزأ .. وايجاد كتلة ثالثة بين الكتلتين الكبيرتين يمكن ان يرفع من شأن هذه الدول الصغيرة ..

ومن خلال معاناته فى ظل حياته فى وطن مستعبد .. اتخذ موقفا فى مناصرة كل المستعبدين على الأرض .

من أجل السلام العالمى اذن تحرك عبد الناصر الى مؤتمر باندونج ولكن السلم العالمى فى رأيه لا يتحقق الا بشروط خمسة حددها فى خطابه فى المؤتمر هى :

● الشرط الأول :

« نجاح الجهود التى كانت هيئة الامم تبذلها ـ ما زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسليح . وكذلك القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل . »

« ان مصر ، وكافة الدول الممثلة فى هذا المؤتمر وغير الممثلة سواء . لتدرك تمام الادراك ، ويؤلمها أشد الألم ما تتكلفه اعباء التسليح من نفقات وجهود توشك أن تقصم ظهر الاقتصاد العالمى ويعوق النهوض الاجتماعى ، وتأمل بحماسة وحرارة وقف هذا التسلح فورا ، حتى يفيق العالم من كابوس الفزع المريع الذى يقض مضجعه من جراء هذا التسليح . »

---

(١) ـ مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤

« وثمة علاقة وثيقة بين رفع مستوى معيشة الشعوب وخفض نفقات التسليح . ولا شك فى أن العلوم والخبرة الفنية الحديثة ، اذا استخدمت لاغراض سلمية ، سوف تتيح للجنس البشرى من الرفاهية قدرا لا يعادله اى قدر توفر فى اى زمان ومكان . فالطاقة الذرية مثلا اذا استخـــدمت فى اغراض سليمة تهىء للشعوب ـ ولا سيما فى البلاد المتخلفة حيث يعيش السواد الأعظم فى فاقة وعوز فرصا لا نظير لها للرخاء الاقتصادى .

● الشرط الثانى

« لتحقيق السلم العالمى هو تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه ، فيجب أن تكون كافة القرارات والاجراءات التى تتخذها هذه المنظمة العالمية أساسها الميثاق ولو روعى هذا لما نزل بشعب فلسطين ذلك الظلم البين ولما وقع عليه هذا الاعتداء الذى لم يسبق له مثيل .

« اسمحوا لى أن ابدى بعض الملاحظات مع موضوع يثير فى نفسى الحزن والأسى ، ذلك ان شعب فلسطين طرد من وطنه وشرد ليحل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا وكل هذا يحدث على مرأى من هيئة الأمم المتحدة ، بل بمساعدتها وموافقتها .

« لست أعرف فى تاريخ الشعوب حدث من قبل هـــذا الخرق الوحشى الاليم للمبادىء الانسانية ، هل من ضمان يكفل للشعوب الصغيرة ان الدول الكبيرة التى ساهمت فى تلك المساساة ، لا تسمح لنفسها بتكرار حدوث مثل هذا الاعتداء على شعب آخر برىء وادع لا حول له ولا قوة ! »

« واقسم انه لا يستطيع انسان ان يتصور أن ظلما بينا كهذا يمكن حدوثه فى القرن العشرين ، عص النظام والعدالة العالمية على مرأى من هيئـــة الأمم المتحدة ، جامعة القـــانون الدولى والعـــدالة الدولية » (١)

« ● **هناك شرط آخر لقيام السلم العالمى لا يقل عن سابقه الا وهو** احترام الدول لالتزاماتها الدولية ، فبمقتضى ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان لم تعد معاونة الدول لبعض الأفراد أو لجماعة تتضمن مبدأ معينا سواء أكان هذا تفرقة عنصرية أم سموا مستندا على انتماء الى أصل عريق مسألة داخلية ، كما تذهب بعض الدول فى ادعائها ، بل أصبحت مسألة دولية تهم العالم اجمع . والتمييز فى أية صورة من صوره لا يعد اخلالا بالالتزام الدولى انما هو أمر يخل بالعلاقات الودية بين الدول . »

« ومما يؤسف له ان التفرقة العنصرية ما زالت قائمة فى جنوب افريقيا ، وقد وصفت هذا الموضوع لجنة الامم المتحدة بشأن مسألة الاجناس فى اتحاد جنوب افريقيا بالفقرة الآتية :

« ان نظرية التفريق العنصرى والسياسية التى قامت استنادا اليها ، نظرية باطلة علميا وتهدد السلم والأمن العالمى بالخطر كما انها تتنافى مع عزة الانسان وكرامته . »

« ● **هناك شرط آخر احب ان اشير اليه فكثيرا ما تفعله الدول ولا سيما الكبيرة منها** الا وهى الاعيب الضغط السياسى التى بها تعمل الدول الكبيرة على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراض الأولى ، هذا يجب وقفه فورا ، اذا اردنا أن نضع حدا للتوتر الدولى الموجود فى الوقت الحاضر » .

« ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره الضار على الدول الصغيرة فهو يعزلها ويفرق فيما بينها . كما يضعف الروابط والتعاون الذى قد يكون قائما بينها ، وبذا تقع السيطرة الأجنبية فان على الدول الصغيرة أن تقوم بدورها الانشائى فى سبيل تحسين العلاقات الدولية وتخفيف حدة التوتر الدولى »

● « وثمة شيء آخر ولكن ليس بأخير ، ذلك هو موضوع تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول وما يستتبعه من قلق فانه منذ أن اتسعت رقعة الاستعمار اتسعت معه مشكلة نظام الحكم الاستعمارى الأجنبى الذى كان دائما مثار الحروب . »

« ولقد شاهدنا منذ سنين وما زلنا نشاهد ارتفاع موجة القومية لا فى بلادنا والمناطق المجاورة لها فحسب ، بل فى عدة أقطار آسيوية وافريقية ولقد علمتنا تجارب الحياة ان القومية اذا احبطت ترتبت عليها عواقب وخيمة ونشأت عنها مشاكل عويصة ، وان الدول اذا تناولتها فى حكمة وهوادة وواقعية ، أثمرت ثمرا طيبا ، من الصداقة والتفاهم والمحبة ، وانا لنرجو أن نضع ذلك دائما نصب أعيننا بشأن بقية بلاد العالم التى ما زالت شعوبها متعطشة الى ارواء قوميتها ، ولكنها لم ترتو بعد ولم تشبع رغبتها فى هذا الصدد . »

« وأراني فى غير حاجة الى القول باننا نعيش الآن فى عصر جديد يختلف عن العصور الماضية فلقد استيقظ فى الشعوب وعى جديد ، لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض . »

« على أى أساس يستطيع انسان أن يستسيغ ان اقطار شمال افريقية التى ظلت قرونا مستقلة ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العريقة تنحط مرتبتها الى حد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحكم الذاتى ؟! »

« هل تتفق هذه السياسة مع السلم والتعاون بين الشعوب ؟ »

« ان أكثر الحروب وما جرته من ويلات للبشرية كانت تعزى فى الغالب الى أن القرارات التى اتخذت وان كانت فى ذاتها صحيحة سليمة الا انه لم يختر لها الوقت المناسب . »

« الا أن التباطؤ والأحداث تسير واغفال الحاجة الملحة الى تكييف الامور منذ العهد الجديد الذى ترجع بدايته الى سنة ١٩٤٥ ، وتجاهل التقدم الانسانى لا للشعوب التى ترتكب الخطأ فحسب بل

للانسانية جمعاء ؛ وهذا احد اسباب القلق الذى يسود العالم فى عصرنا الحالى . »

« ان التعاون بين الشعوب الآسيوية والافريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب ، بل هو تعاون تلك الدول - التى تمثل اكبر قارتين وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم - على التقدم وتحقيق مستوى معيشة أرفع ، وتحقيق هذا الغرض كما لا يخفى ، لازم لهدف تال هو السلم العالمى فليس معنى السلم مجرد : لا حرب بل انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى . والعدالة الاجتماعية ، وكليهما مقومات لا غنى عنها لانشاء مجتمع عالمى سليم

« ان التعاون الذى اجتمع مؤتمر باندونج من اجل تنميته لن يحقق هدفه ويأتى بالنتائج التى تطلبها الشعوب منه الا اذا تحقق مبداين :

« ● اولا - يجب على كل دولة أن تحترم الاستقلال السياسى لاية دولة اخرى ، وان ترعى العدالة الاقليمية فيها ، والا تتدخل فى شئونها . »

« ● ثانيا - لكل دولة الحق أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية . »

« ويقينى أنه ما دامت هذه الأغراض والمبادىء رائدنا فسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول الى الاتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية من شأنها ايجاد التعاون المنشود بين بلادنا ثقافيا واقتصاديا ، واجتماعية .. » (١)

---

١ - مؤتمر باندونج ابريل ١٩٥٥

مهام لكل الناس .. من أجل السلام

يعود عبد الناصر من باندونج ليؤكد موقفه هناك باخطر اجراء قام به فى تلك السنوات من عمر الثورة وهو الاجراء الذى وصفه دلاس وزير خارجية امريكا فى ذلك الوقت بانه ((اخطر حدث دولي منذ حرب كوريا بل منذ الحرب العالمية الثانية)) .

هذا الاجراء هو كسر احتكار السلاح ..

كان لابد للثورة أن تقيم الجيش القوى ، الجيش القادر على الحرب ، والمزود باحدث الأسلحة ..

ومنذ سنة ١٩٥٢ بدأت مصر تطالب امريكا بان تمدها بالسلاح ...

ووضعت أمريكا شروطا لذلك .. طالبت بما اسماه الزعيم حق التفتيش . ووضعت شروطا أخرى غريبة منها :

- بعثة عسكرية تقيم .. لتسيطر ، وتتحكم ..
- السلاح لا يستخدم ضد الغرب .. ولا ضد اسرائيل ...
- الدفع بالدولار ..

كان كسر احتكار السلاح من اخطر الاجراءات التى قام بها عبد الناصر والتى تؤكد فكره فى رفضه ان ندخل ضمن مناطق النفوذ باصرار .. وكان هذا الاجراء فى نفس الوقت خطوة كبيرة نحو التقارب مع الكتلة الشرقية ...

وبهذا يسطر الفكر الناصرى خطا بارزا ظل أيضا يتأكد فى الممارسة ويشير الى ان موقف الاستعمار واحد ، وانه مترابط ، ومتعاطف ، وضد الشعوب ..

« طلبنا السلاح من انجلترا .. فرفضت ، طلبناه من امريكا فرفضت .. طلبناه من فرنسا فرفضت . »

دول الغرب كلها تسير فى خط واحد ، تحركها مصالحها .. لا يحركها افراد .. قد يوجد افراد يتعاطفون مع دول أخرى ، ويرفضون بفكرهم منطق الاستعمار ، ويتطلعون الى العدل .. ولكن هؤلاء الاشخاص سيظلون داخل هذه الدول ضعاف وتضيع اصواتهم فى زحام المصالح .. فما يحرك الاستعمار هو مصالحه .. ومصالحه المباشرة هو أن يستغل الدول ويستنزفها ..

وقصتنا مع السلاح قصة طويلة .. يشرحها عبد الناصر ، ويشرح الاسباب التى أدت اليها فى الخطاب الذى أعلن فيه كسر احتكار السلاح .. واننا تعاقدنا فعلا مع تشيكوسلوفاكيا لتوريد اسلحة حديثة الى جيشنا (١) .

« لقد اعلنا سياسة مصر فى مناسبات عدة .. اعلنا أن مصر بعد ان قامت بثورتها فى ٢٣ يوليو ستسير فى سياستها المستقلة قدما الى الأمام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الأمام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الأمام وقد تخلصت من النفوذ الأجنبى .. هذه كانت آمالنا وكانت آمالكم .. أننا عملنا ما فى وسعنا أيها الاخوان حتى نحافظ على هذه الآمال .. اننا عملنا كل ما نستطيع حتى نحافظ على هذه الأهداف .. ولقد قابلنا فى سبيل ذلك مصاعب ، مصاعب كثيرة .. ومصاعب كبيرة » ..

« فانكم تعلمون أن الاسلحة الثقيلة تتحكم فيها الدول الكبرى .. وانكم تعلمون ان الدول الكبرى لن ترضى ابدا أن تمول الجيش بالاسلحة الثقيلة الا بشروط ، والا باشتراطات .. وانكم تعلمون اننا رفضنا هذه الشروط ورفضنا هذه الاشتراطات لأننا نحرص على الحرية الحقيقية ، ونحرص على السياسة المستقلة ، ونحرص على

---

(١) معرض القوات المسلحة ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

ان تكون لمصر سياســة مستقلة قوية حتى نخلق من مصر شخصية جديدة مستقلة تخلصت فعلا من الاستعمار ، وتخلصت فصلا من الاحتــلال تخلصت فعــلا من السيطرة .. السيطرة الأجنبية بكل معانيهــا » ..

« كنا نسعى فى هذا السبيل .. واليوم يا اخوانى نسمع ضجة من لندن .. ونسمع ضجة من واشنطن على تسليح الجيش المصرى وانا احب ان أقول لكم اننا حاولنا طوال السنين الثلاث الماضية أن نسلح الجيش بأسلحة ثقيلة بكل وسيلة من الوسائل .. لا بغرض العدوان ، ولا بغرض الاعتداء ، ولا بغرض الحرب .. ولكن بغرض الدفاع ، بغرض الأمن .. بغرض السلام » ..

« اننا أردنا أن نقوى جيشنا حتى نؤمن انفســـنا وحتى نؤمن قوميتنا .. وحتى نؤمن عروبتنا .. اننا أردنا أن نسلح جيشنا حتى نشــعر دائما بالأمن والسلام وبالطمانينة ، ولم تكن نقصــد ابدا أن نقوى هذا الجيش للعدوان .. أو أن نقوى هذا الجيش للحروب ، ولكن الجيش الذى هو سياج هذا الوطن ، ولكن الجيش الذى هو حامى هذا الوطن يقف دائما على أهبة الاستعداد ليدافع عن شرف الوطن هذا هو غرضنا ، وهذا هو هدفنا ، وقد كنا ننادى بذلك دائما طوال السنين الثلاث الماضية » ..

« اننا لا نريد سلاحا للعدوان .. اننا نريد سلاحا حتى نطمئن وحتى نشعر بالسلام ، وحتى لا نشعر بالتهديد » ..

« انى يا اخوانى اشعر بالضجة من هنــا ، واشعر بالضجة من هناك ، اشعر بهذه الضجة حينما استطعنا ان نحصل للجيش على حاجتــه من الأسلحة .. بدون شرط وبدون قيــد .. حتى نحقق الهدف الذى قامت هذه الثــورة من اجله .. ان يكون لمصر جيش وطنى قوى يحمى الاستقلال الحقيقى ويحمى الحرية الحقيقية » .

« وانى أحب يا اخوانى ان أقول لكم فى هــذه المناســبة قصة

تسليح الجيش .. فحينما قامت الثورة التجـــأنا الى كل الدول والتجأنا الى كل ميدان من اجل تسليح هذا الجيش » ..

« التجأنا الى انجلترا ، والتجـأنا الى فرنســا ، والتجـأنا الى امريكا ، والتجــأنا الى باقي الدول من اجل تسليح الجيش .. من اجل السلام ومن اجل الدفاع ، فماذا اخذنا ؟ الحقيقة اننا لم ناخذ الا مطالبات ، فقد ارادوا ان يسلح الجيش بعد ان نوقع على وثيقة ، وبعد ان نوقع على مواثيق .. واننا اعلنا اننا اذا اردنا او صممنا ان نسلح جيشنا من اجل حريتنا ، ومن اجل شخصيتنا المستقلة .. من أجل حياة ثورتنا .. ومن اجل عزة وطننا .. ومن اجل كرامة مصر .. واعلنا أننا لن نسلح الجيش على حساب استقلالنا .. اننا لن نسلح الجيش على حساب حريتنا » ..

« وطلبنا الســـلاح ، فماذا كانت النتيجـة ؟ كانت النتيجـة يا اخواني قصة طويلة .. قصة مريرة .. وانني اذكر في هذا الوقت .. اذكر وانا اتحدث اليكم اننا في بعض الأحيـــان قد أرقنـــا ماء وجوهنا .. ولكنا لم نتخل ابدا عن مبادئنا .. اننا ارقنا ماء الوجوه .. ونحن نطلب السلاح ، ونحن نستجدى السلاح ، ولكننا في نفس الوقت صممنا على المحافظة على المبادىء .. وصممنا على أن نحافظ على مثلنا العليا وماذا كانت النتيجة ؟ لم نستطع أبدا يا اخواني أن نحقق هذا الهدف الاكبر الذى قامت هذه الثورة من أجل تحقيقه وهو اقامة جيش وطني قوى » ..

« فان فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شمال افريقيا .. وتقول لنا دائما أننا نعطيكم السلاح على شرط الا تنتقدوا موقفنا في شمال افريقيا .. على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط أن تتخلوا عن انسانيتكم .. على شرط أن ترى المذابح التى تحدث في شمال افريقيا ونسكت عليها ، ونغمض العين عن عروبتنا ، وكيف نتخلى عن انسانيتنا ؟ اننا لا يمكن أبدا أن ننفصل عن عروبتنا ، واننا لا يمكن ان ننفصل عن انسانيتنا » ..

« ولكن امداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائما سيفا فوق رقابنا ، وكنت دائما يا اخوانى اهدد بقطع السلاح ، وكنت دائما يا اخوانى اهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر » ..

● **« هذه هى قصة فرنسا ، واقول لكم الآن قصة امريكا ..**

منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح .. ونحن نوعد بالسلاح وماذا كانت النتيجة ؟ كانت الوعود ، وعودا مرتبطة بشروط ، ناخذ السلاح على اساس ان نوقع على ميثاق امن متبادل ، ناخذ السلاح على اساس أن نوقع على حلف من الاحلاف ، ورفضنا ان نوقع وثيقة الأمن المتبادل ، ورفضنا ان نوقع على حلف من الاحلاف ، ولم نستطع أبدا يا اخوانى أن ناخذ من أمريكا قطعة من السلاح » ..

● **« وماذا كانت قصة انجلترا ؟** كانت انجلترا تقول لنا انها مستعده لتموينا بالسلاح وكنا نقول لها اننا نقبل هذا شاكرين ، وماذا كانت النتيجة .. لقد موتتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذى قامت هذه الثورة من اجله ، وماذا كانت النتيجة ايها الاخوان ، كان الجيش المناوىء لنا يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم .

« ان جيش اسرائيل قد استطاع ان ياخذ اسلحة من انجلترا ، ومن فرنسا ، ومن بلجيكا ، ومن كندا ، ومن ايطاليا ، ومن دول اخرى متعددة ، وكان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائما من يمونه بالسلاح .. وكنا نحن نقرأ فى الصحف الأجنبية ، سواء فى الصحف الامريكية أو الصحف الفرنسية أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. وقد قرات فى الشهر الماضى يا اخوانى كثيرا من المقالات تحمل هذا المعنى : ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر . ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم العرب .. ان جيش اسرائيل متفوق فى السلاح .. ان جيش اسرائيل متفوق فى العتاد !

« هذا ما كانوا يقولونه فى صحفهم فنقول لهم اذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون عنا السلاح .. كنت أقول لهم هذا فماذا كانت النتيجة ؟ لقد تذرعت فرنسا بشعورنا نحو شمال افريقيا .. ومنعت عنا السلاح وحينما رأينا هذا ، حينما رأينا هذا التحكم .. وحينما رأينا هذا النفوذ الذى يتحكم فينا ، وفى رقابنا قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ، وقدمت هذا وأنا أؤكد لهم أن هذه الأسلحة لن تستخدم فى العدوان ، ان هذه الأسلحة ستستخدم فى الدفاع ، اننا ليست لنا أية نوايا عدوانية .. ولكن نوايانا نوايا سلمية .. اننا نريد أن يكون لنا جيش حر قوى مستقل ، يسند هذا الوطن فى أهدافه الحرة المستقلة .. اننا نريد أن يكون لنا جيش قوى ، لا للعدوان ولكن للدفاع .

« قدمت هذا يا اخوانى باسم مصر الى امريكا ، الى انجلترا .. الى فرنسا ، الى روسيا ، الى تشيكوسلوفاكيا ، الى باقى الدول وانتظرت الرد فماذا كانت النتيجة .

« وصلتنى ردود من بعض هذه الدول بأننى يمكن ان اسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط .. فهذا هدف من أهدافنا ، وقد قلت لكم اننا قد نستجدى السلاح ، وقد نطلب السلاح .. وقد نريق ماء وجهنا من أجل السلاح .. ولكننا لن نتخلى أبدا عن مبادئنا ..

« وانتظرنا حينما وصلنا رد على هذا الخطاب من حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول انها مستعدة ان تموننا بالسلاح حسب حاجتنا وحسب حاجة الجيش المصرى على اساس تجارى بحت ، وان هذا التعامل يعتبر كأى تعامل تجارى آخر ، فقبلنا فى الحال هذا الاتفاق .

« ووقعت مصر فى الأسبوع الماضى اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا من أجل تموينا بالسلاح .. وهذه الاتفاقية تسمح

لمصر بأن تدفع الثمن منتجات مصرية مثل القطن ومثل الارز وقبلنا هذا العرض شاكرين ..

« وانا بهذا يا اخوانى نحقق هدفا من اهداف هذه الثورة وهو اقامة جيش وطنى قوى ، وانا اليوم يا اخوانى وانا اتكلم اليكم اشعر بالضجة التى قامت هنا وهناك .. قامت ضجة فى لندن ، وقامت ضجة فى واشنطن ، قامت هذه الضجة من اجل استمرار التحكم .. ومن اجل استمرار النفوذ .

« اننا سنكافح من اجل القضاء على هـذا التحكم ، وسنكافح من اجل القضاء على هذا النفوذ .. اننا سنكافح من اجل تحقيق اهداف هذه الثورة .. واننا سنكافح من اجل اقامة جيش وطنى قوى يستطيع ان يحقق لهذه الثورة الاهداف الكبرى التى قامت من اجلها .. ويستطيع أن يحقق أواصر الســلام .. نعم يا اخوانى السلام ، السلام الذى نادينا به فى باندونج .. السلام الذى نادينا به فى مناسبات عدة ..

« اننا حينما نبنى هذا الجيش انما نبنيه من اجل السلام وانما نبنيه حتى نطمئن على مصائرنا ، نبنيه حتى لا تكون مصر دولة من اللاجئين .. اننا نبنيه ضد العدوان .. اننا ضد اى اطماع فى ارض هذا الوطن ..

« هذا هو يا اخوانى هدفنا الاكبر .. هذا يا اخوانى هدفنا الاعظم وانني حينما اسمع متحدثا يقول ان هذا فتح للنفوذالروسى او فتح للنفوذ الاجنبى فى الشرق الاوسط او فى مصر .. اننى حينما اسمع هذا انظر الى الماضى البعيد .. واقول ان هـذه الاتفاقيـة التجارية التى وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذالروسى
التجارية التى وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذالروسى
ولا للنفوذ الاجنبى .. ولكنها يا اخوانى تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذى تحكم فينا وعلى النفوذ الطويل الذى سيطر علينا .

« اننا يا اخواني حينما نستطيع أن نسلح جيشنا بلا قيد ولا شرط تقضي على التحكم .. التحكم الذى كنت أشعر به وكنتم تشعرون به تحت اسم التسليح .. وتحت اسم الامداد بالسلاح ..، لهؤلاء الذين يتكلمون عن النفوذ الاجنبي يعرفون اننا نقصد القضاء على النفو النفوذ الاجنبي ..»

« ان مصر .. مصرالمستقلة .. مصرالثائرة . مصر القوية . لن تمكن لنفوذ اجنبي فى بلادنا ، وانهم يعلمون اننا لم نقبل نفوذهم وانهم يعلمون اننا لم نقبل سيطرتهم ، وانهم يعلمون أن مصر اليوم .. مصر الثائرة التى ثارت فى ٢٣ يوليو قد آلت على نفسها ان تقضي على النفوذ الأجنبي قضاء مبرما .. وانها قد آلت على نفسها أن تقضي على الاستبداد الأجنبي وعلى التحكم الاجنبي .. انها قد آلت على نفسها أن تسير قدما الى الأمام حرة حرية حقيقية لها سياسة خارجية تنبعث من نفسها وتنبعث من ضميرها لا تنبعث من معسكر من المعسكرات ..»

« انهم يعلمون هذا .. وانهم حينما يتكلمون عن النفوذ انما يتذكرون نفوذهم . هذا النفوذ الذى انتهى .. وهذا النفوذ الذى مضى .. ونحن سندافع عن حريتنا .. سندافع عن استقلالنا .. وسنكافح من اجل استقلالنا ، والله يوفقكم .»

* * *

كسر احتكار السلاح كان السبيل الوحيد لايجاد جيش وطني قوى بعيدا عن مناطق النفوذ .. جيش يستطيع ان يحمي الاستقلال . وهو احد المبادىء التى قامت من اجلها الثورة ووضعته ضمن اهدافها الستة الاولى ولكن الاستعمار لم يكن يريد ان تحمى مصر استقلالها . ولا ان تقيم الجيش الوطني القوى .

الاستعمار يريد دائما ان تبقى البـــلاد التى استعمرها فى حالة من الضعف ، لا تمكنها الا من الاعتماد عليه هو نفسه ، ليحميها .. ويحل مشاكلها ، ليطعمها ، ويمولها ، ويضع برامج لتنميتها .. برامج هى غالبا لا تزيد عن رصف طرق .. وعلاج امراض ، ومراكز ابحاث يعمل فيها خبراؤه بستكشفون ، ويدرسون ، ويكون ابنـاء هذه الشعوب هم الفئران التى تجرى عليها التجارب ليستفيد العلم وينمو فى الدول الكبرى التى تستعمر .

ولقـد رأينـا ذلك فى المعونات الامريكية ، رأيناه فى النقطة الرابعة ، ورأيناه فى برنامج فولبرايت ، وفى غيرها من المشروعات التى قامت برأسمال غربى امريكى ، واحيانا ضمن اطار بعض ما تقوم به الامم المتحدة من برامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب . وكان ابرزها واشـدها وضوحا موقف البنك الدولى للانشاء والتعمير من قضية تمويل بناء السد العالى .

* * *

هل كان يمكن ان يسلح الغـرب مصر ، او الدول العربية حتى تقوى ، وتدافع عن نفسها ، وترفع الظلم الواقع على شعب عربى طرد من بيـوته وقراه ومدنه ، وتحول الى شعب من اللاجئين ، والعائدين والنازحين .. هو الشعب الفلسطينى .

ان الســـلاح الذى كانت تريده مصر لخلق جيش قوى يحمى استقلالها . ويحمى بناءها ضد اعدائه . ابرز اعداء البناء الجديد هو الاستعمار ذاته ..

كان تسليح مصر فى نظر الغرب يعنى انها ستواجه بالســلاح القاعدة الاستعمارية التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ..

هل يمكن ان يمد الغرب الدول المتحررة بالسلاح الذى يمكنها من مواجهة قواعده .. ذلك ان فوق طاقة التصور ..

ففي الوقت الذى كان الغرب فيه يرفض أن يعطى مصر سلاحا بالثمن ، وكان يضع عقبات ومعوقات عديدة تحول دون تسليح الجيش المصرى ، وتقويته ، وهو من أهم ما قامت من اجله الثورة المصرية ، ومما قوى تنظيم الضباط الأحرار وزاده تماسكا بعد الهزيمة العسكرية فى حرب ١٩٤٨ ، ان أحس الضباط بالذات ان من أبرز اسباب النكبة قلة السلاح ، فضلا عن فساده ، وهو أمر اتفق عليه الاستعمار ، واعوانه وكان بينهما لقاء حوله .

أن يوجد حكم متحرر الى جانب قاعدة استعمارية يعنى أمرا واحدا ، هو أن يظل كل منهما متربص بالآخر .. الحكم الوطنى المتحرر يحس بالقاعدة كشوكة فى جانبه والقاعدة الاستعمارية ـ اسرائيل ـ تعرف أن الحكم الوطنى لن يهدأ حتى يواجهها مواجهة سافرة لكى يؤمن نفسه ، وينطلق يحقق أهداف شعبه ...

والقاعدة الاستعمارية التى زرعها الغرب فى قلب الأمة العربية هى بطبيعتها ذات أهداف ، وخطط ، وابعاد .. هى نفسها تريد أن تتسع ، وفى خطتها تستولى على ما حولها من الدول .. كلها .. كلهـا ...

اذن فسوف يظل الموقف مشدودا ...

الدولة الجديدة فى مصر .. تريد أن تخلق جيشا قويا .

الجيش القوى يعنى مواجهة لهذه القاعدة التى خلقت لا لتوجد فقط ، بل لتنمو وتتدعم .. وتكبر .. وتبتلع ما حولها .. أرضا ، واقتصادا .. بشرا ، وانتاجا ولتمارس مخططا استعماريا رسم لها لتنفذه عندما يلزم الأمر .

وبرغم ان الاستعمار فرض على المنطقة تخلفا جعلها متاخرة عن ملاحقة التطور الحديث فى العالم ، فانه فعل العكس فى قاعدته فهو يعاونها ويدعمها ، ليدعى أنها البؤرة الحضارية وسط هذا المحيط المتخلف ، ولتخفيف من حولها بهذا التقدم الذى يمكن لها من تحقيق أغراضها بالحرب مرة ، وبالسلم مرات عديدة ..

كان من المنطقى اذن ، وفى ظل كل هـذه الظروف ، أن لا يمد الاستعمار مصر بالســلاح الذى يمكنهـا من خلق القوة الدفاعية والرادعة .. فى الوقت الذى تنهال فيه الاسلحة على اسرائيل .. بالثمن وبغير الثمن وبالنقد من المعونات التى تصلها من نفس دول الغرب ، وبالتقسيط من هذه الدول أيضا ..

ولكن المنطق الاستعمارى يثير هنا مســألة جديدة هى التوازن .. التوازن فى التسليح من أجل الحفاظ على السلام .. والحفاظ على السلام هنا يعنى الحفاظ على حالة الاستعداد للحرب .. ويعنى الحفاظ على بقـاء النفوذ الأجنبى .. والارتباط به فى التسليح

كل ذلك باسم أسطورة ميزان القوى ، والرغبة فى السلام (١) ، « اما أسطورة ميزان القوى ، وأما أسطورة السلام فلها قصة غريبة .. وهى تعنى قبل كل شيء .. الابقاء على القـاعدة الاستعمارية، والحفاظ عليها ..

« وهذه قصة طويلة .. لها قصة مريرة .. انها خدعة كبرى يريدون أن يموهوا بها على الرأى العام العالمى » .

« وانى أحب اليوم أن أعلن باسم مصر للراى العـــام العــالمى حقيقة هذا القول ، حقيقة هذه الخـدعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضى ، والاعتداء اليهـودى المدبر الذى وصفه مجلس الأمن بأنه اعتداء وحشى على جنود آمنين مطمئنين . لقد كان هـذا الاعتداء نقطة تحول أيضا ، لقـد كان هـذا الاعتـداء الذى دبره بن جوريون والذى شـكر من اجـله أفرادا من الجيش الاسرائيلى لتنفيذهم هذا الاعتداء الوحشى » .

« لقد كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر وانا احمد الله على هذه المصيبة التى حلت بنا فانها تمكننا من أن نستطيع أن نتلافى مصائب اكبر .

---

(١) ٢ اكتوبر فى الكلية الحربية ١٩٥٥

« لقد كان هذا ناقوس الخطر ومنذ ذلك اليوم بدأنا نتنبه ومنذ هذا اليوم بدأنا نبحث ومنذ هذا اليوم بدأنا ندقق فى تعرف السلام وفى معنى السلام .. وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هذه المنطقة فماذا وجدنا أيها الاخوان ؟ لقد وجدنا أن هناك تحيزا لعدوكم ، تحيزا لاسرائيل واننا استطعنا ان نحصل على معلومات إكيدة تثبت أن من يقولون انهم يريدون فى هذه المنطقة توازنا فى القوى ويريدون فى هذه المنطقة السلام .. يعملون على منع السلاح عنا ، ويعملون فى نفس الوقت على تموين اسرائيل بالسلاح ، وقد استطاعت المخابرات المصرية ان تحصل على وثيقة رسمية فرنسية تقول ان أمريكا وان انجلترا تمدان اسرائيل بالسلاح وتقول هذه الوثيقة الفرنسية ان أهم معدات القوات العسكرية الاسرائيلية الثقيلة مصدرها امريكى بريطانى وها هى على سبيل المثال بعض المعدات التى حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا :

« ٢٠ طائرة متيور ، ٥٠ طائرة موستانج ، ٢٠ طائرة موسيكيتو ، ٧ طائرات نقل ، ١٠٠ عربة مصفحة شرمان ، ١٥ عربة مصفحة تشرشل ، ١٠٠ مدفع عربة فاج هاون ، ٧٠ مدفع ميدان .

« وقالت أيضا هذه الوثيقة الرسمية الفرنسية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا واسرائيل لبيعها طائرات متيور ودبابات من طراز سنيتوريون . وقالت أيضا أن أمريكا سلمت من جانبها الى اسرائيل ١٢ طائرة ب.ت ١٧ ، هذا ما حوته الوثيقة الفرنسية وهى طبعا لم تحو ما سلمته فرنسا نفسها الى اسرائيل ، وقد قرأنا فى الأسبوع الماضى فى احدى جرائد اسرائيل وهى جريدة دافار على وجه التحديد أن فرنسا تعاقدت مع اسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وتعاقدت أيضا على أن تسلمها عددا من طائرات المستير النفاثة .

« هذا يا اخوانى هو التوازن كما يفهمونه ، وهذا هو السلام كما يفهمونه .. التوازن هو ان تسلح اسرائيل ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب .. التوازن هو أن تقول صحفهم ان جيش اسرائيل

يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. التوازن هو أن تقول صحفهم سواء فى أمريكا او فى انجلترا أن اسرائيل تستطيع أن تحشد فى الميدان ٢٥٠ الف جندى أكثر مما تستطيع الجيوش العربية جميعا أن تحشد .. التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهى تشعر بهذا بالافتخار وبالزهو ان جيش اسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

« هـذا هو التوازن الذى يموهون علينا به اليوم ، وهـذه يا اخوانى هى الخديعة الكبرى التى يحاولون اليوم أن يخدعوا الرأى العام العالمى بهـا .

« وانى أريد أن أقول لكم ان هذا لن ينطلى علينـا أبدا .. لقد سلحوا اسرائيل ومنعوا عنا السلاح لماذا ؟.. لأنهم يريدون أن نكون ضعفاء تحت رحمتهم ونطلب اليهم دائما أن ينجـدونا وأن يدافعوا عنا .. وان يجعلونا تحت حمايتهم وتحت تصريحهم الثلاثى لا

* * *

الحياد الايجابى وعدم انحياز موقف الزم ما يكون لدول آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية .. لدول العالم الثالث كله ..

واذا كانت معظم دول أمريـكا اللاتينيـة لا تزال تقع تحت الضغوط او السيطرة أو النفوذ الأمريكى واذا كانت معظم دول آسـيا موزعة بين دول تدخل ضمن الكتلة الشرقية ، واخرى خاضعة للنفوذ الامريكى ..

واذا كانت بعض دول أفريقيا استقلت ، وبعضها الآخر مازال يواصل كفاحه من اجل الاستقلال ...

فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحيـاز هى سياسة المستقبل بالنسبة لهذه الدول كلها ، وان كان المناخ السياسى فى العـالم يجعل دول أفريقيا بالذات اقرب الدول التى عليها تتبع سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ■

ان عدم الانحياز ليس موقفا سلبيا فمعنى عدم الانحياز والحياد الايجابى هو أن سياستنا تقرر وفق مصلحتنا وفق ما يمليه عليه ضميرنا .. هذا هو الفرق بين الحياد الايجابى ، وبين الحياد السلبى ، وهو يبنى اساسا على ان اى دولة ليست منفصلة عما يدور فى العالم ، وان كل مشكلة تؤثر فيها لذلك فانه يجب ان يكون لها راى وموقف فى مشكلات العالم المعاصرة ، وابرزها الاستعمار والتحرر ، وحق تقرير المصير ، ونزع السلاح ، والتفرقة العنصرية وغيرها ، وذلك باعتبار ان الدولة تدرك انها لا يمكن أن تعيش فى عزلة وأن ما يدور فى العالم ينعكس عليها ، لان اى كسب السلام هو كسب لشعوب العالم جميعا لذلك لا بد أن تتفاعل الدولة مع الأحداث التى تدور من حولها .. ومعنى ذلك ان دول الحياد عليها ان تعمل باستمرار لتأكيد هذه المبادىء متفاعلة مع بعضها .. وان يكون لها دور فى توجيه سياسة العالم فى السلم نحو التعاون المشترك .. وتجنيبه ويلات الحروب ، وابعاد شبحه ، وتخفيف حدة التوتر الدولى ..

ولقد ادى الى هذا الموقف الذى لعب عبد الناصر دورا أساسيا فيه ظروف العالم ، والتقدم الهائل الذى حققه بحيث اصبح من العسير حصر اى نزاع فى منطقة معينة ، وفى داخل حدوده ، وفى نفس الوقت اصبح من العسير ايضا ان يقف تأثير اى نزاع فى منطقة ولا يتعداها الى غيرها ..

ان الحرب العالمية ادت الى انقسام العالم الى معسكرين كبيرين مختلفين فى الاتجاهات والافكار والاهداف يتربص كل منهما بالآخر ويقف امامه ، لذلك كان لا بد من بروغ قوة ثالثة تقف بينهما تسهم فى تسيير امور العالم ، وتساند قضايا التحرر وتعمل للتخلص من بقايا الاستعمار والتبعية ، قوة مصلحتها الاساسية فى ان تتحرر ، وأن تدعم السلام وان تواجه الاستعمار الذى كان طبيعيا بعد الثورة الصناعية الهائلة ان يحشد مزيدا من طاقاته لكى يمتص المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعه الضخمة من الدول

الصغيرة ، والمستعمرة ؟ والحديثة الاستقلال .. واصبح واضحا ان الغزو الاستعماري لم يعد يقف عند حدود الدول الكبرى . امريكا وانجلترا ، وفرنسا ، بل لقد راينا دولا اوربية اخرى تبذل جهدها لكي يستمر استعمارها ، او غزوها .. والصورة البارزة لذلك هي البرتغال ، وبلجيكا ، وغيرها .

لذلك كان موقف الناصرية واضحـــا « فنحن نؤمن بحتمية انتصار الحرية ، ونؤمن بوحدة انتصار الحرية ، ونؤمن بأن الحرية غير قابلة للتجزئة ، بمعنى اننا لانستطيع أن نؤيد الحرية في مكان ولا نؤيدها في مكان آخر .. واجبي أن أؤيد الحرية ، في كل مكان ، وواجبنا كشعب قاسي من الاستعمار وقاسي من العدوان أن نستنكر العدوان في اي مكان » (١) .

ومن اجل ذلك ياخذ عبد الناصر مبدأ الحياد الايجابي ..

ويشرحه عبد الناصر ، ويفرق بينه وبين الحيـــاد السلبي التقليدي الذي عاشه العـــالم من قبل مؤتمر باندونج ، وخروج الكتلة الثالثة الى العالم تحمل مبدأ جديدا .

يقول عبد الناصر « ان الحياد السلبي لا يهمه باى حال من الاحوال ما يحدث في اى جزء من اجزاء العالم » .

« اما الحيـــاد الايجابي فهو يعني اننا لا ننحاز ولا نتحيز في سياستنا او في احكامنا وانما تكون سياستنا مبنية على مقتضيات الامور . ثم على ما يمليه علينا ضميرنا وبهذا نستطيع أن نعلن راينا مؤيدا لحرية الشعوب ولحق الشعوب في تقرير المصير . وايضا سياستنا مبنية على مبدأ آخر وهو اننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا ولكن من مصلحتنا أن تكون في سلام وصداقة مع جميع الدول واننا في هذا ليست لنا اى أهداف او نوايا في معاداة اى دولة وهذه كانت سياستنا دائما مع الولايات المتحدة الامريكية كما نسعى الى صداقة جميع الدول على اساس من المساواة ومعاملة

---

(١) عبد الناصر يبور سعيد ١٩٦١ .

الند للند . ولكنا حينما قابلنا الضغط من أجل أن نشترك فى منظمات للدفاع عن الشرق الأوسط على غير رغبتنا . كان علينا ان نجابه هذه الضغوط وكان علينا ان ندافع عن حقنا فى اختيار السياسة التى تلائمنا . وحينما سحب تمويل السد العالى بطريقة اعتبرت طريقة مهينة لنا جابهنا هذا كعمل موجه الى كرامتنا وموجه من اجل تقويض الأوضاع فى داخل بلدنا . . جابهنا هذا بالعمل الذى يحفظ علينا كرامتنا . هذه كانت سياستنا دائما بالنسبة للولايات المتحدة كما هى بالنسبة لجميع الدول » .

* * *

ولكن اذا كانت هذه هي مبادؤنا ، فماذا يكون الموقف اذا اعتدى علينا .. فماذا يكون موقفنا من المعتدى ، وهل معاداته تعني كسرا لمبدا الحياة الايجابى الذى اختارته الناصرية منهاجا لها ..

الفكر الناصرى يرى انه اذا اعتدى على اية دولة ، فلها ان تدافع عن نفسها ، وأن تحمل السلاح لتأكيد حريتها فى مواجهة خصمها ، والمعسكر الذى ينتمى اليه ..

وهذا لا يعنى خرقا لمبدأ الحياد الايجابى ، ولكنه قد يكون من الافضل أن يسمى ذلك بانه تأكيد لمبدأ الحياد الايجابى ذاته

« ما هو التعايش السلمى ؟ ! (١) »

« التعايش السلمى هو الا يعتدى احد علينا لان اى واحد يعتدى علينا لا نستطيع أن نتعايش سلميا معه ولابد أن نرد العدوان .

« التعايش السلمى شيء يقال كهدف واذا اعتدى أحد علينا كما اعتدت علينا بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فكيف أقول اننا لن نحاربهم ؟ . »

« التعايش السلمى معناه جهود من جميع الناس من أجل ان يعيشوا فى سلام على أن يكون هذا السلام قائما على العدل طبعا . »

---

(١) فى المؤتمر الصحفى الدولى اكتوبر ١٩٦٣ م

« سياسة الحياد الايجابي سياسة قائمة على احترام حيادنا ولكن نفرض ان معسكرا هاجمنا هل نقول لن نحاربه لاننا حياد ايجابي ؟ »

« ينتهي فورا بالنسبة للدول التي تهاجمنا . سياستنا تجاهها كحياد ايجابي ويصبح علينا ان نرد العدوان ونستخدم حقنا المشروع في الدفاع عن بلدنا .

« اذا سياسة التعايش السلمي هي سياسة ننادي بها ونعمل من اجلها على أساس الا نتعرض للعدوان واذا تعرضنا للعدوان لا يمكن أن يكون بيننا وبين من اعتدى علينا تعايش سلمي » .

* * *

معركة بناء السد العالي طويلة ومريرة ، وهي احد معارك الناصرية ضد الاستعمار ..

وكانت المواجهة الصريحة بتأميم قناة السويس .

« قدم لنا مشروع السد العالي في ١٩٥٢ ووضعناه موضع الدراسة وقابلتنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهي بعد عشرة سنوات . واتصلنا بالبنك الدولي وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة في التمويل . وقال أن فيه عقبات فهناك الانجليز واسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع . وليس عندكم نظام برلماني فنطلب منكم عمل استفتاء على هذا المشروع »

« بعد مفاوضات من اجل السد العالي سحبوا تمويل السد العالي وردينا عليهم بعد ٣ ايام من سحب تمويل السد العالي او اربعة (١) »

« ثم بعد هذا حينما اجمعنا على بناء السد العالي لم نتردد في تأميم قناة السويس لنسترد اموالنا ونبني السد العالي ... والسد العالي الذى اراد له الاستعمار الا يظهر الى الوجود ... انه اليوم

(١) مارس ١٩٦٥ م .

حقيقة واقعة . (١) »

« السد العالى علشان ينبنى خضنا معارك .. تأميم قنال ..، التهديد .. الحصار الاقتصادى ، تجميد أموالنا .. العـــدوان الثلاثى .. الحرب النفسية .. المؤامرات . (٢) »

وبدأت معركة ثانية مع الاستعمار .. فى هـذه المرة معركة حربية مسلحة .. ولكن القائد . كان مستعدا لها ومن خلفه جموع الشعب كله .

« حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القنـــاة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المغتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقاتل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادىء التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الانذار البريطانى والفرنسى بأنهم يطلبون تسليم بور سعيد والاسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة والا فسيتدخلوا فى الحرب اللى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بينا وبين اسرائيل .. رفضنا هذا الانذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى، وكنا نواجه معركة مع اسرائيل ، وفى نفس الوقت فى انتظار عدوان .. اما فى بور سعيد أو فى الاسكندرية او عن طريق ليبيا لأن القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم تشعر ابدا باننا قد نخسر هـذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى هى فرنسا وبريطانيا ومعهما اسرائيل .. (٣) »

وكانت حرب السويس معركة أخرى من معارك دول العـالم كله التى ترفض التبعية ، وتصر على حريتها ..

ولعل ابرز ما اسفرت عنه حرب السويس أن الشعوب الصغيرة التى تصر على نيل حقوقها كاملة ، وتواجـه اكثر الدول شراسة يمكن لها أن تحقق هدفها وأن تنتصر ، ولقد كان ذلك واضحا من

---

(١) ٢٣ يوليو ١٩٦٥ .
(٢) مؤتمر الاتحاد الاشتراكى مارس ١٩٦٥ .
(٣) مارس ١٩٦٥ .

خلال التجربة التى اثبتت قدرة قوى التحرر الوطنى على الصمود والنصر : فلقد كان صمود الشعب المصرى ، وكفاحه وتماسكه عاملا اساسيا فى المعركة ضد الاستعمار المسلح الذى غزا بلادنا وكان وقوف الدول الصديقة الى جوارنا عاملا ثانيا ..

ولقد ادى الانتصار العظيم فى السويس الى الكشف الواضح امام العالم لدور اسرائيل كدولة عميلة للاستعمار ، وقاعدة للامبريالية العالمية ، يمكن أن تحركها لضرب قوى التحرر فى المنطقة كما ارادت لها ذلك .. واثبتت تجربة السويس ان الكفاح المسلح هو الوسيلة الأولى للتحرير ، ولتحقيق الحرية ولصيانة الاستقلال.

وفى نفس الوقت فان التجربة المصرية قد ازدادت عمقا من خلال المعركة ، وهذا العمق ، هو الذى جعلها بعد ذلك تشق طريقها نحو التحول الاجتماعى بخطى ثابتة ..

على ان انتصار الشعب المصرى فى السويس كان النهاية الفعلية والحتمية لعصر القرصنة الاستعمارية ، والغزو الاستعمارى ، بعد ان تيقظ ضمير العالم .. فلم يترك هذا الشعب يقف وحده .. ولقد نبه هذا الموقف كثيرا من شعوب العالم الى اهمية الدور الذى يلعبه عبد الناصر وشعبه فى مواجهة الاستعمار وكانت التجربة نموذجا لدول اخرى اعطاها املا ، ووضع امامها عملا يمكن ان تقوم به ..

وخرجت الناصرية من هذه المعركة وقد اصبحت نداء عالميا يعرفه الجميع ، ويتردد صداه فى انحاء العالم ، ويصوغ عبد الناصر تجربة شعبنا المجيدة فى ابان محنة السويس والنتائج التى استخلصها منها فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

« ان الاستعمار الذى جلا عن ارضنا ، طبقا لاتفاق تم تنفيذه فى يونية سنة ١٩٥٦ ، ما لبث أن عاد فى اكتوبر من نفس العام متصورا انه قادر على اخضاع ارادة شعبنا واذلاله واجباره على

الركوع خضوعا لارادة المستعمرين » .

« ان شعبنا الذى عقد العزم على حماية استقلاله ، ورفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت ان تجره الى مناطق النفوذ ، وقاد مقاومة هائلة فى الشرق الاوسط كله ضد حلف بغداد حتى اسقطه . لم يتردد فى مواجهة العدوان المسلح الثلاثى الذى اقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى زحفتا عليه من القاعدة الاستعمارية التى خلقتها المؤامرات الرامية الى ارهاب الامة العربية وتمزيقها وهى اسرائيل »

« ان الاستعمار فى معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه . »

« ان الاستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصرى حاول ان يحقق استقلاله ويبنى تقدمه من احد موارده الوطنية الذى طال استغلال الاستعمار له واحتكاره لكل عائده وقيمته » .

« ان الشعب المصرى باسترداد قناة السويس ضرب الاستعمار واحتكاراته فى الصميم » .

«واثبت صلابته بتحمله العنيد لتبعات اصراره ، الى حد قبول المعركة المسلحة فى وجه قوى زاحفة جرارة » .

« ان الشعب المصرى بشبابه الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو استطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى » .

« ولقد كان التحول الرائع فى المعركة نقطة فاصلة فى حركات التحرير » .

« ان الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده ، لم يعد وحيدا » .

« وانما انقلب الموقف رأسا على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة » .

« ان الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا انفسهم فى عزلة

من الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية له وتضامنا معه » .

((ان الهزيمة المريرة التى مني بها الاستعمار فى حرب السويس انهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة)) .

« ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا » .

« ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا باهدافه غير أسلوبه » .

« ان شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعب ضدها » .

« ان الشعب المصرى استطاع وسط مهرجان النصر العظيم ان يدرك انه لم يحصل على الحرية فى معركة السويس ، وانما هو فى معركة السويس استخلص ارادته لكى يصنع بها الحرية ثوريا » .

« ان المعركة المجيدة مكنته من أن يكتشف قدراته وامكانياته ، وبالتالى أن يوجه هذه القدرات والامكانيات ثوريا لتحقيق الحرية » .

((ان النصر ضد الاستعمار ، بالنسبة لهذا الشعب العظيم ، لم يكن نهاية المطاف وانما كان بداية العمل الحقيقى ، وكان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة الحرب من اجل الحرية الحقيقية وضمانها مزدهرة على أرضه الى الأبد)) .

« ان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم فى السويس هو :

« لمن هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركة الرهيبة ؟ »

« وكان الرد التاريخى الذى لا رد غيره هو أن هذه الارادة لا يمكن أن تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه » .

« ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها .

ضمانات للنصر على الاستعمار

ضمانات ستة تضعها الناصرية كحل لمشاكل الدول المتخلفة فى مواجهة الكتلة الاستعمارية ، وعلى هذه الدول ان تسعى جادة لكى تحققها (١) .

● **اولا ـ انه من المحتم الآن ان تخف قعقعة السلاح ، وان تترك فرصه للمفاوضات الهادئة على اعلى المستويات فانه لا خيار الآن بين امرين . اما المفاوضات واما الحرب** ، وانه يبدو لنا من الضرورى الآن أن يتم اجتماع للأقطاب فى أسرع وقت ولا ينبغى أن يؤثر فينا أن محاولتنا فى نيويورك لم تستطع تحقيق اجتماع على مستوى القمة فى ذلك الوقت بين الرئيس الأمريكى والرئيس السوفييتى .

« فان المفاوضات هى الطريق الوحيد المأمون فى مثل هذا الجو الملبد بالغيوم الآن .

« بل ان المفاوضات هى الطريق الوحيد للسلام القائم على العدل ولا يمكن أن يقوم السلام على قواعد الصواريخ ذات الرءوس الذرية .

● **ثانيا ـ** انه من المحتم الآن ان تبذل كل الجهود لتمكين الامم المتحدة من آداء رسالتها .

« **وبعد كل التغييرات التى طرأت على العالم منذ انشاء هذه المنظمة الدولية فى سنة ١٩٤٥ فانه لا بد لهذه المنظمة أن تلائم ما بين طبيعتها وما بين طبيعة العالم المتحرر . وفى هذا الصدد لا بد أن يمتد التغيير البناء الى الجهاز الادارى للأمم المتحدة ذاتها**

---

(١) مؤتمر بلغراد سبتمبر ١٩٦١ م

باعتباره اداة تنفيذ ارادتها . كذلك لا بد أن يمتد التغيير الى توزيع القوة فى مراكزها المختلفة ولست اتصور ان تبقى مناطق فى العالم دون تمثيل فى مجلس الامن كما لا أتصور أن يبقى بلد كالصين الشعبية بعيدا عن نطاق الأمم المتحدة فى حين أن ربع سكان الأرض يعيشون داخل حدوده . ولا بد للأمم المتحدة بعد ذلك من أن تمارس دورها الذى كانت تحكم به الشعوب التى اقامتها وان تكون مجالا للعمل من أجل السلام ومن اجل التقدم .

« وانه لمن المؤسف أن نرى هذه المنظمة الدولية التى كانت تمثل املا عريضا للبشرية تتحول احيانا الى ميدان للصراع بين الكتل او تجرى المحاولة لاستعمالها كأداة فى يد الاستعمار ثم يصل الأمر بها الى حد ان قراراتها لا تصبح لها فى بعض الظروف من فرص الحياة الا بقدر ما توفره لها سياسة القوى الكبرى » .

« وليس ادل على ذلك من أن قرارات الامم المتحدة بشأن حقوق شعب فلسطين ما زالت بعد سنوات طويلة من الزمان حبرا على ورق لان سياسة بعض القوى الكبرى فى منطقتنا ارادت ان تفرض اسرائيل تحديا لكل قانون ولكل عدل . بل ان المأساة تبدو فى أبعادها الحقيقية اذا ما ذكرنا الواقع التاريخى لما حدث سنة ١٩٤٨ وهو أن الأمم المتحدة والهدنة التى فرضتها فى فلسطين كانت بالذات الستار الذى تسلل العدوان تحته وفى حماه الى تحقيق اغراضه والى احتلال الأرض التى اغتصبها من أصحابها الشرعيين » .

● ثالثا ـ أنه من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم امام الشعوب التى لم تستكمل نموها الاقتصادى والاجتماعى .

« وينبغى لنا ان نذكر انه لا يمكن أن يكون هناك استقرار فى عالم تتفاوت فيه مستويات الحياة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذى نراه الآن . ان العالم الذى نعيش فيه عالم واحد ومصيره فى السلام أو الحرب مصير واحد ، ولقد شاركنا جميعا

فى صنع حضارات الانسان وانتقلت عناصر النور من قارة الى قارة الى مدى التاريخ ومن هنــا فان لكل منا نصيبا فيما انتهت اليه الحضارة الانسانية كلها من التقدم كذلك ساهمنا جميعا فى صنع الرخاء لدى الذين تتاح لهم فرصته اليوم . ومع أنى لا أريد ان اثير احقادا قديمة فان التقدم الصناعى على سبيل المثال فى عدد كبير من بلدان أوربا كان قائما على الثروات التى جرى نزحها بطريقة منظمة من آسيا وافريقا وما من جدال ان احتمالات الأمم فى التقدم سوف تزداد اذا ما توقف الاندفاع نحو التسلح خصوصا فى المجال الذرى منه واذا اتجهت الطاقات الهائلة فى هذا المجال الى خدمة مشاكل التطوير كذلك ما من جدال الى ان احتمالات هــذه الامم تزداد اذا ما تحقق ان الجهود الرائعة فى أجواء الفضاء الآن سوف تصرف لخدمة السلام لتساعد بكل امكانياتها على توفير الرخاء .

« ولا بد فى هذا السبيل من تنظيم عملية المساعدة على التطور بعيدا عن اعتبارات الحرب البــاردة وبعيدا عن نوازع الاستعمار الجديد .

« ولعلنا هنا نستطيع أن نجد الوسائل الكفيلة بدعم هذه العملية التى نراها أمرا حيويا .

● رابعا ـ انه من المحتم الآن وقد تصدت الدول غير المنحازة لمسئولية العمل من اجل السلام ان تواصل هذه الدول ما بدات وان تضع من الجهود المنسقة وراء اهدافها ما يكفل تحقيق هذه الأهداف وذلك عن طريق التعــاون المستمر والتشاور المتصــل وتنسيق الجهود داخل الأمم المتحدة وخارجها وليس يكفى أن نبدأ وانما المهم أن نستمر حتى نصل الى هدفنا الذى هو فى نفس الوقت هدف الانسان طوال التاريخ وعلى امتداد الارض . »

« وعلينا أن نبقى حركتنا من أجل السلام طليقة قادرة ، وعلينا أن نبقيها على أوسع الجبهات وفيما عدا الاتصال المستمر بيننا فان

علينا أن نشجع دائما وأن نمنح تأييدنا القلبى لكل المحاولات الجماعية البناءة الرامية الى تدعيم السلام عن طريق حماية الحرية ودفع التطور .

كذلك علينا ان تكون دائما على اتصال بالمعسكرين المتصارعين فان عدم الانحياز ليس معناه أن نعتزل المشاكل وانما عدم الانحياز أن نساهم ايجابيا فى دعم التفاهم ، وأن نقيم جسورا مفتوحة لمرور الأفكار والآراء عبر الأخاديد السحيقة التى تصنعها الأزمات .

● **خامسا – انه من المحتم علينا أن تكون جهودنا مباشرة ومركزة فيما يتعلق بكل الأهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية أن نتحرر** . وفى هذا المجال فانى أعنى بالذات تصفية الاستعمار باعتباره أصلا من اصول الشر وسببا من أسباب التوتر والقلق المخيف فى عصرنا .

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها أن نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، أن تخلص نفسها وأن تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد فانه يخيل الى اننا نستطيع أن نقوم بما هو أكثر من المجهود الأدبى ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية التى نملك أن نواجهها كما هو أكثر من الاحتجاج » .

● **سادسا – انه من المحتم علينا فى حركتنا نحو اهدافنا ان نحرك معنا كل القوى المستعدة للخير فى العالم وأن نذكر دائما أن** الهدف الذى نسعى اليه يجمعنا مع كل ذوى النوايا الطيبة فى العالم على سعته .

إسرائيل - قاعدة استعمارية - وعنصرية

الفكر الناصرى يقاوم اسرائيل على أساسين من المبادىء العامة ، التي استخلصهما من محصلة نضال الشعب ، ورؤيته لما حوله .. وتحليله لما يدور في العالم ..

● ان اسرائيل قاعدة عنصرية .

● واسرائيل قاعدة استعمارية دخيلة زرعها الاستعمار في قلب الوطن العربى لخدمة أهدافه .

« ففى الواقع فان اسرائيل الى جانب ما تحتويه من عدوان عنصرى ، فهى أيضا عدوان استعمارى ، بل انه لولا العدوان الاستعمارى ، ما تمكن العدوان العنصرى من الاعتداء الذى اغتصبب به ما اغتصب من الأرض الفلسطينية العربية (١) » وان ما حدث في فلسطين خطير ، يوازى في خطورته ما يحدث أمامنا الآن في روديسيا الجنوبية ، ان لم يزد عنه خطورة فالاستعمار اغتصب متخفيا وراء الحركة الصهيونية المتحالفة معه ، قطعة من قلب الأمة العربية وطرد شعبها ، وأقام عليها وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية مسلحة ، تهدد مطالب الحرية العربية . مطالب الوحدة العربية .. مطلب التقدم العربى (٢)

واذا كانت مواقف عبد الناصر بالنسبة لاسرائيل ، والصهيونية

---

(١) مؤتمر القمة العربى الثالث

(٢) مؤتمر عدم الانحياز أكتوبر ١٩٦٤ م

العالمية معروفة ، ومدعمة بكل الاسانيد التى لا تسمح بالافاضة فيها ، الا انه لا بد للدارس لفكر عبد الناصر ان يتعرض لاسرائيل باعتبار انها القاعدة الاستعمارية التى غرست فى قلب الأمة العربية واستخدمت بصفة مستمرة ضد كل مد تحررى فى المنطقة لاعتراض طريقه والقضاء عليه . أو على الأقل تعطيله .

ولما كانت الجمهورية العربية هى قلب الامة العربية وقلعة نضالها الاولى ، فان اسرائيل قد استخدمت لمواجهة كل مد ثورى فيها ..

حدث ذلك سنة ١٩٥٦ عقب تأميم القناة .. لم تكن اسرائيل فى هذه المعركة سوى أداة لتنفيذ مؤامرة لعرقلة البناء الاجتماعى .

وفى سنة ١٩٦٧ كانت أداة مرة ثانية لمواجهة المد الثورى التحررى فى المنطقة العربية ، والذى ينطلق من القاهرة ..

واسرائيل فى الفكر الناصرى جزء من الحركة الصهيونيةالعالمية التى تسعى الى أن تسيطر على العالم على اساس عنصرى ، فاليهود هم شعب الله المختار ، وعليهم ان يخلفوه على الأرض .. والحركة الصهيونية تحولت الى حركة سياسية منذ القرن التاسع عشر ، ولقد ساعد على تحقيق هذا الحلم مؤثرات وعوامل دولية عديدة ، منها ما سمى باضطهاد اليهود فى العالم ، ونمو الراسمالية العالمية التى جعلت اليهود يتطلعون الى مزيد من الاستثمارات فى بلاد اخرى ، ومنها أيضا ظهور المد القومى ، وبروز فكرة القوميات ، فاستغل اليهود كل هذه العوامل من اجل انشاء وطن قومى لهم ، وساعدهم فى نهاية المطاف الوعود التى حصلوا عليها من الدول الاستعمارية قديما ، وهى التى مكنتهم من الأرض ، ثم الدعم المادى والعسكرى الذى ظلوا يحصلون عليه باستمرار من الدول الاستعمارية حديثا فهو الذى يدعم وجودهم ، ويعطيهم مقومات الحياة ويبقى على دولتهم ويحافظ عليها .

ولم يكن غريبا أن تنشأ الحركة الصهيونية فى احضان الاستعمار الذى التقت مصالحه مع مصالحها ، لذلك رأينا كيف

تحمست الدول الاستعمارية لمطالب الصهيونية العالمية التى تتلخص فى ثلاثة أهداف .

انشاء وطن قومى لليهود ، تكوين صندوق لجمع الأموال التى تساعد على الهجرة الى فلسطين ، وجعل اللغة العبرية لغة دولية لليهود فى كل انحاء العالم .

فالمصالح مشتركة ، ووجود قاعدة متقدمة للغرب المستعمر فى هذه المنطقة الحساسة من العالم امر حيوى بالنسبة له .

وتاريخ اسرائيل منذ كانت فكرة خيالية عقد لها مؤتمر فى « بال » بسويسرا سنة ١٨٩٧ حتى يومنا هذا يحكى قصة الترابط الوثيق بينها وبين الاستعمار .

فتصريح « بلفور » مثلا فى راى تشرشل « ينبغى الا ينظر اليه كوعد اعطى لدوافع عاطفية بل كاجراء عملى اتخذ فى مصلحة مشتركة ، وذلك فى آونة لم تكن هذه القضية تحتمل اغفال اى عنصر لمساعدة مادية او معنوية »

ويوضح هذه الحقيقة بن جوريون فى دراسة له عن بعث اسرائيل ومصيرها فيقول : ان دولة اسرائيل هى جزء من الشرق الاوسط من حيث العامل الجغرافى فقط وهو فى جوهره عامل جامد اما من حيث العوامل المصيرية الحاسمة ، مثل الطائفية والحركية والابداعية والانمائية فان اسرائيل جزء من اليهودية العالمية »

والمساعدات التى حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة وحدها لدعمها تزيد هذه الحقائق تأكيدا فقد بلغت المنح التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل من سنة ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ حوالى ٤٠٣٫٥ مليون دولار ، وعندما تقرر بعد ذلك تحويل المنح الى مساعدات منحت سنة ١٩٥٩ فائض اغذية قيمته ٢٠٠ مليون دولار ، وقروضا قدرها ٣٦٩ مليون دولار ومساعدات فنية قدرها ٣٫٥ مليون دولار واجهزة علمية قيمتها ١٠ مليون دولار ، واستثمارات أمريكية قدرها ٩٥ مليون دولار ، وحصيلة بيع السندات الاسرائيلية قدرها ٣٤٧٫٦٤١٫٥٠٠ دولار عدا الاعفاءات من الضرائب والرسوم

التى تمنحها الحكومة الامريكية على ما يحصل من اليهود .

ويوضح عبد الناصر هذه الحقيقة فى عيد الوحدة ١٩٦٧ فيقول: « ان اقتصاد اسرائيل يعتمد على الأموال اللى بتيجى من امريكا ومن المانيا ومن بريطانيا ، السلاح اللى عند اسرائيل بييجى من أمريكا، مجانا ، أو بثمن رمزى ، لتسلح اسرائيل كل هذا لكى تكون قاعدة للاستعمار فى قلب الوطن العربى ، وحاجز يمنع تحقيق الوحدة فى العالم العربى .

* * *

ان المنظمة الصــهيونية العالمية ، تمثل احــد الاحتكارات العالمية بما تملكه .. وما تملكه فى اسرائيل وحدها يمثل نسبة كبيرة فهى تملك ٨٦٪ من الاراضى الزراعية ، وترعى المنظمة ٤٨٠ قرية زراعيــة ، وكانت تملك حتى سنة ١٩٦٨ حوالي ٦٠ مؤسسة اسرائيلية كما تملك أكبر شركات البناء فى اسرائيل ((امسكو)) وهى مساهمة فى أكبر شركة اسرائيلية لبناء منشئات الرى ((ميكوروث)) وشركة العال للنقل الجوى ، وشركة البواخرا الكبيرة لاسرائيل .

والقــروض الأمريكيــة لاسرائيل تمثل ١٦٫٥٪ من رؤوس الاموال الاجنبية وتقدم المانيا الغربية ٢١٫٤٪ من مجموعها ..

ولقد تضاعف حجم المســاعدات الامريكية لاسرائيل بعــد حرب يونيو ١٩٦٧ ..

كل ذلك بينما يبلغ عدد ســكان اسرائيل ٢٫٩ مليون نسمة ومساحة الحدود الغير شرعية لها من عام ١٩٤٨ تبلغ ٢٠٫٧ الف كيلو متر مربع

فالاقتصاد الاسرائيلى يخضع أولا للحركة الصهيونية العالمية المرتبطة بالاستعمار الغربى ..

والتمييز العنصرى فى اسرائيل حقيقة ... ليس فقط لانها دولة

تقوم اساسا على العنصرية فانها تميز بين العرب واليهود ، بل بين اليهود الشرقيين والغربيين .

« ان الكثير من اليهود الشرقيين مفعمون حقدا ضد اليهود الاوربيين (١) .

ودور الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل لا ينحصر فقط فى المعونات التى تقدمها ، ولكنه يتمثل ايضا فى الدعم المادى ليس عن طريق القروض والاعانات بل باستثمار راس المال فى تنمية القطاع الراسمالى عن طريق المشروعات وتملك الولايات المتحدة ٣٧٫٥٪ من المؤسسات التى تنتج ٤٢٫٥٪

● الراسماليون الأجانب الغربيون يتمتعون فى اسرائيل بمزايا عديده بموجب القانون الخاص بتشجيع راس المال الاجنبى الذى صدر فى سنة ١٩٥٠ والذى يعفيهم من الضرائب والرسوم الجمركية .

● هناك شركات امريكية كاملة وضخمة تسيطر على الاقتصاد الاسرائيلى .

« اما الدعم المعنوى فقد بدأ منذ وضع حجر الأساس لدولة اسرائيل فقد ظهر أن السياسة الامريكية تستعد لوضع قدمها فى الشرق الاوسط عن طريق اسرائيل وخاصة فى فترة التنافس الانجلو امريكى .. لذلك أيدت الولايات المتحدة على الفور وعد بلفور سنة ١٩١٧ »

وقد أسهمت الولايات المتحدة بعد ذلك فى تجريد انجلترا من انتدابها على فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد سارت سياسة الدعم المعنوى وتأييد الوجود الاسرائيلى والدفاع عنه بعد ذلك الى حد أصبح واضحا ومكشوفا وبارزا بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ »

---

(١) مجلة ليوندوك ...

× **الدعم العسكرى** : وهى قضية لم تعد تقبل المناقشة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ايضا فقد وصلت الى حد أن ضمنت لها التفوق العسكرى على كل الدول العربية لحمايتها . والى حد عدم المبالاة بالتضحية بالمصالح الامريكية فى المنطقة حفاظا على القاعدة العدوانية ، بما تحمله من أهداف استعمارية ، وأيضا بما تحتويه من اموال امريكية ، وغربية عموما .

ويشرح الدكتور جمال حمدان التزاوج بين اسرائيل والاستعمار فيقول (١)

« لقد كان من المستحيل منذ البداية ان يتحقق الحلم (الصهيونى) الا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيا على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة فيكون الوطن اليهودى قاعدة تابعة وحليفا مضمونا أبدا يخدم مصالح الاستعمار وذلك ثمنا لخلقه اياه وضمانه لبقائه وعلى طريق هو المصلحة الاستعمارية المشتركة تحرك ارتباط الصهيونية بالامبريالية بحسب تحرك مركز الثقل فى زعامة الامبريالية ، فكانت بريطانيا هى التى خلقت الوطن القومى منذ الحرب العالمية الاولى . كما خلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية منذ الحرب العالمية الثانية » .

ثم يحدد الدكتور حمدان على وجه التفصيل الدقيق سمات الكيان الاستعمارى الصهيونى المجسم لاسرائيل فى الأبعاد التالية :

اولا — ان اسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفة قامت على اغتصاب غزاة اجانب لأرض لا علاقة لهم بها دينيا أو تاريخيا أو جنسيا (عرقيا) .. وبهذا فعودة اليهود الى فلسطين بالاغتصاب هو غزو وعدوان غرباء لا عودة ابناء قدامى أى استعمار لا شبهة فيه بالمعنى العلمى الصارم .واسرائيل التى تمثل جسما غريبا ودخيلا مفروضا على الوجود العربى ، وابدا غير قابل للامتصاص

---

١ — البرنامج التثقيفى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى

ولكنه حتى الآن غير ممكن اللفظ وبين هذا وذاك يبقى عنصر اضطراب وتهيج مضاعفات سياسية ، وبتعبير آخر يبقى بؤرة حرب كامنة ومفجر صدام استعمارى مسلح .

ولعل الأحداث المتتالية والمتواصلة منذ انتفاضات القدس ويافا وصفد والخليل وغيرها فى أوائل العشرينيات حتى حرب سنة ١٩٤٨ ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ وما اتصل بينها من صدمات ثم المعونة المحتملة والتى لا يعرف مداها ولا يحسب أمدها .. لعلها كلها تؤكد غرابة هذا الجسم الاستعمارى من الوجود العربى بشكل عام .

ثانيا ـ اسرائيل استعمار طائفى بحت والدولة دولة دينية صرفة اذ تقوم على تجميع اليهود : واليهود فقط فى جيتو (حارة يهود) سياسية واحدة وبربط التجمع الدينى لليهود بتجمع لهم أيضا على أساس عنصرى خالص ورغم ان اليهود ليسوا عنصرا جنسيا فى أى معنى بل جماع ومتحف حى لكل اخلاط الاجناس فى العالم كما يدرك اى انثربولوجى فان فرضهم لانفسهم كامة مزعومة مذهبية فى دولة مصطنعة مقتطعة يجعل منهم ومن الصهيونية حركة عنصرية أساسا وذلك بكل معنى العنصرية من استعلاء وتعصب واضطهاد ودموية .

ثالثا ـ اسرائيل قطعة من الاستعمار الأوربى عبر البحار ، جزيرة أوربية وحضارية على السواء وككل دعاوى الاستعمار الأوربى عبر البحار وتبريرا لاغتصابها لم تتورع اسرائيل عن أن تدعى رسالة الحضارة والتطور فزعمت نفسها واحة التقدم فى صحراء الرجعية العربية وجزيرة الصناعة فى بحر التخلف الشرقى

هذا الزعم فضلا عن فائدته الدعائية بالنسبة لصورة اسرائيل أمام العالم هو أيضا يقوم على تطلع راسمالى استعمارى يتصور اسرائيل على مدى اطول وبفضل المزيد من التوسع الاقليمى مصنعا للانتاج وترسانة للسلاح بينما الأرض العربية من حولها والأرض الافريقية على أرباضها سوقا مفتوحة مستهلكة لثمار التقدم

الصناعى مبهورة بانجازات التكنولوجيا التى تجسدها وتستثمرها اسرائيل .

وهذا الزعم أيضا يتهدده وقد تهدده فعلا قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانطلاقتها نحو بناء مجتمع صناعى يستفيد بانجازات العصر رغم كل ما شاب المسيرة من سلبيات ويطرح نفسه خاصة على مستوى العالم الثالث فى صورة مد تحريرى وتقدمى راسخ الجذور على أرضه منفتح الفكر على عالمه وعصره ومن هنا كان تركيز اسرائيل ومن ورائها قوى الامبريالية العالمية على محاولة تحطيم هذا النظام بكل وسائل التحطيم بمحاولة احتوائه أو التخريب عليه من الداخل أو اشغاله والاثقال عليه وأخيرا بالمواجهة المسلحة ضده للقضاء عليه فى ضربة خاطفة مركزة واحدة ظلت اسرائيل تعد لها وتدعم من اجلها على مدى عشر سنين .

رابعا - اسرائيل استعمار سكنى فى الدرجة الاولى .. لكنها جمعت اسوا ما فى النماذج المعروفة والكلاسيكية لهذا النمط من انماط الاستعمار كما أنها اضافت الى هذا ما هو أسوأ منه : هى كاستراليا والولايات المتحدة انتظمت قدرا محققا من ابادة الجنس (مناحم بجين مثلا يصف مذابح الأسر العربية على يد عصابات الارهاب الصهيونى بأنها عمل رائع من اعمال الاستراتيجية العسكرية) وهى كجنوب أفريقيا تعرف قدرا محققا من العزل الجنسى ، ولكنها تختلف عن الجميع من حيث انها طردت كل السكان الأصليين خارجها تماما ليتحولوا الى لاجئين معلقين على حدودها .

هذا الالتقاء والتداخل العميق بين مصالح الصهيونية والامبريالية العالميتين هو مفتاح الوجود - والمصير الاسرائيلى برمته وهو الذى يفسر كثيرا من مظاهر الغرابة والتفرد فيه ، فالاستعمار العالمى هو الذى خلق اسرائيل بالسياسة والحرب وهو الذى يمدها بكل وسائل الحياة من اسلحة وأموال ثم هو الذى يضمن بقائها ويحميها علميا .

اسرائيل اذن استعمار من الدرجة الثانية صنو استعمار من الدرجة الاولى وهى الآن اقتصـــاديا مؤسســة للاحتكارات والاستثمارات الغربية والامريكية بدرجة دولة كما انها استراتيجيا قاعدة عسكرية وترسانة مسلحة للغرب وحاملة طائرات امريكية ثابتة والأسطول السادس الأمريكى وجد لحمايتها كأنه اسرائيل العائمة والمصالح هنا متبادلة خاصة على نطاق العلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحد كما ان اسرائيل تقوم بدور (كلب الحراسة) بالنسبة لمصالح أمريكا فى المنطقة العربية ولاستمرار هذه المصالح بين الاحتكارات الأمريكية بعيدا عن قدرة العرب على تأميمها أو حتى استثمارها لصالح شعوبهم وتقوم ايضـا بدور وكيل الاستعمار المتلصص على أسواق العالم الثالث وموارده خاصة فى القارة الافريقية كذلك فان الصهيونية العـــالمية تمارس على الولايات المتحدة والمعسكر الغربى من ثم شتى الضغوط لحساب اسرائيل .

وبمثل ما ظل هيوبرت همفرى مســاعد الرئيس الامريكى السابق لندن جونسون يتملق اسرائيل واصفا اياها بقلعة الحضارة ومنارة التقدم فى الشرق الأوسط بمثل ما نجد (اشكول) رئيس وزراء اسرائيل السابق يقول : اننـــا فى ســاعات الخطر نتطلع باطمئنان الى الولايات المتحدة .

وهنا علينا ان نتذكر قول (وايزمان) انه كان قد اتفق مع دوائر الاستعمار الاوربى على تسليم اليهود فلسطين « خالية من العرب » .

كما أن علينــا أن نلمــح السلوكية الصهيونية داخل الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ وهى التى تسير باستمرار باتجاه نسف البيوت بدعوى الاشتباه فى ايوائها لعناصر المقاومة الفدائية وهى أيضا ومنذ انشاء اسرائيل لا تنفك عن محو وتغيير معالم الأرض المحتلة واطلاق أسماء عبرية مستمدة أو منحولة من تراث التعصب الصهيونى وادبياته على معالم اسلامية ومسيحية وكأنما لم يكفها

هذه العملية من الفرد الجنسى شبه الكامل بل هى تعمد الى اعادة حرث الارض . .لتجتث منها جذور الوجود العربى من اساسه . »

خامسا : ان اسرائيل تجسيم للاستعمار المتعدد الأغراض من استعمار سكنى ومن استعمار استراتيجى عسكرى ومن استعمار استغلالى اقتصادى ومن استعمار توسعى يعلن أطماعه الاقليمية بلا اى مواربة تحقيقا لامبراطورية صهيون الموعودة من النيل الى الفرات وهنا ــ كما يبين الدكتور فايز صايغ ــ ترتبط الدعائم الثلاث التى تقوم عليها دولة اسرائيل وهى العنصرية ــ التوسع ــ العدوان .. فالكيان عنصرى يهدف الى التوسع ووسيلة التوسع منطقا هى العدوان والارهاب . »

« ان اسرائيل من البداية الى النهاية استعمار من الدرجة الاولى والثانية معا : استعمار بالاصالة والوكالة فى نفس الوقت ونقصد بذلك ان اسرائيل قامت وأقيمت بفعل ولحساب نفسها والصهيونية العالمية ، وكذلك قامت واقيمت بفعل ولحساب الاستعمار العالمى .. فهى بالنسبة للاستعمار العالمى قاعدة متكاملة آمنة عسكريا .. ورأس جسر ثابت استراتيجيا ووكيل عام اقتصاديا او عميل خاص احتكاريا . »

* * *

كل هذه الحقائق تنبه اليها الفكر الناصرى ..
لذلك يقول عبد الناصر :
ان اسرائيل بالنسبة لنا مسألتين : الأولى العدوان الذى تم على حقوق شعب فلسطين ، وارضه .

والثانية : هى تهديدها مباشر وخطرها التوسعى .. ولسنا فى حاجة الى اثبات ذلك ، فان أحداث ١٩٥٦ تتولى عنا كل الاثبات (١) . »

« وصلة الاستعمار باسرائيل لا تحتاج الى اجتهاد او استنتاج .. أمريكا وانجلترا .. اقاما اسرائيل ، وحميا اسرائيل »

(١) حديث لجريدة الاوبزرفر ، يوليو ١٩٦٤ م .

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك ما تمثله اسرائيل كقاعدة للانقضاض على عمليات البناء فى العالم العربى ، وفى نفس الوقت يشرح قصتها كاملة منذ سنة ١٩٤٨ من الأحداث الواقعية ومن واقع كلمات زعماء اسرائيل أنفسهم ..

فاسرائيل كقاعدة استعمارية ، لا تقنع بأن تكون مجرد راس جسر للاستعمار فى المنطقة على حد التعبير الذى أطلقه عبد الناصر عليها ، بل انها تسعى الى التوسع واحتلال أرض جديدة ، وما حدث فى يونيو ١٩٦٧ لم يكن نهاية اهداف اسرائيل التوسعية .. وهذا ما حاول عبد الناصر توضيحه خلال عام ١٩٧٠ بالذات فى خطابين طويلين احدهما فى عيد العمال والاخر فى آخر **مؤتمر قومى حضره ، وقد يكون من المفيد فى هذه الدراسة** ان ننقل أجزاء كبيرة من خطابه فى عيد العمال بمدينة شبرا الخيمة حيث يشرح عبد الناصر قصة اسرائيل بما تمثله من عدوان منذ بداية التفكير فى انشائها حتى العدوان الأخير وتدبيرها لمؤامرة العدوان فى كل مرة لايقاف تيار التحرر وزحف البناء والتقدم .

ويشرح ايضا مساعدة الغرب وعلى رأسه أمريكا لها ، والمعاونات المتكررة التى تحصل عليها أمريكا بالذات **فيقول عبد الناصر :**

« المصنع وما يمثله من طاقة البناء هو ما نمثله نحن وما تمثلوه أنتم الشعب الطيب الذى عمل دائما من أجل السلام ومن أجل البناء .. والصواريخ والنابالم والقنابل الزمنية الموقوتة هو ما يمثله العدو ومن هم وراء العدو ، ومن يمدون العدو بأسلحة الدمار ، قنابل الدمار .. هذا هو موقفنا وذلك موقفه ..

« نحن نبنى طاقة الحياة والأمل والحرية والعدو يفجر القوى المدمرة للقتل والحريق والخراب ... هذه هى معركتنا مع عدونا ومع من هم وراء عدونا ...

« هذه هى حقيقة الصراع بيننا وبين العدو وليس ذلك جديدا على صراع أمتنا مع العدو ... ليس جديد طرأ بعد معارك ٥ يونيو

حتى نقول ان هذه هى الحرب بمصاعبها وويلاتها .. ولكنها شخصية العدو وطابع العدو ومنطق العدو .. والقانون الذى يحكم كل تصرفات العدو .

« ومنذ وقت طويل كان ذلك كله شخصية وطابع ومنطق العدو والقانون الذى يحكم تصرفه من قبل سنة ٤٨ وفى سنة ٤٨ من مذبحة دير ياسين وقبل مذبحة دير ياسين كلنا نعلم فى مذبحة دير ياسين قتلوا الاطفال وبقروا بطون الحوامل وقطعوا رؤوس الرجال لكى يبثوا الذعر فى نفوس الشعب الفلسطينى حتى يخرج هذا الشعب من أرضه ولكى يهرب من بيوته ومزارعه طلبا للنجاة حتى تخلو الأرض والبيوت للذين لا تربطهم بفلسطين صلة الا صلة الخرافة المدعاة .. تبحث عما كان لفترة قصيرة من الزمان قبل أكثر من الفى سنة وتنسى ما كان حقيقة واقعة لآلاف السنين فى فلسطين .. كنا نحن العرب نريد أرضنا ونريد السلام عليها والحرية من حولها وكانوا يريدون أرضنا ولا سبيل لهم الى ذلك حتى يستولوا على الأرض الا القتل .. ولم يكونوا يخفون رغبتهم فى القتل حتى تخلو الارض الطيبة الطاهرة لمطامعهم واحقادهم .»

« ان زعماء اسرائيل لم يخفوا ذلك الكلام اللى انا باقوله الآن . مش باقوله من عندى . مش باقوله استنتاج . مش باقوله عبارة من نقط متفرقة . ولكن قادة اسرائيل وزعماء اسرائيل قالوا هذا الكلام فى سنة ١٩٤٨ وقبل ٤٨ وبعد ٤٨ . وفى سنة ٦٧ وبعد سنة ١٩٦٧ . أكثر من واحد من زعماء اسرائيل وقف وقال علينا قدام الرأى العام العالمى كله .. نحن نريد أرض العرب . فكيف ناخذ أرض العرب . هل نقنع العرب بأنهم يتركوا لينا ارضهم بالمنطق والحجة ذلك لا يصلح . والسبيل الوحيد اذن هو أن نقتل وأن نثير الرعب والخوف وليس فى ذلك ما ينبغى ان نخجل منه أو نداريه تحت الشعور بوخز الضمير ، هذا هو طريقنا ـ طريق زعماء اسرائيل الى ما نريده اذا كنا نريده ونحن نريده .»

« هذه ايها الاخوة بالحرف الواحد اقوال اكثر من زعيم من

زعماء اسرائيل ـ الى ما نريده اذا كنا نريده ونحن نريده .
زعيم احد الاحزاب قال هذا الكلام فى اسرائيل . موسى ديان قال هذا الكلام فى اسرائيل . وايزمان اخيرا قال هذا الكلام فى اسرائيل . قال .. احنا يجب علينا ان نخجل حينما يقال ان هـذه الأرض محتلة ويجب علينا الا نقبل ان نقول ان هذه الارض العربية يقصد بهذا الضفة الغربية وسيناء والجولان وكل الارض التى احتلتها اسرائيل فى سنة ٦٧ هى ارض محتلة ..

« قال هذه ليست ارض محتلة . لأن هذه الأرض هى أرضنا ويجب الا نشعر بتوبيخ الضمير . حينما نقول هذا وقال أكثر من هـــذا .. ان اسرائيل هى التى حددها هرتزل فى مشروعه اى اسرائيل بين النيل والفرات . هذا الكلام ليس بالكلام الجديد ولكنه كلام قديم قيل فى مناسبات . وهذه الاقوال لم تقتصر على الاقوال بل اقتصرت على الافعـــال . فى سنة ١٩٤٨ كانت دير باسين . فى سنة ١٩٥٦ كانت كفر قاسم والمذابح التى حصلت فى كفر قاسم .. وكانت مذابح خان يونس والمذابح التى حدثت فى قطاع غزة . سنة ١٩٦٧ .. المذابح التى حدثت فى قطاع غزة . والمذابح التى حدثت أيضا فى خان يونس والمذابح التى حصلت فى جميع المناطق المحتلة من الارض العربية .

« هذا هو الدرس الذى يجب علينا أن نتعلمه والذى يجب علينا الا ننساه . منطق العدو أقوال العدو . افعال العدو .. وسوف نواصل معا الدرس الذى يعطيه لنا . دائما تطور الصراع لاننا أيها الاخوة اليوم واكثر من اى يوم آخر . يجب أن نكون على بينة وعلى نور . فذلك وحده سوف يثبت ايماننا وسوف يعطينـــا اليقين الذين يشـــد عزمنـــا ويقوى ايماننا ويقوى ارادتنـــا ويستحق تضحياتنا .. قد كانت كثيرة وسوف تكون فى المستقبل أكثر .. التضحيات التى مرت على طول السنين الماضية قبل سنة ٤٨ فى فلسطين وبعد سنة ٤٨ فى فلسطين وهنا فى مصر على الجبهة . وفى كل مكان .. سنة ١٩٤٨ من الذى بدأ الهجوم . كانت بريطانيا

تحتل فلسطين . وكانت بريطانيا هى الدولة المنتدبة . وسعت بريطانيا وسعت امريكا . وسعت الدول الاستعمارية كلهـا الى الحصول على قرار من الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وصـدر القرار فى سنة ٤٧ . وفى سنة ١٩٤٨ وقبل ١٥ مايو قبل أن تخرج القوات البريطانية من فلسطين وقبل أن تنتهى مسئولية بريطانيا كدولة عينتها الامم المتحدة للانتداب على فلسطين قامت العصابات الاسرائيلية التى كانت مجهزة فى هذا الوقت بالسلاح والعتاد .. والتى كانت تحصن مستعمراتها تحت نظـر الانجليز وبموافقة الانجليز قامت بالاعتداء على العرب وطردهم من منازلهم . بل اكثر من هذا قامت هذه العصابات الاسرائيلية بمهاجمة المدن التى كانت تدخل ضمن القطاع العربى فى مشروع التقسيم الذى اقرته الامم المتحدة .

« قبـل ١٥ مايو سـنة ١٩٤٨ قامت العصـابات الاسرائيلية بالهجوم على يافا وعلى عكا وعلى مناطق اخرى من المنـاطق التى كانت تدخل ضمن الجزء العربى بعد تقسيم فلسطين . وقامت بعمليات ارهاب كبيرة وذلك بمهاجمة المدن وبمهاجمة القرى التى يسكنها العرب بمدافع الهاون والمدافع الرشاشـة حتى يثيروا الرعب والذعر فى نفوس الفلسطينيين فيتركوا بيوتهم وارضهم ويتركوا بلادهم . وقد خرج كثير من أهل فلسطين نتيجة هـذه الغارات الوحشية التى كانت مخططة ومنظمة من قادة اسرائيل وزعماء اسرائيل واصبحوا بعد هذا لاجئين .. وفى هـذه الايام وفى سنة ٤٨ أيضا هاجموا القدس واحتلوا اجزاء من القدس . ولم تكن القدس فى هذه الايام تدخل ضمن الجزء الذى قررته الامم المتحدة لاسرائيل .

« اذن من الذى بدا الهجوم فى سنة ٤٨ ، لقد بدات العصابات الاسرئيلية الهجوم على الشعب الفلسطينى وتدخلت الدول العربية لانقاذ الشعب الفلسطينى من عدوان العصابات الاسرائيلية ولكن اسرائيل اليوم تغالط العالم كله وتقول ان الدول العربية هى التى

بلاد العدوان سنة ١٩٤٨ .. وتقول ان الدول العربية التى طلبت من شعب فلسطين أن يترك فلسطين ويخرج ليكون شعبا من اللاجئين وتحاول بكل الوسائل وقد استطاعت بمساعدة قوى الاستعمار ومساعدة الصحافة التى تسيطر عليها الصهيونيةالعالمية وبمساعدة الصحافة التى تسيطر عليها الدول الاستعمارية أن تجعل جزءا كبيرا من الراى العام العالمى يصدق ما تقوله اسرائيل .. استطاعت بأموالها ونفوذها وبكل وسيلة من وسائلها ان تفهم الناس بل تقنع الراى العام العالمى او جزء كبيرا منه ان اسرائيل كانت ضحية للعدوان العربى واستطاعت أن تمحو فى هذه الايام كل ما قامت به العصابات الاسرائيلية قبل ٤٨ وفى سنة ٤٨ ..

« وأنا اقول هنا ايضا واذكر الجميع أنه بعد الهدنة وبعد انتهاء الحرب احتلت اسرائيل منطقة ايلات وكانت فى هذا الوقت تسمى منطقة أم الرشراش بعد اتفاقية الهدنة سنة ٤٩ . هذا هو منطق العدو وهذا هو أسلوب العدو وفعلا وحقا لم تكن اسرائيل لتستطيع أن تفعل أى شىء من هذه الاشياء وما كانت تقدر أن تعمل اى عمل الا بالمساعدة الوثيقة والمساعدة الغير مشروطة من الولايات المتحدة الامريكية ومن حكام الولايات المتحدة الامريكية .

« بعد سنة ٤٩ وبعد اتفاقية الهدنة ماذا حدث .. كانت هناك لجنة من الامم المتحدة تسمى لجنة المصالحة تتكون من امريكا وتركيا وفرنسا كأمناء وكانت هذه اللجنة موكول اليها تنفيذ قرارات الامم المتحدة التى صدرت فى سنة ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ ولكن هذه اللجنة اجتمعت مرة واحدة .. اجتمعت فى لوزان وحضرت اسرائيل وحضر العرب ولكن اسرائيل رفضت امام هذه اللجنة أن تنفذ اى قرار من قرارات الامم المتحدة واستطاعت اسرائيل أن تنفذ كلمتها بانها انسحبت من الاجتماعات .. ومنذ هذا اليوم هذه اللجنة التى سميت لجنة التوفيق لم تجتمع أبدا .. ولو كانت الولايات المتحدة الأمريكية التى تمثل العضو الاساسى فى هذه اللجنة تريد لحقوق شعب فلسطين التى نصت عليها قرارات الامم

المتحدة أن تنفذ لكانت هذه اللجنة قد اجتمعت مرات ومرات طوال العشرين عاما الماضية .

« ولكن أمريكا لم تكن تريد لحقوق شعب فلسطين أن تتحقق ولكنها كانت تريد دائما لاسرائيل أن تثبت وجودها وان تتوسع على حساب الامة العربية وعلى هذا لم تجتمع هذه اللجنة أبدا ولكنها موجودة فقط فى سجلات الامم المتحدة .

« وعلينا ان نتذكر ايضا ونحن نتكلم عن موقف العدو وعن اسلوب العدو وعن القوى التى تساند هذا العدو الذى يحاربنا ويحتل جزء من اراضينا ، يجب أن نتذكر كيف استطاعت اسرائيل أن تستولى على المناطق المنزوعة السلاح ، والتى تقرر ان تكون منزوعة السلاح فى اتفاقيات الهدنة سنة ٤٩ .. وافقت اسرائيل ووافقت الدول العربية على بعض مناطق منزوعة السلاح فى سنة ٤٩ وكانت هذه الاتفاقة بموافقة ووجود الأمم المتحدة .. ولكن بعد ٤٩ وحتى ١٩٥٥ استمرت اسرائيل تحتل هذه المناطق وتحولها من مناطق منزوعة السلاح الى مناطق بها قوات عسكرية من اجل تهديد الدول العربية المحيطة باسرائيل . واذا انتقلنا بعد هذا الى سنة ٥٦ تقول اسرائيل ويقول قادة اسرائيل اننا قمنا باستفزازات سنة ٦٧ حينما اغلقنا خليج العقبة فلنترك مؤقتا سنة ٦٧ ولنقف قليلا عند اعتمادات القوات المسلحة وكان همنا بعد قيام الثورة أن نبنى بلدنا وأن نحول بلدنا من بلد متأخر وبلد متخلف الى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة كنا نريد أن نكرس كل شىء من أجل أعمال البناء وكنا نريد أن نوجد عملا لكل فرد من ابناء هذا الوطن وعلى هذا الاساس سرنا نعمل لنصفى الاستعمار البريطانى ولنبنى الوطن الحر العزيز الكريم الذى نريده ، ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة اسرائيلية على مدينة غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ وكان الغرض من هذه الغارة أن تفرض علينا اسرائيل التسليم . وكان غرض هذه الغارة والغارات التى تلت هذه الغارة ، نفكر جميعا بعد سنة ٥٥ ومن اول فبراير سنة ١٩٥٥ بدأت الغارة على غزة ثم

استمرت الغارات الاسرائيلية على قطاع غزة وعلى القوات المصرية المرابطة على الحدود وكانت اسرائيل تعلن استراتيجيتها واضحة ولم تكن تنكر انها تريد ان تفرض التسوية التى تريدها .

« ومعنى فرض التســوية هو فرض الاستسلام او فرض التسوية بالسلاح اى ان تفرض اسرائيل آراءها وما تريده على الامة العربية جميعا .

« وبعد هذا اردنا ان نحصل على السلاح من بريطانيا واردنا ان نحصل على الســلاح من امريكا ولكن لم ترض بريطانيا ان تبيعنا السلاح الذى اردناه ورفضت امريكا رغم وعودها فى هذه الايام ان تمدنا بأى نوع من انواع السلاح الذى طلبناه . طلبنا دبابات اعداد قليلة ، وطلبنا طيارات اعداد قليلة ولكن لم نتمكن فى ســنة ١٩٥٥ وكانت اسرائيل فى هــذه الايام تحصل على السلاح أساسا من بريطانيا ومن فرنسا وكانت النتيجة الطبيعية لندافع عن نفسنا أن نعقد صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ وكان لابد لنا ان نقوى قواتنا المسلحة من اجل الدفاع عن بلادنا وكان من الواضح فى سنة ١٩٥٥ ان اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل يعملون عــلى التخطيط وعلى الترتيب لكسر القــوة العربية من اقوال زعمــاء اسرائيل ومن مذكرات زعماء اسرائيل التى نشرت بعد سنة ١٩٥٦ وبعد ســنة ١٩٦٧ كانت اسرائيل تخطط دائما للحرب الوقائيــة وكانت خطــة اسرائيل التى تمكنها من أن تحافظ على ارادتها ». وقال ديان فى مذكراته بعــد حرب ١٩٥٦ أنهم قرروا فى سنة ٥٥ ان يهاجمونا مهما كان الأمر ولكن كانت هناك مشاكل كثيرة وكانت هناك مشاكل صــعبة وكانوا يريدون أن يعتمــدوا على احــدى الدول الكبرى حتى تساندهم وتمدهم بالسلاح حيث يقومون بشن الهجوم .

« وكانوا يبحثون من من الدول الكبرى تســاعدهم وتساندهم ... ويتفقوا مع فرنســا فى هذا الوقت ... وكانت فرنسا تشعر انها لابد ان تقوم بعمل ضدنا فى مصر لان مصر فى هذه الايام كانت

تساعد الثورة الجزائرية وكان الاستعمار يلفظ أنفاسه الاخيرة فى المنطقة واحس الاستعمار أن الوقت قد جاء لتخدمه الاداة التى كان قد صنعها لتخدمه اسرائيل .

« وفى سنة ١٩٥٦ كانت هناك أحداث سياسية كبيرة كبيرة نريد أن نبنى .. نبنى السد العالى حتى نحصل على فائض من المياه لنزيد الرقعة المزروعة فى بلادنا .. كنا نريد أن نبنى السد العالى حتى نحصل على عشرة مليارات كيلووات ساعة من الكهرباء لنتمكن من تصنيع بلادنا ونحول هذا الوطن من بلد متخلف الى بلد متقدم .

« وقالت أمريكا وبريطانيا وكلنا نعلم فى هذه الأيام انهما على استعداد لتمويل مشروع السد العالى ولكن فجأة أعلنت أمريكا .. كما اعلنت بريطانيا .. كما أعلن البنك الدولى سحب تمويل السد العالى .

« وهنا بدأت الأحداث السياسية تتوالى فى سنة ٥٦ كان قرار تأميم قناة السويس من اجل تمويل بناء السد العالى ومن اجل تمويل بناء الصناعات .

« وبعد هذا أيها الاخوة بدأ التآمر .. بدأ التآمر سنة ١٩٥٦ بدأ التآمر .. انجلترا كان عندها ما يبرر العمل ضدنا .. انجلترا قد تقول وتبرر للعالم أنها تدخلت فى سنة ٥٦ قامت بالعدوان على مصر لأن مصر أممت قنال السويس .. وكانت لانجلترا مصالح كبيرة فى قنال السويس .. وكانت انجلترا تملك الجزء الاكبر من أسهم قنال السويس .

« وفرنسا دخلت .. وقد تقول فرنسا وتبرر أنها دخلت الحرب واعتدت علينا فى سنة ١٩٥٦ بسبب مساندتنا لحرب التحرير الجزائرية .

« أما اسرائيل فبماذا تبرر دخولها الحرب سنة ١٩٥٦ .. لقد كشفت كل هذه القصص الان مافيش حاجة بقت سر .. كل حاجة مكتوبة دلوقت فى الكتب .. القال انه تم اجتماعات سرية بين

فرنسا وبين اسرائيل .. حضر هذه الاجتماعات بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل .. وحضر هذه الاجتماعات مندوب عن الحكومة البريطانية وان بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل طلب من فرنسا في هذه الايام أن تعمل له مظلة جوية فوق اسرائيل أثناء العدوان الاسرائيلى على مصر ، وحتى تحمى اسرائيل من اى عمل مضاد من القوات الجوية المصرية .. وان فرنسا تعهدت بان تعطيه قوات جوية يدافع بها عن اسرائيل وتعطيه أيضا قطع بحرية ليدافع بها عن الشواطىء الاسرائيلية .

« دخلت اسرائيل .. دخول اسرائيل فى هذه الحرب .. ما الذى كان يبرره .. ليه دخلت اسرائيل هذه الحرب .. ايه اللى حصل سنة ٥٦ ؟

« لما دخلت اسرائيل الحرب ارسلنا الجيش الى سينا سنة ٥٦ لمواجهة العدوان ووقفت القوات الاسرائيلية على الحدود امام المقاومة فى ابو عجيلة والمناطق الاخرى .

« ولكن بعد ٣ أيام الحرب بدأ العدوان الانجليزى الفرنسى على بلادنا وبدأت الغارات الجوية .. قررنا سحب القوات من سيناء وسحبنا القوات من سيناء الى غرب قنال السويس حينما انسحبنا من سيناء لنواجه القوات الانجليزية والفرنسية التى بدأت العدوان علينا وحينما دخل الجيش الاسرائيلى الى سيناء هذه البقعة الطاهرة من ارض وطننا .

« كان اول ما فعله بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت هو اعلان ضم شبه جزيرة سيناء الى اسرائيل ولكن لم يتمكن بن جوريون أن يحافظ على هذا القرار لقد خرجوا وانسحبوا من الارض المحتلة واضطروا للخروج ولكنهم فى هذه الايام كشفوا عن نواياهم .. خرجوا لأن الحملة البريطانية الفرنسية عجزت عن قهر ارادة الشعب المصرى ولان الانذار السوفيتى خلق موقفا دوليا خطيرا ولان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن قد استشيرت فى العملية ووجدت نفسها على غير استعداد أمام مسئوليات قد تكون وخيمة العواقب »

« خرجت اسرائيل .. وانسحبت اسرائيل فى سنة ١٩٥٧ ولكن اسرائيل وقادة اسرائيل من يومها كانوا يستعدون لمعركة اخرى .

« من اقوال زعماء اسرائيل وقادة اسرائيل ومذكرات اسرائيل المنشورة والتى صدرت بعد سنة ٦٧ قالت انهم كانوا يريدون هذه المعركة فى المدة ما بين ٦٦ و ٧٠ ليه ..

« كانوا يريدون هذه المعركة قبل ان تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل ان تدخل مصر فى مرحلة الانطلاق .. قبل ان يتم بناء السد العالى .. قبل ان تتم خطط التصنيع .. قبل ان تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الاراضى الجديدة .

« كانت اسرائيل تريد المعركة قبل أن نكون قد اتممنا ما نريد من اجل تقوية بنائنا الداخلى وبنائنا الصناعى وبنائنا العسكرى .

« وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول ان ٥ يونيو والهجوم الاسرائيلى فى ٥ يونيو ٦٧ كان مؤامرة مرتبة لم تكن المسألة مسألة خليج العقبة .. ولكن كان الهدف الاصلى الاساسى هو الهدف الذى لا يصنعه للعدو ولا يحققه له الا القتل والخراب .. الا الصواريخ والنابالم والقنابل الموقوتة تحملها طائرات الفانتوم الامريكية ..

« قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل أن تحصل من الولايات المتحدة الامريكية على كل المعدات اللازمة للحرب الالكترونية كل المعدات التى استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان تنتجها استطاعت اسرائيل ان تحصل عليها وأن تبقى هذا سرا لا يعرفه احد ..

« وكان من الواضح أن هذه الأسرار التى تشملها الحرب الالكترونية وهى اساليب جديدة فى الحرب لا تعرفها الكثير من الدول عدد قليل قوى من الدول .. دولتين او ثلاثة بس تستطيع ان تلم باسرار معدات الحرب الالكترونية »

« واستطاعت اسرائيل أن تحصل من امريكا قبل ٥ يونيو على كل معدات الحرب الالكترونية التى تساعدها لا فى الدفاع فقط ولكن فى الهجوم على الدول العربية .

« اذن ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة وكانت اسرائيل فى هذا تستعين بالأسلحة من الدول الغربية وتستعين بالمعدات الالكترونية من امريكا .. والوقائع بين ١٤ مايو سنة ٦٧ و ٨ يونيو ٦٧ قد تختلف فيها التفسيرات وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو سنة ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ويبين بحقيقة ساطعة يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات أو التفسيرات » .

وبهذا ينتهى عبد الناصر من توضيح فكره كاملا بالنسبة لاسرائيل واسباب العدوان الأخير الذى قامت به اسرائيل على البلاد العربية ، واستطاعت بمعاونة قوى الاستعمار والامبريالية العالمية وعلى راسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تستولى بالقوة على أراض عربية فى مصر وسوريا الى جانب الجزء الباقى من فلسطين ..

وكان موقف عبد الناصر بالنسبة لهذا الأمر واضحا ، فنحن لا نترك بابا للسلام الا طرقناه ، ونحن لا نريد الحرب ولكن الحرب قريبة منا .. ولعل الكلمات القليلة التى أطلقها عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ وبعد العدوان مباشرة تلخص كل موقفه بالنسبة لهذه القضية ، فهو يبلور القضية فى « **ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة** » ويعلن أن ذلك ايمانه ، وقضيته ، وانه حق وعدل أن تسترد الأرض المحتلة ، وأن الحق والعدل لن يتحققا فى هذا العالم ما لم تدعمهما القوة »..

كان نضال عبد الناصر من اجل الحرية منذ بداية ثورته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يؤكد هذه الكلمات التى أعلنها بعد الهزيمة العسكرية مباشرة ، والتى كررها لآخر مرة فى آخر خطاب القاه أمام المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .»

حتى تحقق الحرية السياسية

استخلص عبد الناصر من خلال مسيرة الثورة عدة اسس ظل يسير الفكر الناصرى عليها ينميها ، ويدعمها ، وكانت الممارسة تكشف صدقها وواقعيتها ، ويمكن أن تتحدد هذه الأسس التى تشكل موقف الناصرية من الاستعمار بأنواعه .. وتحدد أيضا موقفها بالنسبة للسياسة الخارجية عموما التى هى « انعكاس صادق وامين للسياسة الداخلية » فى عدة مبادىء هى :

■ **ان الاستعمار هو العدو الاول للشعوب** ، وانه يمارس ضغوطه السياسية والاقتصادية والاجتماعية عليها مستعينا بنفر من اعوانه ، يحكمون ، ويسيطرون على الاقتصاد ، على السياسة .

والشعوب التى تريد أن تتحرر عليها أن تحارب الاستعمار واعوان الاستعمار الذين يستمدون نفوذهم من وجوده ، ويكونون خطرا على الشعب الذى يريد أن يتحرر لانهم عادة يكونون الفئة المسيطرة على كل مقدرات البلاد ، ويعتمدون فى استمرار سيطرتهم على استمرار نفوذ الاستعمار ، وهم قادرون على خداع الشعوب، وتمويه الحقائق وتزييفها حتى لا يعرف الشعب حقيقتهم ويكشفهم ويلفظهم ..

لقد كان قرار عبد الناصر الأول هو تجريد الاقطاع من سلاحه ، وهو الارض التى يملكها .. ليس فقط لأن هذا القرار ينصف الفلاح ، ويحقق نوعا من العدالة الاجتماعية ، ويقضى على الاقطاع ، وهى المبادىء التى رفعتها الثورة كبرنامج منذ يومها الأول . فلم يكن الغرض من قانون الاصلاح الزراعى الأول هو تحقيق أهداف

الثورة وتنفيذ مبادئها فقط ، بل أن البدء به أولا وقبل المواجهة الصريحة للاستعمار كان يعنى أن على الثورة بمثل ما واجهت الملك وطردته ، وبمثل ما أبعدت عن الحياة السياسية الذين افسدوها فان عليها أن تواجه أعوان الاستعمار قبل الاستعمار ذاته ، وتجردهم من ملكياتهم الزراعية الواسعة التى تمثل نفوذا كبيرا ، واداة رئيسية للسيطرة على الريف حيث تعيش الغالبية العظمى من افراد الشعب المصرى ..

ونظرة الى تاريخ الملكية الزراعية فى مصر طوال السنوات السابقة على الثورة يعطينا أبرز دليل على التلازم بين الاقطاع وبين الاستعمار (١) .

والعائلات التى طبق عليها قانون الاصلاح الزراعى الأول الذى يحدد ملكيتها بمائتى فدان ، هى فى معظمها العائلات التى تعاونت مع الاستعمار ، أو حصلت على الأرض منه أو عن طريقه .

ويكفى ما قاله عنهم الجنرال « اللنبى » ونقله « ويفل» فى كتابه **((انه من الممكن ان يجلو الانجليز عن مصر ، وهم مطمئنون الى انهم خلقوا طبقة من الكبراء يمكن لانجلترا أن تستأمنهم على سياستها فى هذه البلاد فهم فى نظر الانجليز درع يدافع عن سياستهم كما يدافع عنها الأسطول البريطانى))** .

فقانون الاصلاح الزراعى الاول ـ وان كان يعتبر خطوة اصلاحية ، وطريقا لتحقيق بعض من الاهداف التى قامت من أجلها الثورة . وتنفيذا لمبادئها ، الا ان اصدار هذا القانون بهذه السرعة ، وفى الأيام الأولى للثورة ، يعنى ، أنه بالاضافة الى ذلك خطوة اساسية نحو القضاء على الاستعمار مبتدئا بالقضاء على نفوذه ، وعلى أعوانه من الاقطاعيين .

« وبعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق

---

(١) انظر قصة الملكية الزراعية فى مصر فى الفصل الخاص بالملكية من هذا الكتاب .

الشعب الى التقدم الثورى داست الجموع المنتصرة باقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل . ودكت حصون الاقطاع ، واجتثت جذور الرجعية » .

« لقد كانت تلك كلها هى الركائز التى يثبت الاستعمار عليها وجوده فوق أرضنا ، وبانقضاض شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى فقد حلقات اتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هى ارغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد ان طوت اعلامها وابتلعت كبرياءها » (١)

■ **ان الخطر الحقيقى الذى يواجه الشعوب المحتلة بقوات الاستعمار** ، أو تخضع لنفوذه السياسى أو الاقتصادى ، هو **خطر الاستعمار** نفسه .. ويمتد هذا الخطر ليكون أيضا خطر الكتلة المتحالفة معه والمرتبطة به .

ولكن الاستعمار يخفى هذه الحقيقة عن الشعوب ويوقعهم تحت وهم الخوف من أخطار تهددهم ، وبالذات من الخطر الشيوعى الذى يصوره الاستعمار بانه شبح يخيف به الشعوب التى تريد الحرية ..

اخطار بعيدة عنهم . ولا وجود لها .. وهو بخلقه هذه الحالة ، يحاول خداع الشعوب ، واخفاء حقيقة مطامعه وآماله .. ليبدو فى صورة الحمل البرىء الذى يعمل على انقاذ الشعوب من أوهام يجسدها الى حد التلويح بشبح الحرب العالمية التى توشك على الوقوع .

والشعوب فى تطلعها نحو حريتها ، ونضالها من أجل الحصول عليها ، فانها ينبغى أن تعى جيدا ، أن أشد ما يهددها هو الاستعمار الجاثم على أرض بلادها ، والا تخشى خطرا ((**ليس لها تجربة مريرة معه مثل الاستعمار الغربى**)) وتقدم من اجل ذلك تنازلات ، تجرها الى أن تظل محكومة بالاستعمار ، فى عزلة عن الكتلة الشرقية اما خوفا منها بتأثير الدعايات الاستعمارية المضادة .. التى ظلت

---

١ - الميثاق .

تلح بحربها النفسية ضد هذه الكتلة ، وتغرس مفاهيم خاطئة عنها .. أو حتى خوفا من الاستعمار المتربص الذى يشك فى كل اتصالات ، وفى كل لقاء مع دول لا ترتبط مصالحها بمصالحه ، أو حتى مع الدول التى ترتبط به ، ما لم يكن هذا الاتصال عن طريقه وبموافقته .

وفى نفس الوقت فانه يسعى بالوقيعة بين هذه الشعوب الصغيرة المضطهدة والتى تتطلع الى التحرر ، والاستقلال .. وبين الكتلة الشرقية .. كما يسعى بالوقيعة بينها وبين جيرانها .. حتى ولو كانوا يرتبطون به .. فهدفه ، وغاياته أن ينفرد بكل دولة على حدة ، لكى تنسى الشعوب الخطر الحقيقى الذى يواجهها ، وهو خطر الاستعمار نفسه ..

■■ **الاستعمار اذا خرج من الباب ، فانه يحاول دائما أن يعود من الشباك ..**

يحاول أن يعود اما بواسطة أعوانه الذين يتآمرون – من الداخل – سعيا الى اعادته ليستردوا نفوذهم وسطوتهم أو يعود فى صورة شركات ومشروعات تعطى عائدها ليس للوطن ، ولكن لاصحابها من المستعمرين ، وتعمل على امتصاص خيرات البلاد لحساب هذه الشركات ، انه يلجأ عادة لهذه الوسائل بعد أن يفشل فى الغزو من الداخل والخارج وبعد أن يستنفد محاولاته لربط الشعوب التى ارغمته على الخروج منها ... بأحلاف معه ..

والدول الصغيرة عندما تدخل فى أحلاف مع دول كبرى ، فانها بذلك توقع صك تبعيتها ، فالدول الكبرى هى التى ستقرر ، وهى التى سترسم وتخطط ، ولا رأى للشعوب الصغيرة سوى أن تجر الى معارك ترفضها مصالحها وربط الشعوب بالاحلاف الاستعمارية يعنى تمزيق وحدتها ، وغرس قواعد فى قلبها تضرب منها القوى التحررية فى الداخل ، وتستخدمها ضد الشعوب الأخرى التى تريد أن تتحرر ..

« ولقد كانت الاحلاف فى هذه المنطقة بالنسبة لنا هى الباب الذى حاولوا ان يفرضوا علينا السير فيه ، وأن ندخل منه الى مناطق النفوذ ، ولكننا رفضنا .. ولناخذ مثلا لذلك ما قاله ايدن فى ابريل ١٩٥٥ فى مجلس العموم البريطانى ، لقد قال : اننا متأكدون الآن بعد عقد حلف بغداد ، أن لنا صوتا قويا فى الشرق الأوسط .. وكانت هذه فى مفهومنا فكرة خاطئة ، ولقد قلت لمستر ايدن عندما قابلته .. انه سيكون حلفا يعتمد على الرجعية ولكنه سيعتبر فى نظر جميع شعوب المنطقة نوعا جديدا من السيطرة ، نوعا جديدا من الاستعمار ، وأن جميع ابناء الشعب العربى سيكافحون للقضاء على هذا النوع الجديد من الاستعمار والسيطرة (١) » .

الاحلاف هى سجن كبير يحيل الشعوب الى أدوات فى يد الغرب ومع ذلك فهى الصيغة الاستعمارية التى تتلاءم مع روح العصر ، اذ تحقق اهداف السيطرة ، والتحكم بوسائل تبدو فى مظهرها بالنسبة للشعوب أقل حساسية اذا قيست بالاستعمار القديم الذى يعتمد على القوات العسكرية فى احتلال الأرض .. ولكن هذه الصيغة فى نفس الوقت اكثر فاعلية بالنسبة للاستعمار ..

■■ **يعمد الاستعمار الى خلق كيانات دخيلة فى مناطق متفرقة من العالم** ، لتكون عونا له ، وصونا لمصالحه ، ومدافعة عن مشروعاته ، وتسند أهدافه التوسعية ، فضلا عن هدفها الأكبر وهو وجودها كقواعد دائمة وركائز متينة للاستعمار .

« خطر القواعد العسكرية ما زال قائما ، ومازال ، اقربها .. القاعدة العدوانية الرئيسية لتهديد العالم العربى كله .. اسرائيل (٢) »

---

(١) ٢١ مارس ١٩٦٠ فى حديث مع الصحفيين الامريكيين »
(٢) ٢٧ ابريل ١٩٦٥ فى حفل تكريم الرئيس تيتو »

« واللى بيحصل النهارده فى فلسطين ، هو نفس اللى بيحصل فى جنوب افريقيا ، هو نفس اللى بيحصل فى مناطق افريقية ، يريد المستوطنون انهم يستولوا على كل شيء .. ثم يتخلصوا من المواطنين الاصليين الافريقيين بالقتل . اسرائيل قاعدة الاستعمار ، أوجدها الاستعمار فى هذه المنطقة لتكون دائما ركيزة له .. » (١)

■ **لم تعد صيغة الاستعمار المعروفة والتقليدية بالجيوش التى تغزو وتحتل** هى الصورة الشائعة للاستعمار « فان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى السويس أنهت عصر المغامرات المسلحة بالنسبة لكل شعوب العالم .. ولكن الاستعمار ما زال متمسكا بأهدافه ، وان كان قد غير أسلوبه » (٢)

لقد بدأ يتنكر .. ويتخفى ، بعد أن غير مكانه ، ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، وأصبح مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية ..

فالاستعمار بأسلوبه الجديد يعطى استقلالا نظريا للدولة المستعمرة ، ويصنع لها برنامجا ، وبرلمانا ، وحكومة ، ولكنه يفرض عليها الحماية .. ويحولها الى سوق لمنتجاته ، ويمنع عنها منتجات الدول المنافسة له أو ينقل خامتها اليه .

وهو مستعد فى سبيل ذلك الى أن « يمول » الدولة وأجهزتها .. ويستخدم راس المال الأجنبى ، لتوسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة . وهو أيضا يسعى لتصدير الفكر ، والحياة ، والاقتصاد الراسمالى ولتفتيت البلاد المستعمرة الى دويلات متناحرة ، منقسمة مختلفة .. ذلك أن الشكل العسكرى للاستعمار أصبح قرصنة يرفضها ضمير العالم ، ومنظماته ، ولكن ضمير العالم الحر لم يرفض بعد أساليب الاستعمار الجديد لانها تتم مستترة

(١) ٢٢ يوليو ١٩٦٤ م
(٢) الميثاق

وراء شعارات عديدة ، هى رفع مستوى الدول ، أو ملء الفراغ بها ، أو المعونات الاقتصادية ، التى تصاحبها سيطرة .

ومن الأسس الهامة فى الفكر الناصرى أنه يحارب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، ويكشف عنه جميع اقنعته ويحاربه فى جميع أوكاره . ولكنه يرى أن راس المال الأجنبى تحيط به فى نظر الدول المتخلفة خصوصا تلك التى كانت مستعمرات فيما مضى ، سحب من الشكوك والريب المظلمة (١) .

« ولكن سيادة الشعب على أرضه واستعادته لمقدرات اموره تمكنه من أن يضع الحدود التى يستطيع فى ظلالها أن يسمح لراس المال الاجنبى بالعمل فى بلاده .

« ان الأمر يتطلب وضع أولويات هى فى الواقع خلاصة التجربة الوطنية كما انها تأخذ فى الاعتبار طبيعة راس المال العالمى الذى يفضل دائما أن يجرى وراء الموارد الخام البكر فى مناطق لم تتهيأ للنهوض الاقتصادى والاجتماعى حيث يستطيع فى ظروفها أن يحصل على اعلى نسبة من الفائدة . .

« ومن هنا فان التطوير الوطنى — فى الدرجة الأولى — يقبل كل المعونات الأجنبية غير المشروطة التى تساعده على تحقيق أهدافه ، يقبلها بكل العرفان الصادق لمقدميها مهما كانت الوان اعلامهم » .

« وفى الدرجة الثانية فان التطوير الوطنى يقبل كل القروض غير المشروطة التى يستطيع أن يفى بها دون عنت أو ارهاق والقروض التجارية طريقة واضحة فى حدودها فان مشكلتها تنتهى تماما بعد سدادها وبعد سداد الفوائد المستحقة عليها . . »

« والتطوير الوطنى فى الدرجة الثالثة — مستعد لقبول اشتراك راس المال الأجنبى فى أوجه نشاطه الوطنى كمستثمر على أن يكرم

---

(١) الميثاق

ذلك فى العمليات الضرورية خصوصا تلك التى تقتضى خبرات جديدة يصعب توفرها فى المجال الوطنى » .

« أن قبول استثمارات اجنبية معناه القبول باشتراك اجنبى فى ادارتها ، ومعناه القبول بتحويل جزء من أرباحها سنويا الى غير حد الى المستثمرين ، وذلك أمر يجب الا يترك على اطلاقه » .

« ان الأولوية الأولى للمعونات غير المشروطة » .

« والمكانة الثانية للقروض غير المشروطة » .

« ثم يأتى دور القبول بالاستثمارات الاجنبية فى الأحوال التى لا مفر فيها من قبولها ، وفى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة » .

« ان شعبنا فى نظرته الثورية الواعية يعتبر ان المساعدات الأجنبية واجب على الدول السابقة فى التقدم نحو تلك التى ما زالت تناضل للوصول » .

« بل ان شعبنا فى ادراكه لعبرة التاريخ يرى أن الدول ذات الماضى الاستعمارى ملزمة اكثر بأن تقدم للدول المتطلعة الى النمو بعض ما نزحته من ثروتها الوطنية أيام كانت هذه الثروة نهبا مباحا للطامعين » .

« ان تقديم المساعدات واجب اختيارى على الدول المتقدمة »

« وهو أقرب ما يكون الى الضريبة الواجبة السداد على الدول ذات الماضى الاستعمارى تعوض فيه الذين استغلتهم من طول استغلالها لهم » (١)

« لعصور القرصنة الاستعمارية التى يجرى فيها نهب ثروات الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون او الاخلاق قد انقضى [illegible]

مهدها وينبغي القضاء على ما تبقى من ذكريات لها . ما زالت فيها بقية من الحياة » . .

■ ان الاستعمار لا يترك الارض التى يحتلها الا مرغمـــا ، وبقوة السلاح ، فاصرار الشعوب اذا لم تســنده القوة وان كان يؤرق الاستعمار ولكنه لا يجعله يتخلى عن الارض التى يحتلها .

« فالاستعمار لن يرحل عن اجزاء ما زال يحتلها من قارتنـــا الافريقية لمجرد أننـــا نصرخ فى وجهـــه وأن استمرار وجوده اهانة لنا » .

« لقد صرخنا فى وجه الاستعمار فى بلادنا ٧٠ سنة آملين أن منطق التفاوض سوف يقنعه بالرحيل ، وقد اضطررنا فى النهاية الى حمل السلاح » (١) .

وتجربة الناصرية مع الاستعمار أنها فاوضته ، وهى تعبىء الشعب ، وتدربه ، وكتائب المقاومة المسلحة تخوض معاركها ضد بقايا القوات المستعمرة فى منطقة القناة . .

وازاء اصرار الجماهير ، وكفاحها المسلح ، وقيادتها الثـــورية التى لا ترتبط بالاستعمار والتى ترفض انصاف الحلول ، وتصر على الاستقلال ، اضطر الانجليز الى الجلاء ، ولكنهم بعـــد فترة قليلة عادوا مرة ثانية يحاولون أن يفرضوا بالقوة احتلالا جديدا . . فالاستعمار لا يستسلم بسهولة ، بل يقاوم مقاومة عنيفة ويستخدم كل الطرق ابتداء من الحرب المسلحة حتى حرب التجويع . .

فشعبنا « بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

---

(١) ٤ مايو ١٩٦٣ فى الجزائر .

■ ان مرحلة القضاء على الاستعمار والاستقلال الوطني تحتاج الى جميع جهود افراد الشعب جميعا ، ليدافعوا عن الأرض التي تظلهم ، ويعيشون عليها .. فبعد أن يستبعد الشعب اعوان الاستعمار واذنابه ، فان على جميع قوى الشعب ان تتحد ، وتتناسى ما بينها من تناقضات تبدو في واقع الأمر تناقضات ثانوية ، الى جانب التناقض الكبير بينها وبين الاستعمار ، على أن قوى الثورة تختلف بعد ذلك عندما تتخذ الثورة خطوات أبعد ، وتتجه نحو الثورة الاجتماعية . فأن القوى المؤيدة لها تختلف ، كما أن حجم التناقضات بين افراد الشعب يختلف أيضا باختلاف الظروف الاجتماعية ، وباختلاف كل مرحلة .

■ ان ارادة الشعوب واصرارها اقوى من الاستعمار « فالتجارب تؤكد كل يوم امامنا عبرة التطور الانساني ، قوة الانسان .. الانسان اقوى من الجيوش .. الايمان اقوى من الطغيان .. الحق اقوى من الباطل .. العدل اقوى من الظلم .. الثورة اقوى من الجلادين » (١)

« ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية ■ انه طريق بعيد المادي .. مداه مدى الحياة نفسها .. كلما بلغ منه الشعب مرحلة لاحت امامه في المدى مراحل » .

« ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد النصر ولا تتراخى .. انها في ذروة شعورها بالقوة تدرك أن النصر الذي حققته انما هو مرحلة على الطريق وليس هو بحال من الأحوال خاتمة المطاف (٢) » .

■ سياسة التفرقة العنصرية هي استمرار وتأكيد لسياسة استغلال الانسان للانسان ■

---

(١) عيد الثورة ١٩٦٤ .

(٢) ١٨ يوليو ١٩٥٦ .

« والواقع ان منطق التمييز العنصرى هو ذاته منطق الاستعمار فليست التفرقة بين البشر فى اللون الا تفرقة بينهم فى الحقوق ، وما من شك فى تقديرنا ان نفس اليوم الذى سيشهد نهاية الاستعمار ، وسوف يشهد فى الوقت ذاته نهاية التفرقة العنصرية »

■■ **الاستعمار الجديد يحاول ان يحقق نفس اهداف الاستعمار القديم** ، ولكن بوسائل تبدو فى مظهرها أكثر مسايرة للعصر ..

منها الاحلاف العسكرية واستغلال المعونات والتجارة والتكتلات الاقتصادية والاحتكارية هى وسائل للضغط على الشعوب والسيطرة على مواردها واستنزافها ففى الدول المستقلة حديثا يحاول الاستعمار « تحت أعلام الاستقلال الملونة التى ارتفعت فوق عدد من البلدان ان يسلب الحرية مضمونها الحقيقى وان يجعل من الاستقلال الوليد مجرد مظهر وشكل خارجى لا يعكس اى حقيقة ، اصيلة » .

الاستعمار ليس فقط ، الاحتلال العسكرى .. وليس فقط الارتباط بأحلاف .. وليس .. السيطرة الاقتصادية فقط .. انه يضم كل ذلك .. وما هو أكثر .

فتحت عنوان الاستعمار نضع فروعا كثيرة : « نضع سياسات القمع المسلح كما نرى فى المستعمرات البرتغالية .. وفى الجنوب العربى المحتل وفى عدن وعمان » .

« نضع سياسة الأحلاف والقواعد العسكرية كما نرى فى معظم قارات العالم »

« نضع سياسات الاستيلاء على أرض الشعوب وطردها بالقوة وبتأييد الاستعمار كما نرى فى فلسطين » .

« وينبغى أن تترك للشعوب فرصة اعادة صنع حياتها من جديد على أساس من التجربة والخطأ باعتبار أن ذلك هو الطريق الوحيد والمأمون لبلوغ التقدم » .

« نضع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ، كما ترى في جنوب افريقية .. ان أكثر الوسائل واحدثها امعانا فى التخفى والتستر ، لم تعد قادرة على أن ترغم الشعوب على الرضا بالسيطرة الأجنبية ، سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية » (١) .

« اننا نشهد ظواهر خطيرة من حولنا تتفاقم بغير علاج » .

« ان الحروب الصغيرة تشتعل فى أكثر من مكان فى آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية » .

« وانقلابات الداخل الموجهة والمدبرة من جانب الاجهزة الخفية للقوى الكبرى تتكرر أمامنا كل يوم » .

« ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية يجرى التمهيد لها على قدم وساق ، بل ونجد كيانات لها شكل الدول وهى فى حقيقتها مجرد قناع ، وستار » .

« وتجارة الجنود المرتزقة الاجانب تمارس الآن بغير شرف ، وبغير خجل ، وفى ظروف يمكن أن تنجم عنها أوخم العواقب » .

« ومحاولات التأثير النفسية على الشعوب ، تملأ أجواء قارات العالم بشكل سافر ، وعلنى ، ينشر بذور القلاقل فوق أرض الوطن » (٢) .

« ان الاستعمار بجميع أشكاله وأنواعه ، القديم والحديث ، الظاهر والخفى ، يجب أن يزول .. ان الاستعمار كما نفهمه .. وباعتباره سيطرة بلد على آخر ، واستغلاله بارهاب القوة ، أو بالمعاهدات والامتيازات التى لا تستطيع أن تعيش بغير الارهاب ،

---

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ أكتوبر ١٩٦٤

(٢) الجلسة الافتتاحية لرؤساء الدول فى القاهرة سبتمبر ١٩٦٤

اصبح مهينا لعصرنا ومسببا لانفجارات خطيرة ، لا يمكن وقفها او تقليل تاثيرها باية عمليات صناعية لا تقتلع الشر من جذوره » .

■■ **ان الشعوب النامية والحديثة الاستقلال يجب ان تتوقع خطر الاستعمار فى اى وقت ، وان تكون مستعدة له .**

« فاننا يجب ان نتوقع الخطر الاستعمارى ، فهو بينما يسعى فى بعض المواقع ، بالتستر وراء اشكال والوان واساليب جديدة الى التسلل تحت رايات الاستقلال التى ارتفعت على البعض من بلداننا ، محاولا ان يجعل منها مجرد شارات ملونة تحمل شعار الاستقلال دون مضمونه بينما الحكم له والتصرف له والكسب له من دون الشعوب المغلوبة على امرها .

« هذا سلوكه فى بعض المواقع بينما نجده فى مواقع اخرى قد كشف عن حقيقة سافرة وكشف من ورائه عن عملائه واعوانه الذين يخفون وراء وجوههم التى هى منا ـ صلة بالاستعمار تعدم صلتهم بنا ، وانطلق الاستعمار معتمدا عليهم يظهر ضراوته وشراسته وطبيعته الغادرة ومعاداته لكل القيم الانسانية التى عملت من اجلها الاجيال .

« ان روح الشهيد لومومبا التى تظلل مؤتمركم هذا . مع ارواح الشهداء الابطال العديدين الذين ذبحهم الاستعمار ارضاء لشهواته ومطامعه فى افريقية وآسيا كل هذه الارواح لكل منها قصة كفاح خالدة تكشف لكم بما لا يقبل الشك والجدل اين يكمن الاستعمار واين يكمن اعوانه وكيف تعمل الاعيبه وخططه على الايقاع بيننا وبذر بذور الشقاق والفتنة حتى يرتفع سلاح الأخ فى وجه اخيه وينشغل بالمعارك الفرعية عن المستعمر الدخيل الذى يسعى بكافة الطرق والوسائل لاستنزاف مواردنا والتغلغل فى اقتصادياتنا والسيطرة على امكانياتنا واخضاعها لارادته .

« ولقد سلك الاستعمار فى سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة والخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكون له عملاء يتسترون بالوجوه الوطنية ليكونوا اكثر فاعلية فى خدمته وانما اقام لنفسه بين الدول دولة عميلة تتكلم باسمه وتسير على نهجه ، وتكون راس جسر لاغراضه وحربة فى قلب قارتنا تسعى بما تقدمه فى البداية من قروض واستثمارات لتسيطر على اقتصادياتها وتربطها بالاحتكارات الاستعمارية ، لتنفذ من ذلك الى السيطرة على سياستها بنفس الأسلوب الذى كانت تسلكه شركات الاحتكار فى بداية عهد بلادنا بالاستعمار .

« ولكننا أيها الاخوة لن نسمح بأن يعيد التاريخ نفسه . ولن نكون من السذاجة لكى ينفذ السهم فينا مرتين . ان عيننا مفتوحة واذهاننا واعية لطبائع الاستعمار واغراضه وخططه واهدافه ، وسنستجمع ارادتنا من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى لنقف فى صراحة وفى عنف وفى وضوح فى مواجهة الاستغلال والتفرقة العنصرية والتدخل الخارجى أيا كان مصدره والاستعمار بكافة صوره والوانه .

« انمعركتنا مع الاستعمار عاجلة ولننتصر عليه الا بتضامننا ، وعلينا ان نفرغ منه لنتفرغ الى معركة البناء فنزيح عن ارضنا كل ما زرعه الاستعمار على فكرنا من آكاذيب ومفاهيم فاسدة لنلحق بركب الحضارة ولنقوى بدورنا فى خدمة الانسانية واثراء التراث الحضارى بثقافتنا الأصيلة » (١) .

■■ **ان امريكا تقود الثورة المضادة فى العالم** ، باعتبارها زعيمة العالم الراسمالى ، كما انها **قائدة الاستعمار الجديد** ...

« اعداؤنا هم أعداء التحرر فى أى مكان ، هم دعاة الثورة المضادة ضد كل تطلع للحرية ، التقدم ، الرخاء فى أمتنا ، **بل فى العالم الثالث كله** ، يريدون أن يحكموا قيد التخلف على بلدانه ، ليفرضوا

---

(١) فى اكرا ٢١ مايو ١٩٦٥ .

عليها سيطرتهم ولينهبوا منها ثرواتهـا ، وليجعلوها سوقا تعيش على استهلاك مبيعاتهم ، ولقد آن لنا أن نواجه الحقيقة ، فنكشف قيادة هذه الثـورة المضادة ، وقيادة هذا التـآمر ، تكشف دور الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تضع الخطط للتآمر ، وتموله ، وتشترى العملاء لتنفيذ مخططها .

« ان الولايات المتحدة الأمريكية ، تسـعى لوراثة الاستعمار البريطانى المنـهار فى منطقتنا ، وهى التى غرست اسرائيل فوق أرضنا ، وتساند الرجعية ، وتفرض علينا التخلف ، وتضع العراقيل أمام تقدمنا ، وأمام رفاهيتنا .

« ان امريكا هى قيادة الثورة المضادة ، اما اعداؤنا الآخرون فما هم الا توابع لها يسيرون فى فلكها ويستهدون بخطاها ، وهم ضعاف بدونها ، مسلوبو الحول والقوة بدون قيادتها » (١) .

« ان بريطانيا لا تستطيع أن تبقى ساعة على الأرض العربية بدون المساندة الأمريكية ، واسرائيل لا تستطيع أن تعيش يوما بدون المعونات الأمريكية لها اقتصادية وعسكرية .

« وباقى العملاء لا يستطيعون مواجهة شعوبهم اذا ما تخلت الحماية الأمريكية المسبوغة عليهم ».

« الخطة الامريكانى بالنسبة لنا مبنية على نقطتين : الضغط الاقتصادى والضغط النفسى ، والدعاية ضدنا فى البلاد العربية » (٢) .

« ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة ، وكانت اسرائيل فى هذا تستعين بالأسلحة من الدول الغربية ، وتستعين بالمعدات الالكترونية من امريكا . والواقع بين ١٤ مايو ٦٧ و ٨ يونيو سنة ٦٧ تختلف فيها

---

(١) ١٥ مايو ١٩٦٧ المؤتمر الفلسطينى بلندن

(٢) لأعضاء مجلس الأمة ٢٩ مايو ١٩٦٧

التفسيرات .. وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ، ويبين فى حقيقة قاطعة .. يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات والتفسيرات .. بعد ٨ يونيو ، كان هناك قرار الأمم المتحدة فى مجلس الأمن بوقف القتال والانسحاب . وتقدمت الدول الصديقة .. الدول الآسيوية الافريقية بهذا القرار ، ولكن اعترضت امريكا على الجزء الثانى من القرار ، وصممت على أن يكون قرار مجلس الأمن بايقاف القتال فقط ، وان يشطب منه كل شىء ينص على انسحاب القوات المعتدية ، الى الأماكن التى كانت فيها قبل العدوان . » (١)

■ **ان قوى التحرر فى العالم عليها أن تتلاحم** فان مسئوليتها كبيرة وعليها أن توحد جهودها وتنظمها حتى تستطيع أن تحقق اهدافها فى التحرر . وحتى يمكن أن تكون دعما للدول التى ترفض الاستعمار وتناضل من اجل القضاء عليه ، فهذه القوى هى التى تستطيع ان تساند الشعوب حديثة الاستقلال والمناضلة ضد الاستعمار بأنواعه مساندة حقيقية دون أن تكون لها أهداف أو غايات كما انها أكثر احساسا بمشاكل غيرها حيث غالبا تكون قد مرت بهذه المشاكل وعانت منها ..

ان عليها واجب ان تساندها ، وتعطيها الخبرة ، وتتعاون معها ..

« ومهما يكن من هذه الاسباب وغيرها ، فان المسئولية التاريخية ، تفرض علينا الآن أن لا نكتفى بتحليل الاسباب وتفصيلها ، وانما هى تطرح علينا السؤال الهام : ما الذى يجب علينا ان نفعله ، لكى نهزم هذا المد الرجعى والاستعمارى .. ونستعيد لحركات التحرير السياسية والاجتماعية زمام المبادأة . »

« ومهما كانت الأسباب التى يمكن أن نرد اليها ما نشهده من ظواهر خطيرة ، فانه لا شىء يسبق فى الأهمية ضرورة العمل الايجابى . »

---

(١) عيد العمال ١٩٧٠م

وفى الحقيقة ، ان قسطاً هاما يقع الآن على الشعوب ، التى اختارت لنفسها موقف الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وتمكنت بهما من ممارسة دور دولى أثبت بعدم الانحياز تأثيره الفعال الايجابى ، واستقطب الاحلام الجياشة لدى شعوب كثيرة تطلب السلام القائم على العدل ، ثم صنع من ذلك تيارا دافقا خلابا حقق اهدافه برغم المصاعب ، فى عديد من الظروف .

« انه من المحتم علينا ان تكون جهودنا مباشرة ومركزة ، فيما يتعلق بكل الاهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية ان نتحرك . وفى المجال فانى اعنى بالذات بتصفية الاستعمار ، باعتباره أصلا من اصول الشر ، وسببا من اسباب التوتر والقلق المخيف فى عصرنا (١) »

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها ، أن نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة ، تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، ان تخلص نفسها ، وان تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد ، يخيل الى أننا نستطيع ان نقوم بما هو اكثر من المجهود الأدبى وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية تلك التى تملك أن تواجهها بما هو أكثر من الاحتجاج » (٢) .

ان الدعوة الى السلام اصبحت مطلب الشعوب فى العالم ، فالسلام هو السبيل الوحيد لاعادة بناء البلاد ، وتعويض ما فاتها من تخلف ، ولكن « السلام يجب أن يكون قائما على العدل ، لان

---

(١) بلجراد ٢ سبتمبر ١٩٦١
(٢) الاسكندرية ٢ مايو ١٩٦٦

السلام الذى لا يقوم على العدل يصبح معناه التهديد باستخدام القوة (١)

و « ان سلام عهد الامبراطوريات الكبيرة قد اندثر فقد قام على القوة وحدها تقمع بغير تردد كل محاولة لتصدى لها ناسية انها فى حقيقة الامر تقاوم ارادة التطور والارتقاء ، كذلك فان سلام توازن القوى قد فشل ولقد قامت حربان عالميتان ثمنا لهذا الفشل الذى لم يكن منه مفر ، فان الأرض لا يمكن أن تتحول الى غنيمة يتقاسم شرائحها الأقوياء بسيوفهم .

« ثم راينا فى زماننا توازنا آخر ، يراد له ان يقوم على موازين الرعب النووى ، ولكن اخطار مثل هذا التوازن فادحة ، تنادينا جميعا بأن نتحرك لانقاذ السلام من القوة النووية الرهيبة التى يجب أن تخدم السلام ، ولا تستخدمه وتحرره ، ولا تستعبده .. »

« ان تجارب الماضى ، وتجارب الحاضر تنطق امامنا بالعبرة الاولى للتاريخ ، وهى انه لا يقوم سلام الا على العدل ، لا بالقوة ، ولا بتوازن القوى ، ولا بموازين الرعب .. وانما بالعدل وحده يقوم ويدوم السلام (٢)

والسلام فى فكر عبد الناصر « ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وانما هو ايضا كنص المادة ٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة (تهيئة دواعى الاستقرار والرفاهية والسلام لقيام علاقات سليمة ودية بين الامم مبنية على احترام القاعدة التى تقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها) .. ان تحقيق الشروط والأحوال اللازمة للسلام هو امر يهم جميع الدول ، ويعززه اشتراكها جميعا فى المسئولية »

---

(١) حديث للتليفزيون الالمانى

(٢) مؤتمر عدم الانحياز اكتوبر ١٩٦٤

« ان السعى الى تلافى استخدام القوة فى العلاقات الدولية لا يتحقق بمجرد الالتزام بايجاد حل لكل مشكلة من المشاكل على حدة ، وبمعزل عن غيرها وانما يتحقق بوجوده مفهوم حقيقى للسلام ، يقيم بنيانه على العدل ».

« ان العدل وحده يصنع السلام الدائم ، واما القوة فقد تستطيع أن تفرض لبعض الوقت على موقف معين ، ولكنها حتى فى الأمر الواقع الذى تقيمه أبعد ما تكون عن معنى السلام واستمراره »

« ان السلام لا يستقر اذا استند الى تجميد الأوضاع الظالمة ؛ وان احترام الدول لالتزاماتها التعاهدية ، معناه احترام المعاهدات الصحيحة ، التى عقدت بحرية واختيار ، والتى لا تخالف ميثاق الأمم المتحدة ، ومن ثم يجب أن يكون التزام الدول بتنفيذ تعهداتها مرتبطا بما ورد فى المادة ١٠٣ من الميثاق التى تنص على أنه « اذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة ، وفقا لأحكام هذا الميثاق ، ومع أى التزام دولى آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على الميثاق » (١)

---

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ أكتوبر ١٩٦٤

الاشتراكية

الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ..

هكذا يقرر عبد الناصر ، فليست الثورة في رأيه هي الاستيلاء على السلطة ولكنهـا ((حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيـد لكل العوائق والموانع التي تعترض طريق حياته كما يتصورها ، وكما يراها)) والثورة عمل ايجابي يستهدف اقامة اوضاع جديدة .. لذلك فهو يقول ((ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة))

و .. « الباب الذى انفتح على مصراعيه ليلة ٢٣ يوليو ظل مفتوحا لفترة طويلة قبل ان يدخل منه التغيير الحتمى » .(١)

ان الثـورة فى فكر عبد النـاصر ليست فورانا عاطفيـا انما الثورة فى أصالتها هى علم تغيير المجتمع ، ولا يتغير المجتمع بالغضب على ما كان فيه ، وعدم الرضا بالواقع وبالاوضاع التى سادته وانما يتغير المجتمع بتحليل علاقات القوى الاقتصادية والاجتماعية فيه ، واعادة تشكيلها على أسس جديدة لصالح أوسع الجماهير ، ولو كانت الثورة مجرد فوران عاطفى لاستطاع البطش أن يطفىء نارها ولكن النار فى الثورة الحقيقية تبقى مشتعلة لان هناك اسبابا حقيقية وعلمية تمنحها وقودها الذى لا يفرغ « فان الثـورة هى الفهم العلمى للعلاقات الاجتماعية ، والاصرار على تغييرها »(٢) .

(١) عيد العلم ١٨ ديسمبر ١٩٦٤

وعبد الناصر يرى أن هنـاك فرق كبير بين الثورة والانقلاب « فالثورة هي الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه ، الى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلة ، وان كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل الى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاسـتثناء الى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة فيه كل يوم وكل ساعة وكل سنة »

وهو يفرق بينها وبين الانقلاب اذ الانقلاب هو « جماعة من الناس تتآمر وبالمؤامرة أو المغامرة يصلون الى السلطة والسلطة هدفهم » (١)

« ولقد كان يمكن ان يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول الى ديكتاتورية عسكرية تضيف الى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعى الثورى وقوته .. قررت ان يكون الحدث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنيـة الى مجراها الثورى السليم »

« الثورة ليست فرد .. اذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد اذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم »

« الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب . »

« ان مصدر القوة العظيمة للثورة هنـا لن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام . » (٢)

---

(١) ٢٦ أكتوبر ١٩٦١

(٢) العيد الثالث عشر للثورة ٢٦ يوليو ١٩٦٥ م

« وكل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى كيف تستطيع اى ثورة استولت على السلطة ان تحافظ على هذه السلطة ؟ »

« لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة أبدا .. ليه - فى رأيى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه اسئلة كثيرة مثلا : »

« ما هو الخلاف الاجتماعى ؟

« ما هو التناقض الطبقى ؟

« ما هو التمزق الذى يمكن ان ينتج عن تدخل الدول الاستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

« السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هذه الخلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها . (١)

« وبعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة ان تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. ان اى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها ان تحافظ عليها الا اذا طبقت شعاراتها تطبيقا واضحا ».

« والرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى ايامها الأولى . لأن الرجعية لها جذور والرجعية لها أسلحة والرجعية عندها أساليب ».

والفكر الناصرى يرى ان هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

ا - ان الثورة فى منطقها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد

---

(١) مباحثات الوحدة الثلاثية ٧ ابريل ١٩٦٣ م

الدوافع هى ارتفاع شعب من الشعوب فوق الأثقال والأغلال التى تقيده . وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما الى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد .

٢ ـ ان الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة أفضل بالنسبة للجماهير العاملة وليست الشعارات هى الهدف وانما الهدف هو تطوير لمستويات الاقتصادية والثقافية للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط ..

فالثورة اذن هى تغيير المجتمع ..

لذلك عندما يقول عبد الناصر أن الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ، فهو يعنى أن المجتمع لم يتغير فى تلك الليلة ، وانما وضع على أبواب التغيير ..

فالحقيقة ان عبد الناصر قام بثورتين معا .

ولقد كان يمكن أن يتحول ما حدث ليلة ٢٣ يوليو الى مغامرة أو انقلاب . ولكن ذلك لم يكن الهدف فى فكر عبد الناصر ، وهو ما تأكد من خلال مسيرة الثورة ورؤيتها لامال الجماهير ..

فقد مضى عبد الناصر يدرس .. ويجيب على الاسئلة التى طرحها ، وحدد أن عدم الاجابة عليها ، وتغافلها عمليا كان السبب فى فشل ثورات كثيرة ..

الاسئلة التى طرحها . .ما هو الخلاف الاجتماعى داخل الوطن ، وما هو التناقض الطبقى ، وذلك بعد أن حدد أوجه التمزق التى يمكن أن تنشأ من تدخل الدول الاستعمارية .. وبعد أن أجاب على هذه الاسئلة ، اعتبر انه قام بثورته الحقيقية التى كان يأمل ويفكر فيها والتى تتسم كما رسم فى فكره لأبعاد العمل الثورى انه لا يمكن أن يكمل بغير صفتين اساسيتين شعبيته وتقدميته ..
« فالعمل الثورى هو تقدم بالطبيعة ، وهو أيضا العمل الذى

يستوعب آمال الشعب ، ويحتضنها ويعايشها .. وينبع منها يعبر تعبيرا صادقا وأكيدا عن الفئات الواسعة والعريضة من الجماهير ».

والحقيقة ان عبد الناصر قام بثورتين معا .

ثورة سياسية .. ثم ثورة اجتماعية ، وهى التى استكملت ملامحها بقوانين يوليو الاشتراكية بعد احراز النصر فى المعركة الاولى معركة الاستقلال « فالاستقلال هو الضمان الوحيد لتثبيت كل انتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها وكان لا بد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الاجتماعيــة بجنــاحيه من الكفاية والعدل (١) .

ان واقع التخلف والظلم الاجتماعى الذى فرض ظلاله القاتمة على المجتمع المصرى القديم هو الذى حكم الطبيعة المزدوجة والشاملة لثورة ٢٣ يوليو ، يقول عبد الناصر فى فلسفة الثورة التى كتبها فى السنوات الاولى للثورة « استطيع أن اقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة .. ولكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية ليسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد اقام فى أرضه دون رضاه ، وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى » .

وهذا الواقع هو أيضا الذى فرض تداخل المرحلتين معا مرحلة الثورة السياسية ، ومرحلة الثورة الاجتماعية فقد كان على شعبنا وبلادنا أن تواجه مرحلتين من مراحل كفــاحها ، مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى . وكانت متطلبات كل مرحلة تختلف عن الاخرى . وربما كانت المشــكلة التى واجهنــاها هى تداخل المرحلتين وتشابكهما . مرحلة التحرر السياسى ، الثورة

---

(١) نوفمبر ١٩٦٥ .

السياسية يكون العدو فيها واضحا وهو القوى الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ اما مرحلة التحرر الاجتماعى ، الثورة الاجتماعية يكون العدو فيها هو كل مستغل كل محتكر كل من لا يعمل عملا منتجا فى خدمة الأمة ، كل من يحتفظ بالمركز الممتاز على حساب شقاء الجماهير وحرمانها . « كانت هذه هى المراحل التى آلينا على انفسنا بأن نحققها .. لقد سمعت بعضهم يقول اننا قد تسرعنا فى الثورة الاجتماعية ولكنى أقول اننا تأخرنا ويجب أن نسرع لنعوض ، لقد تخلفنا طويلا عن العالم ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الاقطاع والاحتكار وتصبح سيطرة رأس المال يصبحون جميعا ديكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب ابناء الشعب . بدون العدالة الاجتماعية وبدون الثورة الاجتماعية يفقد الفلاح قدرته على العمل ويفقد العامل قدرته على العمل ويفقد كل فرد قدرته على العمل .. لقد تخلفنا طويلا عن العالم . الفارق بيننا وبين غيرنا من الامم يتسع كل يوم وما لم نتحرك بأقصى سرعة فسوف نقع فريسة لأعنف استعمار عرفه التاريخ وهو استعمار التخلف . ان التخلف هو الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الابد ، والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة ، اذا تمكنت الامة العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها والذى تحاول الرجعية أن تفرضه الآن .. »

* * *

الثورة الشاملة اذن .. التى احدثت التغيير الجذرى فى المجتمع تضم الثورتين معا .. الثورة السياسية .. الحرية .. ثم الثورة الاجتماعية وطريقها الاشتراكية ..

ومنهج عبد الناصر ، وفكره يرى ان الحل الاشتراكى لمشكلة

التخلف هو حل حتمى ، وليس هناك مجال للاختيار بينه وبين اى حل آخر .. فهو الوسيلة الوحيدة لمواجهة التأخر مواجهة ثورية حقيقية والقضاء عليه .

ليس هناك أكثر من وسيلة للتقدم فى الفكر الناصرى يمكن ان من خلالها تحققه .. فالوسيلة الوحيدة ، وهى الوسيلة الحتمية أيضا .. هو ان يتجه المجتمع لبناء الاشتراكية ..

والاشتراكية حل حتمى فى الفكر الناصرى لأن حركة التاريخ تنظمها قوانين اجتماعية .. ولا يحركها افراد او اشخاص لتحقيق رغباتهم .. وان الصراع الذى يدور فى المجتمع يعتبر نتيجة حتمية للنظام الراسمالى الذى يحمل داخله تناقضات كفيلة بالقضاء عليه ..

الاشتراكية فى الفكر الناصرى حل حتمى تفرضه ايضا حركة الجماهير وآمالها ..

والحل الحتمى لا يأتى من تلقاء نفسه . انه الطريق الثورى للوصول الى التقدم تفرضه القوى صاحبة المصلحة فى اجراء التغيير فى اتجاه مسيرة الاغلبية العظمى من الجماهير فى الدول النامية عموما ..

وقد لا يكون الطريق الى الاشتراكية ممهدا ، ولكن صراع الجماهير فى مواجهتها اليومية لعديد من المشاكل تضعها امام الطريق الى الحل .. ومن هنا فان حركة الجماهير هى التى تدفع التاريخ وتحركه وتغيره ، وتصنعه ..

لذلك فان هذه الحركة ـ حركة الجماهير ـ هى التى تغير النظام الاقتصادى .. واذا تغير الأساس الاقتصادى للمجتمع ، فانه تبعا لذلك يتغير النظام السياسى والاجتماعى ..

« فمن الحقائق التى لا تقبل الجدل ان النظام السياسى فى اى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع

فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق أن الحرية السياسية فى هذا البلد لا يمكن أن تكون غير حرية الاقطاع .

« انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ، ويفرضه خدمة لمصالحه ، وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لراس المال المستغل »

وليس أمام الدول التى تتحرر الا أن تأخذ بالطريق الاشتراكى لا على اعتبار انه الحل الوحيد لمشاكل التخلف فحسب ، بل وأيضا باعتباره الوسيلة الوحيدة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية التى تمكنها من الوفاء العادل بالحقوق المشروعة للجماهير .

والحل الاشتراكى فى فكر عبد الناصر بالإضافة الى ذلك تفرضه الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

القرن الذى انحسر فيه المد الاستعمارى ، المرتبط بالنظام الراسمالى .

« (١) **فالتجارب الراسمالية فى التقدم تلازمت تلازما كاملا مع الاستعمار** . فلقد وصلت بلدان العالم الراسمالى الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى على أساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها وكانت ثروة الهند التى نزح الاستعمار البريطانى النصيب الأكبر منها . هى بداية تكوين المدخرات البريطانية التى استعملت فى تطوير الزراعة والصناعة فى بريطانيا .»

« واذا كانت بريطانيا قد وصلت الى مرحلة الانطلاق اعتمادا على صناعة النسيج فى لانكشير فان تحويل مصر الى حقل كبير لزراعة القطن كان شريانا متصلا ينقل الدم الى قلب الاقتصاد البريطانى على حساب جوع الفلاح المصرى »

« ان عصور القرصنة الاستعمارية التى جرى فيها نهب ثروات

(١) الميثاق

الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون أو الاخلاق قد مضى عهدها . وينبغى القضاء على ما تبقى من ذكريات لها ما زالت فيها بقية من الحياة خصوصا فى افريقيا »

« كذلك فان هناك تجارب اخرى للتقدم حققت اهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله . اما لصالح راس المال أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة باجيال حية فى سبيل أجيال لم تطرق بعد أبواب الحياة »

« ان طبيعة العصر لم تعد تسمح بشيء من ذلك .

« ان التقدم عن طريق النهب او التقدم عن طريق السخرة لم يعد امرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة »

« ان هذه القيم الانسانية أسقطت الاستعمار كما ان هـــذه القيم اسقطت السخرة »

« ولم تكتف هذه القيم الانسانية باسقاط هذين المنهجين وانما كانت ايجابية فى تعبيرها عن روح العصر ومثله العليا حين فتحت بالعلم مناهج اخرى للعمل من أجل التقدم » .

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم »

« ان اى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع ان يحقق التقـدم المنشود »

« والذين ينادون بترك الحرية لراس المال ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » .

« ان راس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على ان يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الراسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات » .

« ان نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الا سبيلين للراسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم » .

« **اولهما** ـ انها لم تعد تقدر على المنافسة الا من وراء أسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير » .

« **وثانيهما** ـ ان الأمل الوحيد لها فى النمو هو ان تربط نفسها وتجر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

« ومن ناحية اخرى **فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين** وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح وتجر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

يحركه الاحتكارات العالمية وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها »

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدى

ان مواجهة التحدى لا يمكن أن تتم الا بثلاثة شروط .

١ - تجميع المدخرات الوطنية .

٢ - وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات .

٣ - وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج .

« ومن الناحية الأخرى المقابلة لجانب زيادة الانتاج وهى ناحية عدالة التوزيع فان الامر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه » .

« ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لعفوية راس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » .

« كذلك فان اعادة توزيع فائض العمل الوطني على أساس من العدل لا يمكن ان يتم بالتطوع القائم على حسن النية مهما صدقت » .

« ان ذلك يضع نتيجة محققة امام ارادة الثورة الوطنية لا يمكن بغير الوصول اليها أن تحقق اهدافها وهذه النتيجة هي ضرورة سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » .

« ان هـذا الحـل الاشتراكي هو المخرج الوحيد الي التقدم الاقتصادى والاجتماعي وهـو طـريق الديموقراطية بكل اشكالها السياسية والاجتماعية » (١) .

* * *

ويضيف عبد الناصر فى اجتماعات الوحدة تكلمة هامة على هذه الاسس فيقول :

« بعدين النقطة الثانية اللى هى بتكمل الاشتراكية ـ اللى أنا احب اقولها هي تحديد الاجور .. ايه تحديد الاجور ؟ احنا طلعنا قانون ان خمسة آلاف جنيه حد اقصى .. خمس آلاف جنيه حد اقصى للمرتب .. مفيش حد ياخد آكثر من خمس آلاف جنيه .. بعد كده .. اذن الباقى كله أرباح ..

« بعدين حددنا بالنسبة للعمال حد أدنى للأجور .. كان العامل هنا ياخد ١٥ قرش .. بقى النهاردة الحد الادنى ٢٥ قرش .. ثم حددنا علاوات وعمليات بالنسبة لتنظيم العلاقات الأجتماعية بالمصانع .. بحيث ان فيه عمال النهاردة بياخدوا ماهيات ضخمة وحددنا علاوات تشجيعية .. وحددنا مكافآت أنتاج .. كل ده .. معناه أيه ؟ معناه ان الناس كلهم يشتركوا فى ناتج العمل .. فالتجربة اللى هنا .. الحقيقة غير تجربة يوغسلافيا فيه ناس

(١) الميثاق

بيقولوا هنا زى يوغسلافيا .. غلط .. يعنى احنا دارسين تجربة يوغوسلافيا .. ودارسين تجربة روسيا .. ودارسين الصين .. ودارسين الهند وبعدين بنجيب خبراء .. فى الاقتصاد الاشتراكى نناقشهم . يعنى آخر واحد كان عندنا من اسبوعين . قعدت معاه اللى هو بتلهايم عارفينه طبعا .. هو استاذ التخطيط فى السربون .. الروس يستشيروه واليوغسلاف يستشيروه . فى الهند والجزائر ايضا يستشيروه ..

« بنقعد نناقش التجربة كلها بنفسنا مع هؤلاء الخبراء .. بيقولوا لنا ايه اللى شافوه هنا وايه اللى شافوه هناك . بتلهايم . مثلا كان رايه ان التجربة اللى عندنا تجربة فريدة وانها متقدمة بمراحل .. يظهر ان الصورة عندكم بالنسبة للتجربة فى مصر ناقصة جدا . . حد منكم قال اول امبارح انها تجربة نستطيع ان نسميها اشتراكية .. لا يا اخى مهياش تجربة نستطيع ان نسميها اشتراكية .. دى اشتراكية حقيقية وقائمة على ثورة .. قضت على نظام مبنى على تحالف الاقطاع مع راس المال ..

« واعطت الحكم للشعب العامل .. ثم .. اعادت صياغة العلاقات الاجتماعية وغيرتها تغييرا كاملا .. وتخلصت من كل الاستثمارات الاجنبية بالتاميم .. يعنى هنا كل البنوك كانت فرنساوى وانجليزى وبعدين موش بس خرجنا الانجليز وعربنا اقتصادنا .. لا اممنا وسيطرنا عليه سيطرة كاملة .. والعلاقات الاجتماعية هنا اتغيرت .. فى ١٠ سنين .. ما كانش ممكن تحصل عملية تحويل اشتراكى بهذا الشكل .. خصوصا احنا بدانا فى هذه العمليات من سنة ٥٦ بس ، لان طلعنا فى ٥٢ كنا عسكريين لا نعرف الا القطعة ١٨ على حد تعبير الاخ فهد .. وكنا نقعد مع جماعة اقتصاديين من الطراز التقليدى يعقدوا المشاكل ولا يجدوا لها حل .. لكن بعد كده مشينا فى العملية .. ودرسنا وحاولنا نتعلم بجد واخلاص وبعدين فيه شعار انتم النهاردة بتقولوا ان

لا اشتراكية بلا اشتراكيين .. من فضلكم ماتنسوش ان احنا أول ناس قالوا هذا الكلام ـ سنة ٦١ ـ وانتم النهاردة جايين ترددوا الشعار اللى احنا اطلقناه سنة ١٩٦١ قبل قرارات يوليو الاشتراكية (١) .

* * *

دوس عبد الناصر اولا الواقع الذى عاشه المجتمع وادى الى تخلفه واستخلص منه أن الحل الاشتراكي هو السبيل الامثل ، والذى لا سبيل غيره لما يعترض هذا المجتمع من مشاكل .. كان لا بد على الثورة ان تواجهها وتبدأ بها مرحلة جديدة من مســـيرتها مع الجماهير .

يأتى فى مقدمة دراسة واقع المجتمع المصرى .. انه ـ فى ذلك الوقت ـ مجتمع اقطاعى رأسمالى .. الاقطاع فيه يرتبط بالرأسمالية وليس بينهما حد فاصل كامل فى كثير من الأحيان ، وفى نفس الوقت فهو مجتمع ينمو ببطء ، تقدمه غير محسوس .. لأن الذين يحتكرون المساحات الكبيرة من الارض ، ومن المصانع ، لا ينشئون جديدا من المصانع ، لا يستصلحون أرضا الا فى حدود ما يرونه هم ، لا ما يحتاجه المجتمع ، الذى كان يزرع ليصدر ، ويستورد ليأكل ويلبس ، فكل شىء فى بلادنا كان مستوردا . كل شىء على الاطلاق فيما عدا بعض المنسوجات القطنية .. حتى المنسوجات الصوفية فكانت مستوردة والأنواع الجيدة من المنسوجات القطنية كنا نستوردها بعد أن نصدر قطننا يعود الينا منسوجات ..

« كان مجتمعنا بطىء النمو ، بل انه طبقا للاحصائيات الثابتة وصل الى حالة كاملة من الركود خلال اربعين سنة ، ما بين ١٩١٣ و ١٩٤٣ ففى هذه الفترة كانت نسبة النمو فيه أعلى متوسط قدره

---

(١) مباحثات الوحدة .

١١/٢ ٪ سنويا ، وهى نسبة نمو كانت الزيادة فى عدد السكان تستوعبها ، وعلى ذلك فانه خلال هذه السنوات الاربعين لم يطرأ اى تغيير يذكر على حالة المجتمع المصرى » (١) .

« وفى سنة ١٩٥٢ كان الدخل القومى للاقليم المصرى لا يكاد يصل الى ٧٠٠ مليون جنيه ، اى متوسط ثلاثة جنيهات فى الشهر الواحد لكل فرد من أبناء هذا الشعب ، وفى نفس الوقت كان هناك ظلم فادح فى توزيع هذا الدخل القومى الضئيل .. فقد انفردت بالجزء الأكبر منه أقلية من أبناء هذا الشعب » .

« وكانت النتيجة ، أن الغالبية الساحقة ارغمت على الحياة تحت حد متوسط الدخل القومى بكثير ، فقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن القلة التى تنزف معظم الثروة الوطنية هى التى حكمت وهى التى أمسكت بزمام القوة » (٢) .

« كان متوسط الدخل القومى منخفضا بالنسبة للفرد الواحد ومع ذلك فان هذا الدخل لم يكن يوزع على المواطنين ، بل كان يرتكز فى يد قلة من الناس هم الذين يسيطرون على الاقتصاد وبالتالى على السياسة ، بينما الغالبية الساحقة للشعب المصرى تعيش حياة دون الكفاف .. فقد كانت سلطة الدولة كلها فى يد تحالف رأس المال والاقطاع ، كان فيه ١٠٠ عائلة تملك معظم الاراضى الزراعية ، ١٦ عيلة قدمت لمصر كل رؤساء الوزارات والوزراء ، وكل من تسلط على المناصب السياسية القائدة فى البلاد » .

« كان ١/٢ ٪ من السكان يملكون وحدهم ٥٠ ٪ من الدخل القومى وتبعا لذلك يمسكون بزمام السلطة ، يضمنون بها مصالحهم ويفرضون بها الأمر الواقع » (٣) .

---

(١) مؤتمر الانتاج مارس ١٩٦٧ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى يونيو ١٩٦٠ .
(٣) عيد الثورة ١٩٦٢ .

رأس المال فى هذه الفترة كان يتراكم فى يد قلة من الافراد تسيطر على كل شيء .

وبالتالى فان الدخل القومى لا يوزع توزيعا عادلا على افـراد الشعب « الدخل القومى فى الصناعة ٣٢٪ منه أجور للعمال ، و ٦٨٪ ارباح لأصحاب العمل ، طبعا ان دل هذا على شيء فانما يدل على تناقض اجتماعى »

« وقد رأيت بنفسى سنة ١٩٥٢ ، وانا فى زيارتى لكوم امبو كيف ان كل العمال فى كوم أمبو كل واحد بيتغدى رغيف اسود ، وحتة بصل » (١) .

والدخل القومى فى الزراعة كذلك . . فاذا نظرنا مثلا الى محافظة واحدة مثل محافظة البحيرة وجدنا هـذه الصـورة الرهيبة (٢) .

« الملكية فى هذه المحافظة ، كما تثبت الوثائق . . كانت مقسمة بين بعض افراد الأسرة المالكة وبين ثلاث شركات مسجلة فى لندن .. وكان الخديوى اللى اباح لهذه الشركات ظلم السخرة هو الذى تقاسم معها نتيجة هذه السخرة . وكانت احدى هذه الشركات .. وهى شركة البحيرة . . قد حصلت من اسلاب الثائرة السنية بعد الاحتلال البريطانى على أكثر من ١٢٠ الف فدان ..

« ايضا بنعرف ان التطورات اللى حصلت بعد كده فى الملكية جرت كلها لصالح عدد من كبار الملاك المتعاونين مع الأسرة المالكة ومع الاحتلال البريطانى ومع المصالح المالية الأجنبية .

« واما فيما يتعلق بمكانة ملكية صغار الفلاحين من الاراضى

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١

(٢) خطاب دمنهور ١٩٦٦ .

فان الوثائق تظهر ان بنكا اجنبيا واحـــدا هو بنك « الكريدى فرانسيه » استطاع ان ينزع ملكية أكثر من ١٠٠ الف فدان فى ظروف الرهونات والقروض المرهقة وان يعيد بيعها بالطبع الى كبار الملاك » .

● واقع المجتمع اذن انه مجتمع الـ ١/٢ ٪ ، الأقلية التى تملك الثروة القومية وتحتكرها .. وبالتالى تسيطر ايضا على السياسة ولقد رأينا « كيف ان الوزراء كانوا يشتغلون عند الرأسماليين ، وازاى الوزراء بيقبضوا ، وازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان او فلان ، امثلة بهذا الشكل كانت معروفة ، وانقالت فى محكمة الثورة .. اذن ديكتاتورية رأس المال تحكم .. سواء كانت فى الحكم او تحكم بواسطة اعوانها أو عملائها ، وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ، ولمصلحتها من اجل استغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح » (١) .

● ان المجتمع كان مجتمعا طبقيا ، تتصارع طبقاته ((فلا نستطيع ان نقول اننا كنا نعيش فى مجتمع بدون طبقات ، كان فيه طبقة مستغلة ، وطبقة مسيطرة .. كان فيه طبقة متحكمة ، وكان فيه طبقة تعمل ، وتبذل كل جهدها .. لتستفيد تلك الطبقة التى تمثل اقلية هذا الشعب » (٢) .

وهذه الطبقات كانت تتصارع « ومن اجل لقمة العيش كانت هناك معركة دائمة بين الفلاح وصاحب الارض التى اغتصبها بغير حق . وقد تطورت هذه المعركة فانهزم فيها الفلاحون وانهزم فيها آباؤنا وأجدادنا ، ولكنهم لم ينهزموا أمام هذه الهزائم لأنهم اعتقدوا ان لهم حقوقا لابد أن يحصلوا عليها ، ولهذا استمرت المعركة سنين طويلة فى جهاد مرير ، ومات من مات من آبائنا وأجدادنا » (٣) .

---

(١) عيد الثورة يوليو ١٩٦١

(٢) نفس الخطاب

(٣) ١٩ ابريل ١٩٥٤ م

كان المجتمع اذن ينقسم الى طبقتين تتصارعان « طبقة السادة طبقة الحكام ، وطبقة العمال .. طبقة الفلاحين ، طبقة الاجراء .. التى كان الواحد فيها لابد أن يعمل ليأكل ، الطبقة اللى الواحد فيها لازم يوفر لابنه العمل ليأكل ، لأن ابنه لا يستطيع بأى حال أن يكون عاطلا بالوراثة ، كما كان أبناء الطبقة الاخرى عاطلين بالوراثة » (١)

« لقد كان واضحا أن الشعب قد ضاق صدره بهذه الأوضاع وكان واضحا أن الشعور الشعبى يضج بالحاجة الى علاج ثورى لهذه الحال ، ولقد كانت النظم من قبل الثورة واضحة لمن يريد أن يدرس بواطن الأمور ، ولا يكتفى فيها بالشكل العارض لصدام بين الفلاحين والاقطاعيين من كبار الملاك » .

« وانكم لتذكرون حريق القاهرة الشهير فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ولقد كان منظر العاصمة العظيمة وهى تحترق من أبشع المناظر فى كفاحها .. ولكن الواجهة البشعة ، لم تكن الا الشعار الخارجى ، وكانت الحقيقة أن الجماهير التى اشتركت فى هذا المشهد البشع ، انمـــا عبرت من غير وعى عما يعتمل فى نفســها من الغضب والحقد » (٢) .

● ان المجتمع كان يعاني من سوء توزيع الدخل القومي بين هذه الطبقات « ولست اعد الأرقام فى بيان ما كان عليه الحال ولكنى لا اتصور ولا أظن أحدا يتصور أن المجتمع الذى نعيش فيه كان يمكن أن يتحمل وجود مائة أسرة مصرية واجنبية وصل ما تملكه وما استرد منها بالتأميم والحراسة والاصلاح الزراعى ما تصل قيمته دون مبالغة الى ١٠٠٠ مليون جنيه » (٣) .

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى .
(٣) افتتاح مجلس الامة ١٩٦٤ .

« كان الفائض الذى يتبقى فى البلاد من فتات ما ترك الاستعمار لا يترك للشعب ، وانما يترك معظمه للذين يخدمون الاستعمار من غير ابناء البلاد ، او الذين خانوا شعبهم من أبناء البلاد وباعوا أمانيه الوطنية لعدوه مقابل اقتسام الجزء التافه من الغنائم » (١).

« كانت مئات الألوف من الأفدنة ، ملك لأفراد معدودين .. بل ملايين الافدنة ملك لافراد معدودين . وكان فيه افراد بيملكوا عشرات الالوف من الأفدنة أو مئات الالوف من الافدنة .. كان راس المال المستغل يتحكم ، وكانت العملية سهلة جداً .. الرأسمالي المستغل بيستطيع انه يرشى الحكام ، وبهذا يقدر يستغل العمال » (٢) ..

● هذا المجتمع لا ينشىء المصانع ، ولا يستصلح من الارض الا بالقدر الذى لا يتعارض مع مصالح الفئات المسيطرة .. ويحقق لها هى نفسها المصلحة ..

فالصناعة لا تخطط ، واذا انشئت فهى صناعة استهلاكية .. ليست شاملة ، ولكنها تكفى لاشباع حاجات البعض ، وتكفى لملء جيوب البعض الآخر من أصحاب المصانع ..

« طيب له ماززودوش الأرض الزراعية ؟ لأن حيزودوا الأرض الزراعية لمين ؟ هما كانوا بيزودوا الأرض الزراعية فعلا .. ولكن مثلا

(١) ٢٨ ابريل ١٩٦٧ .

(٢) عيد السد ١٩٦٤

فى بلبيس زادت الأرض الزراعية ، وصلحوا أراضى بور .. لكن ملكها فلان باشا .. فهم خدوا كفايتهم من الاصلاح ليس فيه داعى ان يصلحوا علشان الناس » (١) .

« كانت المصانع القليلة اللى بتتبنى ، ما بتتبنيش لخدمة الشعب كشعب ، ولا لعدد العمال .. لأن الراسمال كان يهمه أن يحقق الربح الكبير ، وتكون العمالة قليلة . واحنا النهارده بنبص للعمالة وبنبص لبناء البلد كبلد . والراسمالى ما كنش يهمه الانتاج القومى .. كل همه غناه الفردى ..

« كانت المشروعات قبل كده تتجه للمشروعات الاستهلاكية .. الناس اللى بيستهلكوا فعلا . وما كانش الراسمالى بيحس بمشكلة البطالة أو بمشكلة التطوير يمكن احنا مشكلتنا كانت ايه ؟ » ..

« احنا مشكلتنا : اللى ما بيقدروش يستهلكوا .. الناس اللى مابيدخلهمش دخل .. اللى ما بيقدروش يستهلكوا .. اللى ما بيقدروش يجدوا المال .. اللى يشتروا بيه حجاتهم » (٢) .

« سنة ٥٢ حصل ايه ؟ ايه الأموال اللى استثمرت من اجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى استثمر من أجل التصنيع مليون و ١٠٠ الف كمان أو ١٢٠ ألف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص » .

« احنا تركنا راس المال يعقد الاتفاقات فى الخارج .. راس المال بنوفر له العملة الصعبة .. بنوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل .. وهو كل اللى يعمله كان بياخد أرباح المصانع .. ايه

---

(١) شبين الكوم مارس ١٩٦٥

(٢) ٢٥ نوفمبر ١٩٦١

المخاطرة اللى فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ؟ .. مفيش مخاطرة ، بأى حال من الاحوال ، مشروعات طبعا تحولت الى أرباح شخصية » .

« مشروع كهربة خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربة خزان اسوان ؟ لان مشروع كهربة خزان اسوان لما يتنفذ حتبنى مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال . وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيحصل ايه ؟ .. حيطالبوا بحقوقهم ، ويعملوا تكتلات . .يبقى خطر عليهم .. وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة »(١) .

● بالاختصار صورة المجتمع انه مجتمع طبقى متنافر .. فرضت فيه الحماية الجمركية سنة ١٩٣٠ لمصلحة وحماية الراسمالية وتنميتها .. وكانت معاهدة منتريه سنة ١٩٣٧ بمثابة تشدين لهذا القرار اذ وضعت الراسمالية المصرية فى موقف معادل للراسمالية الاجنبية ..

وأخذت الراسمالية المصرية تنمو ، وتتكتل . وكونت اتحادا للصناعات ، وبدأت تتحالف مع الراسمالية الاجنبية .. وكانت تحرص على أن تضغط انتاجها وتقلله لتفرض الاسعار العالية ، ومن البديهى الا تلجأ الا الى الصناعات الاستهلاكية أو ذات العائد الكبير والسريع وانها لا تدخل مجال التصنيع الثقيل ...

فمثلا كان انتاج شركة السكر سنة ١٩٤٩ حوالى ٢٢٣ الف طن هبط انتاجها عام ١٩٥٣ الى ٢٠٦ الف طن ...

وكذلك شركة الاسمنت الذى هبط انتاجها من ١٠٣٠٠٠٠٠ر١ طنا سنة ١٩٥١ الى ٩٤٧٠٠٠ر سنة ١٩٥٢ .

---

(١) عيد السد ١٩٦٢ .

وقد استلفتت هذه الظاهرة نظر البنك الأهلى ، فكتب رئيس البنك فى تقريره سنة ١٩٤٧ بالنص « ان حالة الاحتكار التى نشأت عن الحرب أغرت بالمبالغة فى رفع السعر » ..

بدات الرأسمالية المحلية اذن تتحول الى ما يشبه الاحتكار واوضاع الملكية الزراعية فيه لا تختلف كثيرا عن هذه الصورة .. وسوف نتعرض لجانب منها عند الحديث عن الملكية الفردية فى الفكر الاشتراكى الناصرى ..

وهذا المجتمع أيضا كان متخلفا .. نسبة النمو فيه بطيئة . ونسب الانجاب فيه سريعة ، ونتيجة لتفاعل كل هذه الأوضاع فى المجتمع كان يشهد صراعات عنيفة تمزقه .. بين الذين يملكون كل شىء ... الأرض والمال .. وحرية الناس .. والذين لا يملكون شيئا على الاطلاق ..

الاشتراكية هى الحل الوحيد الحتمى

اذن فالتحليل لواقع المجتمع الذى عاشه عبد الناصر ، ولتاريخه اعطى الاصول للنتائج التى توصل اليها فى مجال التطبيق الاشتراكى .

ولا يختلف واقع المجتمع المصرى فى ذلك عن كثير من المجتمعات التى عاشت ــ او تعيش ــ نفس الظروف ، فى ظل استعمار يعاونه اقطاع ، وراسمالية نامية متعاونة مع راس المال الاجنبى ، واقصى امانيها ان تكون هى الوريثة له ..

ماذا تعنى الحرية فى فكر عبد الناصر وهى القضية التى شغلته منذ بداية حياته السياسية ، انها لا تقف عند حد تاكيد حرية الوطن بعيدا عن اى قيود السيطرة ، وفى منأى عن مناطق النفوذ .. ان الاستقلال السياسى فى فكره هو ــ كما قلنا ــ وسيلة من اجل تاكيد حرية المواطن « وهى لا تتاكد الا بنصيب عادل من ثروة بلاده » ..

فهل يمكن ان يتحقق ذلك دون السير فى طريق الاشتراكية ..

الفكر الناصرى ينفى ذلك من واقع تجربته ، ويقدم الاسباب .. فالعالم قسمان .. قسم متقدم وصل الى اعلى المراحل التكنولوجية والاخر متخلف ما زال فى القاع .. التقدم الذى حققته دول المعسكر الراسمالى تم عن طريق الاستعمار وهذا هو السبب الذى اوجد التخلف فى نصف الكرة الاخر ... فالتقدم فى البلاد الراسمالية حدث عن طريق نهب واستغلال ثروات الشعوب والثروات التى كبرت فى العالم الراسمالى ووصلت الى حد تكوين احتكارات ضخمة لم تكن باعتصار عرق العمال الفلاحين فى

البلاد الراسمالية وحدهم ، بل واولا باستغلال الشعوب المستعمرة وتكوين مدخرات منها استخدمت فى تطوير الصناعة والزراعة ..

والتقدم فى تلك البلاد لم يتم الا بعد ان نهبت الثروات والمواد الخام من الشعوب الفقيرة والمستعبدة ، وفى احيان اخرى تحولت هذه البلدان الفقيرة الى مزارع تخدم انتاج الدول الراسمالية .. او متاجر توزع منتجاتها .. كل ذلك تم على حساب جوع هذه الشعوب ، وفقرها ، وبؤسها ..

فالمصانع التى اقيمت فى الدول الراسمالية الكبرى ادارت محركاتها بدماء الشعوب المستذلة والضعيفة .. وتحول ابناؤها الى وقود فى افران هذه المصانع لتزداد مداخنها ارتفاعا ونموا .

وهذا الزمن قد انتهى ، ولا يمكن ان يعود ..

لم يعد ضمير العصر ، ومثله وقيمه واخلاقياته تسمح بهذه القرصنة الاستعمارية .. ويبقى على الشعوب التى تخلصت من الاستعمار ان تناضل فى سبيل محو آثار هذه الصورة والشعوب التى ما زالت تعيش تحت وطأة الاستعمار حتى الآن عليها ان تقاتل لكى لا تستنزف بقية قطرات الدماء منها .

وهذه الشعوب وتلك تقع فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ..

هذه واحدة والثانية هى افتراض جدلى يقول انه حتى اذا كان ضمير العصر لا يابى هذه الصورة ولا يلفظها ، فان الشعوب النامية التى ذاقت مرارة الحرمان والاستعباد غير قادرة لا نفسيا ولا ماديا على القيام بمثل هذه المغامرات الاستعمارية ..

فالشعوب التى عاشت مستذلة ، منهوبة ، لا يتطرق اليها فكرة ان تستذل غيرها وأن تنهبها .. على فرض أن لديها من الامكانيات المادية والبشرية والنفسية ما يمكنها من ارتكاب هذه الجريمة ، وعلى فرض ان الدول الاستعمارية الاصيلة سوف تسمح لها بذلك .

وهو امر مستحيل اذن .. وفى نفس الوقت فان آمال الجماهير العريضة فى هذه الشعوب تريد أن تتنفس ، ولا تستطيع ان تفى باحتياجاتها .. الا التنمية الشاملة ، فالجماهير تريد نصيبها فى ثروة الوطن ..

وتريد فرصا جديدة للعمل ..

وتريد الا تعيش على منتجات غيرها ..

وتريد تطوير أساليب الحياة على ارضها ، لينعكس ذلك عليها لخدمات عادلة وحقوقا مشروعة ومقدسة تعليما ، وصحة ، وتأمينا، بالاختصار .. الجماهير تريد أن تعيش ، وأن تعوض سنوات التخلف التى عانت منها ..

ولعل أبرز ما يميز القرن العشرين ، انه قرن انتفاضة الجماهير فقد اتاحت لها آفاق الحياة المتسقة والمتجددة فرصة أن تطالب بحق حياتها .. وأن تحس انها شريكة فى الوطن .. لا تعيش على هامشه ولكن لها دور فيه .. وهى تريد ان تؤكد أن انتماءها الى الوطن حقيقة واقعة ..

فجماهير القرن العشرين هى التى لفظت الاستعمار ، وثارت ضده ، وهى التى لفظت الاستغلال ، وثارت ضده ، وما زالت نيران ثوراتها تنبعث بين آن وآخر فى كل منطقة من العالم ..

فهو عصر الشعوب ، وانحسار المد الاستعمارى ، بعد أن سقطت عنه أقنعته ، وظهر على صورته البشعة الحقيقية وظهرت حركات التحرر الوطنى واتضح التناقض بينها وبين الاستعمار الذى اصبح يدخل مرحلة التحدى .. وليس هناك وسيلة للانتصار فى هذا التحدى سوى التنمية الشاملة .

ان وسائل الاتصال المنتشرة والسريعة بين العالم كله كان لها الدور الأساسى والحاسم فى تنبيه الشعوب ، وتفتيح آفاق ابنائها نحو حياة جديدة بمتطلبات جديدة ، وزيادة احساسها بأوضاع الاستغلال التى عاشتها أو تعيشها .. لذلك كانت الثورة على

الاستعمار ، وكانت الثورة على أعوانه ، ولكن الجماهير لا تثور على الاستعمار لأنها ترفض أن تنهب ثرواتها الى خارج وطنها فحسب ، فهي عندما ترفض النهب الاستعماري فانها ترفض فى نفس الوقت النهب بكل انواعه .. ترفض أن يكون خير البلاد حكرا لنفر معين .

كما أن ظهور المعسكر الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية ، ونموه ، واتساعه .. قد أدى الى وجود النموذج للتغيير الذى تصر عليه الجماهير كحقيقة واقعة ، وهو بمساندته ايضا لحركات التحرر ووقوفه فى وجه الاستعمار قد وضع تناقضا هاما امام الجماهير هو التناقض بين نظامين ، أحدهما يستغل ، ويحتكر ، ويستعمر ، والآخر يحقق آمال الشعوب فى الرفاهية ويحقق العدالة ويناصر قضايا التحرر والسلام .

ومن هنا فان الفكر الناصرى يحدد الطبيعة المتغيرة للنصف الثانى من القرن العشرين ، وخاصة فى الفترة التى طرات على العالم منذ نهاية الحرب العالمية فى ثلاث امور :

- تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، هذه القوة التى استطاعت أن تقود معارك منتصرة ضد القوى الاستعمارية ، واصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير فعال .
- ظهور المعسكر الاشتراكى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الراسمالى .
- التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج « واسلحة الحرب التى بلغت خطورتها الى ان اصبحت وادها يحول دون الحرب ذاتها » . هذا فضلا عن التغيير الأساسى الذى حققه هذا التقدم العالمى فى وسائل المواصلات للدرجة ان تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل بين الأمم فعليا وفكريا .

ان متانة الاقتصاد هى التى تصون الاستقلال وتؤكده . وهى التى تبعد شبح الاستعمار ، وضعف الاقتصاد ، وضعفه وتفككه هو الذى يتيح الفرصة للاستعمار ليعود فى صورة مشروعات ومعونات او جنود ..

فعندما يضعف الجسم ، فان قوة مناعته ومقاومته للامراض تقل .. ويصبح اكثر عرضة لتقبل الأوبئة بمختلف أنواعها ، ما لم يكن قويا صلبا يستطيع أن يطرد من طريقه شبح كل الجراثيم الحاملة للأمراض ، وكذلك الاقتصاد بالنسبة للشعوب ، فهو الأساس فى تكوينها .. وعليه يتوقف نموها .. كما يتوقف تحديد هويتها السياسية . والاقتصاد المتين هو الذى يقاوم الاستعمار ، ويناضل ضده ، ويقيم سدا منيعا أمام عودته بمختلف الصور ..

وحتى تقام القاعدة الاقتصادية المتينة التى تدعم الاستقلال لا بد أن يكون الاقتصاد قويا ، ولا بد له أن ينمو ولا بد من تطوير قوى الانتاج الداخلية بعيدا عن القوى الراسمالية المحلية التى ليس عندها مانع من ان تتعاون مع الاستعمار والراسمالية الاجنبية ولو على حساب البلد .

فهل تستطيع القوى الراسمالية فى المجتمعات النامية ان تقوم بذلك حتى ولو لم تتعاون مع الاستعمار ..؟؟

الفكر الناصرى ـ وأمام تجربته يقول انها لا تستطيع .. لأسباب عديدة ، واذا استطاعت ذلك فى بعض الظروف فانه يتم فى اطار الاستغلال ، وفى اطار الاقتصاد الحر الذى يسعى وراء المشروعات الرابحة فقط ، ولا ينظر الى اى مشروع الا بمقدار ما يتيحه له من دخل ومن موارد .. وتجربة الناصرية من واقع المجتمع المصرى تقول ذلك كله ، فقد انطلق عبد الناصر من واقع المجتمع الذى عاشه ومن دراسته له كما قلنا .

ولقد كان المجتمع متخلفا يعتمد على الزراعة وزراعة القطن بالذات وهو ايضا أساس صادراته ، دخل الفرد منخفض ، الصناعة

فيه متخلفة ، الاستثمارات فيها قليلة ، البنوك وشركات التأمين والأراضي مملوكة لرأس المال الأجنبي ..

ويحدد جمال عبد الناصر من واقع المجتمع المصرى بأنه كان مجتمعا محكوم عليه بالتخلف :

« أن مجتمعنا كان مجتمعا محكوم عليه بضغطين » الضغط الأول : أنه كان مجتمعا بطيء النمو .. والضغط الثانى : ان هذا المجتمع - الى جانب ركوده - كان يعيش فى حالة خلل محزن بتأثير التفاوت بين الطبقات ويكفى أن نذكر أن نصف فى المائة من السكان فى هذا المجتمع كانوا يحصلون على نصف دخله القومى كله . ولقد قلت السكان ولم أقل المواطنين ، لأن الواقع المر كان يشهد أن الطبقة الممتازة التى تقتطع لنفسها نصف الدخل الوطنى كله كانت خليطا من العناصر الأجنبية ، تسكن فى مصر بعض وقتها ولكنها لا تعيش الحياة المصرية »[10].

« من هذه الأوضاع ومن تفاعلها بظروف العصر فان الحل الاشتراكى بغير بديل هو الطريق للتقدم الاجتماعى والاقتصادى . كانت الاشارات لهذا الحل واضحة فى الضمير المصرى من قبل الثورة وعبرت عنها بطريقة أمينة مبادىء الثورة الستة ، والتى وضعت للتطبيق بعد انتقال سلطة الدولة الى يد ارادة الثورة ، وبدأت عملية التحقيق بقانون الاصلاح الزراعى الأول ، ثم اسقاط قمة تحالف الاقطاع ورأس المال المتمثلة فى أسرة محمد على ، ثم استرداد قناة السويس وتمصير المصالح البريطانية والفرنسية ، ثم الاحتفاظ بها فى اطار الملكية العامة ، ثم تأميم البنك الأهلى وبنك مصر ، وتدعيمها بعد ذلك بقرارات أغسطس ١٩٦٣ وفى ذلك الوقت ، فان المسألة لم تكن مجرد استرداد وانما كانت الى جانب ذلك وبدرجة أكبر مسألة اضافة وتوسيع ، ولقد أقيم مجلس الانتاج بعد شهور من الثورة ، وتولى اقامة عدد من المشروعات العامة ، ثم أنشئت أول وزارة للصناعة فى سنة ١٩٥٦ ، وقامت

على الفور تحت ظروف الحصار الاقتصادى الذى أعقب حرب السويس ، بوضع خطة ثلاث سنوات للصناعة مهدت فى الحقيقة لخطة التنمية بعد ذلك » (١)

« لقد تكالبت ظروف عديدة ، بمرور أحقاب طويلة من الزمن ، على تبديد الثروة القومية لشعبنا » .

« لقد كان هناك استغلال المماليك على اختلاف دولهم . وكان هناك استغلال الملوك والأمراء والدخلاء ، الذين لم تكن بلادنا تعنى بالنسبة لهم ، الا كونها ملكا خاصا ينفقون خيراته حيث حلى لهم »

« وكان هناك استغلال الحكم العثمانى ، الذى تحمل السلب والنهب لحساب امير المؤمنين .. كما كان السلاطين من آل عثمان يسمون انفسهم » .

« وكان هنـــاك الاستنزاف المروع الذى تعرضت بلادنا له ، خصوصا فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة .. ذلك الاستنزاف الذى قام به عدد من أصحاب البنوك فى أوربا .. هؤلاء الذين حولوا مصر وقتها الى حقل كبير للقطن يكدح فيه العبيد .. ثم ينتهى جهدهم الذى بذلوا فيه العرق بل الدم ايضا .. ذهب فى أيدى المستغلين » .

« كانت هناك أعباء الحروب الصليبية .. وكانت هناك اعباء غزوات محمد على ، الذى لم يستهدف الا الفتـــح ، لتوسيع (امبراطوريته) لحساب آل عثمان ، آل محمد على » .

« وكانت اعباء حفر قناة السويس .. التى تحولت نقمة على الذين دفعوا ثمنها .. نعمة على الذين فازوا ، فى خاتمة المطاف ، حتى سنة ١٩٥٦ بكل ايرادها » (٢) .

« وفى القرن الماضى .. الاستعمار البريطانى والعيلة المالكة ، اتفقوا على استغلال هذا الشعب . الشركات الأجنبية المستغلة

---

(١) مؤتمر الانتاج ـ مارس ١٩٦٧ .

(٢) المؤتمر العام للاتحاد القومى يوليو ١٩٦٠ .

ايضا ، اتفقت مع العيلة المالكة ، على استغلال هذا الشعب .. كان فيه سخرة ، كان فيه استبداد ، كان فيه استغلال .. كان فيه ناس بتعمل وتموت .. تحفر الترع مجانا .. تسوى الأرض مجانا . وفيه ناس تملك الارض وتملك المال . تملك خيرات الأرض .. تزيد المال .. وعن طريق زيادة المال ، تستطيع ان تزيد أرض » (١) .

« وبهذا كان هناك المجتمع الطبقى ، الذى يتحكم فيه الاقطاع المتحالف مع راس المال » .

« وان اخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف اجيالا عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع الى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع الى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضا » .

« اننا لا نملك ان نتخلف اطلاقا عن العالم الجديد .. ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. اننا تخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء .. »

« ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له اذا فاتنا الفجر الجديد .. ان الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم فى الوجود » .

« هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ، واحب أن أضيف اليها .. ان هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الاستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه » .

« ولقد كان القضاء على الاستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت الى الاستغلال ضربات متلاحقة ، بدات بالاصلاح الزراعى ، الى تأميم قناة السويس ، الى التمصير ، الى

---

(١) دمنهور ١٥ يونيو ١٩٦٦

تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، الى قرارات يوليو المجيدة وقرارات اغسطس ١٩٦٣ وقرارات مارس ١٩٦٤ التى انهت مشكلة التعويضات على التأميم . وقامت بعملية تصفية للامتيازات القديمة لم يكن منها مفر » .

« ولم يكن توجيه الضربات الى الاستغلال موقفا سلبيا ، ولكن تحويل راس المال الضخم اداة الاستغلال الرئيسية ، الى الانتاج العام والخدمة العامة ، كان من ابرز نقط الارتكاز للعمل الوطنى الايجابى » .

« ان تحويل المقادير الضخمة من راس المال الى ملكية الشعب العامل ، والى خدمته ، ساعدت الى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، او بالطريق غير المباشر » .

« ان الأرض التى وزعها الاصلاح الزراعى من املاك اى اقطاعى قديم ، حولت فلاحا معدما واسرته ، الى مالك له حق الحياة .. وراس المال الضخم ، الذى تحرر من الاحتكار ، شارك فى اقامة مصانع ، اتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلا امامه أبوابا الى مراكز القيادة فى وحدات الانتاج الضخمة » (١) .

« اننا راينا قبل الثورة كيف ان الوزراء كانوا يشتغلوا عند الراسمالية .. ازاى الوزراء بيقبصوا ، ازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان او فلان .. امثلة بهذا الشكل كانت معروفة واتقالت فى محكمة الثورة » ...

« اذن ديكتاتورية راس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، او تحكم بواسطة اعوانها او عملائها وهى تبقى خارج الحكم ،

---

(١) مجلس الامة مارس ١٩٦٥

ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من اجل استغلال الشعب ، ومن اجل تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح » ..

« ولا يمكن ان يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على انهاء سيطرة راس المال على الحكم .. والعمل على انهاء الاقطاع .. والعمل على زيادة الانتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..

سيطرة راس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية راس المال ، وبقاء البناء الاجتماعى والاقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الراسمالية (١)

واذا سيطرت الطبقة الراسمالية على البناء الاجتماعى والاقتصادى ، فان معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر أو غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الاقطاع وديكتاتورية راس المال التى تحاول ان تخضع المجتمع كله للاستغلال والسيطرة ..

هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة . وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة اليها ، هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على انه لابد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولا بد من الوصول الى مستوى التقدم المقبول عالميا وانسانيا .

« انه بات محتما ان نسرع خطانا على طريق التنمية باكثر من هذا القدر . ولقد طلبت الى الأجهزة المسئولة عن التنمية ان تدرس امكانية مضاعفة الدخل القومى فى اقل من عشر سنوات ولابد لنا ان نسير وان نبنى .. وما من جدال ان الاطار الاشتراكى للمجتمع

---

(١) عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦١

الآن يساعدنا على دفع عجلة الانتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة .

« وعلينا واجب كبير من اجل بناء هذه الأمة ، ومن اجل ان ننجز فى ٣٠ سنة ، ما انجزته اوربا فى ٣٠٠ سنة .. اذا كنا عايزين نعيش عيشة سعيدة (١) » .

((لقد ادركنا بوضوح ، ان التنمية لابد ان تقترن بالتوزيع ، كذلك ادركنا ، ان سلامة الاقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا فى اسواق المضاربة الدولية)) .

« ان السلامة الحقيقية للاقتصاد ، تقاس بقدرته على الانتاج ، وليس يهمنا ان يظل النقد المصرى محتفظا بشكل قيمته ، متحررا من اعباء التنمية ، متسكعا فى اسواق المضاربة الدولية عاطلا مستهترا ، لكنه براق المظهر يتحرك فى جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان اسهل أن نوفر له الشكل الخارجى ، ونوفره من العمل ، ونتركه للتسكع الطليق . لكننا نطلب من كل قيمة فى وطننا ، كما نطلب من كل انسان فرد ، ان يتحمل طاقته أداء للواجب .. ونهوضا بأمانيه (٢) » .

هل كان يمكن ان يلجأ عبد الناصر الى رءوس الأموال الاجنبية ؟!.. الفكر الناصرى راى فى ذلك امتدادا للاستعمار ، لذلك فهو يتحدث عنها بصراحة .

« فنحن لم نشجع هذه الاموال التى أرادت أن تستغل ، وفضلنا عليها القروض ، لان راس المال الاجنبى الذى يصل الى الجمهورية العربية المتحدة ، الى مصر ، يستخدم فى الاستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام ارباحا ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الارباح الى الخارج » .

---

(١) ٢٤ يوليو ١٩٦٢

(٢) مجلس الامة ١٩٦٤ .

« ومعنى ذلك اننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لراس المال تحول بالعملة الصعبة الى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة نفضل فيها ان نأخذ القروض ، ونسددها على سبع سنوات أو عشرين سنة أو ١٢ سنة أو أكثر . ولهذا عندما نأخذ راس المال الأجنبى ننتهى منه بعد عشر سنوات أو أكثر » .

« وهناك استثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج الى استمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلا أو المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس اموال اجنبيـة استثمرت بالنسـبة لشركات الأدوية .. ولكن اشترطنا أن يكون نصف راس المال اجنبى ، ونصف راس المال وطنى » .

« والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبترول ، ونحن لدينا منـاطق واسعة ولم نبحث فيها عن البترول ابدا ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ راس مال وطنى عندها ٦١ منطقـة نبحث فيها عن البترول ولدينا شركات أخرى ٥٠٪ راس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن ان تحقق امكان البحث عن البترول فى جميع أنحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، اعطينا لراس المـال الأجنبى الحق فى الاسـتثمار على أن يكون شريكا لراس المـال الوطنى ، اى راس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ راسمال اجنبى و ٥٠٪ راسمال وطنى (٧) » .

« ان المصالح الراسمالية المتحكمة فى الوطن ، ادركت منـذ اليوم الأول ، انها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم الذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ٥٢ لكن الراسمالية المتحكمة ، تصورت انها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ، وزيادة تركيز احتكارها للثروة ، من احساسها برغبة الثورة فى توسيع قاعدة الانتاج » .

---

٧ ــ المؤتمر الصحفى ١ اكتـوبر ١٩٦٢ .

« ولم تدرك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة المجيدة .. يتعين عليها ان تسأل نفسها دائما زيادة الانتاج لمن ؟.»

ولقد بدأت الارادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عمليا بالاتجاه الى اقامة وحدات انتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلا فى البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التى جرى تأميمها ونقلها الى الملكية العامة ، ثم اتباعها بقرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ التى ضمنت الملكية العامة للجزء الأكبر من وسائل الانتاج خصوصا فى المجال الصناعى ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للانتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الاستهلاكية بما لا يسمح بالاستغلال » .

« وارتبط بذلك تحقيق اشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر اى احتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجالها واسعا فسيحا للنشاط الخاص » .

« وبذلك فان الاقطاع التقليدى ، الذى اراد أن يهرب الى المظهر العصرى للاستغلال الرأسمالى ، قد تهاوى من جميع اركانه وتداعى ، خصوصا بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكته فى نهب ثروة الشعب وجهده » .. (١)

ويقول القائد « جربنا وسائل الاصلاح التقليدية ... جربنا التمصير قبل التأميم . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا أن فيه أموال أيضا تتحول للخارج ، وفيه استغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الاستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه الى التأميم ، وأن نضع الأسس التى تمكننا من اقامة عدالة اجتماعية .. اقامة

---

(١) مجلس الأمة مارس ١٩٦٤

مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى(١) » .

وكان السبيل اذن الى تدعيم الاستقلال ، ليس الاعتماد على راس المال الأجنبى وانما التنمية الاشتراكية .

« السبيل الى تحقيق تدعيم الاستقلال ومواجهة الاستعمار والسبيل الى العمل على تحقيق أهداف الأمة العربية فى الوحدة هو ان نحقق اهداف الثورة .. اهداف الثورة ببساطة .. هى الكفاية والعدل .. اذا لم نحقق ذلك .. فاننا بهذا نكون قد تخلينا عن حاضرنا ، وفى نفس الوقت تخلينا عن مستقبلنا ، لأننا فى وقت لا يستطيع فيه انسان أن يقف جامدا فى مكانه ، من لا يتقدم يتأخر ، دى حكمة قديمة ، ولكن العصر الحديث احكامه وعلومه أكدتها » (٢)

« هل نستطيع مثلا ان نتوقف فى التنمية ؟ هل نستطيع أن نتوقف فى رفع مستوى الانتاج ؟ احنا بنزيد كل سنة حوالى ٣٪ ، اذا كان مستوى التنمية كل سنة ٣ ٪ معنى ده ايه ؟ معناه أن احنا ما عملناش حاجة ، اللى بنبنيه بنخلف ناس تاكله ، وماتخليش من اللى بنبنيه حاجة أبدا للجيل الحاضر ، واذا كنا بنخلف وبنزيد بنسبة ٣ ٪ يبقى هل يمكن ٤ ٪ معدل تنمية تكفى مجتمعنا هذا ؟ ان مستوى المعيشة كل سنة حيزيد ١ ٪ . احنا فى تقييم الخطة الخمسية الاولى كان معدل الزيادة فى الانتاج كل سنة حوالى ٧ر٢ ٪ . اذا حسبنا ٣ ٪ اصلا زيادة فى السكان يبقى فعلا الزيادة الحقيقة فى مستوى المعيشة حوالى ٤ر٢٪ . اذن هل نقدر فى المستقبل ننزل التنمية عن ٧ر٢٪ ؟ احنا عاوزين طبعا معدل التنمية ٨ ٪ ومعدل الولادة ينزل من ٣ الى ٢ ٪ أو ٥ر٢ ٪ لأن البلاد اللى بتتقدم يخف معدل الزيادة السكانية فيها كل سنة » .

« احنا قدامنا حل من اثنين ، يا اما نشتغل بكل سرعة وبكل قدرة واكثر من قدرتنا ونوجد شغل لكل واحد فى هذه البلد ...

(١) عيد الثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٢ .
(٢) ٢٥ يوليو ١٩٦٦ .

يا اما نشتغل بالسرعة العادية وحيبقى عندى فى كل سنة عدد من العاطلين ومش حاقدر اوجد لهذا البلد الأكل ولا اللبن ولا اى حاجة . احنا بنزيد فى السنة ٧٠٠ الف والستة مليون فدان هما الستة مليون فدان من سنة ١٩٥٢ كانوا ايام محمد على ٤ مليون فدان وكنا حوالى ٥ او ٦ مليون وفى سنة ٥٢ كانوا ستة مليون فدان وكنا ٢٢ مليون النهاردة سنة ٦٤ الستة مليون فدان واحنا ٣٠ مليون وكل سنة حنزيد ٧٠٠ الف .. طبعا علشان كده السد العالى كان بالنسبة لينا مسالة حياة أو موت ، السد العالى كمان مش كفاية ، حيدينا مليـــون فدان حنزودهم لكى يكونوا مليـــون ونص مليون ، الثروة المحدودة لا يمكن حتكفينا مع الزيادة فى السكان ، يبقى ليس أمامنا سبيل الا أن احنا نتحول الى دولة صناعية بأسرع وقت ممكن » (١)

قضية التنمية اذن قضية ملحة وضرورية ، وهى لن تتحقق فى ظل خطة تهدف القضاء على التخلف الا اذا كان الاقتصـــاد مملوكا للشعب ، وتحت سيطرته ، ويدار لخدمة أهدافه ، وأمانيه فى التقدم والرخاء .

وهذا الامر لم يكن ليتحقق بعيدا عن قيام القطاع العام الذى يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج ، وفى ظل مبدأ اشتراكى هو مركزية التخطيط ، وفى اطار خطة عامة تهدف الى رفع مستوى المعيشة ، والقضاء على التخلف بجميع انواعه ومظـــاهره ، بادئا بالتخلف الاقتصادى الذى هو الاساس ..

ولقد عكست كلمات عبد الناصر هذه المعانى ، وأيضا عكست كيف تطور هذا الفكر على طريق التجربة حتى اهتدى الى ان الحل الاشتراكى هو الحل الحتمى والوحيد لمشاكل التخلف .. فجرت التمصير ، وجرب تشجيع رأس المال الاجنبى . ووجد ان ذلك كله لن يحقق آمال الشعب وان الطريق الوحيد لتحقيقها هو التنمية الاشتراكية ..

---

١ - ١٢ نوفمبر ١٩٦١

نعـــم .. اشـــتراكية علميــة

اهتدى الفكر الناصرى اذن الى الاشتراكية العلمية كحل ضرورى ، ووحيد للتقدم ..

والاشتراكية العلمية هو لفظ أطلقــه للمرة الأولى انجلز على مجموعة القواعد ، والنظريات التى توصل اليها كارل ماركس لكى يميزها على ما سبقها من ارهاصات الفكر الاشتراكى ، فى صورة اشتراكية مثالية ، وخيالية ، وتعاونية وغيرها .. ولقد استمر هذا الاصطلاح يطلق على الماركسية وحدها لفترة طويلة . على اعتبـار انها تقوم على العلم ، وانها تصل الى النتائج عن طريق دراسة حركة المجتمع . وصراع الطبقات فيه .

وقد وصل عبد الناصر بفكره الى الاشتراكية عن طريق دراسة حركة المجتمع الذى عاش فيه ..

ومن هنا فقد توصـــل الى **الحل العلمى** والحتمى لمشـــاكل التخلف هو الاشتراكى ..

واذا كانت الاشتراكية العلمية لفظ يرتبط بالماركسية ، فان عبد الناصر لم يأخذ بالماركسية ، وان كان قد التقى معها فى المنهج الذى درس من خلاله واقع المجتمع .. كما التقى معها فى كثير من الأصول النظرية الأخرى ، ولكنه انفرد عنها أيضا بعــدد آخر من الافكار الجوهرية ..

والدارس للفكر الناصرى الاشتراكى يرى ان عبد الناصر قد أعطى اضافات الى الفكر الاشتراكى تحدث لاول مرة فى التاريخ ..

من هذه الاضافات وابرزها على الاطلاق أن سلطة الدولة ذاتها هى التى أحدثت التغيير نحو الاشتراكية ، وهى التى قادت التحول الاجتماعى ..

فقد كان من المتصور دائما حتى على المستوى النظرى ان احداث التحول الاشتراكى يتأتى باحداث ثورة دموية تتولى السلطة لتقوم بالتغيير ، ثورة قامت من اجل هذا التغيير ، يسندها تنظيم حزبى قوى يخوض معركة الانقلاب على السلطة ، ويواجه اجهزة القمع بها حتى يتمكن من الاستيلاء على السلطة التى تمكن قيادة هذا الحزب من اجراء الثورة الاجتماعية .

تجربة عبد الناصر فريدة ، لان جهاز الدولة أولا هو الذى انقلب على الدولة ، فالجيش هو الذى قام بالثورة ، وبعد أن استولى على السلطة دون تنظيم حزبى جماهيرى يسنده ، وبرؤية واضحة ودراسة علمية لواقع المجتمع ، قاد عبد الناصر الثورة الاجتماعية بعد ٧ سنوات من توليه السلطة .

واحدث عبد الناصر اضافة اخرى وهامة هى انه يمكن ان تقوم ثورة اشتراكية فى دول العالم الثالث عموما دون أن تعتمد فى قيادتها على ديكتاتورية البلوريتاريا .

واحدث جمال عبد الناصر اضافة ثالثة تقول ان الدين هو دافع للتقدم البشرى ، وليس معوقا لتقدم الشعوب وتنميتها .

واحدث عبد الناصر اضافة رابعة تقول انه « ليست هناك بابوية فى الاشتراكية ومفيش نصوص جامدة ، ولا نصوص ناشفة » (١) فالمحظور الوحيد هو الاستغلال فقط ..

وقال الفكر الناصرى انه يمكن أن تكون هناك اشتراكية علمية، لا تؤمم كل وسائل الانتاج ، بل تترك المجال مفتوحا امام القطاع الخاص ، وامام الملكية الفردية .

وهو يرى مع ذلك أن ما ينبغى أن يأخذ به المجتمع كطريق لتقدمه هو الاشتراكية القائمة على العلم .. وحده ..

وانه ليس هناك نظاما وسطا بين الاشتراكية والرأسمالية . ويقول (٢) « سمعت عمن يرى ان نظامنا نظام وسط بين الانظمة

---

(١) من حديث للشباب فى حلوان
(٢) حديث للاهرام

وبما أننا فى موقف وسط بين الشرق والغرب فكذلك يجب أن يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية والراسمالية ، ثم سمعت عمن يرى انه نظام ابتكرناه ، واننا نؤمن به لاننا لا نقلد به أحدا »

« ولست اتصور ما هو اكثر بعـــدا عن الحقيقة من هذه التعليلات ، فالحياد السـياسى ليس موقفـا وسطا بين الشرق والغرب ، ثم ان اتخاذ موقف وسط فى مجال العقائد الاجتماعية امر مستحيل ، كذلك ليس موقفا اخترعناه ننفرد به ، وانما هو التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » .

ان جوهر الاشـــتراكية واحد ، وتطبيقها يهـدف فى النهاية للقضاء على استغلال الانسان للانسان ، بل لعل القـــائد يبسط النظرية الى حدودها الدنيا من التبسيط عندما يقول :

« بناخد الأمور بمنتهى البساطة ونبسط للناس ، نتكلم ما هى الاشتراكية ، احنا عاوزين ايه ، يعنى انا نوبة قعدت ــ مع ناس ــ وباقول لهم انا عايز ايه اسألونى انا عاوز ايه ؟ **انا عاوز اشغل الاولاد واجوز البنات** زى اى عائلة .. اى عائلة عندها أولاد وبنـات ، الراجل رب العائلة عايز أولاده يشتغلوا وبناته يتجوزوا » .

« طيب كيف نستطيع ان نحقق هذا يعنى نبسطها كده .. يبقى لازم نعمل تنمية ، لازم نعمل زراعة ، ولازم نعمل صناعة ، ولازم نعمل كذا . وبكده نبقى فعلا بنحقق الهدف او بنقول عاوزين نمنع استغلال الانسان للانسان . » (١)

وقبل ذلك يبسط الزعيم والمعلم النظرية فى كلمات قليلة تدخل العقل والقلب معا فيقول : « ان الاشـــتراكية **ليست متـاهات فلسفية** ، وليست شعارات ذات طنين .. انها فى النهاية بيت

---

١ ــ مؤتمر المبعوثين ١٦ مايو ١٩٧٠

سعيد لكل أسرة ، يقوم على عمل القادرين أو المهيئين للعمل رجالا ونساء .. بيت مفتوح للصحة ، وللعلم ، وللثقافة ، مظللا بالأمان الاجتماعي ضد المفاجآت .. متفاعلا مع غيره من البيوت السعيدة ، مشتركا معها فى أمر الاهتمام العام ، بأمر وطنه . وبأمور العالم الذى يعيش فيه » (١) .

وبهذا التبسيط والايجاز ، يلخص الفكر الناصرى نظرية عميقة ، فهى التى تعطى للمواطن حق ، العمل ، والعلاج ، والتعليم ، وتؤمنه ، ولا تعيش الاشتراكية وحدها فى جزيرة منعزلة ، بل انه من المحتم عليها أن تأخذ وتعطى وتتعامل مع « النماذج » الاشتراكية الأخرى ، وأن تكون على وعى بما يدور فى وطنها وفى العالم كله ، وأن يكون لها موقف منه ، ورأى فيه ..

بهذا الجوهر الواحد للاشتراكية ، يرى عبد الناصر أنه ليس هناك اختلافات حول الأساس النظرى للاشتراكية العلمية .. ولكن قد يكون التطبيق متغيرا ...

ومن هنا كانت تجربة الناصرية فى التطبيق متميزة ..

وقبل التعرض لهذه السمات بشىء من التفصيل يمكن أن نلقى نظرة سريعة على الفكر الاشتراكى كما يراه عبد الناصر أسلوبا للتطبيق فى المجتمع وكنموذج جديد للتجربة الاشتراكية .

● أولا – فى مجال الانتاج عموما :

تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج ، كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود

---

(١) مؤتمر الانتاج

ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة ، فى نطاق الملكية العامة للشعب .

● ثانيا ــ فى مجال الصناعة :

تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب .

واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب .

● ثالثا ــ فى مجال التجارة :

تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب .

وفى هذا المجال فان تجارة الاستيراد تكون كلها فى اطار القطاع العام وان كان من واجب رأس المال الخاص أن يشارك فى تجارة الصادرات .

ويكون للقطاع العام الغالبية فى تجارة هذه الصادرات منعا لاحتمالات التلاعب ، واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لا بد له أن يتحمل عبء ثلاثة أرباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها .

يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية ، خدمة وتوزيعا مقابل ربح معقول لا يصل الى حد الاستغلال تحت اى ظرف من الظروف .

● رابعا ـ فى مجال المال :

المصارف تكون فى اطار الملكية العامة فان المـال وظيفته وطنية لا تترك للمضاربة أو المغامرة ، كذلك فأن شركات التامين تكون فى اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها .

● خامسا ـ فى المجال العقارى :

هنــاك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة : ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة أصحابها .

كذلك ففى مجال ملكية المبانى تتكفل قوانين الضرائب التصاعدية على المبانى وقوانين تخفيض الايجارات والقوانين المحددة لقـواعد ربطها بوضـــع الملكية العقارية فى مكان يبتعد بها من أوضـــاع الاستغلال ، والزيادة فى الاسكان العـام والتعاونى تسهم بطريقة عملية فى مكافحة اى محاولة للاستغلال فى هذا المجال .

● سادسا ـ فى مجال الزراعة :

التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الزراعة لا يؤمن بتاميم الارض وتحويلها الى مجال الملكية العامة ، وانما هو يؤمن ـ استنادا الى الدراســة والى التجربة ـ بالملكيــة الفردية للأرض فى حدود لا تسمح بالاقطاع .

وهذه النتيجة ليست مجرد انســياق مع حنين الفـلاحين العاطفى الطويل الى ملكية الارض ، وانما الواقع ان هذه النتيجة نبعت من الظروف الواقعية للمشكلة الزراعية فى مصر ، التى اكدت قدرة الفلاح المصرى على العمل الخلاق اذا ما توافرت له الظروف الملائمة .

ان كفاية الفلاح المصرى ، على امتداد تاريخ طويل عميق بالخبرات المكتسبة من التجربة ، قد وصلت فى قدرتها على استغلال الارض الى حد متقدم ، خصوصا اذا ما اتيحت له الفرصة للاستفادة من نتائج التقدم العلمى .

يضاف الى ذلك انه منذ عصور بعيدة فى التاريخ توصلت الزراعة المصرية الى حلول اشتراكية صحيحة لأعقد مشاكلها فى مقدمتها الرى والصرف ، وهما فى مصر الآن ومنذ زمان طويل فى اطار الخدمات العامة .

ومن هنا فان الحلول الصحيحة لمشكلة الزراعة لا تكمن فى تحويل الارض الى الملكية العامة ، وانما هى تستلزم وجود الملكية الفردية للأرض وتوسيع نطاق هذه الملكية باتاحة الحق فيها لأكبر عدد من الأجراء ، مع دعم هذه الملكية بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها .

ان التعاون الزراعى ليس هو مجرد الائتمان البسيط الذى لم يخرج التعاون الزراعى عن حدوده حتى عهد قريب ، وانما الآفاق التعاونية فى الزراعة تمتد على جبهة واسعة .

انها تبدأ مع عملية تجميع الاستغلال الزراعى الذى اثبتت التجارب نجاحه الكبير ، وتسايره عملية التمويل التى تحمى الفلاح وتحرره من المرابين ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الاكبر من ناتج عمله وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال احدث الآلات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج ، ثم هى معه حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

ان المواجهة الثورية لمشكلة الارض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك .

لقد كان ذلك هو الهــدف من قوانين الاصــلاح الزراعى التى صدرت سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦١ .

كذلك فان هذا الهدف ، **فضلا عن أهداف زيادة الانتاج ، كان من القوى الدافعة وراء مشاريع الرى الكبرى** ، التى اصبح رمزها العتيد سد أسوان العــالى الذى خاض الشعب فى مصر صنوف الحروب المسلحة والاقتصادية والنفسية لكى يبنيه .

ان هذا السد أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة ، **كما أنه رمز لارادته فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيرة من الفلاحين** لم تسنح لها هذه الفرصــة عبر قرون طويلة ممتدة من الحكم الاقطاعى .

ان نجاح هذه المواجهة الثورية لمشــكلة الزراعة ــ المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك ــ لا يمكن تعزيزه الا بالتعاون الزراعى والا بالتوسع فى مجالاته الى الحد الذى يكفل للملكيات الصــغيرة للأرض اقتصادا قويا نشيطا .

ان هناك بعد ذلك كله ثلاثة آفاق ينبغى أن تنطلق اليها معركة الانتاج الجبارة من أجل تطوير الريف :

* الأول : الامتداد الأفقى فى الزراعة ، عن طريق قهر الصحراء والبوار . ان عمليات استصلاح الأرض الجديدة لا يجب أن تتوقف ثانية واحدة . ان الخضرة يجب أن تتسع مساحتها مع كل يوم على وادى النيل وينبغى الوصول الى الحد الذى تصبح فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق ضفافه الى حياة خلاقة لا تهدر هباء ولا تضيع .

ان هنــــاك كثيرين ينتظرون دورهم ليملكوا فى أرض وطنهم ، والمستقبل يحمل مع كل جيل جديد أفواجا من المتطلعين بحق الى ملكية الأرض .

* والثانى : هو الامتداد الراسى فى الزراعة ، عن طريق رفع انتاجية الأرض المزروعة . ان الكيمياء الحديثة قد درست طرق الزراعة واساليبها ، وذلك بواسطة الأسمدة والمبيدات الحشرية واستنباط أنواع جديدة من البذور .

كذلك فان هناك احتمالات هائلة عن طريق العلم المنظم تمكن من تنمية الثروة الحيوانية بما ينمح الاقتصاد الزراعى للفلاح دعما محققا .

كذلك فان هناك احتمالات كبيرة وراء اعادة دراسة اقتصاديات المحاصيل الزراعية للأرض المصرية وتنويعها على أساس نتائج هذه الدراسة .

* والثالث : أن تصنيع الريف اتصالا بالزراعة يفتح فيه أبعادا هائلة لفرص العمل ، وينبغى أن نذكر دائما أن الصناعة بالتقدم الآلى ليست فى مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الأيدى العاملة على الأرض الزراعية ، وذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه جدال فى أن حق العمل ، فى حد ذاته هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته .

هذه هى الخطوط الاساسية للفكر الاشتراكى الناصرى .. فى مجال التطبيق .. قطاع عام ، والى جانبه قطاع خاص .. القيادة للقطاع العام ، مركزية التخطيط ولامركزية التنفيذ ، الارض الزراعية تظل فى اطار الملكية الخاصة ، الانطلاق بالريف ، عن طريق التوسع فى الزراعة راسيا وافقيا وتصنيعه ، جعل المدينة مسئولة مسئولية ضمير ومصير عن الحياة الجديدة فى القرية .

الحـريـة للشعب .. وليست لأعدائه

الديمقراطية السليمة لم تكن احد أهداف عبد الناصر فحسب ، بل كانت احد الأسباب التى دعت الى قيام الثورة ، فقد كان تحقيقها ضمن المبادىء الستة التي اعلنتها الثورة فى بداية توليها السلطة عام ١٩٥٢

ومن اجل حياة ديمقراطية سليمة قاد الفكر الناصرى معارك عديدة ، سواء بتحرير الارض ، أو بالقضاء على الاقطاع والراسمالية المتحالفة معه .. أو بتوسيع قاعدة العمل السياسى حتى يسمح لجماهير المواطنين بممارسة حقهم الديمقراطى على اسس سليمة

وعبد النـاصر يرى أن الشعب المصرى كافح طويلا من اجل اقامة ديمقراطية سليمة ..

ثورة ١٩١٩ كانت فى فكره تأكيدا لارادة الشعب فى الحـرية ، والديمقراطية السليمة .

ويشرح القائد فى كل مجال قتال الشعب من اجل اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، والمراحل التى مر بها هذا القتال .

وهو فى شرحه لقتال الشعب من اجل الديمقراطية يربط دائما بين الديمقراطية السليمة وبين :

● حق الفرد فى نصيب عادل من ثروة بلاده وأن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته .

● حق الوطن فى أن يعيش متحررا بعيـــدا عن الســيطرة الاستعمارية .

فالاستعمار ، والاقطاع ، والراسمالية ، بكل ما تحمله تمثـل عوائق ضد اقامة ديمقراطية سليمة لا يمكن أن تتحقق بعيـدا عن تحرير لقمة الخبز . ففى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وفى خطابه فى ميدان الجمهورية يروى قصة قتال الشعب من أجل تحقيق حياة ديمقراطية سليمة فيقول (١)

« كافح الشعب المصرى طويلا ضد السيطرة المعتدية الاجنبية والسيطرة المستغلة الداخلية ، وفى اواخر القرن الثامن عشر قام الشعب المصرى يطالب بحريته وبحقه فى الحياة الحرة الكريمة .

« قام الشعب وطالب الأمراء والمماليك بأن يشـترك فى حكم الوطن وفى تصريف أموره ، ولكنهم رفضوا ، لكن الشـعب أجبر الامراء على أن يطيعوا رغبته وأن يلبوا ارادته ، ووقع الامراء فى اواخر القرن الثامن عشر وثيقة بنـاء على رغبة الشعب ، قالوا فى هـذه الوثيقـة : ان الامراء تابوا ورجعـوا والتزموا بما شرطه الناس » .

« وانعقد الصلح على شروط منها : أن يكفوا ويكف أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال النـاس وأن يسـيروا فى النـاس سـيرة حسنة » .

« واطمأن الشعب وأمن بعد أن وقع الامراء هذه الوثيقة الى أنهم سيطبقونها والى أنهم سيكفون وأتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس والى أنهم سيسيرون بالناس سيرة حسنة . ولكـن هـل اتبع الامراء هذه الوثيقة ؟ .. هل عملوا بما وقعوا عليه ؟ .. لقد اطمأن الشعب وخـدعه الامراء .. فسـاروا سيرتهم الاولى مرة

(١) الافكار التى وردت فى هذا الخطاب هى نفسها التى وردت فى الميثـاق الناصرى بعد ذلك ..

اخرى ليستبدوا بالشعب وبحقه فى الحياة وبحريته ويستبدوا بارادته فاستبدوا وسيطروا وتحكموا .

« فهل استكان الشعب واستسلم ؟ .. لم يسلم ابدا .. ولكنه كافح كفاحا مريرا طويلا من اجل الحرية التى نادى بها ونادى بها آباؤه واجداده واستمر فى الكفاح والنضال حتى كانت سنة ١٨٠٥ ؛ حينما كافح ضد سيطرة الوالى التركى وطالبه بأن يشترك الشعب فى حكم نفسه بنفسه وطالبه الشعب بأن يقيم دستورا ليدير به شئون البلاد .

« ولكن الوالى العثمانى قال : اننى هنا والى بامر السلطان ولا يمكن ان البى رغبة الفلاحين .

« فاجتمع الشعب وعلماؤه وقرروا عزل الوالى وقال الوالى : انا لا يمكن ان اعزل الا بأمر من السلطان ولا يمكن أن أعزل بأمر من الفلاحين .

« فكتب ممثلو الشعب وثيقة بعزل الوالى التركى واثبتوا حقهم الدستورى فى هذا وكانت الوثيقة تقول : ان للشعوب طبقا لما جرى العرف به ، ولما تقضى به احكام الشريعة الاسلامية ، الحق فى ان يقيموا الولاة ولهم ان يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل او ساروا بالظلم لان الحكام الظالمين خارجون عن الشريعة . وعزلوا الوالى ، واقاموا « محمد على » ولقد أقام الشعب يومئذ « محمد على » كحاكم جمهورى .

« ولا بأس ولا ملامة على الشعب ان نكث محمد على بالعهد فليس هو أول من خان العهود المقطوعة ولم يكن آخر الخائنين .. لقد ولى الشعب « محمد على » الولاية بارادته ولكن « محمد على » استبد وطغى وصمم على أن يحكم سواء أكان حكمه من ارادة الشعب أم ضد ارادة الشعب فاستمر الشعب فى نضاله من اجل حقه فى الحياة والحرية ..

« وقام عرابى سنة ١٨٨١ وطالب الخديو بأن يحقق للشعب حريته وحقه فى الحياة الكريمة وبحقه فى ان يقر الضرائب والقوانين ولكن الخديو رفض واستعان بالقوة الاجنبية فكان الاحتلال البريطانى .

« ولكن الشعب لم يستسلم ولم يسلم .. انما كافح بعزم وايمان لا ضد السيطرة المستغلة الداخلية ولكن ضد العدوان الخارجى واستمر الشعب رغم المآسى ورغم العذاب وما قاسى من ضروب الأهوال والبطش .. استمر الشعب يحارب ويكافح ويناضل بعزم وصبر وايمان .

« فقامت الثورة الكبرى سنة ١٩١٩ بعد كفاح طويل ضد العدوان الخارجى وضد السيطرة الداخلية .. قامت هذه الثورة تطالب بدستور يقرر حق الشعب فى الحياة والحرية ويحقق للشعب ديمقراطية سليمة .

« وكافح الشعب واستشهد من أبنائه من استشهد وسجن من سجن وعذب من عذب .

« ثم أعلن دستور سنة ١٩٢٣ وكان هذا الدستور منة أعطيت له ومنحة من الملك وحتى هذه الوثيقة تكتوا بها واستبدوا بالشعب وآماله .

« ولم تغن الشعب هذه الوثيقة المكتوبة شيئا فاستمر يكافح كفاحا طويلا فان الدستور الذى اعلن سنة ١٩٢٣ كان دستورا استخدمت بواسطته كل الوسائل التى تتحكم فى هذا الشعب .

« لقد اعتبر القصر والأحزاب والاقطاعيون أن الدستور وثيقة شرعية يثبتون بها الاقطاع والرشوة والفساد والاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى .. واتخذ الاستعمار من هذه الوثيقة أيضا وسيلة حتى يمكن لنفسه فى هذا الوطن فهل خدع المواطنون ؟ » .

« ان المواطنين الذين وثقوا فى سنة ١٩٢٣ بالدستور اطمأنوا ، ولكنهم لم ينخدعوا ولم يسلموا ولم يستسلموا ، فكافحوا كفاحا طويلا مريرا من أجل حقهم فى الحياة والحرية حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتحقق للوطن حقه فى الحرية وفى الحياة وقررت مبادئها الستة .. انها تهدف الى : « اقامة حياة ديمقراطية سليمة » .

« كانت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ، تتويجا لكفاح المواطنين بنصر عظيم حتى يتولى أمره بنفسه وحتى يمسك زمام شانه بيده .. ولكن الشعب استلهم العظة من ماضيه فقرر الا يخدع كما خدع فى أيام ابراهيم بك ، وفى أيام محمد على ، فلم يطمئن الى الامراء أو الى الحكام ، لم يطمئن ابدا كما اطمأن فى الماضى .. ولم يثق كما وثق فى الماضى ولكنه قرر ان يستمر فى كفاحه .

« واعلنت الثورة فى أول يوم من ايامها .. انها تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لينظم الشعب امور هـذا الوطن بنفسه وبارادته ..

« ولم تكن الطريق سهلة ، بل لقد قابلت الثورة طريقا شاقة وصعبة ، لانها قررت الا تخدع والا تطمئن ، فجابهت الحكام والامراء واصـطدمت الثورة مع الحكام ومع الامراء لانها كانت تتسلح بالشك ولم تستكن الى الاطمئنان والى الثقة ..

« فاعلنت الثورة فى ١٦ من ينـاير سـنة ١٩٥٢ انهـا لاقت المصاعب والمشاق الكبيرة من الحكام السابقين ومن الحزبيين ومن الاحزاب وانها حتى يمكن أن تحقق الاهداف التى قامت من اجلها لا بد لها من فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٦ »

« وفى هذه الفترة تمهد الثورة الطريق وتقضى على المخادعين والمضللين ، واصدرت الثورة فى ١٦ من يناير سـنة ١٩٥٣ بيانا يقـول :

« لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من ايمانها الكامل بحق جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة وعدل تام مطلق وحرية كاملة شاملة فى ظل دستور سليم يعبر عن رغبات الشعب وينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، ولما كان أول أهداف الثورة هو اجلاء الأجنبى عن ارض الوطن ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف الأكبر والسير به الى غايته مهما تكن الظروف والعقبات فاننا كنا ننتظر من الاحزاب أن تقدر مصلحة الوطن العليا فتقلع عن أساليب السياسة المخربة التى أودت بكيان البلاد وفرقت وحدتها ، ومزقت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى السياسة وادعياء الوطنية .. ولكن على العكس من ذلك اتضح لنا أن الشهوات الشخصية والمصالح الحزبية التى أفسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩ تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة فى هذا الوقت الخطير من تاريخ الوطن » .

« واذن فان الثورة حينما قامت سنة ١٩٥٢ لم تطمئن ولم تثق كما اطمأنت الثورات السابقة ، مثل ثورة سنة ١٩١٩ ، أو ثورة عرابى ، وثورة الشعب ضد الوالى التركى ، وثورة الشعب ضد ابراهيم بك ومراد بك أيام المماليك ولكنها اتخذت من الماضى عظة وعبرة وتسلحت حتى تقضى على جميع الاسباب التى يمكن أن تسير بهذه الثورة الى الانحراف .

« وسارت الثورة فى طريقها لتحقق للوطن أساسا متينا نظيفا ، وتخلص الوطن من الرجعية ومن الاستعمار وأعوانه .. وسارت الثورة وهى ترسى مبادىء الانسانية وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيه لسادة ولا مكان فيه لعبيد بل كلنا أحرار فى هذا الوطن ... كلنا نشعر بالحرية وبالمساواة .

« سارت الثورة وهى لا تثق ولا تطمئن ، لا تثق فى كتابة الوثائق ولا تطمئن لتوقيع العهود ، فقد خدعنا كثيرا فى الماضى ، ولا بد أن نأخذ من ماضينا عبرة لمستقبلنا .»

« سارت الثورة لتحقق الأهداف التى أعلنتها منذ ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وكانت هذه الأهداف هي تحقيق احلام الشعب وامانيه .. واحلام من كافحوا واستشهدوا من ابنائه واماني آبائنا وآمال اجدادنا .

« قامت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى قوى يسوده العدالة وترفرف عليه الرفاهية وكان الهدف الاول هو القضاء على الاستعمار واعوانه .

« ولكنها اصطدمت باعوان الاستعمار .. وتبينت انهم خطر على الشعب بل اشد خطرا من الاستعمار .. فان الاستعمار لا يمكن ان يثبت اقدامه الا مستندا على أعوانه من ابناء هذا الوطن .. فاتجهت الثورة الى اعوان الاستعمار لتقتلعهم من جذورهم .. هؤلاء الذين باعوا بلدهم للشيطان لقاء دراهم معدودات .

« وحينما قضت عليهم استطاعت أن تقضى على الاستعمار .. فقد ترنح الاستعمار ولم يجد بين اراضى هذا الوطن من يسنده فاستسلم الاستعمار .

« واليوم ونحن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ وطننا لن ننسى الماضى أبدا بل سناخذ من الماضى عظة وعبرة .

« وسنتسلح بتاريخ الماضى واحداثه .. لن نخدع ولن نضلل مرة أخرى ولكننا سنحمى ما حققناه من المكاسب والانتصارات ولن يخدعنا الاستعمار ولن يكون هناك ابدا أعوان بيننا للاستعمار لأن الشعب قد تولى امره بيده واصبح هو الذى يمثل السلطة العليا فى هذا الوطن .

« وكان لا بد أن نعمل على القضاء على الاقطاع .. الذى تحكم فينا والذى تحكم فى اراضينا والذى تحكم فى حريتنا . ولم يكن هدفنا من القضاء على الاقطاع ان تملك الناس وان تملك الفلاحين فقط ، فان أرض مصر لا يمكن ان تملك لجميع ابنائها ، ولكننا كنا

تهدف فى الحقيقة الى الحرية والى التحرير .. حرية النفس وحرية الفرد ، اذ لا حرية فى بلد اذا لم يكن أبناؤه احرارا .. ولا يمكن أن نشعر بالحرية اذا كان أفراد هذا الوطن يشعرون بالذل .. ويشعرون بالاستعباد .

« اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضي على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن جميعا أن يشعروا بأنهم أحرار .. ليسوا ملكا لأحد .. ليسوا ملكا لاقطاعى أو ملكا لصاحب الارض أو ملكا لصاحب جاه .. لن يهددوا فى رزقهم .. أو فى قوت يومهم .. ولن يهددوا فى عيشهم .

« اننا بهذا نعمل على خلق مجتمع تسوده الحرية الحقيقية .. لا الحرية الزائفة .. الحرية التى يشعر بها الفلاح فى أرضه ، والعامل فى مصنعه ، والموظف فى عمله ..

« هذه هى الحرية ، ولا يمكن أن نقول : ان هناك ديمقراطية سليمة وأن هناك برلمانا ، وأن هناك دستورا ، اذا كان الفرد لا يشعر بحريه واذا كان الفرد مهددا فى رزقه ، واذا كان الفرد مهددا فى عيشه واذا كان الفرد مهددا فى يومه أو غده .

* * *

والعمل الديمقراطى السليم عند عبد الناصر يرتبط تماما بالحرية الاجتماعية ..

ولا يمكن الفصل بين الديمقراطية التى هى الحرية السياسية وبين الاشتراكية التى هى الحرية الاجتماعية ، انهما جناحا الحرية الحقيقية . وبدونهما أو بدون اى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق الى آفاق الغد المرتقب .

ويحدد عبد الناصر انه بعد معركة السويس ، وبعد أن انتزع الشعب حريته . وكشفت المعركة عن قدراته كان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم .. لمن تكون هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب من قلب المعركة الرهيبة .

وكان الرد التاريخي الذي لا رد غيره هو ؟

ان هذه الارادة لا يمكن ان تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه .

والحرية السياسية ليست نقل واجهات دستورية شكلية .

ان جوهر الديمقراطية يعني الممارسة .. والممارسة لا تتأكد الا بالتحرر الاجتماعي ..

وتاريخ مصر يعكس ذلك .

فقد كان الاقطاع وراس المال يملك القوة الاقتصادية ويملك تبعا لها القوة السياسية فهو يقرر في الميثاق :

« ان سيادة الاقطاع المتحالف مع راس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لا بد أن تمكن لهما طبيعيا وحتما من السيطرة على العمل السياسي فيه وعلى اشكاله وعلى ضمان توجيهها لخدمة التحالف بينهما على حساب الجماهير واخضاع هذه الجماهير بالخديعة او بالارهاب حتى تقبل أو تستسلم .

« ان الديمقراطية على هــــذا الأساس لم تكن الا ديكتاتورية الرجعية .

« ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التي كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا . »

« ان البرلمان الذي اقامه هذا الدستور لم يكن حاميا لمصالح الشعب .. وانما كان بالطبيعة حارسا للمصالح التي منحت هذا الدستور .. »

« وليس من شك ان أصواتا كثيرة ارتفعت داخل البرلمان

تنادى بحقوق الشعب ، ولكن هذه النداءات تبددت هباء دون تأثير حقيقى .

« بل ان الرجعية لم يكن يضيرها أن تفتح متنفســا للسخط الشعبى ما دامت تملك جميع صمامات التوجيه وما دامت بيــدها تحت كل الظروف أغلبيتها التي تمكن لديكتاتوريتها الطبقية وتحمى امتيازاتها .

« ولقد كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين راس المال المستغل ، وكان محتما ان تكــون الاشكال السياسية ــ بما فيها الاحزاب ــ تعبيرا عن هذه القوة وواجهــة ظاهرة لهــذا التحــالف بين الاقطــاع وبين راس المال المستغل .

« انه مما يلفت النظر ان بعض الاحزاب فى تلك الظروف لم تتورع عن ان ترفع من غير مواربة شعار ان الحكم يجب أن يكون لاصحاب المصالح الحقيقية . ولما كان الاقطاع وراس المال المستغل هما اصحاب المصالح الحقيقية . فى البلاد وقتها فلقد كان هــذا الشعار اكثر من اعتراف ضمنى بالمهزلة التى فرضــتها القوى المسيطرة على الشعب المصرى باسم الديمقراطية .

« ان هذا الشعار على اى حال ــ مهما بلغت درجة الايلام فيه ــ كان اعترافا صريحا وصادقا بالحقيقة المرة » .

وكانت النتيجة ان انعكس ذلك على :

x حق الانتخاب ..

x حرية الصحافة .

x العلم ومناهجه .

١ ــ فحق الانتخاب يرتبط بلقمة العيش .. فالجائع هو الذى

يبيع صوته .. ويجبر على انتخاب جلاديه ولا بد من أن يتحرر الانسان من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن تكون له الفرص المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وان يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته حتى يستطيع أن يمارس حقه الانتخابى بحرية ودون ضغوط .

٢ - ويحدد الفكر الناصرى بالنسبة للصحافة عوامل عديدة منعتها من أن تكون أداة للحرية السليمة ليست فى القوانين التى تقيد النشر فحسب بل وايضا فى التقدم الالى الذى جعل الصحافة صناعة ضخمة تحتاج الى تمويل كبير وهو أمر لا يتحقق الا اذا ساندتها الأحزاب .

٣ - انعكس ذلك كله على العلم ومناهجه بحيث كانت مناهج التعليم تعطى جرعات من الاستكانة والاستسلام وتمجد المستغلين والحكام ، وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم.

ولقد شخص عبد الناصر هذه الأمراض فى المجتمع قبل أن المستغلين والحكام وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم . يضع لها أساسيات العلاج .. فقال فى الميثاق الناصرى :

أن حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش .

ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة وأصبحت خديعة مضللة للشعب .

تحت هذه الظروف أصبح حق التصويت أمام ثلاثة احتمالات ليس لها بديل :

١ - فى الريف كان التصويت اجبارا للفلاح لا يقبل المناقشة . فلم يكن يملك الا ان يعطى صوته للاقطاعى صاحب الأرض أو وفق مشيئته أو يواجه تبعات العصيان وأولها ان يطرد من الارض التى يعمل فيها بما لا يكاد أن يكفى لسد جوعه .

٢ - فى الريف والمدينة كان شراء الأصوات يمكن راس المال

٣ - فى الريف والمدينة لم تتورع المصالح الحاكمة فى عديد من الظروف أن تلجأ الى التزوير المكشوف اذا ما أحست بوجود تيارات متعارضة مع ارادتها . وكانت الشروط التى تجرى تحتها عمليات الانتخابات ، وفى مقدمتها اشتراط تأمين نقدى باهظ ، تصد جماهير الشعب العامل حتى عن مجرد الاقتراب من لعبة الانتخابات ، ولم تكن الا لعبة فى تلك الظروف . وفى نفس الوقت فان الجهل الذى فرض على الأغلبية العظمى من الشعب - تحت ضغط الفقر - جعل من سرية الاقتراع ، وهى أول الضمانات لحريته ، أمرا مستحيلا أو شبه مستحيل .

● ان حرية التنظيم الشعبى التى تسند حرية التمثيل الشعبى فقدت هى الأخرى بتأثير هذه الظروف فاعليتها ، وعجزت عن التأثير ايجابيا على الاوضاع المفروضة داخل الوطن .

● ان ملايين الفلاحين .. حتى من ملاك الارض الصغار ، طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الارض المتحكمين فى مصيرها ، ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم أنفسهم داخل تعاونيات تمكنهم من المحافظة على انتاجية ارضهم ، وبالتالى تعطيهم القدرة على الصمود وعلى اسماع صوتهم للاجهزة المحلية فضلا من قصور الحكام فى العاصمة .»

● كذلك فان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما ان عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا أن يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة .

● كذلك فان مئات الألوف من عمال الصناعة والتجارة لم تكن فى قدرتهم اية طاقة على تحدى ارادة الرأسمالية المتحكمة المتحالفة

مع الاقطاع والمسيطرة على جهاز الدولة وعلى سلطة التشريع ، وأصبح العمل سلعة من السلع فى عمليات الانتاج يشتريها رأس المال المستغل تحت احسن الشروط موافقة لمصالحه . ولقد واجهت الحركة النقابية التى كان فى يدها قيادة هذه الطبقة المناضلة من العمال صعوبات شديدة حاولت عرقلة طريقها كما حاولت افسادها .

● ان حرية النقد ضاعت فى هذه الفترة ضياع حرية الصحافة

ولم يكن الامر هو مجرد القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد وتوسعت فى هذه المحظورات الى حد كاد ان يجعل الظلام دامسا وشاملا .

وانما طبيعة التقدم الآلى فى مهنة الصحافة نفسها احدثت اثرا لا يقل فى صوره عما احدثته قوانين القمع والكبت .

لقد كان من اثر التقدم الآلى فى مهنة الصحافة واحتياجاتها المتزايدة الى الآلات الحديثة والى الكميات الهائلة من الورق ان تحولت هذه المهنة العظيمة من كونها عملية راى الى ان اصبحت عملية راسمالية معقدة .

ان الصحافة فى هذه الفترة ، ومع هذا التطور ، لم تكن قادرة على الحياة الا اذا ساندتها الاحزاب الحاكمة الممثلة لمصالح الاقطاع وراس المال أو اذا اعتمدت اعتمادا كليا على راس المال المستغل الذى كان يملك الاعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة .

ان سلطة الدولة والتشريع استعملت — أولا — فى اخضاع الصحافة للمصالح الحاكمة وذلك عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التى وقفت سدا حائلا دون الحقيقة .

كذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة ـ ثانيا ـ بتزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ، ولم يعد فى قدرتها الا ان تخضع لارادة راس المال المستغل وان تتلقى منه ـ وليس من جماهير الشعب ـ وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية .

ان حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للامل تعرضت هى الأخرى لنفس العبث تحت حكم الديمقراطية الرجعية .

فان الرجعية الحاكمة كان لا بد لها أن تطمئن الى سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ، ومن ثم انعكست آثار ذلك على نظم العلم ، ومناهجه واصبحت لا تسمح الا بشعارات الاستسلام والخضوع .»

* * *

«.. ماهو العلاج ..؟؟

بالنسبة للحرية الاجتماعية كانت الاشتراكية

بالنسبة لحق العلم كانت مجانيته وتخليصه من ان يكون علما طبقيا محتكرا ، والمطالبة المستمرة باعادة صياغة مناهجه بحيث لا تكون غايته تخريج موظفين يعملون فى مكاتب الحكومة .

بالنسبة للقانون .. كان عبد الناصر هو الصوت الذى طالب مرات ومرات بتقنين الثورة . ووضع كل الاجراءات الثورية فى قوانين جديدة تستمد حيويتها من واقع المجتمع ومن التعبير عنه وهو الذى طالب بسيادة القانون . وجعل ذلك عاصما من جموح الفرد ، وضمانا لتحقيق العدالة الكاملة .

وعبد الناصر هو الذى راى فى العدل المتمثل فى القضاء حقا

مقدسا لكل مواطن ولا يمكن أن يكون سلطة عالية عبدة المثال عن المواطن ..

وبالنسبة للصحافة رأى عبد الناصر أن الضمان المحقق لحريتها هو أن تكون الصحافة للشعب لتكون حريتها بدورها مستمدة من حريته وامتدادا لها ..

وحتى يمكن أن تتخلص الصحافة من تأثير الطبقة الواحدة نقل ملكيتها الى الاتحاد الاشتراكى العربى ..

وفكر عبد الناصر لم يقف بالصحافة عند اصدار القوانين .. فقد طالب لها بحرية الحركة .. وان تنقد ، وتكون أكثر تعبيرا عن الطبقات الجديدة فى المجتمع . « فهذا المجتمع بالطبع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الاهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا السهرات بتاع الليل ، ابدا مش هو ده احنا عاوزينه مش هى دى بلدنا بأى حال من الاحوال . (١)

« بلدنا هى كفر البطيخ ــ القرية اى قرية وأنا أقول كفر البطيخ كمثال لو تطلع على دمياط تلاقى بلد اسمها كفر البطيخ هى دى بلدنا هى دى نموذج بلدنا وهناك مشاكل بلدنا الحقيقية . »

« بلدنا هى كفر البطيخ ، اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الارز طول النهار لكى يعيشوا دى بلدنا ..

« بلدنا ماهياش أبدا ان فلانة اطلقت أو فلانه اتجوزت أو فلانة بتجرى ورا فلان .. وسابت فلان ، ابدا انا اتكلمت فى ٢٣ يوليو الماضى عن هذا الموضوع بالذات ويمكن كانت الجرايد الفت تقلس الجرائد ولكن مع الأسف محدش فهم .. »

« ما هياش دى بلدنا انا مالى ان فلانه تجرى مع فلان أو علان

(١) القاها بالصحفيين بعد تنظيم الصحافة .

هذا الموضوع ما يهمنيش أنا بأى حال ولا يهم الرجال الموجودين فى القرية . »

وكنت افضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات ان يكتب عن العاملات مثلا ، فيه عاملات طلعوا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف . »

حرية الصحافة عند عبد الناصر هى ابرز مظاهر حرية الكلمة، وهو الذى طالب بتوفير الضمانات لكى تؤدى الصحافة دورها كاملا « فحرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ولكن ضرورتهما أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى » « واى محاولة لاخفاء الحقيقة او تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم » .

وعندما يجتمع عبد الناصر بقيادات الانتاج ويضع امامهم نقاطا محددة للبحث يثير قضية النقد ، ويطلب اليهم ان يستمعوا الى كل راى . . فالقطاع العام مملوك للشعب ومن واجب الجماهير عموما أن تناقش قضاياه بصوت مسموع فيقول :

« ولا بد أن نتذكر دائما ونحن نسمع النقد يوجه الى القطاع العام لبعض ما قد يلاحظ من جوانب القصور أو حالات الانحراف فى القطاع العام ـ ان السبب الرئيسى لذلك النقد ، سبب صحى فى معناه الأصيل ، اذ هو احساس بالملكية الشعبية للقطاع العام ، أن الجماهير لا توجه نقدا الى القطاع الخاص لأن ما يجرى فيه لا يعنيها مباشرة وليس موضع اهتمامها وحرصها »

ويثير أحد أعضاء المؤتمر موضوعا حساسا بالنسبة للصحافة لا يتعلق فقط بالنقد ولكنه أيضا يتعلق بحصول الصحف على بعض المعلومات التى يرى ضررا ـ على الأمن القومى ـ من نشرها . . فينصف عبد الناصر الصحافة ولكنه يطلب اليها أن تدرس واقعها

وأن تكون علمية وبناءة فيما توجهه للقطاع العام من نقد ، لم يفرض فى نهاية كلمته رقابة على الصحف ، ولكنه طالبها بالنشر ، وفى نفس الوقت قال ان ما ستنشره الصحف سيحقق فيه فورا لاثبات صحته فان لم يثبت صحته فان الصحفى يعاقب ، لأنه مسئول ويجب أن يكون أمينا ، وكان عبد الناصر يستطيع ان يفرض رقابة على الصحف تمنعها من النقد حتى غير الموضوعى على القطاع العام، ولكنه لم يشأ أن يتخذ من الرقابة على الصحافة الأسلوب الذى يفرض به نوعا من الحماية لاخطاء القطاع العام الاشتراكى ، فقد وجد أن فى نقده دائما ظاهرة صحية ، ولكنه كان يطالب دائما بالنقد العلمى والموضوعى ، وهذا شىء طبيعى فقد قال عبد الناصر :

بالنسبة للنشر فى الجرايد الحقيقة الجرايد وانا بدى اتكلم فى هذا الموضوع ــ احنا معندناش رقابة على الجرائد والمجلات ، وهذه الجرائد والمجلات لا تفرض على أحد من الدولة علشان يقول ايه اللى بيتنشر فيها وايه اللى ما بيتنشرش وعلى الاساس ده بيكون الموضوع هو موضوع توجيه ، والأمر يعود فى هــذا الى رؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية وهى ولو انها تابعة للاتحاد الاشتراكى ولكن لكل صحيفة ولكل مجلة مطلق الحرية فى العمل وفق الميثاق وفق الخط العام اللى احنا ماشيين عليه وبالنسبة

للاحصائيات أنا بأعتقــد انه من الصعب انهم يطلعوا مثل هــذه العمليــات ــ العمليات دى بتطلع فى كل الدنيــا بنيجى فى نفس الجرايد . . فى الفاينتشال تيمز بتلاقى فيها كل هذه العمليات . . فازاى احنا بنيجى نقول ان النشر بيضر بينا الى آخر هذا الكلام . . هو الحقيقة الغلط مننا لاننــا بنستورد فى الوقت اللى غير مناسب ، يعنى بنفضل قاعدين لغاية ما يشح عندنا الصنف المعين، الناس كلها بتعرف ، اظن ولو ان أنا بحسب من أول السنة ان انا عندى كذا طن من الصنف المعين هيقضينى كذا شهر ، وعلى هذا الاساس يبقى لازم استورد كذا طن وهيكفينى كذا شهر ، يبقى

لازم أنا استورد كذا طن ، ومن أول السنة باستورد متحصلتى المشكلة ، ولكن سوء التوقيت ، سواء فى الاستيراد أو التصدير هو اللى بيسبب هذا الموضوع ، مش الجرايد هى أبدا اللى بتسبب هذا الموضوع ـ وبعدين الاحصائيات اللى بتطلع فى الجرائد ما هى موجودة عند السفارات لأن أول ما بتطلع احصائية وزارة الزراعة او احصائية اى حاجة عن انتاج وحتى الكلام اللى بيتداول فى الوزارات ماهواش كلام سر ، وهذا الكلام معروف لكل الناس ومنقدرش نقول للجرايد ما تنشرش هذا الموضوع .

● الحقيقة النقطة الثانية اللى انت اتكلمت فيها يمكن أرى انلك حق فيها ، انا بقرأ الجرايد والمجلات وبالذات فى المجلات فيه حملة تشهير بالقطاع العام لا يرضى عنها انسان وأى واحد يقرأ هذه المجلات بيجد انه هناك تشهير ومش بس بالكتابة لكن حتى بالصور الكاريكاتيرية .. وحملة التشهير دى يعنى قد تكون عملية للفكاهة ، لكن هل المطلوب بأن احنا نحط فى عقول الناس صورة القطاع العام تصوره وكأنه هو الغير أمين على مسئوليته وغير أمين على أملاك الشعب ، وهل صورة المدير هو الراجل اللى قاعد علىمكتبه وجنبه عشر تليفونات وليه كرش وشنبين ويبرم شنباته وما بيعملش حاجة ـ هل دى الحقيقة .. هل دى هى الصورة اللى احنا عايزين نديها للقطاع العام ؟.. هل هى دى صورة المديرين ؟..

« الحقيقة زى ما قلت فى الكلمة اللى قلتها لكم ان اللى بيتكلموا عن القطاع العام حاسين ان الشعب مسئول فعلا عن هذا القطاع العام وله الحق انه ينتقده ، وبالنسبة للقطاع الخاص فمالوش حق انه ينتقده او لا يهتم ان ينتقده ، ولكن انا بدى أقول حاجة للكل يعنى حصل كلام على انحرافات فى القطاع العام ، باقول انه على رغم هذا الكلام كله وعلى فرض أن العمليات دى حصلت فانه قبل ما تتأمم هذه الشركات وهى فى القطاع الخاص كانت الانحرافات

اللى فيها عشرات أضعاف الانحرافات اللى احنا بنلاقيها النهاردة على قلتها فى القطاع العام وان القطاع العام بعد ما اخذ مسئوليته بالنسبة لهذه الشركات وهذه المؤسسات المؤممة استطاع ان ينجح أضعاف النجاح اللى كان موجود فى القطاع الخاص فانا باطلب من اخواننا الصحفيين انهم يبصوا للقطاع العام على انه قطاع وليد لسه ما بقى له خمس سنوات من العمر وعايز التوجيه ، ومش عايز التسفيه ، وعملية التشهير ، والا معنى هذا ان القطاع العام بقى شىء غير مرغوب فيه وشىء مكروه ..

● النقطة الثالثة ممكن يحصل نقد ويكون هذا النقد الحقيقة نقد بناء ..

● والنقطة الرابعة : اللى هى الكلام على الانحرافات قبل ثبوت التهمه هو الحقيقة ما قدرش ابدا اقول ان الصحافة متكتبش .. لازم الصحافة تكتب ، ولكن بأقول ان الصحيفة اللى تكتب حاجة ما تثبتش نؤاخذ المسئول عن الصحيفة والمسئول عن المجلة

بنتبع الطريقة دى من هنا ورايح اى جريدة أو مجلة تكتب عن انحرافات .. ح نجيب الجريدة أو المجلة وهاكتب عليها السيد رئيس اللجنة العليا لرقابة الدولة ويا اما الصحيفة صح ويبقى المسئول يؤاخذ .. يا المسئول صح والصحيفة غلط .. ويبقى المسئول فى الصحيفة نؤاخذه ــ وما اقدرش اقول ما نكتبش .. وما نتكلمش .. عايزين نكون صدرنا واسع ولكن تحدد هذه العملية بهذا الشكل ..

هو انا الحقيقة اللى بيهمنى فى الكلام أكثر من الانحرافات الصورة اللى بيحاولوا يبينوا بيها المديرين والقطاع العام وشكل المدير كراجل استغلالى ..

هل كل المديرين اللى عندنا استغلاليين ؟..

مش متصور العملية بهذا الشكل او الراجل اللى راكب عربيته طولها كلها متر ، طب واذا كان منصب رئيس مجلس الادارة هو اقصى ما يصل اليه الانسان فى العمل المهنى ، طيب ما هو لازم يبقى عنده عربية ، واذا كان هيخدم طول حياته كلها حتى يصل لمنصب رئيس مجلس الادارة ، وما بيقاش عنده عربية طيب امتى هيبقى عنده عربية .. طيب وبعدين رئيس مجلس ادارة الجريدة اللى بتكتب الكلام ده عنده عربية ولا معندوش .. طبعا عنده عربية اللى بيوصل لرئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية وصل الى اقصى ما يمكن أن يصل اليه صحفى فى جهاده وفى العمل فيقوم لازم يكون عنده عربية ولازم يكون عنده مكتب ولازم يأخذ اقصى حد بالنسبة للمرتبات .. وباقول برضه احنا بنقلل المرتبات بتاعة الشركات بنزلها عن ....ه جنيه فى السنة ولسه ما نزلناش مرتبات رؤساء مجالس ادارات الصحف عن خمس آلاف ،فالعملية كلها لازم نحطها ولازم نشوف ايه الصالح العام ..

عملية التشهير بالقطاع العام اصلا عملية غير مقبولة عملية النقد البناء عملية مقبولة وانا باقول اى واحد من الصحفيين بيقدر يكتب عن الانحرافات لكن لازم يكون فيه مؤاخذة ..

زمان لو واحد فى القطاع الخاص كتبوا عنه اشياء غير حقيقية بيرفع قضية فى المحكمة وبيطالب المجلة بتعويض ، احنا مش عايزين الحقيقة نقول النهاردة ان الشركات تروح ترفع قضايا كل يوم وكل يوم سايبين شغلهم وماسكين الصحفيين فى المحاكم ولكن اى كلام بهذا الشكل يبحث فى لجنة الرقابة العليا للدولة ، اعتقد ان ده كل الكلام ، والا فيه حاجة تانية ؟

وكانت قضية حرية الصحافة قد اثيرت قبل ذلك فى مؤتمر

المبعوثين بالاسكندرية واجاب عليها عبد الناصر بحسم . بانه ليست هناك رقابة على الكلمة المكتوبة .

« بالنسبة لموضوع الحرية ، صدقونى ومتصدقوش الكلام اللى بتسمعوه بره .. احنا معندناش رقابة على الصحف .. ورئيس تحرير الصحيفة هو المسئول .. الصحف بره معروف فيها ايه .. بعض البلاد النامية .. انجلترا لها جرايد .. امريكا لها جرايد .. والراسمالية المحلية لها جرايد .. هل هذه هى الصحافة الحرة .. اما ان تعبر هذه الصحف عن راى الدول الاستعمارية الامبريالية .. أو تعبر عن المصالح الراسمالية فى البلد النامية .. واحنا لم نؤمم الصحف ولكننا ملكناها للاتحاد الاشتراكى و ٥٠٪ من الارباح للعمال و ٥٠٪ منشئات جديدة وجريدة الاهرام عملت مبنى كبير ١٦ أو ١٧ دور من دخل الصحيفة ونحن لا نعين الصحف .. ولا نعين أى صحف .. والعمال بياخدوا الارباح .. والمرتبات اتصلحت .

« هل معنى حرية الصحافة ان تشتمنا .. فيه بره ناس كتير بتشتمنا وكان فيه وقت كان ١١ محطة سرية بتشتمنا .. راديو لندن ، وراديو فيصل ، وراديو بن جوريون بيشتمنا .. الشتيمة متوفرة والحمد لله واللى عايز يسمع .. »

« لكن الجرايد بتنقد .. والجرايد بتنقد القطاع العام .. ووصلت فى نقدها الى اكثر من اللازم .. مثلا روزاليوسف لها نقد مر جدا للقطاع العام . اى حاجة بتتنشر عن القطاع العام بيحصل فيها تحقيق ونتحرى لمعرفة هل هذا صحيح أم لا ..

« الصحافة حرة فى حدود الميثاق .. لكن لا يمكن اقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع راسمالى .. هذا عمل مضاد للثورة .. وهذه صحيفة الثورة المضادة ، سمعت انكم زعلتم من آخر ساعة لانها جابت سيرتكم على خفيف .. »

* * *

ويضيف الفكر الناصرى ابعادا جديدا لضمان تحقيق

الديمقراطية لقوى الشعب العاملة فى عدد من المجالات منها :

● ديمقراطية الادارة ، ولا تتمثل فقط فى اشراك العاملين فى ادارة المرافق ، ولكن الى جانبها لا بد من مناقشة الخطط على مستوى المشروعات .

فان وعى كل مواطن بمسئوليته المحددة فى الخطة الشاملة ، وادراكه المحدد لحقوقه ، ومكاسبه من نجاحها ، فضلا عن انه توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة بما يقرر احتمالات الوصول للاهداف ، فهو أيضا عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطنى من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة الى وضوح ذهنى وعملى يربط الانسان الفرد فى نضاله اليومى بحركة المجتمع كلها ويشده فى اتجاه التاريخ كما انه يوجه به حركة التاريخ فى نفس اللحظة .

● الوضوح الفكرى : وهو أكبر ما يساعد التجربة على النجاح كما أن التجربة فى الوقت نفسه تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة .

● تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون الصلة بين الجميع .

● توافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها « لكى يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا جهدهم الفنى والوطنى من أجل اكمال العمل » .

● رجوع القيادات الشعبية الى قواعدها وتأكيد مسئوليتها امام المنابع الاصلية لقوتها « ولا بد لنا أن نذكر دائما ان القواعد الشعبية مفعمة بالثورة الطبيعية وان ثورية القواعد والحاجهة الدائم من أجل التقدم سوف تكون قوة دافعة لثورية القيادة » .

● مواجهة الرواسب الفكرية فهى خطر ينبغى التصدى له

والقضاء عليه .. وخطره فى مرحلة التحول يخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ .

● **من حق الجماهير أن تعرف كل الحقائق** « وانما الامانة الثورية ان تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتها بلوغا لآمالها » .

● **عدم تكديس سلطات كبيرة فى أيد قليلة** فان ذلك « يؤدى بدون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنها بالفعل امام الشعب » .

● **القيادات الجديدة** عليها أن تتصرف على أنها « لا تمثل طبقة جديدة حلت مكان الطبقة القديمة ، وانتقلت اليها امتيازاتها » .

● **العلم لا بد أن يصل الى الجماهير العريضة** « فالعلم وحده هو الذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدما مأمون العواقب » والسلطات الشعبية بدون العلم « قد تستطيع ان تثير حماسة الجماهير ، ولكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقا لمطالب الجماهير » .

● **ازالة التصادم الطبقى الذى** « يهدد الحرية الفردية للانسان المواطن ، بل ويهدد الحرية الكاملة للوطن كله بأن يفتح من الثغرات فى صفوف الشعب ما يتيح الفرصة للاخطار الخارجية المتربصة بالوطن » وازالة التصادم الطبقى لا تحقق الا بازالة الطبقة .. التى فرضت الاستغلال فبذلك ينفتح الباب للتبادل الديمقراطى الذى يقترب بالمجتمع كله من عصر الحرية الحقيقية .

● الديمقراطية السليمة تزيل التناقض بين الشعب والحكومة حين تحولها الى اداة شعبية » والصحافة الحرة يجب أن تكون امينا على الارادة الشعبية ، شانها شأن المجالس النيابية .

● سيادة القانون تتطلب اولا تطويرا واعيا لمواده ونصوصه بحيث تعبر عن القيم الجديدة فالقانون « هو فى حد ذاته صورة من صور الحرية ولا بد أن يسايرها فى اندفاعها الى التقدم ، ولا يجب ان تكون مواده قيودا تصد القيم الجديدة فى حياتنا . (١)

● المساواة بين الرجل والمراة وكان عبد الناصر هو الذى اعطى نصف الشعب الذى ظل مشلولا ، وممنوعا من ممارسة حقوقه السياسية هذه الحقوق ، عندما نص فى دستور ٥٦ على مساواة المراة بالرجل منحها الحقوق السياسية ثم آكد مع هذا الحق فى الميثاق الناصرى وبرنامج ٣٠ مارس عندما وضع ذلك ضمن المكتسبات الاشتراكية ، التى يجب أن ينص عليها الدستور الدائم .

* * *

الخطوات التى راى عبد الناصر فيها ضمانا لتحقيق الديمقراطية السليمة بعد ان حقق الحرية الاجتماعية .

●● اولا : « لا تتحقق الديمقراطية السليمة فى ظل سيطرة طبقية لذلك آقام تنظيما على أساس من التحالف على « انه لا يمكن تجاهل أو انكار الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات ، وانماينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

وكانت صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى هى التى اتخذها الفكر الناصرى وسيلة ، لتحقيق ذلك (١) .

---

(١) الميثاق .

(١) انظر فصل التنظيم السياسى فى هذا الكتاب .

●● ثانيا : ممارسة النقد والنقد الذاتى . وقد مارسه عبد الناصر نفسه مرات عديدة ، كما وقف بعد هزيمة يونيو العسكرية ليتحدث عن أضخم عملية لنقد النفس تمت فى البلاد .. باسرها ..

●● ثالثا : تأكيد سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق الأجهزة التنفيذيه ويتحدث عنها القائد فى عيد السد باسوان ١٩٦٣ فيقول :

« والى جانب الاتحاد الاشتراكى العربى توجد المجالس الشعبية ، والاتحاد الاشتراكى العربى له واجبات حددها القانون الذى ينظم التنظيم السياسى وينظم قوى الشعب العاملة حتى لا تتسلل الرجعية »

« أما المجالس الشعبية فهى منتخبة من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى العاملين ، مجالس شعبية منتخبة فى القرية ، والمدينة والمحافظة ، وفى الجمهورية مجلس الامة ، واختصاص المجلس الشعبى فى القرية هو مراقبة وتوجيه مجلس القرية ، والعمدة ، اى السلطة التنفيذية ، وبذلك نستطيع ان نحل مشاكل القرية »

« ان فى القرية مشاكل ، ونحن نعتبر أن أهل القرية أقدر الناس على حل مشاكلهم اذا ما تعاونوا مع السلطة التنفيذية ، واذا وصل صوتهم الى السلطة التشريعية . وفى الماضى ، لم تكن السلطة التشريعية فى الديمقراطية الزائفة تدافع الا عن مصالح كبار ملاك الأرض والراسمالية المستغلة »

« أما اليوم .. فالمجلس الشعبى المنتخب فى القرية ، تنتخبه كل القرية ، لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية تنتخبها كل القرية ، ولجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى المصنع ينتخبها كل المصنع ، وفى المحافظة ، والمدينة مجلس مدينة ومعه مجلس شعبى منتخب . »

« المجلس الشعبى المنتخب غير تنظيم الاتحاد الاشتراكى » ولكن هذا المجلس الشعبى عضويته مقصورة على أعضـــاء الاتحاد الاشتراكى العربى ، لكى يناقش ويراقب ويوجه رئيس المدينة ، وبهذا تستطيع المدينة أن تعرف مشاكلهـــا وتحلها وفقا لمصلحة الشعب . »

« كذلك فى المحافظة يوجد مجلس اتحاد اشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب العـــاملة ، ومجلس شـــعبى منتخب فى المحافظة ، العضوية فيه مقصورة على أعضاء الاتحاد الاشـــتراكى العربى ، والانتخاب لعضويته انتخاب مباشر فى المحافظة . هـــذا المجلس الشعبى يراقب مجلس المحافظة ، ويستطيع أن ينتقـد ويوجه ويراقب .. وبذلك تحل مشاكل المحافظة ، واذا لم تحل ترفع الى السلطات العليا لحلها . »

« أما مجلس الأمة فهو يمثل الجمهورية كلها ، وله أن يثير المشاكل التى لم يمكن حلها فى القرية ، أو المدينة ، أو المحافظة لحلها وفقا لمصلحة الشعب كله ..! »

●● رابعا : جماعية القيادة فهى أمر حتمى لا بد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى ، ان جماعية القيادة ليست عاصما من جمـوح الفرد فحسب وانما هى تأكيد للديمقراطيـة على أعلى المستويات كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد

شرح عبد الناصر فى الجلسة الثالثة للمؤتمر الوطنى ما يعنيه بالقيادة الجماعية فقال :

« القصد من القيادة الجماعية أن نعيد تنظيم الحكم فى الدولة بحيث اننا نشتغل على أساس مجالس مش على أساس أفراد ونعمل لنقضى على الروح الفردية لأن الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الغلط والانحراف » ■

ولقد كان صوت عبد الناصر هو الذى ارتفع دائما من بالتحذير من الاعتماد على الفرد .

فهو الذى نادى بأعلى صوته فى مجلس الأمة (١) .

« ان الارادة الشعبية هى التى تملك ان تصنع قياداتها وان تحدد لها مكانها .. انى لأرفع صوتى هنا امامكم محذرا من الاعتماد على الفرد .. ان الشعب أبقى واخلد من كل قائد .. مهما بلغ اسهامه فى نضال امته »

« أقول امامكم هذا وأنا أدرك واقدر أن هذا الشعب العظيم اعطانى من تأييده ، وتقديره ما لم اكن اتصوره يوما او احلم به .. لقد قدمت له عمرى ، ولكنه أعطانى ما هو اكثر من عمر اى انسان .. لقد أسلم الى امانة لم اكن اتصور ان يتحملها فرد .. واقول لكم الآن – ربما لاول مرة – اننى لم اكن انام الليل ايام العدوان

واؤكد لكم أن العدوان لم يكن مصدر ارقى .. ولكن الأرق كان من احساسى بالأمانة التى وضعتها فى يدى ثقة الشعب العظيم بى ، ولئن كانت مرحلة التحول العظيم قد حتمت تركيز مثل ما كان فى يدى من السلطات لمواجهة القرارات الحاسمة ، فانى اقول لكم اننى اليوم أشعر بسعادة غامرة ، وانا ارى هذا المجلس الموقر يحمل نصيبه التاريخى من المسئولية ، ويواجه التبعات المتزايدة والمتسعة لمرحلة الانطلاق العظيم » .

« والمسألة الثانية اننى حرصت على ان يكون هناك نص صريح يواجه احتمالات اى طارىء يقع على رئيس الجمهورية ، ولقد كان غياب مثل هذا النص الصريح يشغل بالى طوال التجربة الماضية .. ان حياة أى انسان وديعة لخالقه ، يستردها حين تشاء ارادته ، ومن ناحية اخرى فلقد كنت ادرك اننى اتعرض لمفاجآت لا حصر

(١) ٢٥ مارس ١٩٦٤ .

لها طوال مرحلة التحول العظيم ، ولم تكن بى خشية على نفسى ؟ فاننى اقدر مسئولية ما فعلت منذ اليوم الذى بدأ فيه العمل لتنظيم الثورة .. لكن الخشية كانت على وطنى .. ان آمال هذا الوطن والنتائج العظيمة التى حققها بعمله لا بد أن تصـــان فوق كل المفاجآت . »

« لقد كان لا بد من نظام يرسم الطريق الذى يتبع لكى تبقى الأمور ذاتها فى يد الشعب ، يقرر فيها رأيه ويعمل ارادته وانى لاشعر بالراحة والرضى ان هذه الفجوة الخطيرة التى كنت أشعر بها وراء ظهرى قد وجدت لها حلا . »

فرغم ثقة القائد باجماع الجماهير عليه ، فقــد كان يصر على أن الطريق الديمقراطى هو الطريق السليم ارساء لتقاليد العمل السياسى ..

* * *

يوم طالب المؤتمر الوطنى بانتخابه رئيسا للجمهـورية مدى الحياة رفض ، واعاد شرحه لفكرة جماعية القيادة ، وقال انـنا يجب أن نتخلص من العواطف ونحن نناقش مستقبل الوطن كله ، كان العضو قد قال ان عبد الناصر كافح وناضل ، ولكن عبد الناصر رد الكفاح والنضال للشعب فقد قال (١) :

« جماعية القيادة ، موضوع آخر أيضا ، أننا باعتبر احنا مررنا بمرحلة عشر سنين من الثورة ، ولازم ننتقل الى مرحلة أخرى ، ازاى نطبق هذا ؟ جماعية القيادة ضرورية ».

« جماعية القيادة تمنع نزوات الفرد أو انحرافه ، الحقيقة انه قد آن الأوان بعد عشر سنوات ان احنا نفكر ونشتغل بطريقة

(١) المؤتمر الوطنى الجلسة الثالثة .

ثانية . الطريقة الثانية تختلف كلية عن الطريقة اللى احنا فيها النهاردة .

« بنتكلم عن القيادة الجماعية ، بعدين اقول مفيش واحد ينفرد بالسلطة ، ويطلع الاخ ويقول مدى الحياة .

« بالعـــاطفة مش ممكن مقـــدرش نقول الشخص يشتغل مدى الحياة .. افرض انه عجز عن الشغل ترجع فى كلامك العاطفة دى مشكورين عليها .

« من النواحى العاطفية كلنا بنبقى حاســين بهـذه النواحى العاطفية ، ولكن عايزين نتكلم كلام واقعى وعلمى علشان بنبنى بلدنا ، احنا عايزين قيادة جماعية ، اللى حرر الشعب هو الشعب

وكافح فى كل مجالاته ، الفلاح كافح علشـــان أولاده ، يقعــد من الصبح الى الليل ، والعامل كافح ، والمثقف كافح ، والمهندس كافح والطبيب كافح .

« بدى اقول لكم لا يمكن لواحد وحده عمل شىء مطلقا .

« هات أكبر كبير فى هذه الدنيا او أعظم عظيم فى هــذه الدنيا تخليه لوحده ، ميقدرش يوصل لغاية العتبة ، ويتوه فى السكة .» انا باكلمكم الكلام العلمى ، مفيش واحد يقدر يحرر شعب الا اذا كان هذا الشعب مستعد علشان يضحى ويحرر نفسه طبعا .»

« مفيش واحد يقدر يقف قصاد الانجليز أنا يوم ٣٠ أكتوبر جالى الانذار البريطانى ، ايه قدرتى انا علشان اقف قصاد انجلترا وفرنسا ، طيب اعمل ايه ولا حاجة ولكن كنت متأكد ان الشعب هو اللى حيقف .». علشان كده لم اتردد ورفضت الانذار الانجليزى

« لو جال بفكرى او بخاطرى أن الشعب حيتردد كنت ترددت كنت متأكد مائة فى المائة واخواننا موجودين هنا وكانوا متأكدين ان الشعب يقف بعناد وصلابة ولكن لو كنت حاقف أنا لوحدى » مفيش فايدة فى هذه العملية ، وهم كانوا متصورين العكس هم

متصورين انى اقف انا لوحدي وعلى هذا الاساس كانوا بيتدخلوا هذا الشعب اللى خرجت منه واللى انا عارفه ، حتى يمكن اللى مختلفين فى بعض النواحى ، حتى هؤلاء الناس كنت متأكد على اساس معرفتى لهذا الشعب حيكونوا اصلب عودا وده اللى حصل سنة ١٩٥٦ وده السر الكبير للانتصار .

« فى أول غارة نزلت من البيت علشـــان اطلع لمجلس الوزراء وكنت قلق يوم ٣١ اكتوبر ووصلت وكان فيه غارة جوية، والعربيات واقفه ، والانوار مطفاة ووصلت لميدان المحطة فوجدت فيه ناس واقفين وعرفوا العربية ، وقالوا حنحارب حنحارب وكان ده بعد الغارة بساعة أو ساعة ونصف . ده هو الانفعال الشعبى ، والشعب **هو اساس كل شيء فيه ناس بتسال وتقول مين يضمن لنا ان الكلام ده حيتنفذ ، انا مضمنش ، انتم الشعب هو اللى ينفذ ((بالعربى ده يرجعنا مرة اخرى للتنظيم . »**

« اذن القصد من القيادة الجماعية ، أن نعيد تنظيم الحكم فى الدولة ، بحيث اننا نشتغل على أساس مجالس مش على أساس افراد ، ونعمل لنقضى على الروح الفردية لان الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الخطأ والانحراف .

* * *

يوم قال عضو فى الدورة الأولى للمؤتمر القــــومى للاتحـــاد الاشتراكى العربى ان مصر هي عبد النــاصر رفض عبد النـــاصر وقال ان الشعب هو البـــــاقي ، وان مصر كانت موجودة قبل عبد الناصر وسوف تظل موجودة بعده .

* * *

ويوم اختاره مجلس الامة بالاجماع مرشحا لرئاسة الجمهورية ذهب فى فبراير ١٩٦٥ للاجتماع بأعضـــاء مجلس الأمة فى لقـــاء تاريخى ـ للهيئة البرلمانية ـ وسألهم ... لـــماذا الاجماع ... لـــماذا انتخبتمونى بالاجماع ... وكان لا بد ان التقى بكم قبل الاستفتاء

اوساء التقاليد فى المستقبل ، وقال عبد الناصر بالنص فى الاجتماع الذى عقد خصيصا لهذا الأمر :

« كان فى فكرى ان نبدأ فى وضع تقليد الاجتماعات التى نشترك فيها جميعا من وقت طويل ، ولكن طبعا وزى ما قلتلكم فى الاول ، انا قررت وانتم على وشك الذهاب الى ناخبيكم فى دوائركم قبل الاستفتاء انه لا بد أن يحدث هذا الاجتماع .. »

« الحقيقة انا اشعر ان ما لى عند النـاس يجعلهم يعطونني اصواتهم .. باقول ان ٩٥٪ من الناس ولكن انا لما باقول الشعب اعطانى ما لم اكن احلم بيه فانا فى الحقيقة باشعر بهذا صادقا . الشعب عاش الثورة ، وطبعا ده هو مش بيدينى ده لشخصى ، لانى انا جمال عبد الناصر بن عبد الناصر حسين : اللى طلع من العيلة الفلانية اللى كذا واللى كذا .. ابدا انا الحقيقة بيدينى ده لاعمال قامت . ما اقدرش اقول انى قمت بيها . لسبب بسيط ، لان مفيش واحد فى الدنيا يقدر يعمل حاجة اللى بيعمل حاجة بيعمل حاجة بناس معاه ، بيعتمد على هذا وعلى ذاك .. بيعمل فالكلام اللى اتعمل مهواش جهدى ابدا ، ولكن الظروف جعلتنى موضع القيادة فى هذا العمل ، فيه ناس بيقولوا على ايه عملية الترشيح والاستفتاء ؟ طب ما هو جمال عبد النـاصر حا يدخل وينجح ، وسمعتهم طبعا يقولون هذا الكلام . وفيه ناس قالوا : طب وعلى ايه نصرف فلوس ونعمل الاستفتاء ؟ انا برضه سمعت هذا الكلام وجالى ، وعلى ايه المجلس ؟ طبعا مهو جمال عبد الناصر حيننخبوه انا واثق من البداية ان المجلس لن يمانع فى ترشيحى . لكن ليه تركت له عملية الترشيح .. واجراءات الاستفتاء ؟ والحقيقة اللى انا قلته لكم يوم الترشيح فعلا اناكنت متردد فى عملية الترشيح واتكلمت فيها من اكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع شخصى ، الكلام اللى انا قلته لكم يوم الترشيح فعلا انا كنت متردد فى عملية الترشيح واتكلمت فيها من اكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع

شخصى ، هو الحقيقة احنا قدامنا مسئوليات كثيرة جداً ، فعلا زى ما قلنا ، قلنا كثير ، ان بناء المصانع سهل . وبناء البشر هو الصعب العسير .. فعلا بناء البشر هو الصعب العسير .. مكنتش باقول انى أنا حاروح يعنى أقعد فى بيتنا .. لا . كنت باقول انى انا حاروح الاتحاد الاشتراكى ونقعد .. بهذا الكلام اللى انتم حاسين بيه مركز جهودنا كلنا لهذا . ومع هذا اقتنعت ان الحل المنطقى هو اكمال ما لا بد من اكماله . »

« كان ممكن ان احنا نستغنى عن الاجراءات . وانا طلبت من الاخ حسين الشافعى أن الاتحاد الاشتراكى ان الموضوع مش على هذا الاساس . الصحف بدأت تكتب ، أنا لم امانع أن الصحف تكتب . ولكن كنت باقول مفيش داعى مطلقا لاى جهود منظمة ليه ؟ فيه ثلاث أسباب احنا النهاردة **يجب أن نضع التقاليد ترسم طريق ، ولو حتى من ناحية الاجراءات ، فى المستقبل ، مستقبلنا .. مفيش حد حيقعد على طول ..** مفيش حد على طول فى شغلته ، لازم أجيال جديدة حتيجى ، ولازم الدنيا حتتغير والناس حتتغير .. لازم نوضع اجراءات تكفل ان يكون اى مرشح يتقدم فى المستقبل للرياسة فعلا معروض على الشعب ، وتكون هناك فرصة ، حتى قبل ما يروح الشعب للاستفتاء ، يحس فيها مجلس الامة بارادة الشعب ، لان مجلس الامة هو اللى بيرشح ، حاليجى مراحل حيبقى فيه اثنين مترشحين ، وثلاثة مترشحين . **وأنا كنت أتمنى الدور ده فيه حد يرشح نفسه ..** »

« وكما أنا بدى برضه أقول والله حاجة .. أنا كنت أتمنى ميكنش ترشيحكم بالاجماع ليه ؟ بنوضع أسس للمستقبل .. حانقول بناخد الامور عاطفية لكن فيه علاقات عاطفية مربوطة بينى وبينكم بقى لها سنين طويلة وقديمة بدأت مع ٢٣ يوليو لغاية النهاردة ؟ معلهش ، لكن أنا باتكلم عن المستقبل ... »

ويوم طرح برنامج ٣٠ مارس للاستفتاء الشعبي نزل الى الجماهير في المحافظات يعبئها للبرنامج ويشرح لها فكره ، وقال في احد اجتماعات اللجنة المركزية انه يعتبر خطاباته قبل الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس جزء مكمل من البرنامج لان الناس وافقت عليه وفي ذهنها هذه الكلمات التي تشرحه .

●● **خامسا** : اطلاق فاعلية الحركة النقابية ، وهو ما طالب به برنامج ٣٠ مارس وقد رسم عبد الناصر دورا جديدا للعمل النقابي، كما اقام لأول مرة تنظيما نقابيا لعمال الزراعة وحدد الميثاق الناصري مهاما جديدة للنقابات العمالية عندما قال :

« ان ذلك الوضع الجديد لا ينهي دور التنظيمات العمالية » وانما هو يزيد من أهمية دورها . انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة في عملية الانتاج الى الحد الذي يجعل منها قاعدة طليعية في عملية التطوير .

« ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية من طريق الاسهام الجدي في رفع الكفاية الفكرية والفنية ، ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هي تستطيع ممارسة مسئولياتها من طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي ، ويدخل في ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاوني والاستهلاك التعاوني وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاجازات بما يساهم في تحقيق الرفاهية للجموع العاملة . »

وكذلك تمكين التعاونيات من أن تقوم بدور طليعى فى التعبير عن الفلاحين .

●● سادسا : بالنسبة للحكم المحلى فيجب أن تنتقل سلطة الدولة باستمرار والحاح تدريجيا الى أيدى السلطة الشعبية فانها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب وأقدر على حسمها .

●● سابعا : ان المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية السليمة لا بد أن تفرض نفسها على الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن وفى مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح فتعاد كتابة مناهج التعليم ثوريا ليكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة ، ولعاد صياغة القوانين لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة .. وتتغير اللوائح الحكومية من الاعماق .

●● ثامنا : ان يشترك العمال فى ادارة مصانعهم تحقيقا لديمقراطية الانتاج ، بحيث يكون لهم راى فى كل ما يتعلق لا بتقرير مصالحهم فحسب بل فى كل ما يتعلق بشئون الانتاج ، والمرفق الذى يعملون به .

وقد كان الفكر الناصرى يرى أن يكون نصف مقاعد مجالس الادارة من العاملين المنتخبين فى المرفق أو الوحدة الانتاجية .. (٤ أعضاء يضاف اليهم ٤ أعضاء بالتعيين بخلاف رئيس مجلس الادارة) .

اضاف الفكر الناصرى الى تجربة الديمقراطية من عنده ما يجعل تجربتنا فى التطبيق الاشتراكى والديمقراطية فريدة وهذا ما يؤكده عبد الناصر فى اجتماعات مباحثات الوحدة عندما يشرح الفروق بين التطبيق عندنا وفى البلاد الاخرى ، ويتكلم عن حكمة وجود أعضاء منتخبين فى مجلس الادارة فيقول فى الجلسة الرابعة :

« واحنا عندنا هنا تجربة فكر ... والاخطر من الفكر تجربة تطبيق والكلام بالنسبة للدولة والقطاع العام لازم ناخده على أساس

الفكر السليم .. نسأل أنفسنا : الدولة ما هى .. ما هى الدولة ؟ الدولة يا أما هى حكم الرجعية أو حكم الطبقية .. حكم الاقطاع وراس المال .. أو الدولة هى حكم الشعب العامل .. والدولة هنا مع التنظيم السياسى بيمثلوا شيء واحد ، اذا كان التنظيم السياسى هو تنظيم الشعب .. مش تنظيم الطبقة .. تبقى الدولة تصبح ممثلة للشعب لا تمثل الطبقة اللى انا بقوله هنا فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الطليعة .. الطليعة الثائرة .. زى ما قلنا فى الميثاق ان الطلائع الثورية قامت واستولت على الحكم استيلاء من مين ؟ من الرجعية وراس المال اللى كانوا ماسكين الدولة وبيحكموا . .

وبهذا لأول مرة .. يستعيد الشعب أو يأخذ الشعب بزمام الحكم مامشيناش بقى فى طريق الرجعية ومامشيناش فى طريق الراسمالية .. صفينا الاقطاع .. وصفينا الراسمالية .. خلصنا جميع الشركات الاجنبية اللى هنا .. كلها اتأممت .. كل البنوك اتأممت مشينا فى هذا كطلائع ثورية للشعب العامل .. الشعب العامل هو اللى بيحكم النهارده .. لان احنا مابنحكمش لصالح طبقة .. مابنحكمش لصالح البرجوازية .. ولكن بنحكم لصالح تحالف العمال والفلاحين والمثقفين .. لصالح قوى الشعب العامل كلها العملية بهذا الشكل بيبقى سيرها يختلف عن التفكير اللى احنا بنقوله ، لان لما نيجى فى فرنسا .. فرنسا تؤمم وهى دولة راسمالية يبقى الراسمالية اللى بتحكم هى اللى مسكت المصانع وتوجيهها لاتجاه راسمالى . لكن هنا لما تحالف الشعب العامل .. هو اللى بيحكم ويهدف الى اذابة الفوارق بين الطبقات .. والقضاء على تحالف الاقطاع وراس المال يبقى على طول الحكم هو حكم الشعب العامل .. ازاى بقى بعد كله .. نفذنا الديمقراطية ومشينا فى هذا بالنسبة للقطاع العام عملنا نسبة من مجلس الادارة للعمال .. اللى هى ابتدينا باتنين من سبعة وخطتنا دلوقتى حانبتدى نزود — حانعمل النص عمال والنص من الادارة يبقى تقريبا واحد بس اللى معين .. وبعدين طبعا حنقابل بعد كده .. المشكلة الادارية

اللى قابلتها جميع الدول الاشتراكية .. مشكلة البيروقراطية .. لازم بنقابلها ـ لان دى ـ متلازمة باستمرار مع الاشتراكية .. واجبنا احنا .. ينبثق عنها .. اللى هو الاشتراك فى مجلس الادارة .. ثم الاشتراك فى الارباح لان العامل يحصل على ٢٥٪ من الارباح .. ممثل العامل فى مجلس الادارة بيعترض على شراء عربية لمجلس الادارة .. لان شراء عربية لمجلس الادارة بدون داعى معناها انها على حساب ارباح العمال .. بيعترض على صرف أموال بدون داعى لانه ايضا بيكون ده على حساب العمال .. ده حصل مثلا فى الشركات ..

« وبذلك يستطيع الاتحاد الاشتراكى الممثل لتحالف قوى الشعب ان يحافظ على أموال الشعب .. بالنسبة لكل هذه العمليات نعتبرها عملية ديمقراطية كاملة .. وخطوات ديمقراطية كاملة .. النتيجة بهذا الانتاج زاد .. والنتيجة بهذا ان العامل حس انه بيشتغل لنفسه وان المصنع ملكه .. ملك الشعب يعنى فيه تجربة هنا تحتاج الى دراسة » .

حدد عبد الناصر دور العمال المنتخبين فى مجلس الادارة بانهم يشتركون فى الادارة ممثلين لزملائهم تحقيقا لديمقراطية الانتاج ، وكوسيلة للرقابة الداخلية على المشروعات بحيث توجه لمصلحة الجماهير .

* * *

ان اهم الاضافات التى احدثها عبد الناصر ، هو ضمان تمثيل الاغلبية الساحقة من الشعب بـ ٥٠٪ من المقاعد فى مختلف التنظيمات الشعبية المنتخبة ..

فيحدد الميثاق بأن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لا بد لها ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة

مصلحة عميقة فى الثورة ، كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » .

« ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية، ضمان اكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصـــادرها الطبيعية الاصلية . »

ولكن لمـاذا ٥٠٪ من المقاعد للعمال والفلاحين بالذات ..؟!

« لاننا نريد ان يصل صوت الفلاح صاحب الحق الطبيعى فى الثورة والاشتراكية لكى تحل جميع مشاكله ، وذلك لاننا لا نستطيع القول باننا نعرف كل مشاكل الجماهير فى كل قرية وفى كل مدينة ؛ بيد انه من المحتم علينا العمل لحل هذه المشاكل حلا جذريا ، وعن طريق الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنظيم تحـالف قوى الشعب العاملة ، وبتكوين المجالس الشعبية فى القرية والمدينة والمحافظة ، ومجلس الامة نستطيع ان نسمع صوت القرية ، للمدينة والمحافظة، كما نسمع صوت الشعب فى مجلس الامة .

« ونسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى مجلس الامة ضمان للديمقراطية السليمة ، العمال والفـلاحون الذين سلبت حقوقهم السياسية سنوات طويلة ، والذين كانوا دائما ضـحايا لتحالف الاقطاع وراس المال المستغل ، اليوم لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية ولهم ايضا ٥٠٪ من مقاعد مجلس الامة لانهم اصحاب المصلحة الحقيقية والاصيلة فى الثورة ، بالخمسين فى المـائة المحددة يكون فى استطاعتهم حماية المكاسب التى حققناها وبذلك تحمى الثورة ، ونبنى بلادنا بناء سليما على اسس ثابتة ودعائم قوية من الحرية والعدل والاشتراكية . »

ويضيف عبد الناصر فى جلسة المؤتمر الوطنى الثـالثة وهو يشرح الحكمة فى وضع هـذا النص فى الميثاق الذى اكد عليه فى برنامج ٣٠ مارس فيقول :

« انا لمـا وضعت الفقرة الخاصة بالعمال والفلاحين وان يكون

لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية بما فيها المجلس النيابى كنت حاطط كلمة (على الأقل) وبعدين شلتها ؟ فيه واحد بيقول من ضمن الاسئلة هل معنى هذا ان الانتخاب الحر المباشر سليم ده يمكن يخلى الانتخاب المباشر غير سليم .

« ايه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ ؟ حنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة مين اللى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين اللى كان بيشتغل وياخد نتيجة عرقة الثانى ؟ .. العامل والفلاح ، الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح .. اللى كان عنده ألف فدان اذا ما زرعوهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة .. هو اللى جاب له المحاصيل اللى كانوا بياخدوها بالعشرة آلاف والعشرين ألف .. العمال هم اللى بيشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو اللى يحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح واذا العمال ما شتغلوش مش حيقدر يدور المصنع العمال هم اللى تسببوا فى هذه الارباح » .

● فى اول مايو ١٩٦٨ وليلة الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس وضع عبد الناصر تعريفاً جديداً للعامل والفلاح غير التعريف الذى وضعته لجنة المائة التى انبثقت عن المؤتمر الوطنى والتى وضعت تقرير الميثاق قبل الاستفتاء » .

وذلك حتى يستفتى على البرنامج وعلى التعريف الجديد باعتبار ان خطابات عبد الناصر هى جزء مكمل للبرنامج على النحو الذى شرحه فى اللجنة المركزية بعد ذلك » .

ولقد كان التعريف القديم من الاتساع بحيث سمح بتسلل عناصر كثيرة استطاعت أن تحتل — عن طريقه — مقاعد العمال والفلاحين فى المجالس المنتخبة وعلى رأسها مجلس الأمة » .

لذلك حرص عبد الناصر قبل الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس ان يضع تعريفاً جديداً أكثر تحديداً ، وحتى يمكن أن تجرى الانتخابات — فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة — التالية للاستفتاء على الأساس الجديد » .

التعريف الذى وضعه عبد الناصر يقول :

●● **الفلاح** : هو الذى لا يحوز اكثر من عشرة أفدنة ، على أن تكون الزراعة مصدر رزقه ، وعمله الوحيد ، وأن يكون مقيما فى الريف ..

●● **العامل** : هو الذى يعمل يدويا أو ذهنيا ويعيش من دخله الناتج عن هذا العمل ، ولا يحق له الانضمام الى نقابة مهنية سواء كان من عمال الصناعة أو الزراعة او الخدمات .

* * *

عبد الناصر كان يؤمن حقيقة بالديمقراطية .. وفى كثير من المواقف التى اتخذها ادلة بارزة على ذلك ..

ولعل من أوضح هـذه المواقف موقفه عنـد انتخاب اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى .

فقد اجلت اللجنة المركزية اجتماعها اسبوعا واعطت عبد الناصر القائد تفويضا بترسيح اعضاء اللجنة ..

وبعد الاسبوع عادت اللجنة الى الاجتماع ، واعلن عبد الناصر عن رفضه للتفويض الذى منح له ، وقال انه ظل اسبوعا يفكر ، ولكن الامانة ومسئولية التاريخ كانت أمامه اكبر من أن يضع اى قيد على حرية اختيار أعضاء أعلى قيادة سياسية فى البلاد .. وعلى امتداد ثلاث جلسات استغرقت اكثر من ١٥ سـاعة كان الحاح الاعضاء عليه ، وكان رفضه القاطع ، وهـذه المناقشة من امتع المناقشات واكثرها تعبيرا عن اصالة عبد الناصر وقد يكون من المفيد أن ننقل بعض الاجزاء منها ..

قال القائد للرد على كل الذين يطالبونه بترشيح اسماء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى :

« سبب اساسى من الاسباب اللى خلتنى قلت الكلام اللى قلته فى أول الجلسة .. هو الموضوع الحقيقة مش موضوع عـدم قدرة ، كلمة عدم القدرة بتدى انطباع ، يعنى ما حدش يجب يتقال عليه انه غير قادر انه يعمل العملية ، لكن العملية كبيرة جدا الحقيقة

العملية ما يقالهاش صدى فى البلد على أساس أن اللجنة التنفيذية العليا هى أعلى تنظيم سياسى المفروض بعد كده اللجنة المركزية بتقعد ثلاث أيام ويعملين كل واحد يروح الى قواعده ويجى بعد ست أشهر فاذن اللجنة التنفيذية العليا هى عملية أساسية ، ده الحقيقة اللى خلانى جيت النهارده وقلت الكلام اللى أنا اتكلمته فى أول الجلسة كنت اقدر يعنى اجيب أسامى بس ، ماقدرتش أوصل الى الاربعتاشر اسم ، مش نتيجة عدم قدرة الحقيقة انا لما جه الاخ فريد عبد الكريم وقعد اتكلم معايا ، اتكلم وجرجرته فى الكلام .. فاتكلم ، ومع الامناء الآخرين الحقيقة الكلام ده مفيد جدا ، كلام مفيد الكلام اللى بيقوله .. النهاردة أيضا عايزين عناصر جديدة علشان تقدر تطلع وتفضل تجرى من قرية لقرية يعنى الواحد كان سنة ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كان بيطلع بيخطب ١٨ خطبة ، وانا افتكر مرة فى ٢٣ يوليو طلعت من الصبح فى عربية مفتوحة ، ولفيت وجه بحرى كله ، خطبت ١٨ خطبة ورجعت بالليل ، وانا قاعد على ظهر العربية على كبود العربية المفتوحة ، بس ما تقدرش تطلب منى النهارده أن أنا أعمل هذا الكلام اللى كنت باعمله سنة ١٩٥٣ (كده ولا ايه يا دكتور) .. فاحنا عايزين الناس اللى تطلع وتفضل تجرى وتروح فى الكفور والبقاع يعنى احنا عندنا صالونات بس مش معطرة (ضحك) يعنى حكاية الصالونات المعطرة ، ويعنى حتى الواحد مابيجيلوش الفرصة انه يقعد فيها ، يعنى مثلا انا عندى صالونات فى قصر القبة كثيرة جدا بس أنا مابروحش الصالونات دى الا لما بييجى ضيف اذا مافيش ضيف أنا مابروحش هذه الصالونات ، ماهواش الموضوع الحقيقة صالونات معطرة ولا كذا بل العكس ده يمكن أيضا الكلام اللى قاله الاخ صبرى فى جانب الأسباب اللى أنا قلتها ، فعلا عايزين عناصر تضمن الاستمرار عايزين أيضا عناصر تضمن التجديد وممكن عندنا ، أنا بدى أقول لتحلل من النظام الداخلى أيضا الى حد ممكن نقول ان احنا بنعمل لجنة تنفيذية لمدة سنتين أو سنة أو ثلاث سنين زى ما قال اظن

الأخ الخواجه قال كده عايزين نحل الحقيقة وعايزين نشتغل .. وبعدين عايزين نضمن ان احنا باستمرار بيبقى عندنا أحسن الحلول وانسب الحلول انا شايف من الكلام ان فيه اتجاه الى تكوين اللجنة فى الحال انا كنت باقترح ان احنا ناجل ، طيب نسمع كلام الدكتور جاد وبعدين برضه مش عاوز اتسرع فى الوصول ..

* * *

اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي تثق به ثقة مطلقة ويردد بعض الأعضاء انهم سبقو ان اتخذوا قرارا باعطائه حق الاختيار ولا ينبغى الرجوع فيه فيقول عبد الناصر :

– لى تعليقين ، التعليق الاول اللى هو نمشى أسرع من كده انا مستعد اعمل معاكم جلسات يومية وانا لا أكل من العمل ، اذا دعى الأمر الصبح وبعد الظهر اذا كنتم عاوزين انا مستعد ، ويوم الجمعة ايضا فى هذا يعنى متحملونيش اننى معطلكم ..

الحقيقة كان لازم ننظم نفسنا على أساس ان احنا بعد كده نمشى ..

النقطة الثانية .. الحقيقة أيضا فيه بعض التفسير المغالط فى العمليه ان انتم خدتوا قرار وحترجعوا فيه ، وانكم كلفتونى ورفض التكليف .. الحقيقة التكليف لو تقولوا لى اطلع روح قناة السويس ومش فاهم ايه ما قدرش ارفض هذا الكلام باطلع النهارده .. بتقولوا لى روح سينا باروح سينا ، ده تكليف ... العملية الثانية هى أكثر من تكليف الحقيقة هى عمليـة امانة وضمير لازم اكون مقتنع مية المية وفى هذا بادى مثل ربنا سبحانه وتعالى عرض الامانة يمكن الشيخ الباقورى يقدر يقول لنا الاية أكثر .. مش كده يا شيخ احمد فالموضوع ماهواش رفض تكليف يعنى انكم كلفتونى يعنى وان انا بارفض ، ابدا .. الموضوع موضوع لازم ان انا اكون مقتنع وباقول لكم ان انا من يوم الخميس لغاية النهارده بافكر كل يوم تانت بتضيق حلقة التفكير وكل ما شوف ناس اكثر بتضيق

عملية التفكير فانا لم اهرب من التكليف ، والعملية مهياش تكليف الحقيقة العمليـة انكم شلتم العملية حطتوها على وان اناباقول لكم تعالوا احنا الاثنين نشترك فيها .

وبعد ذلك طلب فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى عضـو اللجنة المركزية الكلمة فلما اعطيت له قال :

السيد الرئيس ، هذه الأمانة يقول الله بعد ذلك : « وحملهـا الانسان » .

ودار حوار ممتع بينه وبين الرئيس بعد ذلك بداه الرئيس عندما قال لفضيلة الشيخ الباقورى :

الباقى يا شيخ احمد .

● **الشيخ احمد حسن الباقورى :**

« انا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسـان » .

ـ الرئيس :

الباقى بقى يا شيخ احمد ، بقية الاية يا شيخ احمد .

● **الشيخ احمد حسن الباقورى :**

« وحملها الانسـان انه كان ظلوما جهولا » .

هنا فى هذه الاية ليس معناها أن يظلم الانسان غيره ، ولكن معناها أن يظلم نفسـه ، واشرف الناس هم الذين يظلمون انفسـهم لاداء الامانات الى الناس .

فان انت حملت هذه الامانة ، ووضعت نفسك فى نطاق الذين ظلموا انفسهم ، فهذا الظلم للنفس من اجل مصلحة الانسان هو اشرف انواع الظلم .

ـ الرئيس :

كنت فاكرك خاليجى معاى يا شيخ احمد (ضحك) .

وانتهى الاجتماع باصرار عبد الناصر على موقفه ، وفتح باب الترشيح للجميع ، وتكونت اللجنة التنفيذية العليا عن طريق الانتخاب من بين الذين تقدموا بأنفسهم للترشيح دون تدخل .

* * *

كان عبد الناصر يصر علي اعطاء الحرية كل الحرية للشعب ، وان يمنعها عن اعداء الشعب ، وهو ايضا كان يرفض قيام حزب او اكثر لأن الحزب هو التعبير عن طبقة .. لذلك رفض عبد الناصر قيام اكثر من حزب واحد على اساس ان التحالف يعبر عن كل الطبقات .

« نظام الحزب الواحد لم يكن فيه اى تعبير عن آمالنا أو أى مسايرة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقى هذا الشعب لا يشترك فى العمل السياسى ولكن عليه أن يكون تابعا .. معنى هذا استبعاد الغالبية من أبناء الشعب .. معنى ذلك أنه مهما اختلفت الشعارات ومهما زيفت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن ارادة الشعب الواحد المتحد .

« وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التى كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلا هنا فى مصر بعد ثورة ١٩ كانت الثورة وطنية والأحزاب وطنية . وبعد هذا كيف تنابذت الأحزاب واختلفت .. فقد الشعب وحدته ونتج من هذا أن ثورة ١٩١٩ لم تعط ثمارها كاملة وبقى الانجليز لغاية ١٩٥٦ موجودين هنا فى بلدنا لان الاحزاب تركت الهدف الذى قامت من أجله ثورة ١٩١٩ وبدأت تصل الى أهدافها الخاصة فى الحكم والسيطرة وطبعا كل واحد بيعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الأستعمار البريطانى أو عن طريق السفير البريطانى أو طريق القصر كان يعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب

« كان من الواضح أن تعدد الاحزاب لم تكن له الا نتيجة واحدة وهى تسهيل النفوذ الاجنبى .. طبعا فى هذه التجربة من حياتنا وفى المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه عبارة عن احتكار للسياسة . ونظام الاحزاب المتعددة لا يناسبنا لانه سيكون وسيلة لتغلغل النفوذ الاجنبى فى الوقت الحاضر الى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بنيناها والتى تعبىء الشعب .. وكان لا بد أن - تكون - التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا فى نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة . تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل وبحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن لأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

« واذا عملنا حزبين معنى ده أيه ؟.. معناه أن احنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين ..

((طبعا احنا من اجل الترابط .. قلنا بنقيم الاتحاد الاشتراكي)) ..

ويضيف عبد الناصر فى حديث مع محرر مجلة كل شىء اللبنانية فى مايو ١٩٦٢ عندما سئل عن تعدد الاحزاب فيقول :

« أحب أن أكون صريحا فى هذا الموضوع اننا هنا فى مصر فى مرحلة التطور الاجتماعى ، ومرحلة تطبيق الديمقراطية ، ومرحلة تصفية الاستعمار والظلم والاقطاع وديكتاتورية رأس المال وما نحققه الان هو مرحلة التطبيق ، وحتما لا نستطيع وليس من المنطق ، ونحن فى هذه المرحلة أن نسمح بوجود حواجز وعقبات تقف فى طريق أهدافنا »

« مثلا لا يمكن لنا ونحن نعمل على تصفية الاقطاع أن نسمح بوجود حزب ينادى بالاقطاع او حزب يدعو الى ديكتاتورية رأس المال ، ومعلوم أصلا ان للاحزاب التى هى من هذا النوع قوى مادية تمكنها من الاستيلاء على النفوذ »

« ونحن اليوم فى أول – الطريق – لأعطاء اغلبية الشعب التى تصل الى نسبة ٩٥٪ العدالة الاجتماعية التى كانت محرومة منها ونتيجة الى اقامة مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، لقد قمنا بثورة واخذنا السلطة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى ، ومن الغباء أن نعطى الاحزاب الفرصة لتقوم وتعترض هذه الاهداف » ..

* * *

كان عبد الناصر واعيا لقوى الثورة المضادة اعداء الشعب ، وكان يتحدث دائما عن وجود حزب رجعى منظم مترابط ..

كان الفكر الناصرى يضع ضمن قوى الثورة المضادة :

* فلول الاقطاع المتحالفة مع راس المال .
* الذين أضيروا من الثورة ، ومن التحول الاشتراكى ..
* العناصر الرجعية التى تريد شد المجتمع الى الوراء ..
* بقايا الاحزاب السابقة .
* العناصر التى تعمل على تخريب اقتصاديات البـــلاد أو تستغل أو ترتشى ، أو تتاجر فى السوق السوداء ..

وفى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى تحدث عن وجود الحزب الرجعى صراحة وقال :

« هو الحقيقة فى عملية الاحزاب يمكن الموضوع يكون أسهل .. لو فيه حزبين .. كل واحد مصالحه مرتبطة بحزب يبقى كل واحد يعمل على حماية مصالحه .. هو الحقيقة فيه النهارده حزبين فى البلد .. فيه حزب اشتراكى ، وفيه حزب رجعى .. »

« فيه حزب رجعى موجود وحايفضل موجود بدون اعلان وبدون ترخيص وعارفين بعض ويتكلموا على بعض ومنظمين قوى احسن من الاتحاد الاشتراكى » ..

« طبعا اللى عايش فى البلد بيقدر يحس بهـذا الكلام ، وهم حاسين بالتحدى وحاسين بخطورة المرحلة وحاسين ان هذه المرحلة هى مرحلة تطهير للرجعية ..

« الحقيقة فيه حزبين ولكن احنا بننسى ان فيه حزبين ونقول ان فيه الاتحاد الاشتراكى وبيجمع قوى الشعب العاملة .. طبعا عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة أن القوى الرجعية هى اللى بتمثل الحزب الرجعى الموجود فى البلد .. هذه القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل .. جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس اللى مصالحهم الحقيقية مع الاشتراكية ..

« وفيه ناس قالوا انه لن يمكن تنشيط الاتحاد الاشتراكى .. وحصل كلام ان احنا نعمل حزبين .. لكن اذا عملنا حزبين معنى ده ايه ؟

« معناه ان احنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض ، فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين اذن فى هذه المرحلة لا سبيل الا تحالف قوى الشعب العاملة فى تنظيم واحد هو الاتحاد الاشتراكى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى .. مع تجميع كل القوى الاشتراكية .. مع تطهير الاتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الانتهازية او القوى الرجعية اللى تسللت فى داخل الاتحاد الاشتراكى »

« طبعا لما نقول قوى انتهازية أو عناصر رجعية يكون كل واحد فينا لازم يحكم ضميره فى هذا الموضوع »

« لان الموضوع لا يمكن ان يكون موضوع شخصى ولا موضوع ناس ولكن بيكون مبنى على أسس وعلى قواعد .. الحقيقة تجربة الاتحاد الاشتراكى أيضا تجربة فريدة ولهذا بتقابلنا فيها عدة مشاكل .. البلاد الاخرى فيها يا احزاب يا حزب واحد ملتزم

بالنسبة لحزبه وكل حزب ليه منهج وكل واحد بيتنافس مع الاحزاب الاخرى علشان يحقق المنهج بتامه .

* * *

فى احد اجتماعات اللجنة المركزية حذر عبد الناصر من ان نضيف عناصر من قوى الشعب العاملة الى عناصر الثورة المضادة لمجرد انها تنقد وتريد الاصلاح وقال انه يجب ان تحدد قوى الثورة بوضوح ..

وحدد فئات جديدة راى انها لابد ان تدخل ضمن قوى الثورة المضادة الذين اسماهم ((الخوارج)) على النظام .. فقد قال فى الجلسة الحادية عشر من اجتماعات اللجنة المركزية :

« برضه أنا بدى أتكلم عن الثورة المضادة .. أن الثورة المضادة لا تستطيع أن تحيا الا اذا احنا ادناها المناخ والوسائل اللى تحيا بها ، والحقيقة فى الفترة اللى فاتت احنا ساعدنا على هذا بعدة سبل ، يعنى حصل مثلا ان خطة التنمية اتكمشت ، وبهذا فيه بطالة ، حصل مثلا ان الاسعار ارتفعت ، ثم حصلت الهزيمة اللى هى أكبر شىء ، حصل ان احنا بطلنا نبنى مساكن ، حصل ان عندنا مساكن فاضية ومابنسكنهاش ، حصل ان احنا بنقول ان عندنا عربيات بنبيعها بالعملة الصعبة ، مين اللى عنده عملة صعبة .. يعنى فيه تفرقة طبقية ، بندى الحقيقة بهذا للثورة المضادة أسباب بتقدر تروح لكل واحد ويقولوا له طيب ما انت مش حاتقدر .. مين حايبقى عنده عملة صعبة الا قرايب الوزراء ، وقرايب الحكام ، وقرايب كذا ، هم دول اللى يقدروا يشتروا شقة بالعملة الصعبة ، وهم دول اللى يقدروا يشتروا عربية بالعملة الصعبة ، الحقيقة أنا رايى ان الثورة المضادة قوة ضعيفة جدا ، ولكن احنا يمكن بتصرفاتنا بنديها المجال انها تشتغل ، اذن علينا ان احنا نصحح من كل هذه الاعمال .. وبعدين بالنسبة بعد النكسة ، الحقيقة

كانت العملية الكبيرة ، علينا أن نعبىء الجماهير بالنسبة للنكسة بالنسبة للنواب التى اتقال عليهم فى المجلس اللى فات ، الحقيقة النواب دول أكثر النواب كانوا كلاما فى مجلس الامة ، اللى هو فلان وفلان ، كانوا اكثر ناس بيتكلموا ، وانا كنت باسمع جلسات مجلس الامة ، يمكن أكثر ناس أيضا كانوا بياخدوا فرصة ، غيرهم مابيخدش ، وما اتصورش أبدا انهم تجارة يعنى ان كلامهم قد يكون مسموع فى بعض الاوساط نتيجة عوامل الشك اللى حصلت، ولكن اذا كان واحد بياخد مثلا ٤٠٠ جنيه فى الشهر أو ٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وبيشتغل مضاد ، أو عاوز أكثر ، ويستغل مركزه ، فموضوع الحقيقة ما ينفعش ، يعنى برضه باقول الثورة المضادة باستمرار اللى بيساندها ناس بيطلعوا من داخلنا ، الوزير اللى كان فى وزارة وطلع ، والنهارده بيتكلم ، لأنه طلع من الوزارة ، وشيء بهذا الشكل ، هم دول الحقيقة عناصر الثورة المضادة ، يعنى أنا بدى أقول ان احنا بنتكلم ساعات على العناصر الرجعية ، يمكن الناس التانيين اهم بيتكلموا وساكتين ، وناس خايفين ، لكن هم الناس اللى بيطلعوا مننا الناس اللى كانوا فى الأمانة مثلا ، والنهارده ماجوش فى الأمانة ، وماجوش هنا ، برضه انا عارف واحد لسانه طول كده ، وداير يتكلم ومش فاهم ايه ، بقه على طول قدامى عنصر من الثورة المضادة ، بس لا زال عنصر محسوب على ، الحقيقة بدنا نفهم الوضع بهذا الشكل .

ويواصل الرئيس حديثه فى نفس الجلسة عن قوى الثورة المضادة ويفرق بينها وبين افراد الشعب الذين قد ينتقدون ما يرونه من تصرفات مخالفة لرأيهم ، او يرون فيها اخطاء فيقول :

« موضوع النقد ، والنقد طبيعة فى هذا الشعب ، وانا الصبح أول ما امسك الجرائد بلاقى فيها حاجات مش عاجبانى ، فيه ناس فيكم متصورين انى عارف اللى طالع فى الجرائد تانى يوم ، ودة غير حقيقى ، يمكن الصبح الاقى عمليات فى الجرائد عملاها الحكومة، واضرب التليفون ، ايه اللى انتو عاملينه ، كلام مش فاهم ايه ؟ ..»

طبيعتنا كده ، بس مش معنى ده انى انا ضد النظام باى شكل من الاشكال ، واحنا طبيعتنا كشعب الناس بتنتقد ، وحتفضل تنتقد لان الحقيقة المطالب الاجتماعية لم تتوفر لينا ، وفيه نقص ، ولما يقول لك ان سعر الفانلة غالى ، يبقى له حق ينتقد ، وانا باقول آه ده سعر الفانلة غالى ، ده بقى سعر الفانلة ستين قرش ، والشراب بثلاثين قرش ، يبقى انا بانتقد ، وكل واحد فى البلد له حق ينتقد ، وما اقدرش اقول ان ده ثورة مضادة ابدا ، يعنى الحقيقة ، ان كان فيه حاجات بنعملها .. وفيه حاجات مش عاجبانه ، وتلاقيكم انتم بتصبحوا الصبح تنتقدوا ، وانتوا هنا بتقولوا ، والجرائد طلعت كدا ، والكلام اللى فى الجريدة الفلانية كدا .. **اذن احنا كشعب الـ ٣٢ مليون نشيل منهم العيال الصغيرين ، بيصبح الصبح كل واحد بينتقد ، وكل واحد مش عاجبه حاجة بما فيهم انا** ، يعنى كل يوم الصبح ، وانا بافتح الجرائد فيه حاجات داخلية مش عاجبانى ، فدى طبيعتنا برغم هذا **جينا يوم ٢ مايو راحت الناس كلها ، وايدت بيان ٣٠ مارس ، اذن مش معنى الانتقاد ثورة مضادة** برضه انا الحقيقة بدى احط الامور فى نصابها ، انا باشوف ناس ، وانا ساعات ما احبش اشوف ناس ـ انه مفيش واحد يبجى يقعد معايا الا اما يقعد ويقول الحتة الفلانية فيها كدا ، والحتة الفلانية فيها كدا ، ومفيش حد يمكن يكلمنى كلام فارغ ابدا ، بيجى ويقعد يتكلم فى الموضوع الفلانى والحتة الفلانية فيها كدا ، ساعات اقعد شهر اضرب انى انا مش عاوز اشوف ناس . يعنى مثلا شهر اغسطس اروح اسكندرية ماشفش ولا واحد خالص ، ليه ؟ لان اللى حايبجى لازم حاينتقد الحاجة الفلانية ، دى طبيعتنا ، فهناك فرق الحقيقة بين الانتقاد ، والتناقض والتصادم . التصادم اللى هو الصراع الطبقى ، والعملية اللى هو شايف الاشتراكية ضده ، كل واحد بينتقد .. بتمسك حسنين هيكل وكلامه فى الاهرام اكتر واحد بينتقد ، يعنى انتقد .. انتقد فى الاتحاد الاشتراكى وانتقد فى كذا ، وانتقد فى الاعتقالات وانتقد الحراسة ، وماعرفش الحاجة

الثالثة ايه ؟ هل حسنين مضاد ؟ مش ممكن ، ولكن هو مرة كلمنى وقال لى الموضوع الفلانى ده أقدر أعلق عليه ؟ قلت له اذا كنت انت النهاردة بتقول انك عايز تستاذن علشان تعلق ، يبقى الناس خايفين كلهم . . يبقى الناس معذورين المفروض انك تقدر تعلق وتنتقد ، زى ما انت عايز تنتقد ، وتدى فرصة لأى واحد انه ينتقد ، لكن هل معنى انه ينتقد انه هو مضاد للنظام ؟ اطلاقا ، بالعكس ، يجب ان احنا نيجى فى اللجنة المركزية وننتقد ، ونيجوا تقولوا عايزين بدل المناقشات ، فى المستقبل ، بنقول يا وزير الاصلاح الزراعى ، يا وزير الزراعة الجمعيات التعاونية عايزين كذا وكذا وفيه عندى فى المحافظة الفلانية . . ونتتقد . . يا وزير الشئون الاجتماعية كذا وكذا ، وان الناس اللى طالعين من السويس والاسماعيلية تعبانين ومايشتغلوش ، ولو ان الراجل طالب فى مجلس الوزراء انه يشغلهم الخ . قصدى احنا لم تكون المتطلبات الاجتماعية للبلد ، وسنبقى ننتقد ، لاننا عايزين ، ليس معنى الانتقاد ثورة مضادة ، ابدا ، ولكن يجب ان احنا تكون من الفطنة بحيث ان احنا نفرق بين الثورة المضادة ، والناقد اللى هو عايز الحاجة تنجح ، وعايز الثورة تنجح ، ولهذا أنا باقول برضه ان الثورة المضادة قلة ، وان احنا بنخاف أكثر من اللازم ، أديك بتقول واحد طلع عمل « بيه » القرية كلها ، والاتحاد الاشتراكى كله بسلامة قدره ماقدروش يعمل حاجة ، طيب اذا كان واحد بس خوفكم ، فرد واحد وقدر خلى الناس طلعت ضربت البوليس والداخلية والاتحاد الاشتراكى والعمدة . . الخ . يبقى الاتحاد الاشتراكى ما يساويش تكله فى هذا الموضوع خالص ، دى العملية . . انت بتقول هو شاطر بيتحرك واحنا مابنتحركشى . .

ثم يواصل القائد حديثه ردا على احد الاعضاء فيقول :

« بنشوف العناصر المعوقة ، والعناصر المضادة فى الجهاز التنفيذى ، وناخذ ضدها اى اجراء ، وبهذا الحقيقة مانشجعش الناس انهم ينضموا الى عناصر الثورة المضادة ، وانا برضه لازلت باقول ان عناصر الثورة المضادة ، هى عناصر قليلة ، ولكن اللى بيزودها ناس مننا احنا ، بيطلعوا ينضموا ليهم ، وهم لا يخافون من اى عقاب ، وليس لهم أى التزام .. بنقول الناس الملتزمين فى الاتحاد الاشتراكى ، اذا ساروا فى طريق الثورة المضادة ، حاجة بسيطة بنفصلهم من الاتحاد الاشتراكى ، ده موضوع سهل جدا .. لكن يجب ان نتأكد انهم انضموا الى عناصر الثورة المضادة ، مابقتش العملية انى انا بافصل علشان افسح سكة لناس أضعف منهم ، لازم الحقيقة تكون على بينة من هذا الكلام ، وده الحقيقة الطريقة اللى تخلينا نقدر نبنى الاتحاد الاشتراكى بتاعنا ، ولازم الحقيقة ندخل معارك وتتضربوا بالطوب برضه من الستات ومن العيال ، وتاخدوا دروس انه فيه واحد قدر يضحك عليكم ، وبعدين محدش بعد كده يقدر يدخل عليكم فى قرية تانية . وانا الغرض من هذا انى انا باقول ان احنا مش عايزين علشان قلنا الثورة المضادة فيه ثورة مضادة ، ولكن ليست هذه الثورة المضادة بالضخامة اللى قد يتصورها البعض ، واللى قد نتصورها ، وباقول **ان عملية النقد ليست هى الثورة المضادة** ، وانا متأكد انكم كلكم هنا ، المائتين بتنتقدوا حاجات ، وانتو قاعدين حتى وانتو بينكم وبين بعض فى البوفيه بتنتقدوا ، واحنا حتى قاعدين بننتقد ، وعلى هذا الأساس نبقى نحصر بقه أعداءنا فى الناس **اللى مننا اللى هم الخوارج ، الحقيقة هم دول اخطر بقى من عناصر الثورة المضادة القديمة ، اللى هى عناصر الاقطاع والراسمالية** .. »

اذا كنا نريد ديمقراطية سليمة ، فانه يلزمنا ان نضع الضمانات لقوى الشعب العاملة لكي تمارس حقها المشروع في الحرية .. ويلزمنا ايضا — وفي نفس الوقت — ثورة ثقافية تفتح الآفاق الجديدة للفكر .. وثورة علمية تنقل الوطن والمواطن الى الدولة العصرية التي اهتم بها بيان ٣٠ مارس .. ثورة تجعله يعيش مع العصر وهذا ما طالب به عبد الناصر دائما ..

فالعمل الديمقراطي سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة في احساسها بالانسان صادقة ، في تعبيرها عنه قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة في أعماقه خلاقة ومبدعة ينعكس اثرها بدوره على ممارسته للديمقراطية وفهمه لاصولها وكشفه لجوهرها الصافي النقي ..

وقد يكون كافيا في نهاية الحديث عن الديمقراطية أن ننقل بعض الفقرات من أقول الزعيم تعكس رايه في العلم والثقافة والفن (١) وكان عبد الناصر قد طالب بثورة ثقافية منذ سنة ١٩٦١، وقبل وضع الميثاق (٢) وبعد ذلك حدد معالمها في عدة أمور هي :

* ان الثورة الثقافية ... تستحق أعظم الجهود وأكثرها عمقا. ان العشرات من محطات الاذاعة والتليفزيون والمئات من المسارح ودور السينما ومراكز الاشعاع الفنى والثقافي والآف الكتب تعيش مع الجماهير كل ساعة تقدم لها البعيد والواقع القريب بالكلمة والصورة ..

ان المعارض العديدة التي تفتح ابوابها للناس كل يوم ستحمل الى الحاضر لمسات قوية ومبيضة تشير الى طاقات مبدعة ، بدأت تفاعلها مع القيم الجديدة للمجتمع ..

---

(١) كتاب جمال عبد الناصر والثورة اعداد منظمة الشباب بالقاهرة .
(٢) وثائق الناصرية خطاب افتتاح اللجنة التحضيرية .

* لابد للثورة الثقافية ، أن تفرض وجودها ، لأن الثورة الثقافية انما هى الثورة الفكرية التى تمكننا من أن نحافظ على انتصارنا ، وتمكننا من أن نقضي على الاستبداد السياسى وتمكننا من أن نضع مطالب الشعب موضع التنفيذ . وتمكننا من أن نقيم بين ربوع بلادنا حياة كريمة . حياة نشعر فيها بالعدالة الاجتماعية حياة متحررة من الظلم الاجتماعى .

* نوع آخر من المثقفين موجودين فى الاجهزة التنفيذية .. البعض بيفقد القـدرة على تصور التطور ويستسلم للواقع .. والبعض بيقفوا موانع للحركة بالتالى بيتخلوا عن دورهم كمثقفين .

نوع آخر تستهويه مظاهر الحضارة اللى بيسـافر امريكا والمانيا الغربية .. وبيشوف .. بيروح بلد بيروح نيويورك بلد فى المانيـا الغربية تستهويه مظاهر الحضارة ، ويعجز عن ايجاد صلة بين الواقع اللى بنعيشه وبين المظاهر أو البريق ، الواقع اللى احنـا بنعيشه القرية والفقر وعمال التراحيل .. مقدرناش نحل لغاية دلوقتي مجتمع موجود مجتمع متخلف كنـا تحت احتلال عثمانى واحتلال انجليزى واستغلال عاوزين نغير .. فالواحد لما يتعلم او يطلع بره ينسى طلع منين ..

فيه نوع آخر قد يتصور للعصرية مفهوم سطحى .. العصرية لا تعنى الانقطاع عن الماضى ، والحرص على التقاليد لا يعنى انقطاع عن المستقبل . المسالة مش بس مسالة اشكال ومظاهر سطحية .

العصرية الحقيقة هى التجدد بالاصالة ... وفيه عندنا مثل فى الريف : ان الشجرة ملهاش جذر متضللش .. ليه ؟ .. علشان مش حايكون لها فروع ، ومش حيكون لها ضل .. احنا لينـا جذور فى الحضارة ، وفى الماضى ، ونترقى ونتطور ، وكل واحد مننا عليه انه يؤدى دوره والمجتمع بيديه ، وهو بيدى المجتمع .. ويستوعب مشاكل المجتمع وامانى المجتمع ، ويحلل حـركاته واتجاهاته .

وبهذا يكون المثقف فعلا يؤدى دوره كمثقف ثورى يعمل لمصلحة الجماهير ، ولمصلحة الشعب ، ولمصلحة الحياة .

* ان الثورة الثقافية هى سلاح قوى جماهير الشعب .. والثورة الثقافية لها أهمية كبرى بالنسبة للحركة التطبيقية الثورية .. من أجل اقامة مفاهيم لنا تنبع من ضميرنا وتنبع من مصالح امتنا بمجموعها ، لا من مصالح فئة قليلة من ابنائها .

جيش الثقافة .. جماهير الشعب فى كل انحاء الجمهورية .. بهذه الثقافة نستطيع ان نتغلب على الحملة التى تشنها ضدنا الدوائر الاستعمارية والرجعية .

* المثقف ملتزم .. الالتزام الوحيد هو الالتزام بالارتقاء بالمجتمع ، وبالارتقاء بالحياة ؛ عن طريق المشاركة فى العمل والتوجيه السياسى والفكرى .

ويؤدى المثقف هذا الدور بالاقتراب وبالاندماج فى المجتمع .. وحتى يؤدى هذا الدور لا بد للمثقف من دراسة احوال المجتمع .

* فيه فرق بين المثقفين .. يعنى ممكن واحد متعلم يبقى بورجوازى .. ده ما أقدرش أقول عليه مثقف .. انا بقول عليه متعلم واستاذ كبير فى آى فرع من فروع العلم .. لكن المقصود بالمثقف انه مثقف اجتماعى .. المتعلم البورجوازى مش حقيقى مثقف اجتماعى أبدا .. أما واحد عنده وعى اجتماعى وعنده تفسير اجتماعى عنده اهتمام اجتماعى حتى اذا كان عامل او غير متعلم باقول عليه مثقف ..

* ان المثقف هو كل من يكدح ذهنيا .. ويعطى للمجتمع نتاج عقله وفكره .. سواء كان مهندسا فى الصحراء أو عالما فى الذرة أو عاملا نقابيا أو كاتبا او طبيبا أو باحثا أو فنانا أو أستاذا أو طالبا .. المثقف هو الذى يفكر فى احوال المجتمع ككل .. وعلى

ذلك فالمثقف هو الشخص الذى تتجاوز اهتماماته حدود مصلحته الخاصة ..

* ان الثقافة فى صميمها هى التفتيش عن الحقيقة ، والالتزام فى صميمه هو السعى الدائب لايجاد تناسق بين الحقيقة والواقع وملاءمة حركة المجتمع مع اتجاهات التطور الانسانى ..

* ان التفكير العلمى ، هو الصلة التى ربطت البشرية منذ أقدم عصور التاريخ الأولى ، ثم هو الصلة التى تشد شعوب الارض وتوحد بينها فى أى لحظة من لحظات الزمان .

والعمل العلمى ، بعد التفكير العلمى ، هو الجسر الوحيد الذى تستطيع به امتنا أن تعبر بالقوة والامان من مرحلة الى مرحلة ، وهو القوة القادرة على طى المسافة من التخلف الى التقدم ..

وأكثر من ذلك ..... فان العمل العلمى ... هو ضمان الاستمرار .. والأسلوب العلمى فكرا أو عملا ، هو الصيغة الملائمة والانسانية للتقدم ...

* ان العلم فى جميع المجالات ، هو بمثابة المصابيح الكاشفة نوجهها الى كل ما حولنا لننسج بالنور تصورنا لشكل المستقبل ، ثم لنخطو بالنور وصولا اليه ..

فبغير المصابيح الكاشفة للعلم فى جميع المجالات فان تصورنا للمستقبل ، وحركتنا اليه ، تصبح تحسسا أو تخبطا فى المجهول وفى الظلام ..

* ان عماد التقدم فى بلادنا .... علم بلا طبقية .. علم بلا احتكار علم بلا كهنوت علم مفتوح للجميع من أجل الجميع .... كل بقدر استعداده وكل بمدى جهده وكل بحدود طاقته ..

اذا كان النضال الواعي لامتنا قد جعل العلم للجميع ، فان الوعي النضالي لها لابد أن يستتبع ذلك بجعل العلم للمجتمع اى بالوصول الى العلم الملتزم .

* ان العلم الملتزم ، ليس معناه ان نطلب الى العلماء ترديد الشعارات ، او ان يتركوا اماكنهم فى الجامعات والمعامل لالقاء الخطب .. ليس ذلك هو العلم الملتزم وذلك لو سقطنا فيه يصبح طفولة ساذجة فى تصور المعنى الحقيقى لالتزام العلم .

العلم الملتزم فى اى وطن من الأوطان ، هو العلم الذى يتسع لآمال هذا الوطن ، ومعنى ذلك انه يعيش فيهـا وانه يعانيها وانه قادر على خدمتها . هو باختصار العلم الذى لا يكون السؤال على لسان اصحابه هو : كم اخذنا ؟ وانما يكون السؤال الذى يسبقه هو : كم اعطينا ؟

وليس هناك علة تقبل ، للتنصل من التزام العلم مهما كان منطقها . والمنطق الوحيد المقبول هو النضال لتذليل اية عوائق واخضاعها كى يستطيع العلم أن يقدس نفسه بالالتزام .

العلم للجميع .. هذا جانب من الصورة .. والعلم للمجتمع هذا هو جانبها الآخر .

* اننا وضعنا العلم فى مكانه العالى من حياتنا ، ان ذلك يحمل فى طياته ايضا ، ادراكنا الواضح لحقيقة ، ان العلم هـو الذى سيضعنا بعد ذلك فى مكاننا من العالم .

* ان اى عملية حساب بسيطة كفيلة بأن تظهر الثمن الفادح الذى تدفعه الجماهير لكى تصل بواحد من ابنائها الى العلم المتقدم .. فاذا بلغ مكانه وتصور أن وصوله اليه يعطيه الامتياز ولا يفرض عليه التزاما فلقد وقع فى الخطأ والخطيئة .. خطأ الحساب ثم خطيئة الجهل الاجتماعي .

ان القيمة الحقيقية . الفعلية والاجتماعية لاى فرصة تتاح لواحد منا هى أن يتحول بكل ما اخذه الى مصدر عطاء للذين اتاحوا له ومكنوه وحققوا امتيازه ، والا فهو شجرة عقيمة عاشت من أرض وارتوت بعرق السواعد واحاطتها الرعاية بكل أنواعها وامتلأت بشعاع الشمس ، ثم لم تعط فى النهاية زهرا أو ثمرا أو ظلا .

ان الأخذ من المجتمع بغير عطاء استغلال .. والنمو على حساب الجماهير ثم التخلى عن خدمة آمالها هروب ..

* أن الفن فى حقيقة أمره مظهر حى للحرية .. والعلم فى حقيقة امره أيضا مظهر حى للحرية .. الفن هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف نفسه .. والعلم هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف الكون من حوله .

والحرية فى الفن وفى العلم ، دورة كاملة ، تعطى وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر ، وتدفع وتندفع .. ذلك أن الاحساس بالحرية ، الذى يدفع الفنان الى الخلق الفنى يتحول بعد الخلق الى قوة دافعة نحو مزيد من الحرية .. ومجال التفكير الحر امام العالم الذى يقترب به رويدا رويدا من الحقيقة الكبرى ، يتحول بهذه الحقيقة ذاتها الى طاقة حافزة نحو مزيد من التفكير الحر .

وهكذا فان الحرية مقدمة للفن والعلم . كما أن المزيد منها فى الوقت ذاته نتيجة حتمية للفن والعلم .

بل أن التفاعل بين الفن والعلم .. يمضى الى ابعد من ذلك الى التلازم مع معارك الحرية لن كليهما يكمل الاخر فى كفاح الامة الواحدة .. ان الفن يصبح من أقوى الأسلحة فى معركة الحرية السياسية ضد الاستعمار وضد الطغيان . ويجىء دور العلم ليصبح السلاح الاكبر فى معركة الحرية الاقتصادية والاجتماعية لصنع المجتمع الجديد الحر .

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا فى دورة الفن والعلم ليس معنى ذلك ان الفن وحده هو دليل المعركة من اجل الاستقلال ، وليس معنى ذلك أن العلم وحده هو دليل المعركة من أجل التطوير ليس ذلك ما قصدت اليه .

فالواقع فى تصورى أن التفاعل بين الفن والعلم وبين الحرية فى اطوارها المختلفة ، انما هو تفاعل مستمر متحرك متجدد لا فجوة فيه ولا انفصال بين دوراته .

وانما الذى قصدت اليه .. هو أن دور الفن يكون أكثر بروزا فى التعبئة المعنوية اللازمة لدفع الكفاح السياسى ، كما ان دور العلم اكثر بروزا للتعبئة المادية اللازمة لدفع الكفاح الاقتصادى والاجتماعى .

على ان للعلم دوره الرائع فى الوعى المستنير اللازم لانجاح المعركة السياسية كما أن للفن دوره الرائع فى خلق الشعور الانسانى اللازم لانجاح المعركة الاقتصادية .

* اذا قمنا باحترام القديم ووضعه فى مكانه الكريم من حركة التطور العام . واذا قمنا فى ذات الوقت بتشجيع الجديد ، فان هذا الجيل مطالب أمام مجتمعه بأن يبدأ شق طريقه بنفسه وان يدرك أن بناء اساسه العلمى هو اثبات الشخصية الذى يستطيع التقدم به الى المجتمع طالبا فتح الابواب .

* ان الابداع لا ينتقل من جيل الى جيل بمجرد الارث ، وانما بالجدارة المؤكدة ، وبالاستحقاق الشجاع . اننا نؤمن انفسنا من الزلل بتقدير ما اثبت ذاته وفرض قيمته بغير جدال .. ولكننى اقول ايضا أنه من الضرورى فى نفس الوقت ، ان نقبل بمخاطرة محسوبة وان نعطى من التقدير مقدما ما هو لازم لجيل جديد ، لم يتمكن بعد من اجتياز حدود المحاولة والتجربة ونساعده بطاقاتنا ولا نتركه لضغوط الظروف تجرفه الى حيث تشاء . نشد يده

ليصعد ولا نتجاهله حتى يمكن ضد العزلة والوحشة من ان يثبت ذاته ويفرض قيمته بغير جدال .

اذا كان من حقنا أن نلتفت الى احتمالات الابداع التى حققت نفسها بالفعل ، ونكرمها ، فان من واجبنا ان نتطلع الى احتمالات الابداع التى مازالت تناضل لتحقيق نفسها وأن نشجعها فى نفس اللحظة . فانني اريد أن ألفت النظر امامكم الى أن أجيالنا الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى ، مطالبة بأن تعانى بجد أكثر متطلبات ما نذرت نفسها له .

ان النجاح أمر صعب ، والاحتفاظ به أمر صعب ، وعمل العالم او المفكر او الفنان ليس ضربة حظ تسبح به وسط أضواء الاعجاب او الشهرة .. وانما الخلق المبدع عناء وعذاب كل يوم »

تحالف .. بدلاً من الحزب

الفكر الناصرى اخذ فى تجاربه للتنظيم السياسى منذ قيام الثورة ، بفكرة تحالف قوى الشعب ، فجميع التنظيمات التى اقامها عبد الناصر كانت بمثابة حشد لاكبر عدد من المواطنين ، وان اختلف الهدف والاعضاء فى كل مرحلة .

ونتيجة لذلك يختلف أيضا الدور الذى يلعبه كل تنظيم ، كما تختلف خطة عمله ، وأهدافه ، والفكر الذى يقوم على اساسه ..

فى بداية الثورة كان الهدف واضحا ومبلورا ، فى ضرورة القضاء على الاستعمار ، وتحرير الوطن ، وتحقيق الاستقلال الوطنى ..

وظهر تنظيم الضباط الاحرار السرى ليصبح حقيقة علنية ، يلتحم بالجماهير ، ويعيش وسط مشاكلها الصغيرة كل يوم ..

وعندما ثبت أنه لا مجال لاصلاح الأحزاب السياسية القديمة .. كان القرار بالغائها نهائيا ..

ولقد كانت الاحزاب - فى الفترة السابقة على الثورة ، تمثل مصالح أعضائها .. من تحالف الاقطاع مع راس المال المستغل - ويصفها عبد الناصر قائلا :

« كانت هناك تنظيمات شعبية سبقت قيام الثورة .. ولكن هذه التنظيمات ضاعت قيمتها بسببين رئيسيين :

● أولا : ان معظم هذه التنظيمات خصوصا تلك التى مارست

الحكم منها . قبل الثورة ، كانت انعكاسا لمصالح طبقية .. وكانت كلها تستند على تحالف الاقطاع وراس المال المستغل . ومن ثم فان هذه التنظيمات ، لم تكن قائمة على اساس جماهيري وان كان بعضها قد استطاع في سنوات النضال الوطني من اجل الاستقلال ان يحرك جموعا من الجماهير الا انه لم يستطع مواصلة النضال الى نهايته ، لارتباط مصالحه بطريق غير مباشر مع مصالح الاستعمار .

« ومن ثم انتهى الى مهادنته . ومن ناحية اخرى ، لأن النضال الوطنى من أجل التحرر الاجتماعى . لاحت مقدماته حتى خلال معركة الاستقلال . الأمر الذى جعل هذه التنظيمات السياسية تنقلب على قواعدها الجماهيرية . وتحاول صرف انظارها عن معركتها الحقيقية .

● ثانيا : انه كانت هناك قبل الثورة تنظيمات سياسية لا تعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة . لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت فى معظم الأحيان محدودة أو سلبية بسبب حفظ المصالح الطبقية الحاكمة عليها ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية ، أو حركتها قوى بعيدة عن التربية الوطنية » (١) .

ويعود القائد بعد ذلك يشرح موقف الأحزاب قبل الثورة بوضوح اكثر عندما يقول :

« قبل الثورة كان فيه أحزاب .. وكانت فيه ديمقراطية زائفة . الأحزاب اللى كانت موجودة عندنا قبل الثورة كانت بتمثل ايه .. كانت بتمثل الطبقة الواحدة .. زى ما قلت لكم احنا فى أول الثورة ان احنا ندى الحكم للأحزاب ولكن الأحزاب لم تقبل المبادىء الستة التى أعلناها فى أول الثورة . احنا تفاوضنا مع

---

١ ـ مناقشات اللجنة التحضيرية ٢٣ يوليو ١٩٦٢م .

الأحزاب « الوفد » على إساس يستلموا الحكم وقلنا لهم ان احنا نريد المبادىء الستة .

« اول مبدأ القضـــاء على الاستعمار . وثانى مبدأ القضاء على الاقطاع . وقلنالهم عاوزين نحدد ملكية الارض بمائتى فدان ، بعدين قعدوا يتفاوضوا معانا ساعات وساعات وأيام ويقولوا لا .. ازاى تطلب من الاقطاعيين ان يحددوا الملكية ؟ حزب الوفد فى هذا الوقت كان حزب يتمثل فيه الاقطاعيين .. الأحزاب الأخرى كانت تتمثل فيها الاقطاعيين او سيطرة وديكتاتورية رأس المال . وبهذا سرنا من أجل تطبيق الحرية وكنا نشعر الا حرية سياسية بدون حرية اجتماعية وزى ما قلنا فى الميثاق .. احنا قلنا فى الميثاق ايه .. قلنا رغيف الخبز وتذكرة الانتخاب . تذكرة الانتخاب بيأثر عليها ايه . بيأثر عليها رغيف الخبز ..

« اذا حررنا الثورة ، واذا حررنا وسائل الانتاج . واذا حررنا العامل ، واذا حررنا الفلاح ، نستطيع فعلا ان نقول ان هناك امكانية لقيام حياة ديمقراطية سليمة » (١) ..

الأحزاب فى الفترة السابقة على الثـورة لم يكن يهمها الا ان تتصارع لكى تصل الى الحكم ، وهى تسلك كل السبل التى تؤدى الى ذلك .. مرة تستعين بالانجليز ، ومرات تلجأ لخداع الشعب ، ومرات اخرى تشترى الحكم برشوة الملك . وقد حدث ذلك كله فى تاريخنا بأكثر من صورة ، ومن كل الأحزاب السياسية تقريبا ..

وعندما تصل هذه الأحزاب الى الحكم فان اهم ما كانت تحرص عليه هو ان تؤكد مراكزها ، وان تدعم نفوذ اعضائها ، وتعمل على تلبية مطالبهم ، وراجت فى هذه الفترة فى مصر ، كلمات المحاسيب والأصهار والانصار ، أما الشعب فقد « كان فى البلد ١٨ مليـون ليس لهم حزب والبـاقى اما مخدوعين واما مغلوبين على أمرهم

١ ــ عيد الوحدة ١٩٦٢ .

او مضللون وكان الساسة يتخموا فى لقمة العيش يحرمونها على من يرفع صوته . ويحاربونه فى رزقه ليضمنوا سكوت الجميع عن الظلم والاستعباد .. والاستغلال .. لذلك كانت بلادنا ضعيفة مغلوبة على أمرها الى أن قامت الثورة » (١) .

ومع ذلك حاولت الثورة ان تمد يدها لهذه الاحزاب تطورها ، وتطهرها ، وتعيدها الى خطها السليم الصحيح ، وقد اختارت من بينها اكثرها جماهيرية ، وادعاء لتمثيل الاغلبية الساحقة من الأمة لكى يطور نفسه ويطهر صفوفه ولكن هذه المحاولات كلها فشلت .

« قلنا لهم اذا اردتم أن تتعاونوا مع الثورة .. اذا اردتم ان تعملوا من اجل الشعب فيجب ان نقضى على الاستعمار ويجب أن نحطم الاقطاع . فان الاقطاع اذا كان يمثل شيئا فى هذا الوطن فانما يمثل الاستعباد بأبشع صوره ولا يمثل الحرية ابدا .. فلا معنى لحرية فلاح تحت يد اقطاعى .. مهدد فى رزقه مهدد فى أقواله مهدد فى بيته .. لا معنى لحرية فلاح لا يستطيع انه يقول ما يريد لا معنى لحرية فلاح غير مطمئن على رزقه وغير مطمئن على نفسه .. قلت لهم نريد أن نحطم الاقطاع ونريد أن نحدد الملكية .. قلنا لهم نريد أن نقضى على الفساد وعلى سيطرة رأس المال على الحكم . ولكنهم كانوا معنا مخادعين مضللين كما كانوا معكم لم يقبلوا ابدا بل لم يؤمنوا ابدا بحرية الفرد .. بل لم يؤمنوا ابدا بأن الفرد الذى يقع تحت سيطرة الاقطاع يفقد حريته .. لكنهم يؤمنون بالحرية الزائفة » .

« واننى لأذكر فى هذا العام فى ٢٧ مارس حين وفد الى رسول من حزب الوفد يقول لى يجب أن نتفاهم .. ويعرض على أن يؤلف وزارة ائتلافية ظنا منه أن غرضنا هو الحكم واننا سنرضخ وسنقبل الاشتراك معهم فى الاتجار بالوطنية واننا سنقبل الجلوس معهم فى وزارة ائتلافية تحقق مصالحهم وأهدافهم » (٢) .

---

١ — ٢١ مارس ١٩٥٤ .
٢ — ٢٨ مايو ١٩٥٤ .

وكان لا بد من القضاء على هذه الصورة كلها ، وكان لا بد ايضا من قرار حاسم بالغاء الاحزاب بعد أن عجزت حتى عن ان تطور نفسها ، لكى تستطيع الثورة بعد ذلك أن تلتقى بالشعب ، وتسير معه على طريق النضال لتحقيق آماله ، وأهدافه ، وقد عبر القائد عن ذلك بقوله « كان بيننا وبينكم نظام حزبى فرق وحدة البلاد وفرق شملها ولم تكن المبادىء موضوع خلاف وانما كانت الزعامات والانانيـة والمال الحرام وقوت هـذا الشعب هو موضوع الخلاف ومحور ارتكازه ، كان لا بد أن يختفى هـذا كله .. يمحى حتى نستطيع أن نلتقى بكم ..

كان انهاء وجود الاحزاب معركة فى حرب الاستقلال »(١) .

* * *

وافرز الفكر الناصرى اول تنظيم سياسى شعبى فى صورة هيئة التحرير التى رفعت شعار « كلنـا هيئة التحرير » .

وكانت هيئة التحرير هى التنظيم الذى كان يمكن ان تستعين به الثورة فى هذه الايام لعدة اسباب :

● **اولا :** انها تجمع لجميع فئات الشعب تحت هدف واحد هو: طرد الاستعمار ... برنامجها الاساسى هو طرد الاستعمار ..

وكان هذا التنظيم يضم المصريين جميعا باستثناء الاقطاعيين والقيادات الحزبية السابقة على الثورة ، على اعتبار أن هؤلاء من المتعاونين مع الاستعمار ، أو الذين ليست لهم مصلحة فى طرده ،

---

(١) ــ افتتاح مجلس الامة ١٩٥٧ .

أما بقية فئات الشعب وأفراده ، فقد اعتبر الفكر الناصرى فى تلك الفتـرة انهم اصحاب مصلحة فى طرد الاسـتعمار ، وان اختلفت المواقع التى ينظرون منها الى هذه القضية .. فنظرة الراسمالى الكبير الى طرد الاستعمار فى تلك الفترة ، هى انه يمكن أن يرث راس ماله ، ونظر العامل الى الاستقلال أنه خطوة نحو التحرر الكامل .. السياسى والاجتماعى .. وحتى المثقفين فان لكل منهم نظرة ـ فى ذلك الوقت تختلف عن الأخرى ـ فبينما ترى شريحـة منهم أن الإستقلال يمكن أن يكون خطوة نحو التحرر الاجتماعى عن طريق اجراء ثورة اجتماعية ، كانت شرائح اخرى ترى أن الاستقلال هو خطوة نحو اجراءات اصلاحية يمكن أن تتم بعد ذلك تحقق لهم عملا افضل ومستوى احسن .

المهم انه كان هناك اجمـاع بين افراد الشعب ، وبين فئـاته الوطنية فى تلك الفترة على ضرورة تحقيق الاسـتقلال ، وطرد المستعمر .. وخاصة بعد ان أبعدت الثورة عن الحياة السياسية الاقطاعيين ، وكبار رجال السـياسة القدامى والذين ارتبطت مصالحهم بالاستعمار ، وشـاركوا فى افسـاد الحياة السياسية ، وهم الذين قدموا بعد ذلك الى المحاكم التى اقامتها الثورة ، وثبتت خيانتهم ، أو الجرائم التى ارتكبوها لافساد الحياة السياسية ، أو الاقتصادية .

كان تحالف هيئـة التحرير فى ذلك الوقت مفتوحا لتتحد من خلاله هذه الجماهير كلها .

● ثانيا : لم يكن فكرة الثورة قد تبلور بعد فى نظرية سياسية ، ولا فى شـكل من أشـكال التنظيم يمكن أن يلف حوله الجماهير المتحمسة ، ويجمعها ، وفضلا عن ذلك كان من الضرورى أن يتجمع المواطنون وأن يواجهوا الى جانب الاستعمار الاحزاب القديمة التى صدر قرار بحلها فى ١٦ يناير ١٩٥٣ لذلك أعلن ميثاق هيئة التحرير بعد أسبوع واحد من حل الأحزاب فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ .

● ثالثا : انها الأداة الشعبية التى يستطيع رجال الثورة من خلالها أن يلتقوا بالجماهير ، وأن يلتصقوا بهم كما يلتقون فى نفس الوقت بالمشاكل اليومية وأن يعملوا على حلها .. واذا كانت المشاكل التى كانت تتصدى لها الثورة فى ذلك الوقت صغيرة ، فالتنظيم الذى قام بالثورة نفسه كان يهتم أولا بالقضية الكبرى ، وهى قضية تحرير الوطن أولا ويضعها فوق كل المشاكل الاخرى ..

● رابعا : كانت المهمة البارزة التى قامت بها هيئة التحرير فى تلك الفترة هى التعبئة الوطنية ، وحشد الطاقات من أجل معركة الاستقلال ، ولذلك قامت بدور كبير فى تدريب المواطنين على السلاح ، وتوعيتهم ..

● خامسا : كان من الطبيعى فى مثل هذا التنظيم الواسع ان يتسلل اليه بعض العناصر المضادة لأهداف الوطن ، وآماله حتى فى الاستقلال .

* * *

جمال عبد الناصر عندما تحدث عن هذه الفترة من عمر التنظيمات الشعبية ابرز أن « هيئة التحرير لم تفشل فطالما كنا بنقول ان احنا عايزين نحل مشاكلنا فى اطار من الوحدة الوطنية فانها قامت بدورها »

« (١) نجحت الثورة وبدأنا نواجه أول مرحلة للقضاء على الاحتلال والقضاء على السيطرة البريطانية ، والتخلص من الـ ٨٠ الف عسكرى بريطانى والحصول على الاستقلال الكامل ، وأول سؤال سألناه لانفسنا ونحن نبدأ هذه المرحلة من هو الشعب ، من هو الشعب الذى سيكافح من أجل اخراج الانجليز ، لم يكن ممكنا

(١) اللجنة التحضيرية ه

ان استدعى عملاء الانجليز واقول لهم تعالوا واصدرهم لكى يكونوا هم الذين يتولون القيادة فى اخراج الانجليز .. بالعكس فالذى كان سيحصل انهم كانوا سيقفون معهم ، لكى يبقوا اكثر مدة فى مصر .

« اذن فى هذه المرحلة كان لابد ان نسال انفسنا **من هو الشعب؟** من هو الشعب الذى سيخرج الانجليز من القناة ، ويأخذ الاسلحة ويحارب حرب عصابات ويحاصر المعسكرات البريطانية .. لم آت بالناس الذين يتعاملون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانوا يتاجرون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانت مصالحهم مرتبطة بمصالح الانجليز ، واقول لهم اذهبوا الى القناة لتحاصروا الانجليز لكى تشعر بريطانيا انها تدافع فى القناة عن نفسها ، ولا تدافع عن الشرق الأوسط ، لكن كان لازم ان اسال نفسى سؤالا : **من هو الشعب ؟؟** » .

« الشعب هو صاحب المصلحة فى خروج الانجليز » .

« مرت هذه المرحلة ، هناك ناس ذهبوا للقناة ، وهناك ناس ماتوا فى القناة ، وهناك ناس حاربوا فى القناة ، وناس قاتلوا فى هذه الفترة .. **والانجليز اقتنعوا ليس بالمفاوضات فقط ، بل بالمفاوضات واقتنعوا بحرب العصابات** ، اقتنعوا انهم فى منطقة الشرق الاوسط لا يدافعون عن الشرق الأوسط ، ولن يستطيعوا أن يدافعوا عن الشرق الأوسط ، ولكن اصبحوا يدافعون عن انفسهم ، وأصبحت كل عربة يخرج فيها عشر عساكر » .

« أصبح مفروضا فى كل عربة يكون فيها سائق واحد أن يكون معه ثلاثة او اربعة ليحموا هذه العربية من ان تضرب ، **الذى قام بهذه العملية هو الشعب ، وكان فيهم ناس راسماليين وأولاد راسماليين وانا اعرفهم بالاسم ، ومنهم اولاد كبار الملاك ، فى هذه المعركة الوطنية الشعور بالوطنية كان موجودا وكان الذى يشعر بالوطنية هو الشعب »** .

ويؤكد عبد الناصر أن هناك عناصر تعاونت مع الانجليز ، وكانت أصحاب مصلحة فى بقائهم فيواصل حديثه قائلا :

« ولكن ببساطة لو نضع أسماء ونقول هل يمكن لهؤلاء الناس أن يذهبوا ليحاصروا الانجليز ، نجد أنفسنا متفقين أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا هم الذين يحاصرون الانجليز ، ولا يخرجون الانجليز ، لاننا كنا نعلم أنهم تعاونوا مع الانجليز ، وان تجارتهم مع الانجليز ، وأن بقاء سلطانهم مع بقاء الانجليز وبقاء نفوذهم مع بقاء الانجليز »

وهذا كله هو ما يؤكده ميثاق هيئة التحرير ففى الباب الخاص بتاسيس الهيئة ينص على انه :

« لقد رأيناها جريمة كبرى أن ندع هذه الحرب الطاحنة بين الاحزاب تطحن الامة بين شقى رحاها ، وتطيل أمد عبوديتها فعزمنا أن نضع حدا لها وقررنا أن نبدأ من البداية ، قررنا أن نخوض معركة التحرير التى خاضتها الامم بعزم جديد حتى لا تكون بعد اليوم مهانة ولا خيانة ، قررنا أن نبدأ من البداية فأزلنا وصمة العار التى دمغت جباهنا ، وأطحنا براس الحكم الفاسد الذى تراكمت حوله الخيانات ، واحتمت به خصوم البلاد ، ثم سارت حركتنا على النهج الذى تعرفونه ، وبتأييد الشعب على اختلاف طبقاته ، وطوائفه يزيد يوما بعد يوم حتى بلغ الحد الذى اصبح معه فى حاجة الى هيئة تنظمه ، وتبرز وحدته وتنسق جهود العاملين فيه فى مختلف الميادين » .

وقد جاء فى المذكرة التفسيرية للنظام الاساسى للهيئة : ومن وحى الحركة الاصلاحية ومن صميم الضمير المستجيب الى دواعى الخير تاسست بمدينة القاهرة جماعة لهيئة التحرير فى مختلف البلاد ، وهم أولئك الذين يؤمنون بمبادىء الحركة التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحطيم الاصنام ، وفك القيود التى تحول دون

وصول مصر العزيزة الى المكان اللائق بها بين الامم ، وقد قررت الحركة ان تكفل لمصر حياة حرة كريمة دعائمها الطهر واستقامة الاهداف وخدمة المثل العليا والعمل المستمر الجاد الذى يعيد بناء امة وادى النيل فتصبح صرحا قويا راسخ الاركان تسهر عليه دولة صالحة تكفل للشعب رفاهيته وسعادته وتضمن له عدلا اجتماعيا لا يترك تحت سماء مصر جائعا أو جاهلا بل تجعل من كل فرد عضوا صالحا وصحيحا فى جسم أمة ترتفع هاماتها فى المجال الدولى ، فيتصل ماضيها بحاضرها المجيد بحاضر مشرق سعيد ، ولا شك أن النهوض بهذا الواجب رسالة من خير الرسالات التى أخرجت للناس ، ولا بد لتحقيق هذه الرسالة من أن تعتمد على شباب طاهر يؤمن بمصريته ويتفانى فى تحقيق عظمة بلاده ، ومن أجل ذلك وابتغاء مجد الوطن وحده راى فريق من أبناء هذه الامة ان يؤسسوا منظمة تضم العاملين لخير الوطن وسؤدده من مختلف طبقات الشعب ، فينخرط فى سلكها الطلاب والعمال من مختلف الحرف والفلاحون والموظفون وغيرهم بحيث يتألف منهم بناء الوطن الشامخ الذى تربط اجزاؤه ،وتوحد عناصر المعانى والاهداف ويحرر الجميع من تقديس الفرد والتفانى فى الاشخاص فلا يعبدون الا الله الواحد القهار ولا يؤمنون الا بالله سبحانه وتعالى وبحق الوطن الطبيعى فى الحرية والمجد فى الحياة وشعار الجميع الاتحاد والنظام والعمل »

بعد هذه الديباجة يقول ميثاق هيئة التحرير « نحن اعضاء هيئة التحرير وقد آلينا على انفسنا ان نجلى الغاصب عن وادى النيل بلا قيد ، ولا شرط ، وان تكفل للسودان تقرير مصيره دون اى مؤثر خارجى وأن نقيم فى وطننا مجتمعا قويا أساسه الايمان بالله والوطن ، والثقة بالنفس ، وان تكفل الحقوق والحريات للمواطنين، فينال كل فرد حقه فى حياة كريمة تقوم على المساواة فى الحقوق وتكافؤ الفرص ، وتضافر قوى الشعب لتحقيق رسالة الاصلاح

الكبرى ، وان نجعل نصب أعيننا وحدة الوطن المقدسة ، تعبئة في برامج التعمير والانشاء ، وان نعمل ما من شأنه قيام مصر برسالتها العالمية دولة قوية تحمل مشعل العدل ، والحرية وتسعى لخير بني الانسان وتعاون الشعوب العربية وترعى المبادىء القويمة التي نصت عليها المواثيق الدولية وهذه هي أهدافنا :

الاهداف القومية :

١ - اجلاء القوات الاجنبية عن وادى النيل دون قيد أو شرط وتحريره من كل استعمار سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى

٢ - تمكين السودان من تقرير مصيره دون أدنى تأثير خارجي

الاهداف الداخلية :

١ - تحقيق الاهداف والمصالح الاساسية للشعب ، بحيث يؤمن على حقوقه وحرياته وفقا لدستور يسجل ارادته

٢ - اقامة مجتمع على أسس من الايمان بالله والوطن والثقة بالنفس للتخلص مما يعانيه من أسباب التخلف والضعف .

٣ - توجيه النظام الاقتصادى الى ما فيه تحقيق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة ووسائل الانتاج واستغلال موارد البلاد الطبيعية وتشييد الصناعة على نطاق واسع وتشجيع رؤوس الاموال بها

٤ - كفالة الحقوق والحريات الاساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية فالمواطنون سواء أمام القانون ومن حقهم التمتع بحرية الفكر والراى والعقيدة وممارسة الشعائر الدينية ومن واجب الدولة ازاءهم تامينهم ضد البطالة والمرض والشيخوخة .

٥ - تبصير المواطنين بواجباتهم وحثهم على التضامن والتضافر

والعمل المنتج للنهوض بتبعات الاصلاح .

الاهداف الخارجية :

١ - دعم الصلات مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين

٢ - تعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها وبلوغ أمانيها المشتركة

٣ - تاكيد استعدادنا للتفاهم مع أى شعب يظهر حسن نواياه نحونا .

٤ - التمسك بمبادىء ميثاق الامم المتحدة والمطالبة للعمل بها فى خدمة حرية الشعوب ورفاهيتها .

* * *

ولقد كان من الضرورى ان نلقى ضوء على اول التنظيمات الشعبية التى اقامتها الثورة ، لكى نفهم بعد ذلك كيف تطور الفكر الناصرى ، وكيف انه سار على طريق الخطا والصواب مسترشدا بمبادىء عامة هى الاهداف الستة التى حاول ان يطورها من خلال الممارسة والاحتكاك بالجماهير كما ذكرنا .

فالتنظيم الذى راته الثورة فى ذلك الوقت كان معبرا عن طبيعة مرحلة التجمع الوطنى وكانت أولى أهدافه كما اتضح من ميثاقه هو تحرير مصر ، ومواجهة الاستعمار فيها ، واعطاء السودان حق تقرير مصيره كاملا .

اما الاهداف الداخلية فتعبر عن رؤية اصلاحية ، يمكن أن يقوم بها مثل هذا التجمع الذى كان من المفروض أنه يواجه الفراغ الناتج عن حل الاحزاب .

كانت تجربة الفكر الناصرى الثانية فى التنظيمات السياسية هى اعلان قيام الاتحاد القومى ، فى مرحلة تالية بعد الحصول على الاستقلال وذلك بعد تصفية هيئة التحرير فى ٢ ديسمبر ١٩٥٧ .

فبعد الاستقلال ، وبعـد فشل الاستعمار فى محاولته اعادة غزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وطرده من بور سعيد سنة ١٩٥٦ دون أن يحقق العدوان الثلاثى أهدافه .

جاءت بعد ذلك مرحلة تأكيد الاستقلال .. وتثبيته ومواجهة المؤامرات الاستعمارية وبداية الانطلاق لتحقيق آمال الجمـاهير وأهدافها عن طريق **مشروعات التنمية الاقتصادية** ومن هنا رأى الفكر الناصرى ، أن هذه المرحلة تحتاج الى تنظيم سياسى جديد، فى صورة تحالف جـديد يضم فئات الشعب الوطنية . وكان « **الاتحاد القومى** » هو صورة التحالف الجديد الذى رأى الفكر الناصرى آنذاك أنه يمكن أن يقوم بدفع الثورة لانتشـال المجتمع من التخلف الذى كان يعانيه ، نحو بناء مجتمع جديد ، يبـدأ فى التصنيع . ويعتمد على نفسه اقتصاديا وصناعيا ... لا يعيش عالة على استيراد منتجات الآخرين ، ولا يعيش مزرعة تصدر الخامات لصناعتهم ، فالاستقلال السياسى لا يمكن أن يتأكد الا اذا تبعه فى نفس الوقت استقلال اقتصادى ..

فالاســـتقلال فى حـد ذاته لم يكن هـدفا تقف عنـده آمال الجمـاهير ، ولـكن تحقيقه كان بداية ضرورية لاستمرار النضال من اجل القضاء على التخلف الاقتصادى ، والاجتماعى ، ووسيلة ذلك هو بناء الاقتصاد القومى المستقل والقوى ، عن طريق البدء فى خطط التنمية ومضاعفة الدخل كما يحـدد عبد الناصر عندما يقول :

« وكان محتما أن نفتح الطريق أمام العدل ، ولقد كان ذلك يقتضي ان نسير في طريقين :

اولا : تنمية الاقتصاد القومي لكي يمكن أن يحقق نوع من الامان للمواطن حتى تتسع آفاقه الى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيبا منه .

ثانيا : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس احقاقا لمبدأ العدل الاجتماعي وتمكينا للاستقرار داخل الوطن » (١)

ولقد وجد الفكر الناصري في تلك الفترة أن هناك مجموعات من المواطنين الذين ساهموا في رد العدوان وردعه وتحقيق الاستقلال لا بد من حشدهم في معركة البناء .. ومن هنا فان الاتحاد القومي كان عليه أن يواجه متطلبات المرحلة الجديدة بهؤلاء الناس ..

والسؤال الذي يطرح هو : من هو الشعب الذي يمكن ان يقوم بعملية البناء المطلوبة ، والذي يمكن أن يواجه المؤامرات الاستعمارية انهم تقريبا كل أفراد الشعب فبالاضافة الي المعركة الوطنية التي واجهها كل الشعب . فهناك معركة تنمية يمكن أن تواجهها وتلعب هذه الفئات دورا فيها :

* **اولا** : فئات عديدة من المهنيين والمثقفين مصالحهم ترتبط ارتباطا مباشرا ، بخطط التنمية والتصنيع لانها الامل في فتح مجالات جديدة للعمل والقضاء على البطالة الحقيقية بينهم ، التنمية بالضرورة ستؤدي الى رفع مستواهم المادي ، والاجتماعي

* **ثانيا** : فئات العمال ، رغم أن القوى العاملة في الصناعة لم تكن قوية اذ أنه كان يعمل بها ١١ ٪ من القوة العاملة ، وكان دخل الصناعة بين ٨ و ١٠ ٪ من الدخل القومي .

وكانت العمالة المنظمة والكبيرة في قطاع الغزل والنسيج الذي اختص بنصف القوى العاملة في القطاع الصناعي ، وكان انتاجها

---

(١) المؤتمر الاول للاتحاد القومي .

عام ١٩٥٢ حوالي ٢٠٪ من الانتاج الصناعى وارتفعت سنة ١٩٥٩ حتى وصل الى ٤١٪ من الانتاج الصناعى ، والعدد الاخر من العمال كانوا موزعين على وحدات الانتاج الحرفى وبعض الصناعات الاستهلاكية ، والغذائية ، اما بقية القوى العاملة فقد كانت فى قطاع الخدمات الذى يعانى من التضخم اذ كان يضم ٣٢٪ من حجم القوى العاملة .

هؤلاء العمال كانوا اصحاب مصلحة مباشرة واكيدة فى التصنيع الجديد وتطوير الصناعة القديمة ، وكانوا يتوقعون فى نفس الوقت من الثورة ان تتجه اليهم وتمكنهم من حياة جديدة وخاصة بعد أن اتخذت اجراءات فى بداية توليها السلطة تشير الى اتجاهها فى القضاء على ما تراكم من مشكلات للعمال ، فاصدرت قوانين العمل ، ومنعت الفصل التعسفى ، واستطاعت ان تحل كثيرا من المنازعات العمالية داخل وحدات الانتاج بما يدعم حقوق القوى العاملة الصناعية ويقضى على مشكلاتها ..

ولقد كان حماس هذه القوى للثورة واضحا بشكل مباشر عندما صدرت قوانين التمصير المختلفة ، وبات واضحا ان الثورة تتجه الى خلق اقتصاد مصرى متين ».. لا يحقق فقط زيادة القوى العاملة ودعمها ، بل وفى نفس الوقت يحقق انصافها ، ورفع الغبن عنها ، والقضاء على صورة المدير الانجليزى فى مصانع النسيج وغيرها من المشروعات التى قامت فى أحضان راس المال الأجنبى ، او بالاستعانة به تماما والقضاء أيضا على التعسف والارهاب الذى يقوم به راس المال المستغل فى مواجهة العمال ..

* **ثالثا الفلاحون :** وبطبيعة تكوين المجتمع الزراعى المتخلف فان الزراعة كانت هى الاساس حيث يزرع ٥٫٨٥ مليون فدان تمثل ٢٫٨٪ من مساحة البلاد يعمل بها ٧٥٪ من القوى العاملة ، وتسهم ب ٤٨٪ من الدخل القومى فقد كانت الزراعة والصناعة تستخدمان ٦٨٪ من القوى العاملة ..

واذا كان وجه الثورة قد اتضح للعمال فى صورة قوانين ؟ واجراءات تدعم مركزهم ، فان ما أقرته الثورة بالنسبة للفلاحين قد اظهر بوضوح ان الثورة تقف الى جانب الفلاح ، فقد كان اول القوانين التى اصدرتها واكثرها تأثيرا فى المجتمع حتى ذلك الوقت هى قوانين الاصلاح الزراعى التى قضت على الاقطاع ، وحددت اجرا للعامل الزراعى لاول مرة ، وواجهت مشكلة المستأجر الزراعى بأن حددت له هو ايضا القيمة الايجارية .

وكان ذلك يعنى ان آلاف الفلاحين قد اصبحوا ملاكا للارض التى يعملون فيها ، وانه قد قضى فى نفس الوقت على نفوذ الاقطاع وسيطرته ، وتحرير الفلاح .. **وبذلك كان الفلاحون من أكثر فئات الشعب ارتباطا بالثورة .**

* **رابعا ـ الراسمالية :** كان واضحا فى تلك الفترة ان الراسماليين الكبار تهمهم عمليات التنمية اذ تصوروا أنهم سيلعبون الدور الرئيسى فيها وانها تفتح لهم مجالات جديدة للاستثمار ، والانتاج ، والبيع .. ولذلك فقد تحمسوا لعمليات تمصير الشركات الانجليزية والفرنسية وهى التى تمت بعد حرب السويس .. ولكن حماسهم كان بهدف الاستيلاء على هذه الشركات ووراثتها ، وقد شرح عبد الناصر موقفهم بوضوح فى أول مؤتمر للاتحاد القومى فقال « وكان هناك من يتصور ان واجب الحكومة هو ان يبيع هذه الممتلكات الى الشركات أو الافراد الذين يمارسون نفس نوع نشاطها ، وكان ذلك خروجا عن التصور الاشتراكى الذى تحتمه ظروفنا ، وذلك ان الحكومة اذا باعت ما أصبح تحت اشرافها بعد التمصير فان النتيجة الحتمية لذلك هى مجرد اتاحة الفرصة للذين يملكون فعلا لكى يملكوا مرة أخرى .. ذلك ان الذى سيقدر على شراء المصنع المعروض للبيع هو ذلك الذى يملك بالفعل مصنعا ، كما ان الذى سيشترى السهم الجديد هو نفسه حامل السهم القديم »

ومع هذا التنبه الى موقف كبار الراسماليين فان الفكر الناصرى لم يتخذ من الراسمالية التى حرمت من وراثة راس المال الأجنبى موقفا يمنعها من أن تكون عضوة فى الاتحاد القومى ، بل على العكس احتلت فيه كثيرا من المواقع الهامة .

وهناك شريحة ثانية هى الراسمالية الصغيرة التى لم ترتبط بالاستعمار ، ولكنها تجد فى الثورة مجالا اوسع للانتعاش فى عمليات التنمية ، وتجد فى دعم الاستقلال .. حماية لها كصناعة وطنية .

التقت كل هذه الفئات فى ثانى مرحلة من مراحل التنظيم الذى اعلن يوم ٢٨ مايو ١٩٥٧ عندما صدر قرار تشكيل الاتحاد القومى .

ولقد كان الفكر الثورى يتجه الى ايجاد هذا التجمع ــ رغم تناقضاته ــ محاولا حل هذه التناقضات بطريقة سليمة .. وكوعاء لممارسة الديمقراطية ، ومواجهة تحديات الاستعمار فى مصر والعالم العربى وخاصة أن الثورة قد بدأت تظهر وجهها العربى والتفت حولها الشعوب العربية نتيجة لمواقفها المتعددة فى مقاومة الاستعمار ، والنضال من اجل تحقيق استقلال الوطن العربى ككل . وكذلك كان واجب التنظيم الجديد الاول هو دفع التنمية والبناء الاقتصادى وما يصاحبها من ضرورة دعم الاستقلال، وحماية الثورة الوطنية .

كان الاتحاد القومى اذن مرحلة ثانية من مراحل الوحدة الوطنية التى تأكدت عندما واجهت هذه القوى كلها العدوان ، وحاربته .. وانتصرت عليه ، وحافظت على الثورة .. صحيح أن كل فئة اتخذت هذا الموقف من موقع يختلف عن موقع زميلتها، ولكن المحصلة النهائية كانت ترى ضرورة وجود هذا التجمع ..

ويشرح كتاب الاتحاد القومى الصادر فى ١٩٥٧ فكرة الاتحاد القومى بأنها « فكرة نابعة من صميم ارادة وحاجة مجتمعنا ، ارادها شعبنا بعد تجارب مريرة من الكفاح والجهاد على مر السنين

والايام ، جربنا سياسة الاحزاب والفرق المتناحرة المتنابذة فقاسينا من انقسام الرأى ، وتبديد المجهودات وتغلب المصالح الشخصية للافراد أو الاحزاب على المصلحة العامة وكل ما يترتب على تصرفات سماسرة السياسة من آلام فى حق مجتمع الحاضر ، ومجتمع المستقبل ، شهدنا كل ذلك ، وجربنا كل ذلك وثرنا عليه . فلم يبق أمامنا نحن ابناء هذا الشعب أصحاب هذا الوطن ، وملاكه ، الا أن ننظم صفنا ، ونتولى زمام أمرنا بأيدينا ، ولا نتركه فى أيدى السماسرة او اصحاب السلطان من المستغلين .. فارادتنا جميعا تبلورت فى ان نكون وحدة ، وأن تعمل وحدتنا فى سبيل تحقيق اهدافنا ، وصيانة حقوقنا ، وانتصاراتنا والدفاع عنها . ولنحكم تقرير مصيرنا ومستقبلنا بإرادتنا المتحدة فى الفكر والعمل . ويعمل على بناء المجتمع العربى الاشتراكى التعاونى الذى يعمل بجميع منظماته وافراده على تحمل مسئولية مجتمع تسوده الرفاهية ويتحقق فيه القضاء على الاقطاع والاستغلال ، وأن تواجه الملكية الفردية وظيفتها الاجتماعية لمصلحة المجتمع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وأن يقوم القطاع الاشتراكى فى مجالات الصناعة والتجارة والمرافق العامة بجانب النشاط الخاص وأن تنشط التعاونيات بجانبها الانتاجى والاستهلاكى بجوار النشاط الفردى ، كل ذلك لزيادة الانتاج وعدم السماح لرأس المال الفردى بالسيطرة أو الاستغلال واقامة عدالة اجتماعية تقل فى ظلالها الفوارق بين الطبقات وتتاح فيها الفرص المتكافئة لجميع المواطنين لاستغلال خيرات الوطن والاستفادة من جميع الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية التى توفرها الدولة والمؤسسات العامة ، وأن تكون المصلحة العامة هى الاساس فى معاملات كافة المجتمع .

اهداف الاتحاد القومى :

الاتحاد القومى ليس حكومة ، ولكنه تنظيم يضم الحاكمين والشعب ، ويتيح الفرصة الحقيقية لتعاونهم على علاج المشاكل

المحلية والقضايا العامة فى ظل المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى . وهو سبلينا الى الديمقراطية السليمة التى تشعر الشعب بانه يحكم نفسه بنفسه .

واذا نظرنا الى الماضى نجد الانفصال بين الحكام والشعب واحساس الفرد العادى فى القرية أو فى المدينة بان كل شيء يقرر فى القاهرة ، بينما هو فى موقف المتفرج الذى لا يملك سوى تنفيذ ما يصدر عن القاهرة من قرارات وقوانين تتحكم فى مصيره ، وفى مصير الملايين من أبناء هذا الوطن ، فلما قامت الثورة كان المبدأ السادس من مبادئها اقامة حياة ديمقراطية سليمة ومعنى الحياة الديمقراطية السليمة ان يكون لكل فرد حق الاشتراك فى بناء وطنه عن طريق الادلاء بوجهة نظره فى كل ما يعنيه من مشاكل سواء كان ذلك فى حدود محلية ، ام بالنسبة للدولة كلها ، مع التقيد براى الاغلبية .

ولقد فشلت الاحزاب فى الماضى فى تحقيق هذا فقام الاتحاد القومى بتحقيق هذا الامل : فجعل لكل عضو فى كل لجنة من لجان القرى البالغ عددها أكثر من اربع آلاف قرية حق مناقشة ما يهم قريته كأحد مواطنى القرية ، وما يهم البلاد كلها كواحد من ملايين المواطنين فى الجمهورية .

سيضع الاتحاد القومى يده على الخطأ ، وينادى باصلاحه ، ويتلمس الصواب فيطالب بتصحيحه ، وهذا هو السبيل الصحيح لاقامة حياة ديمقراطية سليمة .

لذلك كان لزاما علينا فى معركة البناء ، والانشاء وتقريب الفوارق بين الطبقات أن نبذل جهدا مضاعفا لتعويض ما فاتنا ، وعلى ذلك فان الاتحاد القومى بمجموعه وباعضائه بلجانه ومنظماته فى سائر المستويات هو التنظيم الشعبى الذى يحقق أهدافنا ويحقق لنا المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .

هذه الوحدة ـ وحدة الفكر والعمل ـ كان لزاما علينا أن نستلهم ماضينا ، وتراثنا الفكرى والروحى وان نستجيب لدواعى الخير الكامنة فى أعماقنا منذ قرون طويلة عديدة فنتشبث بمبادىء المحبة والتعاون والاخوة والسلام فى خطواتنا التى نخطوها لتحقيق أهدافنا ..

ولا غرو فوطننا العربى مهد الرسالات منذ كانت هناك رسالات ومهبط الوحى منذ كان هناك وحى يوحى به ، ودعوة الرسالات جميعا كانت ولا تزال دعوة محبة واخاء وسلام ، وعندما اراد الشعب أن تسود المحبة والتعاون والسلام بين أفراده كانت أمامه أيضا تجارب التاريخ وآثار الماضى ومظاهر الحاضر فى وطننا العربى ، وفى غيره من أوطان العالم رأينا كيف تنحى مبادىء الانسانية جانبا ، وتحل محلها جوانب وحشية غادرة ورأينا كيف تتحول فرق من الناس الى قتله وسفاكين للدماء غادرين مخادعين وتتقمص روح الشياطين فى سبيل السيطرة والاستعلاء ، وتتحول فرق أخرى من بنى الانسان اخوتهم فى الوطن وفى الانسانية الى شبه قطعان ذليلة ليس لها الا أن تكون أدوات فى خدمة الاقلية من الابالسة المسيطرين . واشباه هؤلاء فرق أخرى من مصاصى الدماء الذين لا يشبع نهمهم ولا جشعهم الى المال حد من الحدود، لا يتورعون أن يستخدموا كل الاساليب الجهنمية لامتصاص الدماء وجمع الثروات من بنى أوطانهم أو من ابناء الاقطار الاخرى الخاضعة لسيطرتهم الاستعمارية .

والغريب اننا رأينا هؤلاء وهؤلاء يخادعوننا ، ويخادعون الناس فيلبسون كل هذه الاساليب البسة مخادعة براقة ، ويطلقون عليها ما شاءوا من عناوين ، ولكن ارادة شعبنا الواعى لم يخدعها كل

ذلك ولم تنحرف بثورتها المجيدة الى طريق الشر والبغى والهدم والخراب بل اطلقتها فى طريق الخير والمحبة والاخاء والسلام البناء وهى سبل نبيلة تتحقق بها اهداف الشعب ، واهداف الثورة »

ماهية الاتحاد القومى :

هو مجموعة من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ـ الحاكمين منهم والمحكوميين ـ اجتمعوا فى قرية واحدة لتحقيق هدف واحد هو المجتمع الاشتراكى التعاونى ، هو منظمة قومية عربية تعمل على تحقيق وحدتنا ووحدة الشعب العربى الذى جمعته وتجمعه أصول تاريخية وروحية واحدة ، كما جمعت وتجمعه وحدة اللغة والعقائد والتقاليد والدم والمصالح المشتركة . وحدة هذا الشعب العربى فى الوطن العربى المتحرر من كل أثر من آثار الاستعمار ، وأعوان الاستعمار .

والاتحاد القومى هو الذى يوجد الصلة الوثيقة بين القيادة وبين الشعب وعلاقته بالحكومة علاقة اساسها التعاون من اجل بناء الامة بناء سليما من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية لذلك سيعمل الاتحاد القومى على تخطيط السياسة العامة للبلاد ، وستقوم الحكومة بتنفيذ هذا التخطيط ، وينظم القانون الادارة المحلية فى جميع المستويات فى المحافظة وفى المدينة وفى القرية .

هذه المجالس المحلية هى التى تنفذ السياسة العليا للدولة فى مختلف المستويات .

* * *

كان دستور سنة ١٩٥٦ أكثر تركيزا لمهمة الاتحاد القومى عندما نص فى مادته ١٩٢ على ان : يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من اجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما فى النواحى السياسية والاقتصادية

والاجتماعية ، ويتولى الاتحاد القومي الترشيح لعضوية مجلس الامة وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية ..

كان الفكر الناصرى فى هذا الوقت مازال يتجه نحو مهادنة الرجعيه من اجل تحقيق اهداف التنمية ، ولكن التجربة اثبتت خطأ هذه النظرية .. وقاد عبد الناصر بنفسه حملة النقد التى وجهت الى الاتحاد القومى ، وقال ان عناصر من اعداء الثورة ومن قوى الثورة المضادة قد تسللت اليه ، بل واحتلت مواقع القيادة فيه ، فيقول عبد الناصر : (١)

« اذا كان من الحق الآن ان نمارس النقد الذاتى وهو ضرورى فانه لا بد من التسليم بأن التنظيمات الشعبية التى قامت او جرت محاولة اقامتها بعد الثورة قد عجزت عن تحقيق دورها وقصرت دونه وذلك راجع لعدة اسباب .

● الاول : ان قوى الثورة فى مواجهتها لحتمية التغيير الاجتماعى لم تكن قد استطاعت ان تحدد دليلا للعمل الثورى تلتقى عليه الجهود ولقد تعرض الميثاق لهذا الوضع بالتفصيل .

ومن نتيجة ذلك أن التجمع الشعبى مع النوايا الطيبة التى توفرت له كان تجمعا يغلب عليه الطابع الثورى أو كان اقترابا غير منظم من مجموعة من الامانى العامة ليس لها منهاج تفصيلى تلتقى عنده جهود جماعية على اساس فكرى واضح واحد لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة .

● الثانى : ان الفكر الثورى فى تلك الفترة وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن وفى مواجهة الظروف المحيطة به وقع فى الخطأ حين توهم ان الطبقة المحتكرة

---

١ ـ مناقشات المؤتمر الوطنى ٢٠ يوليو ١٩٦٢ م

التى كان لا بد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها ان تقبل الوحدة الوطنية -مع قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة .

« ولقد كان من اثر ذلك أن محاولات التنظيم الشعبى التى جرت فى ضباب هذا الوهم حدث فى داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية بالطبيعة والقوى المضادة للثورة بالطبيعة ما أصابها بالشلل وأقعدها عن الحركة ، بل وكاد ان ينحرف بها فى بعض الاحيان من الاتجاه الثورى الاصيل .

● **الثالث :** انه نتيجة لما سبق من غياب دليل للعمل الثورى ومن خطأ جمع المصالح المتصادمة فى وحدة وطنية موهومة ضاع عنصر الالتزام فى التنظيمات الشعبية .

* ان غياب **دليل للعمل الثورى** اقام ضبابا حول الهدف من المجتمع .

* كذلك فان **المفهوم الموهوم للوحدة الوطنية** . بعد غياب دليل للعمل صنع المقاييس الحقيقية للحكم . على كفاءة افراد التنظيم واخلاصهم فى خدمة الفكرة التى تشدهم الى هذا التنظيم .

على انه لابد من التأكيد ان هذه المحاولات كلها لم تضع سدى فان هذه المحاولات فضلا عما حققته من مهمام مؤقتة ومرحلية ساعدت بطريق التجربة والخطأ على الوضوح الفكرى الثورى .»

« ان الميثاق وصدوره عن ارادة شعبية حرة قد غير هذه الاوضاع كلها . فالميثاق أعطى دليلا للعمل الوطنى أولا ، انه من ناحية ثانية قد حدد بوضوح قوى الشعب العاملة التى يمكن ان تقوم بينها الوحدة الوطنية التى تتكفل بحل الصراع الطبقى سلميا وتدفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير .»

« وبذلك أصبح فى الامكان أن يلتف التجمع الشعبى حول فكرة واضحة كذلك أن يكون هذا التجمع الشعبى سليما وممثلا للقوى الوطنية ودافعا لامالها الثورية .»

ان ميـدان العمل الوطنى اصبح الان مهيأ لقيـام التحالف الوطنى الممثـل لقـوى الفـلاحين والعمـال والجنـود والمثقفين والراسمالية الوطنية لكى يمارس دوره ويحـل محل التحالف الطبقى القديم الذى يجب ان يـسقط والذى كان ممثـلا للاقطاع وراس المال وسيطرتهما على ثروة الوطن وعلى كل سلطة فيه .

« ان التحالف الوطنى الجديد الممثل لقوى الشعب العاملة ، هذا التحالف الذى يلتقى على الميثاق ومن حوله يفتح لاول مرة امكانية التنظيم الشـعبى الذى هـو بمثابة الجهاز العصـبى للديمقراطية السليمة (١) »

فالاتحاد القومى كان تجمعا بدون دليل ثورى للعمل ، وهو كتنظيم شعبى كان يهدف الى حماية الثورة واهدافها ، تحت شعار الوحدة الوطنية ، ولكن عناصر كثيرة مستغلة وانتهازية تسللت الى صفوفه واحتلت مكان القيادة ، وقد ظهر ذلك واضحا فى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية حيث احتلت القوى الرجعية مكان القيادة فى الاتحاد القومى ، وظهر ذلك ايضا فى الاقليم الجنوبى ان كثيرا من العناصر التى تساقطت على طريق التحول الاجتماعى الحقيقى بعد ثورة ١٩٦١ الاشتراكية ، كانت هذه العناصر فى موقع القيادة منه .. وانفصل الاتحـاد القومى عن الشـعب ، وان حاولت بعض عنـاصره أن تقوم ببعض خـدمات للمواطنين ولكن التنظيم لم يكن هدفه ان يقدم هذه الخدمات فحسب ان اهدافه اكبر من ذلك بكثير وهذا ما عبر عنه الزعيم بقوله :

« لم يصبح الاتحاد القومى وحدة سياسية أو وحدة سياسية متحركة أو وحدة ثورية ـ ابدا بل نتج عن هذا ان الاتحاد القومى انفصل عن الشعب ماكنش فيه نقط للاتحاد القومى أو فى هيئـة التحرير كنا كلنا هيئة التحرير او كلنا الاتحاد القومى معنى كلنا

---

(١) ٢ يوليو ١٩٦٢ م

هيئة التحرير أو كلنا الاتحاد القومى ان مفيش حد اتحاد قومى . يعتبر كل الناس هى الاتحاد القومى لأن فلان وفلان وكل واحد .. طيب امتى بيجمعوا أعضاء الاتحاد القومى مفيش داعى نجمع اعضاء بقى .. مفيش اعضاء كلنا الاتحاد القومى أو كلنا هيئة التحرير .. باظت العملية .. ومبقاش فيه رابطة تربط هـذه اللجان بالشعب » .

« كان فيه وسايط وفيه طلبات .. كل واحد عايز بيجى واحد بوصيه على حاجة أو واحد بيطلب منه حاجة .. فى الواقع انهم فى هذا كانوا بيحبوا يعملوا خدمات للمناطق اللى هم فيها بس هل هو الغرض المطلوب من التنظيم السياسى .. والغرض ان احنا نعمل تنظيم سياسى يكون هو الدرع الواقى لمبادئنا والدرع الواقى للثورة علشان يحمى هذه الثورة وقلت طبعا حصل غلط فى مفهومنا »

« احنا لما قلنا نريد أن يكون الاتحاد القومى هو عبارة عن اطار من الوحدة الوطنية يجمع الجميع . يجمع جميع التصادمات ويجمع جميع التناقضات ، وبهذا كان الناس اللى لهم نفوذ ، واللى لهم عصبية على طول بيدخلوا وبيسيطروا على لجان الاتحاد القومى ويعتبر ان العملية لا هى تنظيم سياسى ولا هى ميثاق ولا هى فلسفة الثورة .. العملية وجاهة ان هو عضو الاتحاد القومى ورئيس لجنة الاتحاد .. العملية وجاهة . »

« ودى التجارب اللى احنا شفناها فى المرة الاولى والتجارب اللى احنا شفناها فى المرة الثانية اذن فيه عيب !! »

« التنظيم السياسى موش وجاهة .. التنظيم السياسى انا قلت تكليف وقلت لكم أول امبارح انه خدمة وانه ثورة وانه تفهم وانه دعوة ... الى آخر هذا الكلام . »

« اذا جينا النهارده وقلنا هيئة التحرير وقلنا كلنا الاتحاد القومى كاننا معملناش حاجة .. نرجع نعيد العملية من اول وجديد

لازم ناخد دروس من اللى فات . عايزين نعمل تنظيم سياسى مضبوط تنظيم سياسى غير مهلهل تنظيم سياسى موش بس عبارة عن يفط .. ومناظر .. لا .. مبنى على الايمان الكامل والوعى الكامل ومبنى على معرفة بالرسالة المطلوبة ومبنى على معرفة بالواجب المطلوب ونمشى او بنشوف الناس بنروح فى القرية ونروح فى كل حتة .. الناس .. فيه ناس ملهاش دعوة مبيهتموش قطعا .. فى كل حته ناس وانتم شفتوا الكلام ده لما دخلتم فى الانتخابات واحد مبيهموش بيمشى مع الماشى .. وواحد سلبى وواحد يهمه نفسه بس .. وواحد قلبه حارقه على البلد وقلبه حارقه على المبادىء وقلبه حارقه على انه يخدم وطبعا بتروح فى أى مجتمع .. واحد بيفكر فى بلده وواحد بيفكر فى نفسه واحد بيشتغل طول النهار علشان قوته وقوت عياله وفى نفس الوقت هو مستعد يشتغل طول النهار او يشتغل وقت اضافى علشان مصلحة بلده .. واحد يدى المثل الطيب وواحد سكران طول الليل وطول النهار .. أمثلة موجوده بنجيب ده ونحطه مع ده ونقول كلنا الاتحاد القومى السكران ينحرف وبنخسر السليم .. وتجيله تهيئات ويقف يتكلم ويقول انه جدع ، وانه حيقف اصد الناس كلها .. ونبص نلقيه انه أفسد المثل الموجوده » .

« ازاى ينحط ده واحد سكران طول النهار وبيقعد يقول انه جدع ، وانه ضد كل الناس ، دانا موش فاهم ايه .. بنحطه مع المثل ومع القدوة الطيبة يفسد المثل والقدوة الطيبة » .

« الغلط .. بنقول كلنا برضه اتحاد قومى .. اتحاد قومى يجمع كل الناس ولكن بنقسم العضوية فى الاتحاد القومى .. وده كان موجود فى الاتحاد سنة ١٩٥٧ وفى اتحاد سنة ١٩٥٩ ، بنقسم العضوية الى عضو عامل وعضو غير عامل .. العضو العامل هوه اللى بيدخل ويقبل انه يمثل المؤتمر فى القرية ، الباقيين ممكن باستمرار ينقلبوا من اعضاء غير عاملين الى اعضاء عاملين ويبقى

فيه فحص .. بتيجى العملية الاولى ازاى فتكون فى ٤٠٠٠ قرية وفى المصانع وفى المؤسسات الجماهيرية الشعبيه ؛ باعتقد ان احنا لازم نبذل جهد كبير بحيث ان احنا نكون هذه اللجان المحلية .. هاجى القرية فيها ٥٠٠٠ او ٤٠٠٠ هل الخمسة آلاف دول ممكن يكونوا اعضاء عاملين ؟ وحتى اذا قلتم انتم اعضاء عاملين .. هل الخمسة آلاف بقدروا يشتغلوا ؟ » .

« لا مش حيشتغلوا .. اللى حيشتغل عدد محدود .. واللى حيفهم أو يتتبع الامور عدد محدود بنيجى فى الـ ٥٠٠٠ بنقول بناخد ٥٠٠ أو ١٠٠٠ دول همه الوحدة التأسيسية .. الناس الاعضاء العاملين والباقى اعضاء منتسبين أو اعضاء غير عاملين ، واجب الـ ٥٠٠ أو الـ ١٠٠٠ انهم يدعوا ، ويضموا ، ويفهموا هؤلاء الناس وباستمرار نضم ونزود عدد اللجنة التأسيسية ـ ازاى حناخد الالف من ٥٠٠٠ هل تعمل انتخابات مش معقول .. اجى فى البلد واقولهم حاعمل انتخابات علشان آخد الف من بنى مر .. محدش .. يعنى عملية مش معقولة .. بس كل الناس فى بنى مر معروفين ، يمكن معروفين لى ؟ ومعروفين للناس اللى هناك » .

« احنا مش عايزين اتحاد قومى بيجى مهلهل أو تيجى اللجنة اللى فيه ليس فيها انسجام بل فيها عداوة وكل واحد قاعد يحارب فى التانى .. دى مشكلة » (١) .

* * *

بعد اعلان القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ ، كان لابد ان يعيد الفكر الناصرى النظر فى قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، بعد أن اسقطت هذه القوانين تحالف الرجعية المتمثل فى الاقطاع مع راس المال المستغل ، وانتقلت الثورة الى مرحلة تالية .

---

(١) ٢ يوليو ١٩٦٢ المؤتمر الوطنى .

ووضع عبد الناصر أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية سؤالا واحدا هو : **من هو الشعب ..**

كان المطلوب من اللجنة ان تحدد من هو الشعب صاحب المصلحة فى الثورة الاجتماعية ، والقادر على السير بأهداف الجماهير التى تبلورت فى نضال من اجل صيانة الحرية ونضال من أجل بناء الاشتراكية .. ونضال من أجل الوحدة العربية ..

ولا شك ان قوانين يوليو ١٩٦١ ، قد غيرت التركيب الطبقى للمجتمع ، وحددت فئات جديدة أصبحت صاحبة مصلحة فى بناء وتدعيم الثورة الاشتراكية ، وعناصر اخرى أصبحت تأخذ موقف العداء منها على أساس ان أضيرت من التحول الاشتراكى ، فى مقدمتها الراسمالية الكبيرة ، التى اممت ممتلكاتها واصبحت مملوكة للشعب واضيفت الى القطاع العام .

وقد عبر القائد عن تلك الحقيقة فى مناقشات اللجنة التحضيرية عندما قال : « ناتى الى هذه المرحلة ولابد ان اتساءل من هو الشعب ؟ وعندما أجيء اليوم واقول من هو الشعب ، سيختلف عن السؤال الذى سألته لنفسى سنة ١٩٥٣ ، من هو الشعب ، هناك اختلاف كبير فى التكوين بسبب الاقطاعى الذى كان عنده عشرون الف فدان أو عشرة آلاف فدان ، أو خمسة الاف فدان واخذت منه اربعة آلاف وتسعمائة . هل ممكن أن يقبل ابدا حكم الاشتراكية ، أو يقبل الكلام الذى نقوله ؟ انا لا اصدق ، انه يمكن أن يقبل ، حتى لو جاء بالمصحف وحلف ، فالشك يكون فى الجانب الثانى ، لا يمكن أنا أن اصدق ، ماذا أفعل له ، اننا نتكلم عن العزل ونتكلم عن الفرز أنا اقول لهذا الشخص لا يتولى قيادة ؟ .. ليس معقولا ان اجيء بالرجل الذى كان عنده خمسة آلاف فدان ، واقول له تولى قيادة بالنسبة للاشتراكية » .

« اذن اذا جئنا اليوم فى هذه المعركة ، وقلنا من هو الشعب ؟ ومن هو الذى سيعزل ، ومن هو الذى سنفرزه ؟ تصبح العملية بسيطة ونقول سنعمل اشتراكية » .

« هل سنتجه الى الراسمالية والاقطاع او نتجه الى الاشتراكية ؟ اذا كنا سنتجه الى الراسمالية والاقطاع اسأل نفسى واقول من هو الشعب ؟ عندئذ آتى بالراسماليين والاقطاعيين وأدعهم يتولون القيادة لاننى اذا كنت سأسير معهم يكونون اذن هم الشعب . هم انفسهم كانوا يسألون أنفسهم هذا السؤال قبل الثورة الاجتماعية ، وكان كل حزب من اجل أن يرشح نوابه أو يأتى بالناس الذين سيرشحون له يسأل نفسه من هو الشعب ؟ ومن هم الناس الذين يمسكهم القيادة ، يجىء بالناس الراسماليين او الاقطاعيين أو الناس الذين تتمشى مصالحهم مع مصالح هذا الحزب .. اذن العملية عملية مصالح » .

« ومن الذى سيقوم بالقيادة ، عندما نقول اشتراكية لا بد لها من اشتراكيين ، انا لا أصل الى هذا التطرف ، انا اريد للاشتراكية اناسا لا هم رجعيون ، ولا هم راسماليون مستغلون .. اى واحد غير هذا ، اى واحد ليس اصله اقطاعيا ، أى واحد ليس اصله راسماليا مستغلا ، او لم يكن طبعا مفسدا للحياة الراسمالية أو من الأذناب السياسيين الذين نعرفهم ، كل واحد من هؤلاء ، اذا لم يكن من هذه الفئات فانه يكون راغبا أن يسير فى الطريق الذى نسير فيه ، تسأله ما هى الاشتراكية ، هو يصور بنفسه الاشتراكية ، وقد يعرفها ببساطة أكثر من التعقيد الذى نعقده ، تجده يعرفها ببساطة انه يريد ان يأخذ حقه ويأخذ فرصة مثل غيره ، وابنه يلحقه بالعمل .. هـذا هو المقصود من كلمة الشعب ، واعداء الشعب .. أو الفرز او العزل الى آخر هذا الكلام ، بعد ذلك اعتبر ان هذه عملية ضرورية جدا لتامين الثورة الاجتماعية ، والا اذا تولى القيادة الاقطاعيون او الراسماليون المستغلون فكاننا لم نعمل شيئا » .

اذن لقــــد مر الفكر الناصرى بالنســبة للتنظيم السياسى فى مرحلتين :

* **الأولى** : هى مرحلة التجمع لكل القوى الوطنية على اساس أن التناقضات بينها تناقضات ليست عدائية .. وان التناقض العدائى هو بينها وبين الاستعمار .

* **الثانية** : مرحلة فرز العناصر صاحبة المصلحة فى الحفاظ على الثــورة الاشتراكية على أن هذه العنــاصر بينها تناقضات ولكنها ليست تناقضات عدائية أيضا ، وأن ما بينها يمكن أن يحل سلميا ، وفى اطار الوحدة الوطنية ..

لم يأخذ الفكر الناصرى فى تجربته الثالثة مع التنظيم بفكــرة الحزب واخـــذ أيضا بفكرة التحالف .. ولكن صيغة التحالف هذه المرة مختلفة ، فقد أبعدت عنها عناصر الثورة المضادة بالعزل من الحياة السياسية ، ومنعت من عضوية التحالف الجديد .. وهو الاتحاد الاشتراكى العربى الذى نص عليه ميثاق العمل الوطنى فى مايو ١٩٦٢ .

اذا كان الاتحاد القومى تجمعا وطنيا ، والاتحاد الاشتراكى هو الاخر تجمعا وطنيا فما هو الفرق بينهما هذا السؤال نفسه طرحه عبد الناصر فقال :

« طيب ايه الفرق بين الاتحاد الاشــتراكى العربى والاتحاد القومى ماحنا كان عندنا اتحاد قومى وعملنا انتخابات عامة الى آخر هذا الشىء . والنهــــاردة ها نعمل اتحاد اشتراكى عربى بانتخابات (١)

« فيه فرق كبير ، فيه فرق جوهرى واحنا يمكن المسئولين زى ما قلت . ان احنا شعب طيب ولكن مش من السهل ان حد يضحك علينا ، احنا قلنا ان احنا بنعمل الاتحاد القومى بنشكل

---

(١) عيد السد يناير ١٩٦٣ م

الاتحاد القومى وتكون الاتحاد القومى ، فوجدنا ان الاساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم ، شىء ضد العقل وضد الطبيعة واحنا كنا طيبين جدا ، عايزين نلم الاقطاعى اللى خدنا منه الف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمس أفدنة . وكنا بنعتبر ان الاقطاعى اللى خدنا منه ألف فدان حاينسى ويقول ان احنا بنمشى فى المجتمع الجديد ، لكن الاقطاعى طبعا اللى أخدنا منه الف فدان مش ممكن حاينسى ان احنا أخدنا منه الف فدان مهما سيبنا له من الأرض . ويعتبر ان هو كان سيد فى هذه البلد والنهاردة بنقوله تساوى مع الآخرين ، وهو لا يقبل أن يتساوى مع الاخرين لانه بيعتقد انه سيد بالوراثة اللى ورث هذا عن ابوه وعن جده وان الآخرين فلاحين أو عمال بالوراثة وان دى طبيعة الكون . »

« ان الاتحاد الاشتراكى بيتألف من تحالف قوى الشعب العاملة ولا مكان فى الاتحاد الاشتراكى للرجعية ، او للاقطاع ، او للراسمالية المستغلة . او للراسمالية الفاسدة ، مهما بعتوا تلغرافات ومهما حاولوا يتلونوا ، ومهما حاولوا يقولوا انهم بيماسوا هذا النظام بنقول لهم الايام ستثبت مين فعلا اللى بيمشى مع هذه الاهداف ومين فعلا اللى قابل هذا الميثاق عن حق ، ومين اللى مستعد أن يتحول الى مواطن صالح ، ولكن يجب أن يوضع كل واحد موضع الاختيار الكامل ، أما اليوم فلا مكان لهم فى الاتحاد الاشتراكى .

« .. دا الفرق بين الاتحاد الاشتراكى العربى والاتحاد القومى قوى الشعب العاملة هى التى ستقوى الاتحاد الاشتراكى العربى .. »

* * *

فى يناير سنة ١٩٦٢ ، وقبل صدور ميثاق العمل الوطنى صدر قانون العزل السياسى متضمنا عزل

الفئات التى حددت اللجنة التحضيرية عزلها من المحيط السياسى . ومنعها من مباشرة حقوقها السياسية لمدة عشر سنوات ومنعت بعد ذلك من عضوية الاتحـــاد الاشتراكى وهى :

١ ـ من انطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى وحددت ملكياتهم الزراعية .

٢ ـ من ثبت اشتراكهم فى افساد الحياة السياسية عن طريق الكلمة أو الفتوى وكل من استغل النقـــابات العمالية أو المهنية أو الجمعيات التعاونية .

٣ ـ العناصر الرجعية والمستغلة التى تعارض الاشتراكية والذين اممت لهم أسهم تزيد قيمتها على عشرة آلاف جنيه .

٤ ـ الذين فرضت عليهم الحراسة أو اعتقلوا ، أو حددت اقامتهم

* * *

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن التنظيم الجديد ، تنظيم الاتحاد الاشتراكى يصفه بأنه الصيغة الجديدة للتحالف بين فئات الشعب العاملة ، بدلا من التحالف القديم بين الاقطاع والراسمالية .. « فتحالف الرجعيـــة وراس المال المستغل يجب أن يسقط ، ولا بد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة، وهى الفلاحون والعمال ، والجنود والمثقفون ، والراسمالية الوطنية .

« ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البـــديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية ..

« ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة »

وتحدد مقدمة قانون الاتحاد الاشتراكى العربى ماهية الاتحاد فتقول انه :

منذ ان قامت الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو ، وارتبطت بمبادئها الستة ، وانتقل نضال الشعب بالتحول الاشتراكى بعد قرارات يوليو ١٩٦١ ، اقتضت مراحل الكفاح قيام تنظيم شعبى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون أمينا ، وقادرا على المحافظة على مبادىء الثورة الستة ، والاندفاع بها الى الاهداف الكبرى التى حددها الميثاق .

« ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير وهى تعبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى خطه السليم فى ظل مبادىء الميثاق »

« وهو الوعاء الذى تلتقى فيه مطالب الجماهير، واحتياجاتها، ويضم الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى شعبى قوى الشعب العاملة ، ويتمثل فيه تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية »

اما اهداف الاتحاد الاشتراكى العربى فهى :

١ ــ تحقيق الديمقراطية السليمة ، ممثلة بالشعب وللشعب لتكون الثورة بالشعب فى أسلوبها ، وللشعب غايتها وأهدافها

٢ ــ تحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل .

٣ ــ دفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير وحماية مبادىء الثورة وأهدافها ..

٤ ــ حماية الضمانات التى قررها الميثاق وهى : كفالة الحد الأدنى لتمثيل العمال والفلاحين فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بحيث يراعى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى نفسه أن تكون نسبة العمال والفلاحين ٥٠٪ على الاقل باعتبارهم اغلبية الشعب التى

طال حرمانها من حقوقها الاساسية ــ مبدأ القيادة الجماعية ــ تدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية ــ ارساء حق النقد والنقد الذاتي ــ نقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا .

٥ ــ نقل سلطة الدولة تدريجيا الى المجالس الشعبية المنتخبة .

٦ ــ النضال ضد تسلل النفوذ الأجنبي والانتهازية والرجعية التي تم اسقاطها .

٧ ــ مقاومة السلبية والانحراف ، ومنع الارتجال في العمل الوطني .

ويضع قانون الاتحاد الاشتراكي ضمانات لكي يؤدي الاتحاد مهمته ويحقق اهدافه فيقول القانون :

« وضمانا لأن يؤدي هذا التنظيم الشعبي الى تحقيق اهدافه فان العلاقات سواء بين الأعضاء وبعضهم او بينهم وبين تنظيماتهم ، تتطلب مجموعة من القيم والمبادىء ليسير الاتحاد الاشتراكي العربي بقوة نحو اهدافه الثورية .

واهم هذه المبادىء احترام الأقلية لارادة الأغلبية ، حتى لا يكون هناك أي مجال لقيام دكتاتورية في منظمات الاتحاد ، وكسب ثقة الشعب عن طريق الاقناع ، وهذه الثقة هي السبيل الى طاعة الجماهير لقيادتها طاعة ليست وليدة الخوف ، ولكنها وليدة الاقناع ، ولا تعطي للقيادات ، في اي مستوى من المستويات ، حقوقا مكتسبة تقيم دكتاتوريات داخل تنظيمات الاتحاد والنظام والطاعة في العلاقات بين القيادة والطليعة والجماهير على اساس اخلاص القيادة الثورية وسلامة مخططاتها واخلاص الطليعة الاشتراكية ، والاستعداد للبذل والتضحية واقتناع الجماهير ، والعمل على قيام علاقات سليمة بين منظمات الاتحاد وبين الشعب

العامل ، والعمل على حل مشاكل الجماهير ، والعمل غلى استمرار الدفع الثورى لدى الجماهير واطلاعها على حقائق الامور ، وعدم فرض السلطة ، او ممارسة اى نوع من التعالى على جماهير الشعب العامل ، والاعتراف بالأخطاء والمبادرة الى اصلاحها .

ان الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو السلطة الشعبية يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب فى حين يقوم مجلس الأمة ــ وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية ــ بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى العربى .

وفى خلال منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى فى جميع مستوياته يجد الميثاق ــ وهو بالنسبة لثورتنا نظريتها السياسية وبالنسبة لاشتراكيتنا فكرها الثورى ــ طريقه الى التطبيق العملى ..

وفى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بدوره القيادى ، وتحمله لمسئولياته الطبيعية ، ووقوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق ، وممارسته لوظائفه بالاسلوب الديمقراطى ، وانبثاقه عن الجماهير ، وتمثيله لأمانيها وتعبيرة عن ارادتها ، وتحقيقه لمبدأ سيادة الشعب وارسائه لقاعدة اساسية من قواعد التنظيم السياسى الديمقراطى وهى أن الديمقراطية السليمة تصبح بالمنطق الاشتراكى وسيلة وغاية للنضال الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية :

ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم الام الذى يربط جميع سلطات الدولة ، فرئيس المدينة او رئيس القرية يجب ان يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى العربى حتى يستطيع أن يحل مشاكل المدينة أو القرية ، ويتفاعل مع طلباتها ويلبى احتياجاتها ، وفيما يتعلق بالنقابات ينبغى أن يكون أعضاؤها أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى العربى لتكون فى الوطن وحدة كاملة .. تجمع كل

المواطنين فى الاتحاد وبناء على ذلك تكون الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم السياسى الأم ، ومنه ينبثق كل القـادة ، وبهذا نخلق وحدة فكرية ووحدة وطنية فى بلادنا .

* * *

فى بداية التحول نحو الاشتراكية صدر الميثاق الناصرى كوثيقة تحوى برنامج عمل واضح ينطلق التحالف لتحقيقه وحمايته والدفاع عنه .. والسير به الى الامام فى اتجاه آمال الجماهير وتطلعها نحو الحرية والاشتراكية والوحدة .

والتحالف الجديد قد حدد الفئات صاحبة المصلحة فى الثورة والتى تسعى لاقامة المجتمع الاشتراكى وعزل عناصر الثورة المضادة ، وبذلك أطلقت فاعلية الجماهير المكونة له لتدافع عن مكاسبها ضد قوى الاستعمار والرجعية ..

ولقد تنبه عبد الناصر الى أن هذا التحالف يضم فئات متناقضة .. وصاحبة مصالح مختلفة ، ولكنها ليست متصادمة كما أن تناقضاتها ليست جذرية لا تستعصى على الحل السلمى ..

فالفكر الناصرى .. يعترف بالصراع الطبقى ، ولكنه يرى أنه يمكن أن يحل داخل نطاق الوحدة الوطنية . فيقول الميثاق .. « والصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو انكاره وانما ينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات »

« ولقد اثبتت التجربة التى صاحبت بدء العمل الثورى المنظم انه من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ومنعها من أى محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها »

« ان ضراوة الصراع الطبقي ودمويته والاخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية التى لا تريد التنازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التى تواصل منها استغلال الجماهير »

« ان الرجعية تملك وسائل المقـاومة ، تملك سلطة الدولة ، فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فاذا انتزعت منها لجأت الى حليفها الطبيعى وهو الاستعمار . »

« ان الرجعية تتصادم فى مصالحها مع مصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ، ولذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعيـة اولا وقبل كل شيء من جميع أسلحتها »

« ان ازالة هذا التصادم تفتح الطريق للحلول السلمية أمام صراع الطبقات . »

« ان ازالة التصادم لا تزيل المتناقضات بين بقية طبقـات الشعب وانما هى تفتح المجالات لامكانية حلها سلميا ، اى بوسائل العمل الديمقراطى ، بينما بقاء التصادم لا يمكن أن يحل بغير الحرب الاهلية وما تلحقه من أضرار بالوطن فى ظروف يشتد فيها الصراع الدول وتعنف فيها عواصف الحرب الباردة . »

* * *

وفى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية يعلن عبد الناصر ان مجتمعنا يفور فيه الصراع الطبقى « فيه عندنا طبقات كثيرة وفيه صراع طبقى ، فيه اللى لا يملك ارض وفيه اللى بيملك ارض .

« وما عندوش فائض ، وفيه اللى بيملك ارض وعنده فائض – بالنسبة للطبقة المتوسطة – فيه ناس بتبص لليسـار ، وناس بتبص لليمين وبالنسبة للمثقفين فيه عندهم نوازع لليمين لانهم

يفكروا فى تحسين احوالهم لا فى تحسين احوال المجتمع ، لما نبص لبنى مر تلاقى ناس متعلمتش ، اللى ما اتعلمش ماشى وراء الجاموسة واللى اتعلم عنده الرسيدس ، ومكتب فيه تكييف ويقعد فى روف سميراميس وشبرد .. واحد عنده بيت وواحد ما عندوش بيت .. وده عنده كهربة ، وده ماعندوش - ولو ان فيه فى بنى مر كهربة - وده بيتمتع ، وده لا يتمتع ، احنا مجتمع فيه ثورة .. ومجتمع فيه معركة .. بيجى واحد يطلب ديمقراطية واحزاب .. لو عايز احزاب معنى هذا اسمح بحزب راسمالى رجعى »

« اول ما اسمح بالحزب ده حتنفذ الـ سى . اى . ايه ثانى يوم من طريق المضادين للثورة فى الخارج اللى مش قادرين يطعنونا من الداخل .. وتستطيع الراسمالية والامبريالية أن تنفذ خلال هذا الحزب الرجعى ، ونكون تنكرنا للثورة ومبادئها ، واول مبادئها القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع والاحتكار » .

* * *

الفكر الناصرى يلتقى مع الفكر الماركسى فى الاعتراف بالصراع الطبقى وان كان لا يلتقى معه فى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة .. بدلا من الحزب .. ويختلف ايضا فى الاسلوب الذى يراه لحل هذا الصراع ..

فبينما ترى الناصرية أن الوسيلة هى الحل باسلوب سلمى - حيث تمكنت القوى الثورية فعلا من الاستيلاء على سلطة الدولة واصبحت تملك أدواتها واجهزتها ترى الماركسية ان الحل - وصولا الى السلطة - لا بد أن يكون دمويا .

فالماركسية تقوم اساسا على فكرة الصراع بين الطبقات ومقدمة البيان الشرعى تقول ان تاريخ كل

مجتمع ، الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات فالحر والعبد والنبيل والعامى ، والسيد والاقطاعى والقن ، والمعلم والصانع

اى باختصار المضطهدون والواقعون تحت تاثيرهم كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة ، وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائما بانقلاب ثورى يشمل المجتمع باسره ، واما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا . وخلال العهود التاريخية السابقة نجد المجتمع فى كل مكان تقريبا منظما تنظيما متسلسلا ، والاوضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة .. ونجد داخل كل طبقة من الطبقات درجات خاصة .

« والمجتمع البورجوازى الحديث لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات بل اقام طبقات جديدة بدلا من القديمة ، واوجد ظروفا جديدة للاضطهاد واشكالا جديدة للنضال ، الا ان الذى يميز عصرنا الحاضر ، عصر البورجوازية هو انه جعل التناحر الطبقى اكثر بساطة ، فان المجتمع آخذ فى الانقسام اكثر فاكثر الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر ، هما **البورجوازية والبروليتاريا** .. هما الراسمالية والعمال .. والصراع الذى يدور بينهما هو من اجل ملكية ادوات الانتاج .. والعلاقات الانتاجية اصبحت لا تتفق مع نمو القوى الانتاجية لذلك فانه لا مفر ان **تحل الملكية الاشتراكية لادوات** الانتاج . ولقد حولت الصناعة الحديثة الورشة الصغيرة الى مصنع كبير .. واصبح العمال يخضعون لتنظيم اشبه بالتنظيم العسكرى ، فهم عبيد للراسمالى وكلما نمت قوتهم ، يزداد نضالهم ولا يكتفى العمال بتوجيه ضرباتهم الى علاقات الانتاج البورجوازية بل يوجهونها الى ادوات الانتاج نفسها ».

وترى المادية الجدلية ان تاريخ البشرية هو تاريخ الاستغلال والاضطهاد وصراع الطبقات ، وان الصراع وصل الى مرحلة ان

البروليتاريا لا تستطيع ان تحرر نفسها دون أن تحرر المجتمع بأسره ، وكل الحركات التاريخية الى يومنا هذا كلها حركات قامت بها أقليات او جرت فى مصلحة الاقليات ، أما حركة البروليتاريا فهى حركة قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة فى سبيل مصلحة الاكثرية فالبروليتاريا التى هى طبقة سفلى فى المجتمع الحالى ، لا يمكنها أن تهب ويقوم عودها الا اذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتى تؤلف المجتمع الرسمى ..

وينتهى المنهج الماركسى بالوصول الى **مجتمع بلا طبقات ، وبلا ملكية فردية** ، فعندما ينتهى الصراع من اجل الملكية سيتحول المجتمع الى مجتمع جديد بلا سلطة حكومية « فالجهاز الحكومى هو اداة فى يد طبقة معينة لقمع طبقة اخرى ، وعندما تصبح الدولة للجماهير وتصفى الملكيات فانه لا حاجة الى جهاز للدولة ، ولكن الوسيلة الى ذلك هو الاستيلاء على السلطة والاستعانة بجهاز الدولة واقامة ديكتاتورية البوليتاريا المؤقتة حتى تتم تصفية الطبقات وبذلك تنتهى مهمة جهاز الدولة »

الأساس اذن أن تنظم الجماهير صاحبة المصلحة نفسها فى حزب ، وأن تقوم بمواجهة أجهزة الدولة والاستيلاء على السلطة لتحولها لصالح الأغلبية الساحقة .. والوسيلة الى ذلك هو الحزب .. والحزب فى الفكر الماركسى هو أداة الطبقة العاملة لفرض سيطرتها وتحقيق ديكتاتورية البورليتاريا ، وفى جلسات الوحدة يشرح عبد الناصر تفسيره لنظم الديمقراطية فى الشرق والغرب .. ثم يشرح ما هى البلوريتاريا .. يقول عبد الناصر :

« بنفسر الكلام ده لانه جاء فى الميثاق الحقيقة موضوع يستاهل النقاش .. هو طبعا فيه عندنا الطبقة .. طبقة الاقطاع والراسمالية اللى بيسموها البورجوازية .. وبعدين الطبقة العاملة ... فيه مذهبين فى العالم فى البلاد البورجوازية بتنادى بسيطرة راس المال على الحكم ... اللى هى سيطرة تحالف الاقطاع وراس المال واقامة

دكتاتورية الرجعية أو دكتاتورية تحالف الاقطاع مع راس المــال تحت اسم الديمقراطية البورجوازية »

« ما بتيجى النهــاردة فى فرنســا بتبص .. بيقولوا فيــه ديمقراطية لكن بتبص للبرلمان **من الموجود فى البرلمان ؟** مين اللى يقدر يوصل للبرلمان ؟ هى الطبقة **البورجوازية** التى ورثت السلطة .. الطبقة السائدة الطبقة الحاكمة برغم الثورة الفرنسية .. الطبقة لا زالت تحكم فى فرنسا بالبورجوازية .. اللى هى تحالف اقطاع مع راس المــال . »

« **بيطلع الفكر الماركسى** .. الفكر الماركسى بيقول أن البروليتاريا التى هى طليعة الطبقة العاملة يجب أن تأخذ الحكم بالقوة وعليها ان تسقط هذه الطبقة البورجوازية وتهدمها بالعنف وبالقوة .. وتقيم بدلا من ذلك دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية طليعة الطبقة العاملة .. فهنا فيه دكتاتورية .. هنا ايضا فيه دكتاتورية .. الدكتاتورية الاولى هى دكتاتورية راس المال والاقطاع .. دكتاتورية البورجوازية تحت اسم الديمقراطيــة الغربيــة .. الثانية هى دكتاتورية البروليتاريا تحت اسم الشيوعية »

« الكلام اللى احنا بنقوله بيختلف عن هذا .. احنا بنقول ان تحالف الاقطاع وراس المال يجب أن يسقط ودول اللى حكموا مئات السنين فى بلادنا .. ولكن هل لا بد لتحقيق هــذا الهدف أن نقيم البروليتاريا ؟ لقد نص الميثاق أن الحل المناسب لنا هو أن نقيم حكما لتحالف قوى الشعب العــاملة .. اللى هى العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والحرفيين أو الراسمالية الوطنية » .

« فاذن هذا بيختلف كلية عن النظريتين .. معنى هذا ايه .. ان الشعب العامل كله هو اللى بيحكم .. ومعنى هذا أيضا انه لن تكون هناك فرصة لسيطرة الطبقة القوية .. الطبقة القوية زى ما قلنا اللى هى الطبقة التى يتمثل فيها تحالف الاقطاع وراس

المـال وعندها من الاسلحة وعندها من القوة بأن تشكل نفسها وتتسلل الى الحكم »

« كيف نحمى قوى الشعب العامل ؟ كيف نحمى هذا التحالف من ان تنقض الطبقة البرجوازية التى اخذت فرصة التعليم وفى ايدها الفلوس وعندها النفوذ ، وورثت السلطان من ان تنقض مرة ثانية على تحالف قوى الشعب العاملة لتسقطه وتحكم مرة اخرى ؟ »

« صمام الأمان الوحيد أن يعطى العمال الذين حرموا السنين وآلاف السنين ٥٠ ٪ على الاقل فى الحكم وفى المجلس التشريعى .. بهذا لن تتمكن البورجوازية القوية أن تنفذ الى البرلمان وتأخذ اغلبية لتحكم وتأخذ السلطة .. وبهذا لا تعود سيطرة الطبقة أو سيطرة التحالف بين الاقطاع وراس المال .. سيطرة الرجعية مرة اخرى » .

« كيف نضمن هذا ؟ كيف نضمن ان هذه الطبقة القوية ــ اللى عندها أسلحة واحنا ساعات نستهين بيها ــ ما تأخدش الدولة وتغتصب الدولة وتسخرها لخدمة مصالحها . الضمان الوحيد ان الناس اللى حرموا من حقوقهم وحرموا من كل شيء نديهم ٥٠ ٪ .. اذن اذا قدرت الطبقة الرجعية المستغلة أن تأخذ عدد من كراسى البرلمان مش هتقدر أن تستولى على الحكم .. انها تستولى على الحكم بشيء واحد انها تأخذ أغلبية أو أكثر من نص عدد البرلمان . »

« بهذه الطريقة بنضمن تحالف قوى الشعب العامل انه يستمر .. بيستمر بقوة بدون أن تتسلل الرجعية أو تتسلل البورجوازية لتأخذ السلطة من حيث لا ندرى .. وفى رأيى ان البورجوازية او تحالف الاقطاع ورأس المـال على درجة كبيرة من الذكاء بحيث انه يستطيع ان يشكل نفسه وفقا للحاضر .. ووفقا للموقف .. »

« وحصل فى وقت من الاوقات فى تجربة سنة ٥٨ ان الراسمالية

المعاصرة استطاعت في سوريا انها تتشكل وتمشي مع الموقف وارادت بهذا ان تنقض على الحكم لتاخذ الحكم واخذت الحكم . واغتصبت الحكم .. في بلاد ثانية كثيرة حصلت هـذه الامثلة واستطاعت البورجوازية اى تحالف الاقطاع مع راس المال ان تغتصب السلطة مرة اخرى . الامان الوحيد انك تضمن ٥٠٪ للعمال والفلاحين اللى هم يمثلون جزء كبير من الشعب العامل اللى هم بيمثلوا اغلبية الشعب .. اما بنقول ان الشعب العامل بيتمثل مثلا في ٧ مليون ـ هنا في مصر ـ مليون علية يعني .. طبعا العمال والفلاحين بيمثلوا على الاقل اكثر من خمسة مليون ونصف او ستة يمكن .. ستة مليون ، ستة مليون فماجيناش نقول ندى نسبة « ١ » الى « ٥ » لان الشعب العامل ٦ مليون .. فعملية الـ ٥٠ ٪ الغرض منها أن تؤمن هذه الديمقراطية الشعبية ـ اللى احنا بنتكلم عليها ـ من التسلل الرجعي ومن اعادة سيطرة الطبقة البورجوازية مره اخرى »

« ده الحقيقة الشرح لهذه العملية .. ازاى نضمن انالراسمالية لا تتسلل ؟ لاى جزء من تحالف قوى الشعب العاملة ـ اللى هو الجزء الكبير ـ هو اللى بيكون عنده الفرصة في البرلمان وبهذا لا نعطى الفرصة للبورجوازية ان تتحكم »

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك في نفس الجلسة مفهوم كلمة البروليتاريا فيقول :

« ما هى البروليتاريا ؟ البروليتاريا لا تعنى أبدا الطبقة العاملة ولكن طليعة الطبقة العاملة لان فيه مثقفين بيعتبروهم بروليتاريا .. يعنى هو ده يمكن سبب الخلاف في كلامنا فيه فرق بين دكتاتورية الطبقة العاملة ـ الشيوعية ـ نيجى نقرا في التفسير الماركسي العملية وفي التفسير اللينينى للعملية عن البروليتاريا .. البروليتاريا ليست عمال .. أبدا .. فيه فرق بين الطبقة العاملة .. والبروليتاريا ..

هو بيبجى بيقول ان .. ان الحكم للطبقة العاملة .. ولكن يطبق دكتاتورية البروليتاريا اللى هى قيـادة الطبقة العاملة .. هل البروليتاريا هم عمال ؟ لا .. »

« فى البروليتاريا عمـال ومثقفين ومدرسين ثوريين الى آخر هذا الكلام .. انا باقول لك تفسيره هو تفسيره الماركسى اللينينى فهم ليه ما بيقولوش دكتـاتورية الطبقة العاملة ؟ هم قالوا ان البروليتاريا وصية على الطبقة العاملة ولهذا يجب ان نقيم دكتاتورية البروليتاريا مش دكتاتورية الطبقة العاملة بدليل .. امسك الحزب الشيوعى فى العراق وامسك اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى العراق هل هم عمال ؟ »

* * *

الفكر النـاصرى يرفض الحزب ، وياخذ بصـيغة التحالف بين قوى الشعب العـاملة الخمسـة .. باعتبار انها الصيغة الاكثر تلاؤما مع المجتمعات النامية

ففى الدول النامية تلعب البورجوازية الصغيرة الدور الرئيسى فى كل عمليات البناء وفى معارك التحرير .. وفى التنمية ، ذلك أن طبقة العمال لم تنم بعد فى هذه الدول الى الحد الذى يمكنها من أن تكون قوى تسيطر وتقود ، فالصناعة عادة متخلفة أو وليدة .. والأيدى العـاملة الصناعية غير مدربة تدريبـا كافيا فهى هاربة من الزراعة الى المصـانع .. المتباعدة ، فالعمال نسبتهم قليلة ، وخبرتهم النضالية محدودة . وعددهم يزيد وينمو ببطء ، وكلما تطور المجتمع وازداد تقدما واتجه نحو الصنيع اتسع حجم طبقة العمال ..

والطبقة الوسطى الفنية هى فئات المهنيين ، والفنيين الذين لا يمكن الاستغناء عن خبرتهم وجهودهم لعمليات التنمية خاصـة فى الدول النامية ..

وفى المجتمعات المتخلفة يكون الفلاحون الغالبية العظمى من السكان ، ورؤيتهم السياسية محدودة ، كذلك فان خبراتهم بشئون السياسة والحكم قليلة أيضا ؛ كما ان طبيعة التخلف الذى تعيشه القرية عموما يفرض عليها عزلة ، وقيما ، وافكارا قد تبعد بها عن الرؤية الناضجة فى المسائل السياسية بالذات . والدول النامية تعتمد على تعبئة الجماهير ، وعلى قوتها لفرض التقدم ولهذا فان الأسلوب الذى يلائمها هو التحالف الذى يدخله العمال . والفلاحون والمهنيون « المثقفون » واضاف الفكر الناصرى الى هذه الفئات الثلاثة فئتين اخرين :

● **الاولى هى الراسمالية الوطنية** ، وذلك لان الفكر الناصرى لم يتجه الى القضاء على الملكية الفردية لادوات الانتاج .. وان كان قد اخضع هذه الملكية لسيطرة الشعب الممثل فى القطاع العام .

والفكر الناصرى يرى ان الشرائح الصغيرة من الراسمالية ـ وهى التى اطلق عليها الراسمالية الوطنية تمييزا لها عن الراسمالية الغير وطنية المرتبطة بالاستعمار ـ هذه الشرائح الصغيرة لاعتبارات عديدة بعضها اقتصادى وبعضها سياسى لا يمكن استبعادها ، كما انه لا يمكن وضعها ضمن فئات الثورة المضادة ما دامت لا تمارس اى نوع من أنواع الاستغلال ..

وهذه الراسمالية الوطنية المتمثلة فى قطاع الحرفيين ، والتجار وصغار الملاك .. كل هؤلاء وان كانت تتناقض مصالحهم مع مصالح العمال والفلاحين والمثقفين وحتى بين بعضهم وبعض ، الا أنه ليس تناقضا عدائيا على اى حال .

واذا كان المجتمع يرفض الاستغلال ، فانه سيخرج من بين فئاته العاملة باستمرار كل الافراد الذين يثبت انهم مستغلون .. فالمجتمع فى حركته ذات الأهداف المحددة يلفظ باستمرار كل من لا يسير فى الاتجاه الذى رسمه لنفسه ..

ولقد كان الابقاء على الرأسمالية الوطنية الصغيرة ضمن اطار التحالف فى مثل ظروف مجتمعنا الذى يسير فى البناء الاشتراكى ويتيح الملكية الفردية ، ضرورة .. فحيث اننا اتجهنا الى اقران الملكية الفردية ووجود قطاع خاص فان ذلك يستلزم بالطبيعة اعتبار الراسمالية الوطنية ضمن التحالف

● الفئة الثانية هى الجنود : ذلك ان الجيش فى ظل حكومة وطنيه ثورية هو أداة فى يد الجماهير ، وسلطة لحماية مكاسبها ، ومنجزاتها .. هذه الاداة الرئيسية لا يجب ان تظل فى اطار تحالف الشعب فقط ، بل انها الاداة التى يجب أن يعمق فيها الوعى السياسى ، بحيث تكون دائما اول واقوى الايدى الضاربة لكل من يحاول الانقضاض على مكاسب الشعب من اعدائه فى الداخل أو الخارج .

واية ثورة وطنية لا يمكن أن تؤمن نفسها وتضمن النجاح الا اذا ضمنت الجيش كقوة تحميها ، وتؤمن بها ، وتلتزم بمناهجها وخطها الثورى ، خاصة فى مراحلها الأولى ، وتزداد هذه الضرورة اذا لم تكن الثورة تعتمد على تنظيم سياسى ثورى قوى ومترابط من الجماهير يقف الى جانبها .. وثورة عبد الناصر قامت ليلة ٢٣ يوليو بالجيش كطليعة ثورية لنضال الشعب .. « وان الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش تحت قيادة الشعب، وفى خدمة أمانيه .. « وان الجيش فى تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبى ، ومن ثم فتح الطريق أمام ارادة التغيير .

« ان انضمام الجيش الى النضال الشعبى صنع أمرين هائلين فى نفس الليلة : **لقد سلب قوى الاستغلال الداخلى اداتها** التى كانت تهدد بها ثورة الشعب ، كذلك فانه **سلح النضال الشعبى** فى **مواجهة قوى السيطرة الاجنبية المحتلة بدرع من الصلب** قادرين لصد ضربات الخيانة والغدر »

وحدد الميثاق الناصرى دور القوات المسلحة فى ان عليها ان

« تحمي عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية ، كما يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع تمنع الشعب من الوصول الى اهدافه » « والجيش وقد قام بالثورة وضع نفسه في المكان الطبيعي تحت قيادة الشعب ، وفي خدمة أمانيه » .

والجنود بعد ذلك كله هم ابنـاء **العمال والفلاحين والمثقفين** ، والرأسمالية الوطنية ، انهم أبناء فئات التحالف الجديد ، وهم اكبر قوة تسند وتدعم هذا التحالف في مواجهة التحالف القديم الذى سقط ، تحالف الرجعية مع راس المال ..

* * *

من اجل ذلك كله استقر الفكر الناصرى على صيغة التحالف ، الكبير الذى يحشـد الجماهير العريضـة صاحبة المصلحة ويدفعها للمشاركة في المجال السياسى وفي عمليات البناء الاشتراكى (١)

والتحالف بهذا الشكل هو تنظيم جماهيرى واسع يشمل كل العناصر المتفاوتة في حماسها ، المتناقضة في مصالحها ، واتجاهاتها المختلفة في افكارها .. لذلك رأى عبد الناصر انه لا بد أن يقوم داخل التنظيم الجماهيرى « **تنظيم آخر » ملتزم تتوحد افكاره ، وغاياته ، يكون اكثر صلابة ، وايمانا وقدرة على العمل** ، ووعيـا بأهداف الثورة ، وبمتطلبات النضال تنظيم يقود الجماهير ويكون وسيلة قوى الشعب العـاملة لتحقيق الاشتراكية كما انه قلب تحالفها .. الذى يحركه ويبعث فيه الحياة .

وقال عبد الناصر في الميثاق « ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر

---

١ ـ وثائق الناصرية مفهوم العمل السياسى امداد المعهد العالى للدراسات الاشتراكية

الصالحة للقيادة وينظم جهودها ، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات

وكما ان الاتحاد الاشتراكي هو تنظيم جماهيري يقوم على التحالف بين فئات الشعب فالجهاز السياسي ليس حزبا .. لأنه لا يعبر عن طبقة بعينها .. انه طليعة هذا التحالف ، وهو يعبر عن التحالف كله ، ويلتزم بتحقيق أهدافه ويعمل على اذابة الفوارق بين فئاته وافراده ، فهو جزء من التحالف .. ولكنه الجزء القائد والنشيط المتحرك الواعي ، الذي يتوحد فكره ، ولكنه في نفس الوقت يقوم على أسس حزبية من حيث التسلسل التنظيمي والالتزام ..

وفي مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية اعلن عبد الناصر « اننا لا يمكن أن نطلب من الجماهير او من ٦ مليون عضو في الاتحاد الاشتراكي انهم يكونوا بسرعة وبدفعة صغيرة ثوريين مرة واحدة بين يوم وليلة ، كل اللي انا طالبه ان يكون عندنا مجموعة أولا من الثوريين التي تطبق هذا » .

« وبالنسبة للجهاز السياسي في الحقيقة احنا بدأنا من سنين في تكوين الجهاز السياسي ولكن بطريقة سرية ولغاية دي الوقت في رأيي ان احنا لسه حنقعد فترة ونحن نكون هذا الجهاز السياسي بطريقة سرية .. ليه الحكمة في الطريقة السرية .. انا الحقيقة كنت متصور لو بديت أعلن نحط فلان في الجهاز السياسي وما نحطش فلان تتكتل جميع القوى اللي فيها هؤلاء الناس علشان تهدم هؤلاء الناس او تسوأ في سمعتهم ، واحنا عارفين هذه الصراعات الموجودة في المجتمع ولا يمكن التغلب عليها .. النقطة الثانية انا مش عايز اي واحد في الجهاز السياسي يستغل صفته انه موجود في الجهاز السياسي علشان يستخدمها بالنسبة لعمله او يستخدمها بالنسبة لأي مكان آخر .. وفي الجهاز السياسي ناس

استمروا . والعدد النهاردة وصل لعدة آلاف وفيه ناس طلعوا من الجهاز السياسى لان فى اختباراتهم ما كانوش المثل الحسن . وقالوا ان احنا موجودين فى الجهاز السياسى . ما حدش يعرف ان دول أفراد من الجهاز السياسى . وأول ناس اتكلموا عن مؤامرة الاخوان المسلمين كانوا ناس افراد من الجهاز السياسى بالنسبة لمحافظة الدقهلية » ..

«ومن الناحية التانية الكلام اللى انا قلته عن الاتحاد الاشتراكى اعتقد ان هو تغير .. والنهاردة الاتحاد الاشتراكى ماشى على انه يخلق قيادات ثورية .. الحقيقة القيادات الثورية كلمة ننطقها سهل جدا ولكن وجودها عسير .. وجود القيادات الثورية عسير وعلشان توجد القيادات الثورية لازم نوجدها من نضالها داخل نطاق الجماهير .. واحنا النهاردة بالنسبة للمكاتب

التنفيذية ، وبالنسبة للعمل فى الاتحاد الاشتراكى ظهرت عناصر شابة كثيرة جدا تتمثل فيها الثورية وفيه عناصر كتير نقدر نقول انها مش شوية .. ولكن فى نفس الوقت مش رجعية .. وموجود فى الاتحاد الاشتراكى حتى الآن عناصر رجعية اقطاعية .. واحنا النهارده فى اعادة مسح جميع لجان الاتحاد الاشتراكى علشان تصفيته من هذه العناصر .

« هل نعمل حزبين اشتراكيين مش معقول لسبب بسيط .. أن فيه فى البلد حزب رجعى موجود وغير معلن عنه .. فيه فى البلد الاتحاد الاشتراكى .. وفيه حزب رجعى وهم مجموعة من الناس عارفين بعض ، وهم لسه ما اتصفوش ولا بد من تصفيتها .. فيه الاخوان العملاء لحلف بغداد .. أو الحلف المركزى .. النهارده لو اعمل حزبين اشتراكيين يكسروا بعض .. والحزب الرجعى متكاتف ويستطيع أن ينفذ .. لا بد من تكتيل القوى الوطنية فى سبيل الثورة ، وفى سبيل انتقال المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات » ..

« ومعنى هذا لن تكون عندنا احزاب مختلفة .. ولكننا نقبل افكارا مختلفة داخل الاتحاد الاشتراكى .. هنـاك تناقضات بين العمال والفلاحين .. وتناقضات بين العمال والفلاحين والمثقفين .. وفى لجنة من لجانكم ناس قالوا ان العمال والفلاحين بيمثلوا بنسبة ٥٠ ٪ وان هذا كتير .. وان دول ناس ميفهموش حاجه وده كلام عيب وكلام خاطىء ولازم ننزل للعمال والفلاحين ونستلهم افكارنا الثورية من العمال والفلاحين » .

« نحن لم نستلهم أفكارنا الثـورية بالبعثات ولكن استلهمناها لما الواحد يروح القرية ويشوف الفلاحين ويشوف العمال .. دول اللى بيمثلوا الغالبية العظمى للشعب ، لكن احنا موظفين ومبعوثين وجامعة بنخدم الشعب العامل ؟.. بنخدم العمال والفلاحين ؟ »

* * *

ان فكرة التحالف التى تبناها الفكر النـاصرى نظرية وتطبيقا .. تعتبر احد الخلافات الأساسية بينه وبين الفكر الماركسى .

ولقد وجد الفكر الماركسي الحديث نفسه فى هذه الصيغة انها الملائمة للدول النامية ففى الحلقة الدراسية العالميـة التى اقيمت بمدينة الماآتا بالاتحاد السوفيتى فى أكتـوبر عام ١٩٦٩ ، القى ا.ا. اسكيندريروف نائب مدير معهـد الحركة العمالية العـالمية باكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى بحثا عن مشاكل توحيد قوى التحرير القومى والاجتماعى قال فيـه : « ان مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وهى التى خطت البشرية نحوها تتميز بتعدد اشكال وانواع الحركات الثورية الديمقراطية التى تنفذ مهامها المحددة فى المرحلة التاريخية الدقيقة . وتتحدد طبيعة هذه الحركة او تلك كما تتحدد اهدافها القريبة والبعيدة باشكالها ، واساليبها

نضالها ، بالقوى السياسية والقوى الطبقية الاجتماعية التى تشارك فيها وبمن يقودها » .

« وتجربة الكثير من الدول القومية تقوم على أن قيادة الحركة تنتقل بالتدريج الى أيدى الطبقات الوسطى التى زاد نشاطها السياسى زيادة ملحوظة فى الآونة الأخيرة » .

وتقول الدراسة أن طبقة الفلاحين تمثل السواد الأعظم من السكان ، فى هذه الدول ولا تستطيع اية حركة سياسية ان تنجح ما لم تلجأ الى الاتحاد مع هذه الطبقة كما أن حركة الفلاحين تجد القوة عندما ترتبط ارتباطا وثيقا بالنضال الثورى للبروليتاريا .

واية دولة متطورة فى آسيا وافريقيا لن تستطيع ذلك بحركة البروليتاريا ، لانها تنمو ببطء ، ولأنهـا كقاعدة ، قليلة العـدد ، وترتبط لا بالانتاج الضخم بل الانتاج المحدد ولم تترابط فيما بينها تماما كطبقة لها منظماتها السياسية .

وتقول الدراسة أيضا ان التفهم السليم لدور طبقة العمال له قيمة اساسية طالما أنه لا يسمح بالنظر فى قضية زعامة البروليتاريا كعملية محددة ، وذلك يدخل فى طبيعة ثورة التحرر القومية التى لا تنفصل عن الثورة الاشتراكية وهو يسـاعد كذلك على تجنب تطرفين اثنين : أحدهما التطرف المتعلق ببخس دور طبقة العمال والمبالغة فى تقدير الامكانيات الثورية لغير البروليتاريين ومن بينهم العناصر البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة التى ربما تستطيع الآن أن تأخذ على عاتقها تحقيق وظائف دكتاتورية البروليتاريا . والثانى يتعلق بالمغالاة فى تقدير هذا الدور وبالانتظار السلبى حتى تتزعم طبقة العمال الحركة .. وفى الحالة الأولى تتعاظم الخطوط الاشتراكية التى لا تميز حركة التحرر القومية حتى الآن ، لأنهـا لا تزال داخل حدود التطور الديمقراطى العام » .

« وفى الحالة الثانيــة تظهر محاولة فرض اساليب واشــكال النضال البروليتارية الخالصة ، وهذا يؤدى الى عزل طبقة العمال عن القوى الثورية الديمقراطية الأخرى » .

« ولكن الالتحام التـــام بين الأهداف القومية ، والأهداف الاجتماعية للثورات التحررية المعـــادية للاستعمار لا يحقق الممكن فحسب ، بل يحقق الواجب الضرورى لاقامة جبهـــة قوميــة ديمقراطية واحـــدة يمكن ان تشــارك فيها كل القـــوى التقدمية والثورية للامم » .

اذن فالفكر الماركسى الحديث يتوافق مع صيغة التحالف التى نادى بها الفكر الناصرى ، بل انه يعتبرها الصيغة الوحيدة الملائمة للدول النامية عموما ، ويرى فيها وسيلة لتحقيق الاشتراكية بدلا من قيادة البلوريتاريا وهو أمر أقر الفكر الماركسى نفسه أنه لا يلائم المجتمعات النامية للاسباب التى ذكرها .

ملكية خاصة .. ولكن

الاشتراكية فى الفكر الناصرى تعنى سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج ، ولكنها لا تطالب فى نفس الوقت بتاميمها كلها .. فهى لا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المرتب عليها ..

موقف الناصرية من الارث الشرعى ، هو جزء مترتب على وجود حق الملكية . وعلى الايمان بالقيم الدينية فى نفس الوقت ..

والاشتراكية فى الفكر الناصرى تعنى :

● قطاع عام قوى وقادر يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج

● قطاع خاص يسيطر عليه القطاع العام ، ويخضع لتوجيهه يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة من غير استغلال وأن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا ..

فالتاميم عند عبد الناصر ليس عقوبة تحل برأس المال عندما ينحرف . ولكنه هدف لاقامة مجتمع جديد .. والدفع التنمية الاقتصادية ..

ومن اجل ذلك ترك عبد الناصر فرصة لرأس المال الخاص ليمارس دوره فى التنمية . ولكنه وضع له حدودا لا ينبغى أن يتخطاها ..

* ترك القطاع الخاص فى الزراعة .. حيث اتاح الملكية الفردية بل ان المواجهة الثورية الناصرية لمشكلة الفلاح والارض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك الزراعيين ..

* ترك للقطاع الخاص مجالا فى الصناعات الصغيرة والاستهلاكية

* وترك للقطاع الخاص أيضا مجالا يستطيع أن يعمل فيه فى

قطـــاعات اخرى من المبانى والتجارة والتوزيع .. والمقـــاولات وغيرها ..

ولقد كانت رؤية عبد النـاصر أنه من العسير على المجتمع أن ينتقل مرة واحدة الى الملكية العامة فى كل شيء . « فهل كنانستطيع مثلا ان نؤمم محلات الحلاقة .. وغيرها .. ان ذلك فضلا عن أن امكانيات صنعه وادارته صعبة ، الا انه قد حدث فى بعض الدول التى اتجهت الى الاشتراكية ، ووجدت انها تسرعت . وعادت مرة ثانية تتراجع فى هذه الخطوات ..

ان رؤية عبد الناصر للملكية الخاصة تنبع من عدة اعتبارات :

١ ـ هى ظروف المجتمــــع والحرمان الذى عاشته الجمـاهير ـ وخاصة الفلاحين ـ محرومين من الملكية طوال حياتهم .

٢ ـ طبيعة التخلف فى بعض الصناعات والمهن يجعلها عبئـا على الادارة الاشتراكية ، وعلىالقطاع العام مما يعوق التنمية ذاتها

٣ ـ الارضية الفكرية السائدة فى المجتمع لم تكن تسمح بالانتقال مرة واحدة ، وبقرارات علوية من السلطة الثـــورية التى لا يدعمها تنظيم قوى ، وقادر ، ناضل من اجل نشر المبادىء الجديدة ، واعتنقها .

٤ ـ التنمية الاقتصادية الشاملة لا تستلزم ان تقوم الدولة بكل شيء ، بل انها تستلزم بالدرجة الاولى حشد كل الطاقات ، والامكانيات المبدعة للجماهير لكى تعمل ، من اجل متـــانة الاقتصــاد ، وهـذا يتطلب خبرة القطاع الخاص فى مجالات حرفية ، وصناعية محددة حتى يتقدم المجتمع ، ويصل الى مرحلة يمكن ان يتجمع فيها الحرفيون فى تعاونيـــات .. والفلاحون فى تعاونيات أخرى ، وصغار الصناع فى تعاونيات ثالثة ..

فالراسمالية الصغيرة يمكن ان تلعب دورا فى التنمية ، ولو كان دورا محدودا والدولة فى مرحلة حشد طاقاتها لمضاعفة الدخل القومى تحتاج الى كل جهد فى هذا الاتجاه ، ومما يزيد صعوبة الأمر ، ويعقده ان القطاع العام الجديد لا يستطيع بسهولة ان يتحمل وحده ، وطفرة واحدة الانتقال بكل ادوات الانتاج ، فى الصناعة ، وبكل وحدات الخدمات وينقلها مرة واحدة من الملكية الخاصة ، الى الملكية العامة .

٥ - القطاع الخاص يملك بالاضافة الى خبرته ما هو أهم ، وهو الاستثمارات والأموال التى يمكن أن تسهم فى عمليات التنمية ، ومضاعفة الدخل القومى فى مراحل الحشد الأولى من اجل زيادة الانتاج وامتصاص الأيدى العاملة .

٦ - التجارب اثبتت فى الفكر الناصرى انه فى نطاق بعض المهن كالزراعة مثلا ، فان كفاءة الفلاح وقدرته كفيلة بالوصول بالارض الى طاقة انتاجية كبيرة ، وخاصة اذا استخدم العلم الحديث ، وتمكن الفلاح من استعمال الوسائل الجديدة فى الزراعة سواء كانت الأدوات او البذور ، او الأسمدة وغيرها .. فالعلم يعطى اضافة الى روح الفلاح المصرى ، وطاقته الكامنة ..

* * *

ومشكلة الزراعة فى مصر من اعقد المشاكل .
فالفلاح المصرى عاش حياته ، هو واجداده اجيرا ، يعمل فى ارض الغير ، ولم يذق فى حياته أبدا طعم ملكية الأرض التى رواها هو واجداده بدمه وعرقه ودموعه .

لقد واجهت كارل ماركس مشكلة الفلاح الصغير بالذات .. وفكر فى سنة ١٨٤٨ على أنه « عندما تصبح سلطة الدولة فى أيدينا

ان يكون بالامكان ان ننتزع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف بتعويض او بغير تعويض .. مثلنا سنكون مضطرين لان نفعل بالنسبة لكبار الملاك .. ان مهمتنا ستكون تجاه الفلاح الصغير قبل كل شيء هي توجيه اتجاهه الخاص وتوجيه ملكيته الخاصة في السبيل التعاوني لا بواسطة العنف ، بل عن طريق المثل ، وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض . ومن المؤكد انه سيكون لدينا من الوسائل لاقناع الفلاح بجميع المزايا التي يتسم بها هذا التحول ، والتي لا بد من توضيحها له منذ الآن » .

فمشكلة الفلاح الصغير اذن كانت تحتاج الى بحث ، والى وقفة تأمل قبل اتخاذ اي موقف بشأنها . فالملكية الصغيرة في حد ذاتها مشكلة تحول دون الانتاج العلمي الوفير في الزراعة ، ولكنها امنية الفلاح الصغير ، واحد مقومات حياته ، واساسيات عمله .

ان واقع الملكية الزراعية قبل الثورة ، كان يمكن ان تؤكده هذه الحقيقة ..

ان حصرا للشركات والافراد الذين كانوا يملكون الارض الزراعية يبين ان الفلاح المصري لم يكن مالكا ابدا ، كما يبين ايضا التزاوج بين راس المال المصري والاجنبي في مجال الملكية الزراعية ايضا ..

ان جملة الارض الزراعية التي تمت مصادرتها من اسرة محمد علي وحدها ، بلغت نحو ١٥٩ الف فدان ..

فقد كان الخديوي اسماعيل مثلا يملك يوم توليه الحكم ١٥ الف فدان ، واصبح بعد ١٧ سنة من حكمه يملك ٥٩٠ الف فدان استولت عليها الحكومة بعد عزله . وكان الملك فؤاد يملك عند توليه الحكم سنة ١٩١٧ ثمانمائة فدان ، فبلغ ما يملكه يوم وفاته سنة ١٩٣٦ حوالي ٢٨ الف فدان ، بالاضافة الى ٤٥ الف فدان من الاراضي الموقوفة التي كان يديرها ، وكان فاروق يملك عند توليه الحكم ١٢ الف فدان فبلغ ما كان يملكه يوم عزله ٢٨ الف فدان بالاضافة الى ٤٥ الف فدان من الاراضي الموقوفة كان يديرها ..

وصورة الملكية الزراعية العامة سنة ١٩٥٢ قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى كانت كالآتى (١) :

الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ ف	٢٦٤٢	٢١٢٢	٩٤٫٣ ٪	٣٥٫٤ ٪
٥ فدان –	٧٩	٥٢٦	٢٫٨ ٪	٨٫٨ ٪
١٠ فدان –	٤٧	٦٣٨	١٫٧ ٪	١٠٫٧ ٪
٢٠ فدان –	٢٢	٦٥٤	٠٫٨ ٪	١٠٫٩ ٪
٥٠ فدان –	٦	٤٣٠	٠٫٢ ٪	٧٫٢ ٪
١٠٠ فدان –	٢	٤٣٧	٠٫١ ٪	٧٫٢ ٪
٢٠٠ فدان فاكثر	٢	١١٧٧	٠٫١ ٪	١٩٫٧ ٪

ونستطيع ان نبسط هذا الجدول فنقول ان ١/٢ ٪ من الملاك كانوا يملكون مساحات كبيرة تبلغ اكثر من ثلث الأرض الزراعية (٣٤٫٢ ٪) بينما ٩٤٫٣ ٪ من الملاك يملكون ٣٥٫٤ ٪ من هذه الأرض .. و ٥٫٢ ٪ من الملاك يملكون مزارع متوسطة يبلغ مجموع مساحتها ٣٠٫٤ ٪ من الاراضى الزراعية .

كانت الحكومة تستصلح ارضا وتبيعها ، ولكن الذين كانوا يشترون هم القادرون على دفع الثمن وهم غالبا الراسماليون او كبار الملاك ، ففى الفترة بين عام ١٩٣٥ الى عام ١٩٥٠ بلغت

(١) الجدول الأرقام من احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء .

الأراضي التي باعتها مصلحة الأملاك الأميرية ١٨٢٫٦٢٣ فدان بيعت على النحو التالي :

المساحة المباعة بالفدان	النسبة المئوية	المشترون
٣١٩١	١٫٧ ٪	صغار المزارعين
١٣٨٢٧	٧٫٦ ٪	الطاعيات خريجي المعاهد
١٦٣٦٨٦	٩٠٫٧ ٪	كبار الملاك

الأراضي الزراعية المملوكة للدولة كانت تتحول ملكيتها تدريجيا الى الاقطاعيين وكبــار الملاك ، والدولة عن طريق الوقف أو عن طريق تمليكهم ما تستصلحه اذ تزرعه فترة ثم تسلمه لكبار الملاك غالبــا ، والقسم الآخر من الأراضي الزراعيــة مملوك اما لشركات الأراضي أو للبنوك العقارية .

وشركات استصلاح الأراضي تكونت في البـــداية براس مال اجنبي ، انجليزي فرنسي ، ودخلها بعد ذلك راس المال المصري .. وقد وجدت هذه الشركات انتعاشا في انشاء القناطر الخيرية التي اوصلت الماء الى مساحات جديدة من الأرض أمكن استصلاحها ، كما وجدت انتعاشا في انشاء خزان اسوان حيث أمكن اضافة حوالي ربع مليــون فدان .. واستطاعت الراسمالية أن تدخل ميــدان الأراضي الزراعية ، اما بمفردها أو متعاونة مع راس المال المصري .

وفي ســنة ١٩٥٢ كانت ١٤ شركة زراعية تملك ٩٣٤٧٨ فدانا تستثمر فيها ٦٫٥٢٨٫٥٩٧ جنيها مصرية هي :

١ ـ شركة أراضي ابو قير تأسست سنة ١٨٨٨ براسمال حوالي ٣٨٦٧ فدانا ، كما أنها استصلحت عشرات الألوف من الافدنة واستخلصتها ثم باعتها .

٢ ـ الشركة الانجليزية المصرية لتجـزئة الاراضى . وسجلت فى اكتوبر ١٩٠٥ .
٣ ـ شركة القاهرة الزراعية تأسست سنة ١٩٢٦ .
٤ ـ شركة اراضى الدقهلية سجلت فى ١٩٢٩ .
٥ ـ الشركة المصرية للأشغال الزراعية تأسست سنة ١٩٠٤ م
٦ ـ شركة اراضى الغربية سجلت سنة ١٩٠٥ .
٧ ـ الشركة المصرية الجديدة تأسست فى لندن سنة ١٨٩٦ .
٨ ـ شركة اراضى سيدى سالم تأسست فى يونيو ١٩٠٦ .
٩ ـ الشركة الزراعية والصناعية تأسست سنة ١٨٩٧ .
١٠ـ شركة أراضى كوم امبو تأسست سـنة ١٩٠٤ وكانت تملك ٣٠ الف فدان .
١١ـ شركة أراضى البحـيرة تكونت سـنة ١٨٨١ وكانت تملك ٣٨٫٨٥٨ فدان .
١٢ـ شركة اراضى الشيخ فضل تاسست فى مارس ١٩٠٥ وكانت تملك ٢٨٨٩ فدانا .
١٣ـ شركة مصر العقارية وهى احدى فروع بنك مصر .
١٤ـ الاتحاد العقارى المصرى وتأسس سنة ١٩٠٥ .

وهذه الشركات كانت فى غالبيتها شركات أجنبية ، راس مالها أجنبى يستثمر فى مجال الاراضى الزراعية سواء بالبيع أو الشراء او الاستصلاح والبيع ، وهى تقوم فى اعمالها على استئجار عمـال يزرعون لحسابها .

اما النوع الثالث والاخير من الملكية الزراعية فقد كان مملوكا للبنوك العقـارية التى انشئت من أجل التسليف بضـمان رهن الأرض ، وكانت تمول عمليات الزراعة ، بضمان الأرض .. مثل بنـك « الكريدى فرانسيه » وهو البنك العقارى المصرى وبنـك الأراضى المصرية « لاندبنك أوف ايجيبت » وعديد من البنوك .. واضيف اليها سنة ١٩٣١ بنك التسليف الزراعى المصرى .. الذى اصبح منذ سنة ١٩٤٩ اسمه بنك التسليف الزراعى والتعاونى .

هذه الصورة العامة تقول بوضوح ان الفلاح المصرى لم يكن يملك ، واذا نظرنا الى هذه الصورة من عمق ابعد ، وجدنا انها تزداد بشاعة .

وأن الأرض منذ ما قبل ان يستولى عليها محمد على ويجعلها كلها مملوكة للدولة ، ويعطى حق الانتفاع بها لفئات من الملتزمين والمشايخ وغيرهم فى ظل احتكار الدولة للملكية .. الأرض منذ تلك السنوات وهى غير مملوكة للفلاح ..

لذلك فان عبد الناصر واجه هذه المشكلة باعطاء الفلاح حق الملكية لاول مرة فى تاريخ مصر .. حتى يحس بالجديد الذى اتت به الثورة وحتى يقضى على الاقطاع وحتى تزداد انتاجية الأرض .

فالمواجهة الناصرية لهذه المشكلة كانت بتوزيع الأرض على الفلاحين ويصف عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٦٤ اوضاع الملكية الزراعية فى مصر بانه « كانت ملكية الجزء الاكبر والاخصب من الارض الزراعية فى يد العدد القليل من الملاك الكبار ، الى جانب مساحات اخرى شاسعة تملكها الشركات الزراعية المملوكة للاجانب ، وان حاولت اخفاء هويتها الحقيقية وراء واجهات مصرية ، وبمقتضى القوانين الاشتراكية وبينها قانون الاصلاح الزراعى فقد وصلت الارض التى تم توزيعها والاستيلاء عليها لصالح الفلاحين المعدمين ٩٤٤ر٤٥٧ فدانا ، وفوق اوضاع الملكية ، فقد كانت الظروف الاقتصادية للأرض الزراعية لا تسمح بأى استغلال مثمر على الارض الخارجة عن ملكية الاقطاعيين ، فقد كان الاقتصاد ملكيات غير الاقطاعيين ضعيفا بسبب حاجتهم الى التمويل المنظم والخبرة الفنية ، وبتحديد ايجار الأرض الزراعية الذى كان جزء من الاصلاح الزراعى وبتدعيم التعاون واتاحة فرصة التمويل المصفى من الفوائد امامهم **وبالاتجاه الان الى المجتمع الزراعى على اوسع نطاق** فان هناك تحولا فى ظروف انتاجية الأرض الزراعية يضاف الى التحويل الذى طرا على ملكيتها »

عبد الناصر كان يرى لحل المشكلة الزراعية فى الاطار الاشتراكي عدة خطوات بالنسبة للارض المزروعة فعلا ..

القضاء على الاقطاع بتوزيع الارض على الفلاحين ليس لمجرد حنين الفلاح الى ملكية الأرض ، وانما ايضا لأن امكانيات الفلاح قادرة على العمل ، فعلى امتداد التاريخ الطويل العميق بالخبرات استطاع الفلاح أن يزرع الأرض وينتج تحت ظروف قاسية ، فاذا ما أتيحت له فرصة ملكيتها ودعمت خبرته بما وصل اليه التقدم العلمى فان النتائج التى سيصل اليها ستكون اكثر تأثيرا فى زيادة انتاجية الأرض ..

ويوضح عبد الناصر فكره فى مجال ملكية الأرض الزراعية فيقول (١) « بالنسبة لمصر بالذات تاميم الارض غير وارد ، لأن الستة مليون فدان ، والأرض اللى عندنا لا تسمح بهذا أبدا ، وحتى الأرض اللى بنصلحها بنوزعها ، وده بنعتبره تطبيق اشتراكى لأن كل عيلة بتاخد ٥ فدادين أو تاخد عشر فدادين تبقى ساعدت على الاشتراكية » .

« لما نيجى نتكلم بالنسبة لمصر ونقول ان التطبيق العربى ، تطبيقنا احنا للاشتراكية فى مصر لا يعنى تاميم الارض ، ده انا باجيب على ظروف موجودة فعلا ، وباقول ان أنا ما أقدرش .. واحنا فعلا لا نستطيع ان نؤمم الارض فحانصلح ٢ مليون فدان من السد العالى مانقدرش نأممهم ، الفلاح عايز يملك ، بنصلح السنة

---

(١) مباحثات الوحدة م

دى مائة الف فدان بس قبل السد العـالى ، كل ده لازم حنملكه وماشيين على أساس أن الاشتراكية فى هذا معناها ان احنا نقيم جمعيات تعاونية ، ثم تطور هذه الجمعيات الى زراعة تعاونية .. ده اللى احنا طبقناه .. قلنـا عليها فى الميثـاق اللى هى **التجميع الزراعى** »

« التجميع الزراعى معناه **زراعة تعاونية مش مزارع تعاونية** .. يعنى ايه كل واحد بيملك الأرض لكن كلهم بيخدموها مع بعض .. كل واحد حتته موجودة .. ده الحقيقة اللى ما يمكن تطبيقه فى مصر » .

وفى نفس الجلسة من مباحثات الوحدة يشرح القائد التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الأرض الزراعية يضع حدا أعلى لملكية الفرد « لا يسمح بأى نوع من الاقطاع ولكن **مفيش داعى ابدا اننا ننفى التاميم** ، يعنى افرض مثلا فى الجزيرة ، عندهم عاوزين يعملوا مزارع دولة ، أو مزارع جماعية .. هم أحرار » .

* * *

فطبيعة المشكلة الزراعية فى مصر بالذات هى التى استلزمت هذا الموقف من الفكر النـاصرى .. فهو لا ينفى تاميم الأرض الزراعيـة عموما ولكنه يرى أن ذلك موقف معين استلزمته طبيعة الأوضـاع فى مصر على وجه التحديد ..

فالتاميم لا يصلح فى المجتمع المصرى على وجه الخصوص .. ولذلك فهو يأخذ بفكرة توزيع الأرض على الفلاحين ، مع الاهتمام بالتعاون الزراعى ، والتجميع الزراعى حتى يمكن أن تحل المشاكل التى تترتب على تفتيت الملكية الزراعيـة فتدعيم « ملكية الارض بالتعاون » ، وتحويل اقتصاد الملكيات الصغيرة من اقتصاد ضعيف

الى اقتصاد قوى بالتوسع المستمر فى آفاق التعاون ، ولقد اثبتت تجارب تجميع الزراعة أن هناك امكانيات هائلة فى تطوير الزراعة .

« ونحن نحاول أن نمد التعاون مع امتداد العملية الزراعية كلها ابتداء ومن تحديد انواع المحاصيل على أساس علمى اقتصادى يعطى أفضل النتائج للفلاحين الى عمليات الرى والتسليف وانتقاء البذور والتسميد والمقاومة والتسويق والمساعدة على استعمال الآلات فى الزراعة وبخاصة الجرارات وذلك لأن احتياجاتنا فى الوقت الحالى لا تقتصر على التوسع فى ادخال غيرها من الآلات بسبب وفرة الأيدى العاملة » .

« وبالطبع فانه قبل هذه الأسس توجد مقدمة ضرورية هى انهاء كل استغلال ، وما من شك فى أن تحديد الملكية وضرب الاقطاع يساعد على ذلك كما أن تحديد الايجارات يؤدى الى نفس الغرض ، كذلك فان عملية التعاون الممتدة تخلص الفلاح من كل الاحتكارات التى كانت تحصل لنفسها على ناتج جهده ، كما تعتصر بالربا قطرات عرقه ، ولقد كان من هنا قرار تقديم السلف للفلاحين من غير فوائد على الاطلاق .. وليس من شك فى أن أمامنا جهودا ضخمة خصوصا فى مجالات تنظيم التعاون وحتى يؤكد فاعليته ودوره الحيوى فى اربعة آلاف قرية فى الجمهورية العربية المتحدة ، لا بد لكل واحدة منها أن تكون فى واقع الأمر جمعية تعاونية قوية ، كذلك فلن أمامنا تقوية أجهزة البحث العلمى وتوصيل خدماتها من غير عوائق من المعامل الى الحقول (١) » .

---

(١) حديث لجريدة الوطنية المصرية ١٩٦٢ .

اصدر عبد الناصر قوانين للاصلاح الزراعى قضت على صورة الاقطاع ، وواجهت المشكلة الزراعية بتوزيع الأرض على صغار الفلاحين .

ولقد غيرت هذه القــوانين هيكل المجتمع المصرى ، واصبحت صورة الملكية فيه منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ مختلفة .

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ فدان	٢٨٤١	٢٧٨١	٩٤ر٤ ٪	٤٦ر٦ ٪
٥ فدان ـ	٧٩	٥٢٦	٢ر٦ ٪	٨ر٨ ٪
١٠ فدان ـ	٤٧	٦٣٨	١ر٦ ٪	١٠ر٧ ٪
٢٠ فدان ـ	٣٠	٨١٨	١ر٠ ٪	١٣ر٦ ٪
٥٠ فدان ـ	٩	٤٣٠	٠ر٢ ٪	٧ر٢ ٪
١٠٠ فدان ـ	٣	٤٣٧	٠ر١ ٪	٧ر٢ ٪
٢٠٠ فدان	٢	٣٥٤	٠ر١ ٪	٥ر٩ ٪

كما انها تغيرت تماما فى سنة ١٩٦٥ فاصبحت كالآتى :

اقل من ٥ فدان	٢٠٣٣	٢٦٩٣	٩٤ر٥ ٪	٥٧ر١ ٪
٥ فدان ـ	٧٨	٦١٤	٢ر٤ ٪	٩ر٥ ٪
١٠ فدان ـ	٦١	٥٧	١ر٩ ٪	٨ر٢ ٪
٢٠ فدان ـ	٢٩	٨١٥	٠ر٩ ٪	١٢ ٪
٥٠ فدان	٦	٣٩٢	٠ر٣ ٪	٦ر١ ٪
١٠٠ فدان ـ	٤	٤٢١	٠ر١ ٪	٦ر٥ ٪

على ان الحد الأقصى للملكية كان قد حدد بمائة فدان للأسرة حتى سنة ١٩٧٠ على ان يعاد النظر فيها بعد ذلك ولكن عبد الناصر

طرح القضية على المؤتمر القومى فى يوليو ١٩٦٩ على أنه « قد جاء الوقت الذى يجب أن نبت فيه نهائيا فى بعض المسائل المتعلقة بالأرض وملكيتها واستغلالها وأن يكون ذلك البت بطريقة نهائية وفق أحكام الميثاق وضرورات التطور ، الميثاق نص على أن ملكية الارض تحدد بمائة فدان فقال الميثاق بعد سنة ٧٠ يجب اعادة النظر فى الموضوع ويجب الا تزيد الملكية على مائة فدان للأسرة المكونة من رب الاسرة والزوجة والابناء القصر ، احنا دى الوقت فى أواخر سنة ١٩٦٩ داخلين على سنة ١٩٧٠ ، وآن الأوان لأن نحدد هذه الامور ونبت فيها نهائيا ونحن نقترح الآن ، ولكى يحسم الامر وتستقر صورة الملكية الزراعية على نحو سليم أن تحدد ملكية الارض الزراعية بـ **٥٠ فدانا للفرد** على أن يبقى حد الملكية بالنسبة للأسرة للرجل وزوجته واولاده القصر فى حدود المائة فدان » .

بذلك وصلت الملكية الزراعية الى الشكل الاخير فى حياة القائد المناضل ، ولكنه طرح أيضا قضية الأرض الجديدة المستصلحة ولعله اراد بها تكوين نواة لقطاع عام قوى فى الزراعة ..

فقد قال انه بالنسبة للأرض الجديدة « فان لدينا ٧٠٠ الف فدان ويجب ان نقرر راينا فى استغلالها الدائم واقتراحى فى هذا الصدد هو **أن ننشىء شركات او مؤسسات عامة تنتقل اليها ملكية هذه الاراضى** . ويكون لهذه الشركات أو المؤسسات العامة مهام ثلاثة تتمثل فى الاستغلال المباشر للتصدير أو التأجير وفق شروط معينة ولآجال طويلة للزراع أو البيع لصغار الملاك الجدد ، مع اعطاء اولوية فى الملكية للمقاتلين فى ميدان المعركة واسرهم » .

ولقد وضع اقتراح عبد الناصر على مائدة البحث ، ولم يبت فى شأنه حتى الآن .. ولكن الروح التى عرض بها عبد الناصر الامر

واقتراحه فى ان تقـام شركات تؤول اليها ملكية هـذه الارض ، تعنى بلا جدال الاتجاه لتنمية القطـاع العـام فى الزراعة ، الذى كان يعتمد على بعض المساحات من الارض المستولى عليها طبقـا لقوانين الاصلاح الزراعى المزروعة فواكه أو حدائق ، والتى لم يمكن توزيعها ، وبعض الاراضى التى تقوم فيها تجارب المحاصيل الزراعية الجديدة ومساحات الأرض المستصلحة التى لم تصل بعد الى حد الغلة الانتاجية التى تسمح بالتصرف فيها ، ولقد كان انشاء المزرعة الالية التى تضم عشرة آلاف فدان تزرع آليا يؤكد هذا الاتجاه ، فانه من العسير ان يتم اى نوع من التصرف فى هذه المساحة التى من المحتم أن تزرع كقطعة واحدة .

وقضية الأرض الجديدة وان كانت لم تحسم فى حياة القـائد ، الا انه طرح تصوره لها .. وكان يتجه عموما ان تكون امتـدادا للقطاع العام فى الزراعة .

***

ان السؤال الذى يطرح نفسه هنا .. هو اذا كان عبد الناصر يرى توسيع قاعدة الملكية فى الزراعة ، فلما لم يتخذ هذا الموقف فى الصناعة بحيث يملك العمال المصانع ..

هذا التساؤل قد أثير فعلا فى حياة القـائد ، واجاب عليه فى اجتماع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى .

وبالرغم من اختلاف نوعية الملكية ، وتباينها بين المصـنع والحقل ، الا أن السؤال قد تجاهل هذا الاختلاف عندما وجهـه احد اعضاء الهيئة على أساس انه يمكن أن يملك العمال والموظفون ٢٥٪ من المصانع التى يعملون بها وذلك بتقسيط ثمنها على عشر

بسنوات مقابل جزء من الأجور والأرباح المخصصة لهم ، وفى ذلك حافز لهم على زيادة الانتاج » .

وقال جمال عبد الناصر ردا على السؤال :

« أنا ردى على هـذا نقطتين ، **النقطة الأولى** ان ده مضاد للميثاق ، هذا الاقتراح ضد الميثاق .

« **النقطة الثانية** ان التجارب اللى اتعملت على هذا الاساس فشلت والتجربة الأساسية فى هذا هى تجربة حصلت فى انجلترا فى شركة ملكوا العمال اسهم وجم العمال اتزنقوا آخر الشهر راحوا كلهم بايعين الأسهم خلوا الشركة خسرت عشرين مليون جنيه ، فاحنا بنعمل قطاع عام ، وبنشجع العامل علي زيادة الانتاج فنعطيه نسبة مئوية من الأرباح اما تمليك العامل النهاردة معناه رجوع ، حاخلق طبقة راسمالية ، وحا أقلل بهـذا سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الكلام اللى اتقال فى الميثاق . »

وقال العضو الذى سأل انه لا يمكن ان يفكر فى مخالفة الميثاق . ولكنه قدم هذا الرأى على اساس انه **يتماشى مع تمليك الفلاحين الأرض** ولكن جمال عبد الناصر شرح فى اجابته كيف أن هذا اولا يخالف الميثاق .. ثم كيف أنه يستحيل تنفيذه عمليا فقال :

« الجزء الخاص بالميثاق أنا قدامى « وفى مجال الصناعة يجب ان تكون الصناعات الثقيلة المتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى أطار الملكية العامة للشعب ، واذا كان من الممكن ان يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال ، فان هذه الملكية الخاصة يجب ان تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله ؛ ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب ، يجب أن

تكون المصارف فى اطار الملكية العـامة فان المال وظيفته لا تترك للمضاربة أو للمغامرة ، كذلك فان شركات التأمين لا بد أن تكون فى نفس اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية ، وضمانا لحسن توجيهها ، والحفاظ عليها .

« وفى المجال العقارى يجب أن تكون هناك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة ، ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال، وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة اصحابها ، ده الكلام الخاص بالميثاق فبعد النهارده ما اممت لا أستطيع أن افك التاميم ابدا ، بعد أى شىء ما دخل الملكية العامة للشعب ، وبعدين أنا ادى للناس ٢٥ ٪ من الارباح ويا اديهم ١٥ ٪ خدمات و ١٠ ٪ بياخدوه اموال كونى النهارده اوزع عليهم ٢٥ ٪ من **الأسهم بتلخبط كل النظام اللى احنا بنشتغل فيه ، وتدخلنا فى نظام تانى غير النظام الاشتراكى** ، وزى ما قلت لو يروحوا يوم يعنى ، **لو انا بكره اروح اشترى الأسهم** ، لو يزتقوا العمال اللى عندك ويبيعوا الاسهم اللى فى المصانع ، السهم أبو اتنين جنيه بميه وثمانين قرش وبعدين بمية وسبعين قرش وبعدين بمية وخمسين قرش ، لبص تلاقى نزلت الأسهم ، ولكن الملكية العـامة للشعب معناها ان المصنع ملكيته عامة للشعب بما فيهم العمال اللى هم موجودين فى داخل المصنع » .

واكد عبد النـاصر اكثر من مرة ان نقل ملكية المصـانع الى الشعب كان ضروريا وفى مجال الحديث حول هذا الأمر كرر اكثر من مرة تساؤلا ماذا يحدث لو اضطر العامل لظروف عائلية بحتة ان يبيع اسهمه .. ماذا يحدث لو تجمعت هذه الأسهم لدى افراد معينين ..

كان من الضرورى أن تنتقل الى الشعب ككل ملكية الهياكل الاساسية والمؤثرة فى الانتاج الصناعى ، وفى نفس الوقت فقد منح

العمال جزء من عائد عملهم المتمثل فى الربح ليس من أجل تأكيد احساسهم بالملكية فحسب ، بل بالدرجة الاولى لتكون حافزا لهم على العمل .. والابداع ..

* * *

ترك الفكر الناصرى للملكية العقارية للمبانى مجالا فى القطاع الخاص ، على أن تتكفل القوانين بان تنأى بها بعيدا عن الاستغلال ، وتضعها فى خدمة الاقتصاد الوطنى .

وفى مجال الاسكان والتشييد عموما أعطى عبد الناصر للقطاع الخاص دورا فيهما يتمثل فى اتجاهين :

●● الأول : هو ملكية المبانى العقارية ..

●● والثانى : هو القطاع الخاص فى المقاولات ..

ففى المجال الأول ملكية المبانى رأى الفكر الناصرى أن قوانين الضرائب التصاعدية التى تضع حدا أعلى للدخل ، يمكن أن تجعل نطاق هذه الملكية محددا ، والا تسمح له بالنمو بغير حدود .. حتى لا يكون تراكما رأسماليا لدى عدد من الأفراد ..

وبالنسبة لعملية الاستغلال التى تصاحب هذه الملكية فقد رأى الفكر الناصرى أن قوانين تخفيض الايجارات والقوانين التى تحدد الايجار ، هى ضمان لتقليل امكانيات الاستغلال ..

واذا كان المجتمع قد شهد أنواعا مبتكرة من الاستغلال يمارسها الملاك العقاريون ، فقد شهد فى نفس الوقت محاولات ثورية للضرب على هذه الأنواع من الاستغلال ، كما شهد أيضا تغييرات متتابعة فى قوانين الاسكان تحاول أن تصل الى قواعد تحول دون الاستغلال وتحدد العلاقة بين المالك والمستأجر تحديدا لا يسمح بالتلاعب ..

على أن الملكية العقارية لم تترك للقطاع الخاص وحده ، لقد وضعت الى جانبه :

● ملكية عامة للمباني تتمثل في عديد من المســاكن الشعبية والمتوسطة التى تقيمها الدولة ، وكان نواة لها في البــداية بعض العقارات التى آلت الى الشعب عن طريق التاميم وهى التى كانت مملوكة اما لشركات التأمين وآلت ملكيتها للشعب بالتــأميم أو لبعض الراسماليين والاقطاعيين والمنحرفين واتخــذت ضــدهم اجراءات بتجريدهم من ملكياتهم كوسيلة لتجريدهم من السلاح الذي يمكنهم بواسطته أن يصوبوا أهدافهم المضادة لآمال الشعب وتقدمه !

● ملكية تعاونية للمباني وتتمثل في المســاكن التعاونية التى تقام بأموال الافراد وبمعاونة وتشجيع الدولة عن طريق التسهيلات والقروض التى تمنح للجمعيات التعاونية للاسـكان الى جانب ما تعطيه لها الدولة من أراضي تساعد على نمو الملكية التعاونية .

ان وجود الملكية العامة في الاسكان وكذلك الملكية التعاونية الى جانب القطاع الخاص يساعد ولا شك على الوقوف في وجه محاولات الاستغلال من الملاك ، وهي تكمل ما يمكن أن تقوم به القوانين في هذا الأمر ..

● أما المقاولات فقد ترك للقطاع الخاص دور فيها ولكن التجربة اثبتت ان هذا القطاع قد تضخم خلال سنوات قليلة بصورة لم تكن متصورة لذلك اتخذت من الاجراءات ما يحول دون نموه الكبير .. وفي بداية مرحلة التحول الاشتراكي ، ومع الرغبــة في التوسع في التصنيع واقامة الخدمات ، في وقت كان القطاع العام فيه ما زال وليدا تمت الاستعانة بالقطاع الخاص في المقاولات حيث استطاع أن يحصل على ٨٠ ٪ من حجم الاعمال المطلوبة .. وقد كانت نتيجة ذلك أن ظهرت عليه علامات الثراء ، والاستغلال حتى وصل الأمر أنه استغل القطاع العام نفسه وحصل منه على عدد من الاعمــال من الباطن » ، ومن هذا الطريق وذاك كانت النتيجة ان وقف القائل

بعـــد ذلك في دمنهور ليواجه هـــذه الحقيقة ســـنة ١٩٦٦ ويعترف بها ويتخذ ضدها اجراءات توقفها ، فقد قال القائد حول قطاع المقاولات « القطاع العام النهارده بيقوم بـ ٤٠ ٪ أو يمكن اقل من ٤٠٪ والقطاع الخاص بيقوم بـ ٦٠٪ أو أكثر من ٦٠٪ »

« وقطاع المقاولات سنويا يزيد العمل فيه عن ٢٠٠ مليون جنيه اذن لا زال جزء كبير من عمليات البناء والتشييد بتروح في القطاع الخاص ، وبهذا احنا كنا أممنا الشركات والمقاولات عدد كبير من شركات المقاولات يمكن حوالى ٨٠ شركة ورغم هذا اللى معانا لغاية النهـاردة حوالى ٤٠٪ ؟ اذن ٦٠٪ معناها تقريبا ١٢٠ مليـون جنيه ، معنى هذا ان احنا فعلا بنخلق راسمالية جديدة .. واذن من الواجب ان احنا نعمل انبا في خلال ٣ سنوات سننتقل في قطاع المقاولات من ٤٠٪ للقطاع العـام الى ٨٠٪ قطاع عام ونخلى ٢٠٪ قطاع خاص » وهكذا .

كان القائد قد نبه الى ظاهرة النمو الراسمالى في نفس الخطاب في مجالات اخرى أبرزها مجال التجارة الداخلية .

ففي التجارة حدد الميثاق ــ وحتى سنة ١٩٧٠ ــ وهي فترة تطبيقه حتى يعاد النظر في خطـوات العمل التي رسمها على ضوء ما يسفر عنـــه التطبيق وعلى ضوء رؤية الجمـاهير ومصالحها واّمانيها التي ستكون قد تبلورت ــ كما راى عبد الناصر ــ خلال ثمان سنوات كانت هي المدة المحددة لانتهاء الخطة الأولى للتنمية الشاملة من اجل مضاعفة الدخل القـومي في عشر سنوات حدد الميثاق الناصرى في مجال التجارة أن يقتحم القطاع العام منها ٢٥٪ فقط ، ويترك الباقي للقطاع الخاص والتعاوني وذلك منعا للاحتكار وحتى يمكن أن يعمل القطاع الخاص في هـذا الميدان الحيوى ، وخاصة بالنسبة للريف الذي كان يصعب في تلك الفترة ــ وما زال ــ وصول متاجر القطاع العام اليه ، نظرا لعدة ظروف عديدة من بينها ما هو مرتبط بطبيعة الحياة في القرية المصرية ذاتها .

فالتجارة الداخلية فى الفكر الناصرى سنة ١٩٦٢ وحتى سنة ١٩٧٠ من المفروض ان يكون للقطاع الخاص دور فيها فى حدود ٧٥٪ من حجمها .. وقد تحقق ذلك ، وربما زاد القطاع العام عن هذا الحجم ذلك أن المقصود هنا ليس بعدد المتاجر ، ولكن بحجم راس المال المستثمر فى هذه التجارة .

ومع ذلك فقد برزت الراسمالية فى مجال التجارة واستطاعت شرائح منها أن تستغل القطاع العام ذاته اما ان تاخذ منه وتتاجر عليه او تحاول افساده بوسائل مختلفة وتلاعبات عديدة مما جعل عبد الناصر يتخذ فى مواجهة الاستغلال فى التجارة عددا من الاجراءات من بينها :

- نقل تجارة الجملة تدريجيا الى القطاع العام .
- الوصول بالتعاونيات الاستهلاكية الى مناطق جديدة ، والى بعض المراكز بل والقرى احيانا .
- أحكام الرقابة على القطاع الخاص فى التجارة ، سواء باصدار القوانين التى تقيد محاولاته للاستغلال وخلق سوق سوداء وغيرها من الوسائل او بالمتابعة والتفتيش
- اتخاذ سلاح التسعيرة لمواجهة جشع التجار ، واتخاذ اجراءات ضد من يثبت تلاعبهم .
- مواجهة الاختناقات التى يسببها القطاع الخاص فى بعض السلع لحجبها عن الجماهير اما طمعا فى مزيد من الربح عن طريق السوق السوداء ، أو كجزء من الحرب النفسية ضد التطبيق الاشتراكى ..

فليس هناك شك فى أن شرائح ممن نطلق عليهم الراسمالية

الوطنية الغير متعاونة مع الاستعمار تتطلع الى النمو والى التسلق، والى الوصول الى درجة تمكنها حتى من الاحتكار ، وانها تجد فى المسيرة الاشتراكية اتجاها يعاكس تماما ما تأمله، ويقضى على تطلعاتها لذلك فان شرائح كثيرة منها ليست متحمسة للتطبيق الاشتراكى ، وانها تتخذ منه موقف الحذر اما عن خوف من المستقبل ، ولما رغبة فى عرقلة النمو الاشــــتراكى ، او تحقيقـا لأكبر قدر من الربح . ولو عن طريق الاستغلال ، فاى راس مال بطبعه يحتـــاج الى ان يتنفس ، وينمو ، ويكبر .. ويتسع ، وكلما وجـد عرقلة لرغبته أخذ الاتجاه المضاد اما فى محاولة للتحايل على ما يعترض نموه ، واما بالانكماش .

ولقد نبه القائد الى وجود هذه الشرائح من الراسمالية التى تحاول ان تخلق طبقة جديدة فى المجتمع واتخذ منها موقفا على الفور .. ففى نفس الخطاب السابق يقول عبد الناصر :

« انا قلت فى السويس فى شهر مارس : انه بالنظرة الى المجتمع بنجد ان قطاع الراسمالية بيزيد فعلا .. احنا بنقول الاشتراكية ولكن ايضا بالنسبة للزيادة فى العمل قطاع الراسمالية بيزيد .. بالنسبة للتجارة عندنا تجارة بحوالى ١٤٠٠ مليون جنيه تجارة داخلية هذه التجارة الداخلية كلها فى أيدى القطاع الخاص .. ١٤٠٠ مليون جنيه عند تجار الجملة ثم تجار النصف جملة بعد كده تجار القطاعى .. »

« انا سرنا فى طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل الى القطاع العام مش معنى كده اننا نأمم تجار الجملة الآن تاجر الجملة موزع لكن بالتدريج فى خلال ثلاث سنوات نستطيع لما احنا نقيم قطاع عام فى تجارة الجملة بالتدريج سلعة سلعة علشان منذخلش فى مشاكل بالنسبة للتوزيع .. ولكن بهذا ننتقل من الراسمالية الى الاشتراكية .. لذا كان القطاع ب ١٥٠٠ مليون جنيه او ١٤٠٠ مليون جنيه ، فبلغوا كذا مرة فى التجارة تجارة الجملة ونصف الجملة ثم تجارة التجزئة اذن فيه ناس بتحقق ارباح خيالية . »

معنى هذا ان احنا فعلا بنوجد طبقات ، ومعنى هذا ان احنا فعلا بنوجد راسمالية .. معنى هذا ان احنا لازم النهارده نعمل على ان نسير فى طريق الاشتراكية ، وكل واحد ياخد حسب عمله وبيكون زى ما قلنا فى الميثاق التجارة هى عبارة عن عملية توزيع لقاء فائدة محددة » .

حدد الفكر الناصرى ان يكون الاستيراد كله فى مجال الملكيـة العامة للشعب وترك للقطاع الخاص مجـــالا يمكن ان يؤديه فى عمليات الصادرات حدده عبد الناصر بربع هـذه **العمليات** حتى يمكن ان يلعب دورا فى تسويق المنتجات والتعامل مع الخارج . وهى عملية لازمة لدعم الاقتصاد ، اما الصناعة فقد حـدد الفكر الناصرى انه **اذا كان من الممكن** ان يسمح بالملكية الخاصة فيها فقد وضع لذلك شروطا :

* ان تكون تحت سيطرة القطاع العام .
* ان تظل الصناعات الخفيفة بعيدة عن الاحتكار .

ولم يكن من المستطاع ان نؤمم كل الصناعات فى ظل ظروف مجتمع الصناعات الصغيرة فيه كثيرة ، ومبعثرة ، وادوات الانتاج فيها متخلفة ومستهلكة ، ولا تساير العصر كما ذكرنا من قبل .

ومع ذلك فقد اعلن القائد انه فكر ذات مرة فى تاميم مدينـة كاملة هى مدينة شبرا الخيمة (١) وذلك حتى يبعد الاستغلال عن مئات العمال المتناثرين داخل عشرات من المصانع الصغيرة ، ولكنه آثر عدم اتخاذ هذا القرار للاعتبارات السابقة .

لقد حدد الفكر الناصرى اذن ابعادا للقطاع الخاص يمكن ان يعمل فيها ولكنه فى نفس الوقت كان حذرا من ثلاثة اشياء :

● **الأول** : هو الاستغلال ، وكانت قضية منع الاستغلال لديه من القضايا الحيوية والهامة ويجيب عبد الناصر فى جلسات المؤتمر

---

(١) اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

الوطنى على سؤال حول هذا الأمر .. السؤال هو .. ما هى طريقة تحديد الاستغلال بالنسبة للقطاع الخاص وهل يعتبر من باب الاستغلال ان عمال القطاع الخاص لم يحصلوا على المكاسب التى قررتها قوانين يوليو سنة ١٩٦١ وما هى وسيلة تمكين الرقابة الشعبية من السيطرة على القطاع الخاص ؟ واجابة عبد الناصر هى:

« طبعا كلنا عارفين ما هو الاستغلال . اى حاجة ضد العدل تعتبر استغلال ، اى واحد يستغل العامل علشـان ياخـد هو المكاسب ولا يعطى العامل او الفلاح يبقى ده هو الاستغلال اى واحد بيبيع فى السوق السوداء يبقى استغلال ، اى واحد طبعـا عاوز يعمل مكاسب كبيرة فى اقل وقت ممكن بطريق **مشروع او بطريق غير مشروع** يبقى استغلال » .

● **والثانى النمو الراسمالى وخلق طبقة جديدة** « فالرجعية اقلمت نفسها وحينما اتكلم عن الرجعية المعاصرة او الرأسمالية المعاصرة شاطرة جدا ، انها تؤقلم نفسها وفقا لطبيعة العصر » .

« ينبغى لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة تظن ان الامتيازات ارثا لها بعد الطبقة القديمة ، وعلينا ان نقاوم **مثل هذا الانحراف ، ونقومه ، ونثور عليه** اذا اقتضى الأمر وان نجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه (١) .

« وبعد سنة ١٩٥٧ ــ هكذا يقول عبد النـاصر فى اللجنة التحضيرية ــ رفع الرجعيون يفط اشتراكيتهم ، وفعلا هم اصلهم يكسبوا من زيادة الانتاج ، واحد رجعى او راسمالى مستغل او أصله اقطاعى ، تلاقيه عامل جوابات ومعلق يفط فى الاشتراكية وكلام .. ليه .. طالما الاشتراكية يفط هم مبسوطين .. طالمـا الاشتراكية شعارات بس هم زعلانين ليه ؟ ده هم عايزين كده .. مستعدين يقولوا شعارات فى الاشتراكية قد اللى بنقولها عشرين مرة .. بس ما نحطش الاشتراكية موضع التنفيذ ومانطبقهاش » .

وفى السويس سنة ٦٦ يقول عبد الناصر « قطاع الراسمالية

---

(١) مجلس الامة عام ١٩٦٤ م

الوطنية فى بلدنا كبر فى سنة ٦٠ اكثر مما كنا نتصور .. ازاى .. كل التنمية ، وكل التجارة وكل خطة .. قطاع الراسمالية الوطنية النهاردة بيزيد وبيزيد فيه فلوس كتير ، بعض النـاس من هـذا القطاع عنده تطلعات انه عايز يكون فى وضع طبقى متميز زى ما كانت الطبقة الراسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى .. هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجة والنهاردة شـايف ان الظروف ساعدته ، والظروف مكنته انه يعمل ثروة بسيطة أو ثروة متوسطة عايز يعمل راسمالى او عايز يعمل اقطاعى .. وبهذا طبعا لا ينظر الى المجتمع الاشتراكى نظرة طيبة ولا نظرة سليمة ، دول طبعا بيهمهم تضخم المشاكل بالنسبة للقطاع الاشـــتراكى والتجنى على القطاع الاشتراكى ، طبعا التحويل الاشـــتراكى حيحصل ، وبنقول ان احنا الان فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وسنسير حتما الى الاشتراكية .. التى هى شريعة العدل .. »

« الاستغلال والاقطاع وراس المال والرجعية لها معانى اخرى » معانى ان طبقة مميزة .. طبقة تملك .. طبقة تحكم ، طبقة تستعبد الناس .. وطبقة مستعبدة لا تجد الكرامة ولا تجد الحرية .. **طبعا هؤلاء الناس اللى النادرة بيفكروا ان احنا قـد نعود الى الوراء .. بقول ان مفيش فرصة ابدا ان احنا نعود الى الوراء ..** طبعا واحنا بنبنى لازم بنعمل تحويل اشتراكى كامل .. تحويل اشتراكى كامل .. ولكن التحويل الاشتراكى لا بد ان يكون اشتراكى مدروسا »

● **وفى عيد الثورة عام ١٩٦٧ يقول عبد الناصر :**

لا بد ان نقضى على اية امتيـازات تكون باقية تتجاوز حق العمل وقيمته ، فى خدمة المجتمع دون اى اعتبار آخر ..»

و « ان الشعب كان يطالب بوضع حد للامتيازات التى حصل عليها البعض بغير وجه حق ، وانا مع الشعب فى هذا ، اننا شعب

يبنى مجتمعاً اشتراكيا وهذا المجتمع ليس لطبقة مميزة بل هو بطبيعته لا يسمح بامتياز طبقى ، انه يسمح بامتياز العمل وحده ، والعمل وحده ، وكفاءة العمل واقتداره تعطى لصاحبها امتيازا ، لكنه امتياز الكفاءة وليس امتياز الطبقة ، ولعلى اقول لكم اننى فى الأيام الأخيرة الغيت كثيرا من الامتيازات التى ظهرت فى المراحل السابقة وسيظهر هذا فى الميزانية الجديدة .

● والثالث : الا يأتى وقت يكون عائد العمل لقلة من الناس يفيض المال لديها لدرجة أن تبدده فى الوان من الترف الاستلاكى يتحدى حرمان المجموع ، فذلك معناه زيادة حدة الصراع الطبقى والقضاء على كل أمل فى التقدم الديمقراطى .

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن رؤية فى وجود القطاع الخاص يضع امامه كل هذه المحاذير فهو اذ يعترف بدور القطاع الخاص فى خطة التنمية ، ووجوده ، فانما يحذره فى نفس الوقت من ان يستغل وينمو على حساب جهد الشعب وعرقه ، فيوجه اليه تنبيها ويرسم له دوره اذ يقول :

« والقطاع الخاص الآن مطالب بأن يجدد نفسه وبأن يشق لعمله طريقا من الجهد الخلاق لا يعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى . »

« ان ازمة التى وقع فيها راس المال الخاص قبل الثورة تنبع واقع الأمر من كونه وارثا لعهد المغامرين الأجانب الذين ساعدوا على نزح ثروة مصر الى خارجها فى القرن التاسع عشر . »

« لقد تعود راس المال الخاص أن يعيش وراء اسوار الحماية العالية التى كانت توفر له من قوت الشعب ، كذلك تعود السيطرة على الحكم بغية التمكين له من مواصلة الاستغلال . »

« ولقد كان عبثا لا فائدة منه أن يدفع الشعب تكاليف الحماية ليزيد ارباح حفنة من الراسماليين ليسوا فى معظم الاحوال غير واجهات محلية لمصالح اجنبية تريد مواصلة الاستغلال من وراء ستار . »

« كذلك فان الشعب لم يكن بوسعه أن يقف مكتوف اليدين الى الأبد أمام مناورات توجيه الحكم لصالح القلة المتحكمة في الثروة ولضمان احتفاظها بمراكزها الممتازة على حساب مصالح الجماهير . »

* * *

على ان موقف الناصرية عموما من كثير من شرائح الراسمالية الوطنية يرتبط بعدة امور ..

● **الأول** : تعريف عبد الناصر للراسمالية الوطنية عندما قال : معنى راسمالية الوطنية غير المستغلة هي صغار الراسماليين الراجل اللى ما بيستغلش عمل الآخرين لنفسه « هو ده التعبير الصحيح .. يعنى اللى ما بيستغلش عمل الآخرين لنفسه ، بييجى واحد عنده مصنع ، وفيه عشرة آلاف عامل او الف عامل أو ٥٠٠ عامل . أنا باقول ان دى راسمالية مستغلة ، بعد كده احنا سايبين اللى عنده ١٠ عمال ، وعنده ٣٠ عامل اللى هو بياخد قدر عمله ، والعامل بياخد قدره عمله (١) .

اى ان الموقف يرتبط بمدى الاستغلال الذى تقوم به هذه الراسمالية الوطنية بما يخرجها عن الاطار الذى رسمه لها . ويضعها فى اطار الراسمالية المستغلة .. والاستغلال هنا يعنى كل عمليات الانحراف ، والاستغلال الطفيلى ، والسوق السوداء ، وغيرها ، وهذه امور يرفضها الفكر الناصرى الذى كان يحرص دائما على أن يغرس فى الأذهان ان المعنى الاساسى للاشتراكية انها أولا وبالدرجة الاولى عدم الاستغلال .

● **الثانى** : ان النسب المسموح للراسمالية الوطنية ان تتحرك فيها كان من المفروض أن يعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فى اتجاه دعم

---

(١) اجتماع الهيئة البرلمانية .

القطاع العام لولا ظروف العدوان الذى كان يهدف أولا الى تعطيل هذه المسيرة الاشتراكية .

ففى جلسات الوحدة يبدى عبد الناصر رايه اكثر من مرة فى الاشتراكية متعرضا لمسالة الملكية بالذات فيقول :

« احنا مثلا بنفهم الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .. وبعدين بنعتبر ان السيطرة ممكن تبتدى من ٤٠٪ ثم ٥٠٪ ثم ٦٠٪ أو ٧٠٪ أو ٨٠٪ الى آخر الكلام .. ما بنقولش الاشتراكية هى تاميم وسائل الانتاج فى الحال »

« يعنى الاشتراكية تعريفها واضح .. الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .. ده أبسط تعبير على الاشتراكية .. وده ممكن بناخده على مراحل .. عملنا كده .. اذن يبقى لازم يبقى فيه خطة .

● الثالث : ان عبد الناصر كان يتجه الى اقامة قطاع عام فى الزراعة .

● الرابع : ان عبد الناصر يكاد يكون المسئول الوحيد فى مصر الذى مارس حق النقد الذاتى ، فى مجالات متعددة من بينها المجال الذى ترك للراسمالية الوطنية أن تتحرك فيه ، فهو أول من تنبه الى خطرها ، وطالب بتصحيح الموقف حتى لا تقوم طبقة جديدة .

● الخامس : ان عبد الناصر نفسه لم يكن مالكا لأى شىء ، فقد كان يكره أن يكون مالكا ، حتى البيت الذى يسكنه .. كان مستاجرا طوال حياته فقد عاش دون ان يملك بيتا ومات دون أن يملك قبرا فهو على حد تعبيره فى خطابه بدمنهور « عندنا رئيس جمهورية ماحيلتوش حاجة ومالوش عليه ومالوش عزوة» ومامفيش عيلة حتحكمنا ؟ وعندنا ابن رئيس الجمهورية زى ابن اى واحد »

● السادس : ان عبد الناصر كان يؤكد ان استمرار الثورة »

وبقظتها كفيل بالقضاء على كل تسلل راسمالى فهو يقول فى حديث له مع كرانجيا :

« ما دامت الثورة مستمرة فى ايجابية واصرار ، فليس هنالك سبب للخوف من اى شىء ، لكن علينا بالطبع أن نحترس من اى انحراف فى العقيدة او التطبيق ، ولأضرب مثلا .. لقد لاحظنا اخيرا بروزا راسماليا فى قطاعات معينة ، وقد سبب لنا ذلك بعض القلق .

ـ ويقول كرانجيا : كنت اظن ان القطاع الراسمالى قد تمت تصفيته فى الجمهورية العربية .

ويجيب عبد الناصر :

ـ لا بد ان تظهر جيوب وهذه الجيوب الراسمالية ليست فى الواقع ضخمة لكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى ، وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور اخرى كثيرة ، ولهذا لا بد أن نبقى دائما على يقظة .

● السابع : ان هذا الموقف وخاصة فى النسب المحددة للقطاع الخاص والمجالات التى يعمل فيها لا ينفصل عن طبيعة المرحلة والظروف الذى صدرت فيها قوانين يوليو الاشتراكية ثم الميثاق الناصرى للعمل الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر القومى فى مايو ١٩٦٢ :

« انا فى شرحى الميثاق قلت اننا بنحط مبادىء اساسية لاشتراكيتنا ، ولكن حاولنا بقدر المستطاع ان احنا نحدد شكل مجتمعنا فى ال ٨ سنين الجاية كل واحد بيعرف من هنا من سنة ٦٢ لغاية ٧٠ وضعه ايه فى هذا المجتمع ونحقق الاشتراكية » .

« ومقلناش انها اشتراكية خيالية ، بل بالعكس قلنا انها اشتراكية بينطبق عليها كذا وكذا ، بعدين قلنا فى الميادين المختلفة

فى الثمان سنين الجـــاية ، حنعمل كده ، وده بيرسم شـــكل الاشتراكية » .

« مش بنجمد لاشتراكية .. يعنى يمكن اننا نترك الاشتراكية لعملية غير محددة بالمبادىء ، كانت بتبان انها اشتراكية خيـــالية وكل يفسرها ـ كل واحد ـ بقدر ما يستطيع احنا حطينا المبادىء حتى نحددها ، ثم ردينا فى الايضاح ، وقلنا فى الثمان سنين الجاية حنعمل فى القطاع ده كذا ، وحنعمل فى القطاع ده كذا وحا نعمل فى القطاع ده كذا ، حتى على ما أذكر قلت واذا جاز لنا أن نحدد . »

ولعبد الناصر آراء فى طبيعة مرحلة الانتقال تحتاج الى دراسة اخرى واسعة .. ومن المفروض أن يتعرض لها بالتفصيل الذين يتعمقون فى دراسة فكر عبد الناصر .

فهو يصف مرحلة التحول فى افتتاح مجلس الأمة وفى اجتماع الهيئة البرلمانية سنة ٦٥ وفى عيد الثورة من نفس العام فيقول :

● « احنا مابقناس دولة اشتراكية ولا يمكن ان احنا نقول ان احنا النهاردة دولة اشتراكية ، احنا فى مرحلة انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. مش معناها ابدا ان احنا نامم شوية مصـــانع وبس .. لا الاشتراكية ان تقيم مجتمع الكفاية والعدل » .

« القيم اللى كانت موجودة لا زالت موجودة ما تغيرتش ، القيم لم تستقر بعد ، وده طبيعى ، الصلات القـــديمة اللى موجودة ما زالت رواسب العـــلاقات الاجتماعيـــة القـــديمة الاقطاعيـــة والراسمالية موجودة ، بدى أقول ان احنا النهاردة بنمر بمرحلة انتقالية من الراسمالية المستغلة الى الاشتراكية . »

« هل جهاز الدولة اتغير .. جهاز الدولة فى معظم الاحوال فضل زى ما كان ما حصلش الا تغيير قليل » .

● « فيه تناقضات بتقابلنا واحنا بنتحول من مجتمع راسمالى الى مجتمع اشتراكى هذه المصاعب تحتاج منا الى اننا نقابلها بوعى اشتراكى ، وتحتاج من جميع قوى تحالف الشعب العامل أن تتكاتف ، هل يستطيع الشعب العامل ان يتصدى لما فى هذه المرحلة من قوى الاستعمار والرجعية الا اذا تسلح بالوعى .. وعى اشتراكى . »

● « فى مرحلة التحول فان تغيير العلاقات الاجتماعية تقابله مشاكل كثيرة ، فى هذه المرحلة المتناقضات اللى تقابلنا كثيرة .. ليه .. لان رواسب أو بقايا العلاقات الاجتماعية التى تكونت فى زمن النظام الرجعى الاقطاعى الراسمالى ما زالت باقية ما انتهتش .. ولا يمكن أن احنا نتحول من الراسمالية الى الاشتراكية تحول اوماتيكى فى سنة أو سنتين أو عشرة » .

« فالتحول الاشتراكى فى حد ذاته يتوقف على الاساس الاقتصادى للمجتمع اللى احنا ورثناه بالثورة هو اساس قوى بيكون له تأثير ، واذا كان الاساس متخلف بيكون له تأثير ، طبعا احنا أخذنا أساس اقتصادى متخلف فواجبنا من أجل بناء الاشتراكية أن نضع القاعدة الاقتصادية السليمة ، وعلشان نضع القاعدة الاقتصادية السليمة لن نستطيع أن نحقق التحول الاشتراكى ولا يمكن لنا أن نبنى العلاقات الاجتماعية الجديدة اللى بنادى بيها واللى ننظر لها كهدف من اهداف الاشتراكية ، الا بأن نقيم قاعدة صناعية ، لكن هل معنى قيام هذه القاعدة الصناعية انها حلينا كل التناقضات لا .. ستظهر دائما تناقضات فى المجتمع تغذيها الرجعية وتغذيها باستمرار القوى التى كانت تسيطر على المجتمع القديم »

● وفى افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٦١ يصف مرحلة التحول فيقول : انبا لن نستطيع أن ننتقل آليا من المجتمع الراسمالى أو من الراسمالية والاقطاع الى الاشتراكية ، ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج فى خدمة الشعب العامل كله ، وفى خدمة الفرد .. ولا يمكن ان يتم الانتقال من الراسمالية المستغلة ، والاقطاع الى الاشتراكية الا من طريق العمل السياسى للشعب العامل . ونضال الطبقة العاملة ، والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية تغييرا كاملا » .

وطبيعة مرحلة الانتقال الى الاشتراكية على اى حال تحتاج ـ كما قلنا ـ الى دراسة اخرى تفصيلية تكشف كثيرا من جوانب الفكر الناصرى ليس فى مجال الملكية وحدها ، فطبيعة مرحلة التحول ترتبط اساسا بكل مجالات الفكر والتطبيق الاشتراكى عموما فقد كان عبد الناصر يؤمن بفكرة مراحل النضال .. وتاريخه ، يثبت هذه الحقيقة ..

اشتراكية علمية تؤمن بالدين

لعل من اهم ما يتميز به فكر عبد الناصر الاشتراكي ، انه فى الوقت الذى يصر على أن يطبق الاشتراكية العلمية ، وينادى بها كان يؤكد الايمان بالاديان السماوية ..

وكان يرى انه ليس هناك اى تناقض بين تطبيق اشتراكية علمية ، وبين الحفاظ على الدين وتدعيمه والايمان بالله .. ورسله .. فالاديان عنده قوة تقدمية هائلة ، تحارب الاستغلال ، وتقف فى وجه الجشع .. وتقاوم الاستبداد والطغيان ..

وفى حياة عبد الناصر اتخذت اجراءات عديدة لتعميق المفاهيم الدينية ، والقيم الروحية .

فعبد الناصر هو الذى أصدر قانون تطوير الازهر ونقل به الازهر من جامعة عتيقة تعيش فى القرون الوسطى الى جامعة تخرج الطبيب والمهندس والعالم فى الرياضيات والطبيعة الذى يتميز بانه درس الدين دراسة وافية ، فهو ليس طبيبا ، ولا مهندسا ، ولا محاميا فحسب ولكنه فى نفس الوقت عالم فى الدين .. يخلصه من الاحتراف ، **ويجعله عقيدة تغرس فى نفوس المسلمين ، ويجوب بها علماء من الازهر مختلف الآفاق ، يحملون الى جانب عقيدتهم مهنا تخدم الانسانية وتصنع الحياة وتنطلق بها الى آفاق التقدم ..**

وفى عهده تضاعفت ميزانية الازهر سبع مرات ونصف وانشئت معاهد ازهرية فى عواصم المراكز .. معاهد متطورة تدرس العلوم الدينية الى جانب اللغات والعلوم الحديثة .

وعبد الناصر هو الذى كان يشير دائما الى ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية فى المدارس ، حتى أصبح الدين مادة اساسية فى معاهد التعليم فى مراحله المختلفة لاول مرة .

وعبد الناصر هو الذى انشأ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ليؤدى رسالة كبيرة فى خدمة الاسلام على المستوى الداخلى والعالمى

وعبد الناصر هو الذى انشأ مدينة البعوث الاسلامية تضم طلابا قادمين من سبعين دولة يتعلمون ، ويقيمون بالمجان .

وفى عهد عبد الناصر ، وبعد اعلان الاشـــتراكية العلمية ، زاد عدد المساجد الحكومية والاهلية من ١١ ألف الى حوالى ٢١ الف .. اى أنه بنى فى عهده مساجد تساوى عدد المساجد التى بنيت فى تاريخ مصر كلها ..

ففى قضية الدين لم يكتف عبد الناصر بان يتخـذ الموقف النظرى الذى يرى فى الدين قوة دافعة للشعوب . بل لقـد ظهر اهتمامه واضحا بقضية الدين فى التطبيق أيضا ، وهذا الاهتمام يشير الى الايمان الصريح والواضح بان الدين قوة دافعة للتقدم .

وتعتبر نظرة عبد الناصر للدين مخالفة تماما للفكر الماركسى ، المادى ، الذى يرى فى الدين وسيلة تعوق التفكير العلمى ، وتحدد من انطلاقه « وانه افيون للشـعوب » اخترعته ، وحافظت عليه القـوى المستغلة ليمكن لها من الاستغلال ويدفع الشعوب الى الاستكانة والخنوع ، والذل ، ويوقعها فى غيبيـات تصرفها عن واقعها ، ولا تعطيها الفرصة للنظرة العلمية والموضوعية للأمور ..

عبد الناصر راى عكس ذلك تماما .. فالمشكلة لم تكن أبدا فى الدين .. ولكن المشكلة كانت دائما فى قوى الرجعية التى تحاول دائما أن تستغل كل شىء لصالحها ، وتحتكر كل الخيرات لمنفعتها

وتهدر كل قيمة من اجل الوصول الى غايتها .. وقد فعلت ذلك بالدين ، عندما حاولت أن تلوى مبادئه لتخدم أهدافها ..

« فالله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة امام البشر اساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » ولكن ذلك ما لا تعترف به الرجعية بل وتحاول أن تفسره لصالحها ..

وعبد الناصر يرى « ان رسالات السماء كلها فى جوهرها **كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته** ، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ».

« **وان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة** ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه ، لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية »

« ولقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية : ولكن الرجعية التى ارادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم »

« **ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة** ، وفى الحرية بل ان اساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان .. ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم » (١) .

ويذهب عبد الناصر فى رؤيته للدين الى مدى ابعد من ذلك .. فالدين فى رايه (٢) « **هو دين العدالة** ، **ودين المساواة بكل**

---

(١) الميثاق

(٢) عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢ .

معانيه . والدين الاسلامى ضد الظلم الاجتماعى ، وضد الاستعمار بكل معانيه ، ان الدين الاسلامى كان اول ثورة وضعت المبادىء الاشتراكية التى هى خاصة بالعدالة والمساواة .. »

وبعد ذلك يرفض عبد الناصر كل المفاهيم الخاطئة للدين ، ويمضى على الطريق يصححها ، فالدين فى رأيه « ليس فقط الصدقة، النبى عليه الصلاة والسلام كان يعتبر الأموال ملك للمسلمين جميعا . .المال ليس ملكا لملك .. هناك من يقولون هذا .. هذا تزييف للدين .. الدين ضد هذا ، الأموال ملك للشعب كله » .

كانت رؤية عبد الناصر للدين واضحة منذ البداية .. فعندما يسترجع جذور نضالنا المصرى (١) نجد ان مرحلة هامة ، ومؤثرة قد مرت على شعبنا بدأت منذ الفتح الاسلامى الذى صنع للشعب المصرى ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى .. وعلى هدى مبادىء محمد ــ عليه السلام ــ قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية .. وانه تصدى لغزو استعمارى بربرى جاء مستترا وراء صليب المسيح ، وهو أبعد ما يكون عن دعوة هذا المعلم العظيم ..

وكان الازهر الشريف دائما حصنا للمقاومة ضد الضعف والتفتت الذى فرضته الخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين .. كان قيادة للكفاح ضد الحملة الفرنسية .. التى حاولت هى الاخرى أن تنفذ الى شعبنا من خلال تدينه ..

ووقف الازهر فى وجه محمد على وظلمه .. وضد التدخل الاجنبى فى مصر .. وضد الاستعمار الانجليزى بعد ذلك ..

كان الازهر يحمل مشعلا يضىء الطريق حرية ، واستقلالا ، ومقاومة للغزاة .. تلك الطاقة الهائلة الكامنة فى شعبنا والتى يفجرها الوعى الصحيح ، والايمان السليم ، بمبادىء الدين ، هى

---

(١) الميثاق .

الطاقة التى تسلحت بها جماهيرنا ازاء اشد المحن والازمات .. ولم تكن تملك سوى ايمانها الثائر الرافض .. ومقاومتها الباسلة التى يحض عليها الدين .. وخاض شعبنا معارك عديدة .. حتى انتصر .. وكان الفهم الواعى للدين هو القــوة الدافعــة .. التى تشعل الجذوة فى عروق الجماهير « فالارتباط بين الدين والوطنية وثيق ومتين ، فكل دعوة منهما دعوة دين ، وكل انتفاضة منهما انتفاضة وطنية وهى فى الحقيقة نداء الحرية ، احدهما من نور الله والثانى من انعكاس هذا النور على ضمائر البشر » (١)

هذا الفهم الواعى للدين هو ما كرس عبد الناصر جهده لاظهاره ووضعه امام الجماهير ، واثبــات ان الدين لا يتعارض مع تيــار التقدم ، ولا مع بناء الاشتراكية العلمية ..

« فالاشتراكية هى الكفاية والعدل ، هى العدالة الاجتماعية .. التخلص من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، الاشتراكية بهذا المعنى هى شريعة العدل .. شريعة الله .. شريعة العدل .. شريعة العدل تأبى أن يكون الغنى ارثا .. والفقر ارثا »

« تأبى أن تكون طبقة .. تتمتع بكل خيرات هذا البلد ، وأن يكون مجموع أبناء هذا البلد جميعا محرومين من كل شىء .. وفى خدمة هذه القلة القليلة ، ٥ آلاف شخص طبقت عليهم القوانين الاشتراكية ، كانوا يملكون ٥٠٠ مليون جنيه ، وكل الشعب ٢٨ مليون .. قد لا يملك عشر هذا القدر .. شريعة العدل .. شريعة الله .. ترفض هذا وتأباه » (٢)

* * *

فلسفة عبــد الناصر لها رؤية جــديدة للدين ؛ فالاسلام اول دين نادى بالاشــتراكية ، والرجعيــة

---

(١) فى حفل تكريم مكاريوس ٣ يوليو ١٩٦١م

(٢) ٢٥ يوليو ١٩٦٢م.

مستعينة ببعض ادعياء المعرفة بالدين هم الذين يحاولون دائما ان يحرفوا الامور بحيث تخدم اغراضهم .

« فالاسلام فى اول ايامه كان اول دولة اشتراكية ، الدولة التى قامها محمد عليه الصلاة والسلام كانت اول دولة اشتراكية النبى محمد اول من طبق سياسة التاميم فى هذه الايام »

« فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه : « ان الناس شركاء فى ثلاث الماء . والكلأ والنار . فيه ناس قالوا نصا الملح .. معنى هذا فى هذه الايام كانت المقومات الاساسية للمجتمع هى المراعى والماء ، انهم رعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلأ ، هذه الاشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع »

« النبى قال الناس يجب أن يكونوا شركاء فى هذا ، ما يجيش واحد يستولى على المراعى ويقول : هذه ملكى » .

« التاميم لا يختلف عن هذا فى اى شيء ؟ »

« حين نقارن انفسنا بهذا الوقت .. الاول كان المجتمع يعيش على المراعى ، يعيش على الماء .. ويعيش على الكلأ .. والنار كانت مهمة له .. اليوم المصانع هى تمثل الاراضى الزراعية وتمثل المقومات الاساسية فى المجتمع »

« الدولة الاسلامية حينما قامت كانت هى أول دولةاشتراكية والاسلام سار بعد النبى فى طريق الاشتراكية ، وفى أيام النبى ، وفى هذه الايام انصفوا أهل الفقر من اهل الغنى .. فى أيام عمر امموا الارض ووزعوا الارض على الفلاحين »

« جميع الديانات تنص على العدالة الاجتماعية ... الزكاة التى تمثل ربع العشر فى المال الموجود فى آخر كل سنة

اذن الدين اشتراكى لم تكن الزكاة الا اساس من اسس الاشتراكية .. ولهذا فعلا فى هذه الأيام لم يكن هناك فقراء .. ولم يكن فيه عجز ، كان فيه تكافل اجتماعى كامل

« الدين عمل من أول الاسلام ، النبى كان يعمل ، وكل واحد كان يعمل .. لم يكن بدا تجارة .. والدين فى كل الاديان .. فى المسيحية .. وفى اليهودية .. نص على الزكاة التى هى تطبيق الاساس الاشتراكى السليم الصحيح (١) »

ويمضى المناضل جمال عبد الناصر فى توضيح ابعاد موقف الدين الاسلامى من التقدم والاشتراكية « فالاسلام لم يكن دينا فقط . ولكنه كان دينا ينظم العدالة على الارض وينظم المساواة ، ويتيح تكافؤ الفرص .. وهذا كله عبرنا عنه لكم فى كلمة واحدة هى الاشتراكية » « الاشتراكية التى سنها محمد عليه الصلاة والسلام . الاشتراكية التى سنها عمر بن الخطاب ، الذى كان يخطب بين الناس كان يخاطبهم ، وكان يقول لهم : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جراه : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

« هذه كانت الحرية .. وهذه كانت الاشتراكية .. وهذا هو الاسلام الحقيقى (٢) .

* * *

وبهذا الفكر الصريح الذى يعكس الايمان بان الدين هو قوة دافعة للشعوب ، واستلهاما من مبادئه السليمة ومن واقع المجتمع المصرى المؤمن ، الذى خاض المعارك العنيفة رافعا شعار الدين ، عندما قاده علماء دين ثوريون كان عبد الناصر يؤمن بالدين .

---

(١) ٢٢ يوليو ١٩٦١

(٢) فى كبار علماء الدين باليمن ـ صنعاء ٢٥ ابريل ١٩٦٤

وبهذه المفاهيم ظل عبد الناصر يؤكد فكرة فى التلازم بين الدين والتقدم ، والتطبيق الاشتراكى .. ولكنه فى نفس الوقت كان يصر على أن نسمى اشتراكيتنا اشتراكية علمية .

« قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية تعنى انها من الكفر وانها ماركسية ، وسمعت انا هذا الكلام ، واظن منكم ناس كثيرين سمعوا هذا الكلام .. ايه يعنى الاشتراكية العلمية .. **واحنا اشتراكية عربية ما احناش اشتراكية علمية** .. هذا الكلام ان دل على شىء فيدل على مغالطة ، يعنى لما بنفتح الجرايد الصبح نقول بتوع الكورة بيخسروا وعلشان يكسبوا لازم يتدربوا بطريقة علمية .. كل واحد علشان ينجح لازم يمشى بطريقة علمية .. اذا كنا عاوزين اشتراكية سليمة **ناجحة لازم تكون علمية** ، والعكس للطريقة العلمية هى الطريقة الفوضى .

« **فاحنا اشتراكيتنا هى اشتراكية علمية** ، قائمة على العلم اشتراكيتنا علمية وليست قائمة على الفوضى .. مقلناش ان احنا اشتراكيتنا اشتراكية مادية .. ومقلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية ، ومقلناش ان احنا خرجنا على الدين .. بل قلنا ان الدين بتاعنا هو دين اشتراكى وان الاسلام فى القرون الوسطى حقق أول تجربة اشتراكية فى العالم (١) »

ويعود المعلم يؤكد ان اشتراكيتنا علمية .. **وليست عربية** فالاسس الاشتراكية فى العالم واحـــدة .. والتطبيق هو الذى يختلف .. ولذلك يصر الميثاق الناصرى على ان يسمى ما يجرى فى بلادنا باسمه العلمى الصحيح وهو **التطبيق العربى للاشتراكية** ، حتى لا ينحرف بها البعض ، ورغم هذا النص الواضح الصريح فقد كان موضع مناقشة مع الزعيم الراحل (٢) وقد يكون من المفيد

---

(١) أمام مجلس الامة ١٢ نوفمبر ١٩٦٤
(٢) لقاء الرئيس مع اعضـــاء المكاتب التنفيذية للقاهـــرة والجيزة يومى ٧ ــ ٨ مارس ١٩٦٨

ان ننقل النص الكامل لهذا الحوار الممتع الذى يقول فيه الزعيم المعلم :

« أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية ، وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة ، وفى التليفزيون وفى الراديو ، واوضحت الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك ، ومن مدة عشرة أيام نشر لى حديث فى الجرائد مع الصحفيين العراقيين .. وسبق ان تكلمت فى بور سعيد ، ولاينقصنى الا الصعود لمئذنة القلعة وان اقسم على ذلك ، ورغم هذا ستجد من يتشكك ولا يصدق ، اذن يوجد اناس لا يريدون التصديق أبدا ، وليست هناك فائدة من اقناعهم لان قصدهم هو التشـــكيك فى الوضع الموجود ، ولان مصلحتهم الشخصية تتنافر مع الاشتراكية »

« هل حجرنا على الدين ؟ .. لا .. هل منعنا الصلاة ..؟ لا .. بل بالعكس .. جعلنا تدريس الدين اجباريا فى المدارس .. وجعلنـــاه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب او النجاح فى الامتحان ، وكذلك نبنى الكثير من المساجد ، زاد اهتمامنا بالجامعة الازهرية الى آخر هذه المواضيع »

« وتوجد أيضا بعض الموضوعات التى لها حساسيات بالنسبة للدين ، ففى الاجتماع السابق أشار أحد اعضاء المكاتب التنفيذية الى صدور كتاب يتعرض للدين ، وكان الكتاب هنا مصـــادفة .. فقرأنا النص المشكوك فيه ولم نجد به اى تعريض بالدين ، فمؤلفه وهو استاذ فى جامعة اسيوط يقول انه لا داعى لان تقول اشتراكية اسلامية ، لاننا لا نريد وضع الاسلام فى موضع تجربة قد تفشل وقد تنجح ، وانما الاسلام دين حق ، وفيه كذا .. وكذا .

« هذه هى الكلمة التى فسرها على ان فيها تعريضا بالدين وأنا رأيى ان كلام هذا الاستاذ سليم جدا ، فهو يرى الا نقول اشتراكية اسلامية ، لان معنى هذا انه اذا فشلت الاشتراكية او

تعدلت التجربة او التطبيق ، وتجربتنا ليست جامدة وليست منقولة ، فمعنى هذا أن يفشل الاسلام ، فلماذا نعرض الاسلام لمثل ذلك ؟ »

« انا مثلا عندما تكلمت عن الاشتراكية والاسلام ضربت امثلة حتى يعلم الناس انه فى وقت ظهور الاسلام طبقت الاشتراكية والعدالة الاجتماعية فى موضوعات كثيرة »

« عندما دخل الاسلام العراق طبقت الاشتراكية بالنسبة للارض وكذلك فى الأندلس ، ولم تكن هناك فى ذلك الوقت مصانع ، وما اشبه ذلك »

« وبكل اسف استغلت الرجعية الاسلام طوال السنين الماضية واتخذت من الدين ذريعة لسيطرتها »

« فالملك .. الذى ينادى بالاسلام ، ويدعى الغير على الاسلام هل هو مسلم ؟ هل تمكن مقارنته بالنبى عليه الصلاة والسلام أو بأحد الخلفاء ، او بأى قائد اسلامى عادل أو حاكم مسلم اسلاما صحيحا »

« هل كان لدى النبى سيارات ، وكذا مليون جنيه .. هل يمكن مقارنته ... بعمر .. ؟ غير ممكن لان عمر كان يعزل الوالى اذا اثرى ، ويعتبر ثراءه خروجا عن الاسلام ، وكان ينادى بأن الاموال كلها اموال المسلمين ، اذن الاسلام واضح فعلا والمبادىء التى اعطاها لنا واضحة ، ولكن بعد عهد الامويين سارت الامور بخلاف ذلك ، وحاول الاثرياء استخدام الدين لصالحهم »

« فى البلاد الشيوعية ، لم يقضوا على الدين ، ولكنهم اهملوا الدراسة الدينية فى المدارس ، ومعنى هذا القضاء على هذه الناحية فى الاجيال الجديدة تدريجيا ، والامر عندنا بالعكس فنحن ندرس الدين للاولاد فى المدارس ، لو كنت منعت دراسة الدين كان لهم أن يسالونى عن ذلك »

« ولكن جوهر الموضوع الآن هو أن هناك بعض الناس يريدون ان يتخذوا من الدين ذريعة ضد الاشتراكية ، تماما مثل الملك .. فهو يقول ان الاشتراكية الحاد .. لا عن ايمان واخلاص ، ولكنه يريد استخدام الدين لخدمة أهداف الرجعية التي يتبناها ، هذا هو موضوع الدين ، نحن نعتبر الدين وسيلة لحماية الناس من الانحراف ، فمثلا الموظفين وغيرهم ممن نشتكى منهم لو كان عندهم دين . وايمان لما ضايقوا الناس ولا عطلوا مصالحهم » .

« وبالنسبة للتناقض في التفسيرات الاشتراكية فانا شخصيا ضد الفلسفة والسفسطة المعروفة في هذه النقطة ، ونحن نميل الي تبسيط الامور الي آخر مدى . وعندنا الميثاق الذي وضح كل الامور ببساطة ، فحدود اشتراكيتنا موضحة في الميثاق ، وليس هناك ما يدعونا الى تعقيد الامور ، وجلب امثلة من هنا ، ومن هناك »

« فالميثاق مبسط ، وقد تعمدنا فعلا ان تضعه بطريقة مبسطة، ولم نسترشد بآراء اخرى ، توجد فروق كثيرة بيننا وبين الشيوعية ، وقد نلتقى معها في بعض الامور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعى نجد فيه سبعة عشر أو عشرين مبدأ لا يسعك او اى مصلح الا الموافقة عليها »

« وليس معنى هذا انك شيوعى ، فهل نستغل الناس لنثبت للعالم اننا لسنا شيوعيين ، واننا اصحاب دين ؟ »

« ليس أسهل من هذه العملية انا كهيئة حاكمة في هذا البلد ولو سلكنا هذا السبيل كنا قد استرحنا من أغلب المشاكل التي قابلتنا في السنوات الاربعة عشر الماضية ، لو استندنا الى حكم الطبقة ، وهو الحكم الذى يعتمد على تحالف الاقطاع مع الرجعية لما اعترضتنا اليوم مشاكل الاسعار ، لانه كان سيصبح عندنا عمالا عاطلين ، وعندنا كبيرا من الشحاذين كل همهم التسول ، وليس

عندهم وقت للتفلسف ، نتيجة الاعمال الجديدة اننا اوجدنا عددا كبيرا من المتفلسفين ، لقد زاد عدد العمال من ٤ر٥ مليون عامل الى ٧ر٥ مليون عامل يضاف اليهم مليون عامل فى الاصلاح الزراعى ، فيكون مجموع العمال ٨ر٥ مليون عامل . واصبحت اليد العاملة فى الريف قليلة ، ووصل اجر العامل الى خمسين قرشا وجميع خريجى الجامعـــات يلحقون بالعمل ، وذلك نتيجة للمجتمع الاشتراكى الذى نبنيه فالمجتمع الاشتراكى بناء اكثر منه تاميم ، لان التاميم ياتى فقط فى المرحلة الاولى من مراحل الاشتراكية ثم يتلو ذلك بناء الكثير من المصانع والمشروعات ، واغلب هـــذه المشروعات لم تعطنا ايرادا فالسد العالى واستصلاح الاراضى ثم المصانع الجديدة انفقنا عليها كثيرا من الاموال ولم تاخذ منهـا ايرادا بعد ، ولذلك نجد ان العرض اقل من الطلب »

« لو كنا اخذنا النظام الراسمالى والاقطاعى كنا تركنا الاموال لبعض الافراد وحكمنا البلد مع هذا العدد المحدود من العـائلات ولكان المجتمع فى ظاهره مريحا ، ولطيفا ، وليس متعبا مثل المجتمع الذى نعمل له ، وندافع عنه . »

« قد اقول خطبة فى الراديو لا يسمعها الا عدد ضئيل او نسبة محدودة ممن ادافع عنهم ، اذ لا اتصور ان عند عمال التراحيل راديو يسمعون به كلمتى ، ولكن اتصور ان ١٠٠ ٪ من الذين اتكلم ضدهم يسمعوننى ، فكيف لذن اجمع هؤلاء الناس . . ؟ العمل الوحيد هو التنظيم السياسى »

وكيف احل مشاكل عمال التراحيل ؟ العمل الوحيـــد هو التنظيم السياسى ، حتى لا يتكرر ما حدث فى الدقهلية ، من ان احد موظفى المحافظة اغتال النقود لنفسه ، نعـدم وجود تنظيم سياسى مهد لوجود الانحراف »

● **ويعود احد الاعضاء ليسال الزعيم المعلم قائلا ان هناك قوى رجعية تحاول اثارة البلبلة عن طريق خلق هذه القضية الفكرية ، هل اشتراكيتنا علمية ام هى اشتراكية عربية ، وما مصدرها ؟**

ويرد الزعيم فى حسم :

« لقد نص الميثاق على **انها اشتراكية علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص عليها فى الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الاشتراكية العلمية بالكفر** ، ولكن اذا كنت تريد السؤال عما اذا كانت ماركسية ، فانا أقول بصريح العبارة انها ليست ماركسية .. وليست ماركسية لينينية ،وسبق أن قلت هذا الكلام بوضوح فى حديثى مع الصحفيين العراقيين (١) ، ومن السهل جدا معرفة الخلاف وسبق إن شرحناه عدة مرات ، فليس هناك داع للدخول فى فلسفة عما اذا كانت اشتراكية علمية او شتوية او صيفية وسبق أن تكلمت فى عيد العلم ، وكان ذلك ردا لما ورد فى الميثاق بالنسبة للعلم (٢) »

« يجب أن تكون اجابتنا قاطعة ، **فالميثاق لم يقل انها اشتراكية عربية** ، ولم يقل انها ماركسية ، ولا لينينية ، وفى هذه الايام توجد اشتراكية صينية ، واشتراكية روسية فى بولندا شيوعية وكذلك فى يوغوسلافيا ، ولكنهم جميعا يسيرون طبقا للماركسية اللينينية وتطبيقها مبنى على أساس دكتاتورية البروليتاريا او حكم الطبقة لم تصفية المجتمع ، ونحن لم نسر بهذا الشكل »

● **ولكن احد الاعضاء فى نفس الجلسة يعود مرة اخرى ليستفسر من الرئيس عن مضمون الاشتراكية ويبدو انه لم يقتنع**

---

(١) فى ٢٠ فبراير ١٩٦٦

(٢) قال فى عيد العلم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤ « الاشتراكية لا يمكن ان تكون الا اشتراكية علمية »

فيقول فى نهاية سؤاله ، **انا اصر على تسمية اشتراكيتنا بالاشتراكية العربية »**

ويرد المعلم مرة اخرى قائلا :

« عندما تقول أصر .. فانك تعبر عن عقدة نفسية كان اسهل لنا نقول اشتراكية عربية فى مبدأ الامر ، ولكن فى كلامى لم اقل ذلك ، لان الاشتراكية فى الدنيا ،كلها من ناحية المفهوم الاجتماعى هى الكفاية والعدل ، غير اننا نختلف فى التطبيق وفى تصورى اننا متقدمون فى التطبيق الاشتراكى عن بولندا ، وقد اجتمعت مع « أوخاب » وتكلمت معه عن الملكية الزراعية ، وليس معنى هذا اننا شيوعيون او انه سيدخل معى ضمن الاشتراكية العربية ، لكنه يسير فى خط اشتراكى بتطبيق معين ، وانا اسير فى خط اشتراكى بتطبيق آخر ، **وعندما تقول اشتراكية عربية ، يكون شانك شان من يقول بالحلف الاسلامى** ليس لدينا ما نخفيه بكلمة الاشتراكية العربية ، نحن واضحون كل الوضوح ، وامامنا الميثاق وليس هناك داع للدخول فى صراع وحوار دون مبرر » .

« ثم ان اشتراكيتنا متطورة ، ومعنى ذلك بكل بساطة انها **ستوصلنا فى يوم من الايام الى منع استغلال الانسان للانسان منعا كاملا** ، هل نحن وقد واتتنا الفرصة نستطيع ان نقصر فى حق الذين لم تواتهم الفرصة »

« نحن ننظر الى هؤلاء ، ونعمل على القضاء على استغلال الانسان للانسان ، وهذا يتمشى مع العدل والدين لان الله لم يخلقنا لكى يستغل أحدنا الآخر »

« هذه هى الاشتراكية والسبيل الوحيد الذى يوصلنا اليها هو زيادة انتاجنا ودخلنا القومى وتنظيم انفسنا .. **انا ذكرت لك ان املى قبل وفاتى ان ارى البلد بها ازمة خدم** ، وليس معنى هذا انتهاء استغلال الانسان للانسان ، وانما معناه أن مرحلة من مراحل الاستغلال قد انتهت »

« أنا شاعر بأزمة عمال التراحيل وما يشوبها من استغلال ، ولكنى الان غير قادر على حلها ولكن العملية المتطورة توصلنا الى الحل فما الذى يخيفنى من التطور ؟ »

ويمضى القائد يقاتل دفاعا عن أن ما فى فكره هو تطبيق عربى للاشتراكية .. فيعود السائل بحجة جديدة يقول فيها :

● ليس هنساك خوف ، ولكن يهمني فى مجال التوعية ان الجماهير تشعر بان لاشتراكيتنا طابعا معينا ، ولن يرقى الشك اليها فى أننا سنحرف الى الشيوعية ، ولو نظرنا الى جمال عبد الناصر كمفكر اشتراكى ، نجد انه قد أضاف مفاهيم جديدة ، مثل الايمان بالدين وعدم تقبل مبدا صراع الطبقات ؟

ويرد الرئيس عبد الناصر :

ـ لا ، الصراع الطبقى موجود فى الميثاق

السائل هو استاذ جامعى يقول :

● ولكننا لا ننص على اننا طبقة « البلوريتاريا »

الرئيس

ـ لا .. هذا .. موضوع آخر ..

ويقول الاستاذ الجامعى :

● يجب ان يعلم الجميع ان هناك قيادة تضع مذهبا جديدا وليست ملتزمة بتطبيق المذهب القديم ، ومع أن جميع الاشتراكيات لها عناصر عامة مشتركة الا ان لكل اشتراكية طابعا خاصا ، ولذلك عندما اقول الاشتراكية العربية ، فلانى مقتنع بان اشتراكيتنا مميزة ، ذات مذهب جديد ، أو هى تطوير كامل للمذهب بفكر جديد ، واسلوب جديد ..

ويفتح القائد المعلم صدره ، الى ابعد مدى ، ويعود ليقنع الاستاذ الجامعى بان اشتراكيتنا .. **ليست عربية** .. وانما اسمها الصحيح انها « **تطبيق عربى للاشتراكية** » فيقول :

ـ مثلا اذا تغير اسم الجمهورية العربية الى اسم مصر ، **وانا** من الذين عز عليهم جـــدا اسم « مصر » كدولة ، **فماذا** نسمى الاشتراكية حينئذ ..؟

اشتراكية مصرية ؟

ويبدو ان الذى يسال .. مازال لديه ما يقوله .. فهو يعود ليطرح رايا آخـــر .. استبسالا فى الدفاع عن وجهة نظره .. فيقول :

● **المسالة ، اننا نريد ان نشعر القاعدة الواسعة بان عنـدنا صياغة جديدة للفكرة الاشتراكية ..**

ويلتقط المعلم الخيط ليقول على الفور :

« ـ **تقصــد فى التطبيق الاشتراكى** .. يمكن ان اقبل كلامك ببساطة ، ولكنى أريد أن اقنعك بصراحة ، **ان اشتراكيتنا متطورة بهدف الوصول الى الكمال** » .

ويعود الرئيس ليؤكد هذه الحقيقة مرة ثانية للمبعوثين فى مؤتمرهم بالاسكندرية .

فيقول : الاشتراكية عموما هى القضاء على استغلال الانسان للانسان ، ولكن التطبيق الاشتراكى فى كل بلد يختلف عن البلد الآخر ، وفيه ناس تحب تسميها الاشتراكية العربية على أساس ان دى اشـــتراكية لهـــا طابع خاص ، وانا رايى هى **تطبيق عربى**

للاشـتراكية ، مش هى اشـتراكية عربيـة ، واعتقـد ان فيه اشتراكية واحدة(١) .

* * *

والخلاصـة ان فلسـفة عبـد الناصر الاشـتراكية ترى ان التطبيق الاشتراكى لا يتعارض مع جوهر الايمان بالله ورسله ، وان الاديان كلها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسـان وسعادته .. وينتج التناقض عندما تحاول بعض القوى الرجعية استغلال الدين لصالحها فتحرفه ليخدم اهدافها ..

ويذهب برؤيته الى ابعد من ذلك فالدين قوة دافعة للشعوب ومصدرا من مصادر تقدمها .. والوصول بها الى حياة افضـل اذ انه يرفض الاستغلال ، ويهدف الى اقامة مجتمع الفرصة المتكافئة التى تقوم على اساس من العمل ، ويرى عبد الناصر فى الدين ايضا قوة ترفض الذل والاستعمار وتقاوم العبودية والطغيان ، وقد خاض شعبنا حروبا من اجل تاكيد هذه المعانى كلها ..

وهذه هى الصيغة النابعة من واقع مجتمعنا العربى ، مهـد الرسالات السماوية ، ومن دراسة واقعية ليست لجوهر الدين فقط ، بل لطبيعة المجتمع ، ولظروفه وتفكيره ايضا .

وفلسفة عبد الناصر لا تقف عند هذا الحد ، فالاختلاف لا يجيز لنا ان نطلق على اشتراكيتنا لفظا آخر غير الاشتراكية العلمية .. وهو يصر على تسمية تجربته فى الاشتراكية ، وفكره الاشتراكى باسـمه الصحيح « التطبيق العـربى للاشـتراكية .. وليس الاشتراكية العربية » .

---

(١) مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية ١٠ اغسطس ١٩٦٥ .

الوحدة

الوحدة العربية صياغة ، وفكرا .. وعملا من اهم مقومات الناصرية ..

ان القـومية العربية كانت موجودة قبـل عبـد الناصر ، ولكن عبد الناصر ، هو الذى بلورها ، واعطى لها المضمون الثورى .. بل انه هو الذى حمل مسئولية اقامة اول وحدة دستورية بين البلدان العربية بناء على الارادة الشعبية الخالصة .

والقومية العربية قديمة يمتد جذورها الى وجود العـــرب انفسهم منذ ما قبل الاسلام .. فالامة العربية موجودة .. تملك لغة واحدة ، وارضا واحدة ، وتاريخا واحــــدا ، واملا واحدا ، ومصلحة واحدة ، حضارة واحدة .. ومصيرا واحدا ..

ووجود الامة العربية ذاته هو الذى خلق هذه القومية ، ومن البديهى أن يكون الوعى بهـذه الحقيقة تاليــا على نشـوئها .. فارتباط المصـــالح والأرض ، واللغة قد ســاعد على تنمية الوعى بالقومية ، وابرازها ، فهى اذن محصلة لوعى الأمة العربية بضرورة وحدتها ..

● والأمة العربية **تملك لغة عربية واحدة** ، هى وسيلة التخاطب والتفاهم العقلى واحد أدوات الاتصــال الرئيسية ، وان اختلفت اللهجات نتيجة لعوامل اقليمية .. الا ان العرب كلهم يتكلمون لغة

واحدة ، تكتب بحروف واحدة .. لها ابجدية واحدة هى لغة تراثهم ، ولغة القرآن الكريم .. وهذه اللغة الواحدة كانت هى الوسيلة الإساسية والوحيدة فى كثير من الأحيان لتوصيل الثقافة العربية وتأصيلها ، وانتشار العلم والفكر .. رغم كل عوامل التفتت ورغم اختلاف الديانات التى عاشت ومازالت تعيش فى الوطن العربى ..

● وتملك الامة العربية ارضا واحدة تمتد من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى فى مساحة جغرافية واسعة من قارتين من قارات العالم لا يفصلها عن بعضها أى حاجز ..

على هذه الارض المنبسطة الواسعة المجزأة الاقطار ، والمقسمة الحدود السياسية ، والمجزأة الى أقاليم ودول .. جمهوريات ، وملكيات ، ومحميات ..

على هذه الارض الواحدة الممتدة بما تحتويه طبيعتها من صحراء أو جبال أو سهول أو وديان وانهار .. عليها يعيش شعب يتكلم لغة واحدة منذ قبل نزول القرآن الكريم هى اللغة العربية ..

● وهذا الشعب يملك ايضا التاريخ المشترك .. تاريخ أمة كاملة خضعت على مدى قرون طويلة للحكم العثمانى ، ثم للاستبداد الاستعمارى المرتبط به أو الذى انفرد بها وحده .. وفرض عليها تخلفا حضاريا ، ومزقها ، وجزأها .. وصنع لها الحدود .. واستبد بها . ونهب خيراتها ، واستنزف جهد أبنائها .. لقد واجهت الغزو الصليبى .. وواجهت بعده المد الاستعمارى فى صورته العسكرية ، ثم فى صورته الجديدة ، صورة ربطها معه بأحلاف .. وكان وما زال يخطط لها على ان ترتبط به .. أو لتمزق .. فكما نظر اليها الاستعمار فى الماضى على انها كل لا يتجزأ ، فانه ينظر اليها اليوم نفس النظرة ، ولكنه هنا يريدها كلها مربوطة به ، دائرة فى عجلته ، ثرواته تقوم على عرقها ، وجهود أبنائها ، وكنوزها الطبيعية أو منتجاتها الزراعية ..

● وهذا التاريخ في الواقع هو الذي يرتبط به تماما المصير المشترك والمصلحة المشتركة . والمستقبل المشترك .. فان ما يحدث في اى جزء من العالم يرتبط بالجزء المجاور له فورا . . واذا كانت وسائل الاتصال قد الغت المسافات ، والزمن والحدود بين العالم ، وجعلته يعيش في بوتقة واحدة ، لا تنفصل قضية فيه في اية دولة عن العالم باسره ، ولا تعيش أسرة وحدها داخل نطاق حدودها ، فانه من المحتم ان يكون الامر اكثر تأثيرا بالنسبة لامة واحدة ، بعضها نفض عنه رداء الاستعمار الثقيل واوثانه والبعض الاخر مازال يقاتل في سبيل حريته ، هذه الامة النامية كلها بما تمثله للعالم الاستعماري تواجه مصيرا واحدا ، والقضاء على التيار التحرري في مكان منها يؤثر بلا شك على جميع المنطقة .. وعلى جماهير الامة العربية كلها التي تملك مقومات عديدة للبقاء ويحدد وجودها الترابط الاقتصادي الذي ييسر لها سبيل التكامل . . وان تكون امة واحدة قوية تضم اكثر من مائة وعشرين مليون مواطن يملكون ثروات هائلة لم يستطيعوا بعد ان يستغلوها ، اما لأن الاستعمار اراد لهم ان يتخلفوا في مجال العلوم وغيره من المجالات او لانه يؤثر ان يستغلها هو لمصلحته ولذاته .

* * *

أمام الجمعية العامة للامم المتحدة يحدد عبد الناصر مقومات القومية العربية فقد « كانت للامة العربية دائما وحدة اللغة ووحدة اللغة هي وحدة الفكر .. وكانت للامة العربية دائما وحدة التاريخ ووحدة التاريخ هي وحدة الضمير ، ولسنا نرى اساسا قوميا أمتن من هذا الاساس ولا اثبت » .

وفي الميثاق الناصري يبلور هذه المقومات عندما يقول : ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى ان تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .. لقد جاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته .. يكفي أن الامة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة

الفكر والعقل .. ويكفى ان الامة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ، ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الامل التى تصنع المستقبل والضمير .. ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من اساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون الى الامور نظرة سطحية .. ان مجرد هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .. ان هوة الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى ، واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى ، هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الامة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة » .

* * *

واذا كانت القومية العربية موجودة ، فان الاحساس بخطرها لدى الدول الاستعمارية كان موجودا ايضا ..

وكانت مصر تحمل دورها التاريخى فى مواجهة اعداء الامة العربية منذ زمن بعيد ..

ويوم ارتفع فى مصر شعار مصر للمصريين ايام الثورة العرابية ، لم يكن يعنى أن تنفصل مصر عن واقعها العربى، كان الشعار مرفوعا فى مواجهة القوى الدخيلة على مصر وعلى العرب . القوى التركية التى تحكمها القوى الاستعمارية التى تساندها ..

لم يكن من المنطقى — حتى مع فرض وجود عمق الوعى — أن يرتفع شعار أن مصر للعرب فى مواجهة المد الاستعمارى الدخيل الذى كان يستهدف شرف وكرامة وحقوق المواطن العربى فى مصر .. مصر للمصريين فى هذا التصور كان يعنى أن مصر لابد أن تكون للعرب المصريين وحدهم — للمصريين الذين يتكلمون اللغة العربية

والذين لم تستطع كل عهود القهر والاستعمار أن تغيرهم .. مصر للمصريين الذين واجهوا مع اشقائهم العرب فى كل مكان الغزو الاستعمارى العثمانى ، والتركى والصليبى .. مصر للعرب المصريين الذين يتطلعون الى مستقبل بلا استعمار وبلا أى تدخل أجنبى فى وقت كانت الامة العربية فيها ممزقة .

صحيح أن بعض الكتاب ، بل والسياسيين رفعوا هذا الشعار فى فترات متقدمة او متاخرة من التاريخ عن قصد ، ووعى وهدف يرتبط بمصالح القوى المعادية لحركة الشعب وتقدمه ، ولكن ذلك لم يكن فكر الرجل العربى فى مصر .. الذى لا يمكن ، ولا يستطيع الا أن يقول انه عربى .. يتكلم العربية ، ويرتبط تاريخه بتاريخ امته ، كما يرتبط بها مصيره ومصلحته ايضا .

فحركة القومية العربية لم تكن ابدا الا حركة الجماهير الواسعة العريضة .. انها حركة الجماهير العربية الواسعة التى فجرت الثورة ضد الاحتلال الاوربى فى مصر عام ١٩١٩ وفى العراق عام ١٩٢٠ ، وفى فلسطين عامى ٢٠ و ٢٣ ، وفى العراق عام ١٩٢١ ، ولكنها كلها اخفقت لأسباب متعددة منها اغفال القيادات وعلى الاخص قيادة الثورة فى مصر لحقيقة وحدة المصير العربى .

ولقد تنبهت الدول الاستعمارية الى هذه الحقيقة .. فيقف ايدن فى مايو ١٩٤١ ليعلن أن كثيرين من المفكرين العرب يرغبون فى تحقيق درجة من الوحدة بين الشعوب العربية « أكثر مما هو قائم الآن » وفى محاولتهم للوصول الى هذا الغرض تطمع الشعوب العربية فى « مساندتنا » وينبغى الا نقف دون الاستجابة الى مثل هذا النداء ، ويبدو لى ان تدعيم وتقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بل والسياسية بين البلدان العربية انما هو تصرف طبيعى وسليم وحكومة صاحبة الجلالة من جانبها تعطى تأييدها الكامل لأى مشروع فى هذا المجال يحدث عليه اتفاق » ..

لقد حاولت انجلترا التى كانت حتى ذلك الوقت تمثل القوة المسيطرة الكبرى على المنطقة العربية ، ان تحتوى هـذه الحركة ، حتى لا تخرج عنها وحتى تضمنها وهى لتحرك من داخلها لذلك حاولت منذ البداية أن تلتف حول الدعوة الجـديدة ، وتحتضنها حتى تسيرها بعد ذلك وفقـا لما تمليه عليه مصالحها .. بحيث لا يكون هذا النداء الجديد موجها لها بالدرجة الاولى ..

ثم تحاول أن تدفع بأعوانها فى المنطقة ليتبنوا الدعوة المرتفعة قبل أن تنمو وتكبر فى صور مشروعات انجليزية بديلة تحتويها مثل الهلال الخصيب « مشروع نورى السعيد » أو سوريا الكبرى « مشروع الملك عبد الله » وقد كتب لها الفشل لعدة عوامل ، منها ، يقظة الشعوب العربية ووعيها والمصالح الاقليمية الواضحة التى تطل من هذه المشروعات ، وابتعادها عن اى مضمون اجتماعى يحقق آمال الجماهير ..

ويعود ايدن بعد ذلك فى سنة ١٩٤٣ يطرح فكرة اتحاد البلاد العربية لنفس الأهداف ولكنه بالدبلوماسية الانجليزية يقـول : « ان المبادرة فى ذلك يجب أن يأتى من العرب انفسهم » ..

وعندما تنتهى الحرب العالمية الثانية ، ويبدأ المد الاستعمارى يرغم على الانحسار عن البلاد العربية يبرز تيار القومية العربية من جديد وينمو .. ويتضح اعوانه ، ومؤيدوه ، ويقف فى مواجهة خصومه .

واذا كانت الجماهير هى صاحبة التيار الجديد الذى يمثـل مصالحها والذى عبرت عنه العناصر الثورية ، فكرا ، ومطالبة ، ونداء .. فإن الجانب الآخر الذى يقف فى مواجهة الفكرة يتبلور فى عدة اتجاهات ما زالت حتى الآن هى التى تعترض تيـار القومية العربية الذى لا بد أن ينجم عنه فى النهاية ضرورة وحتمية قيـام الوحدة بين البلاد العربية وهى :

× **القوى الاستعمارية** تقف فى مقدمة صفوف الذين اعترضوا وماز الوا يعترضون تيار القومية والوحدة العربية ، فالاستعمار صاحب المصلحة فى تفتيت الوطن العربى ، لاستنزاف كل دولة على حدة .

والاستعمار الذى يعادى القومية العربية والوحدة العربية ليس فقط الاستعمار العسكرى ولكنه أيضا الاستعمار الاقتصادى بما له من رءوس اموال يستثمرها فى مناطق متعددة من الوطن العربى .. وهو أيضا أحلاف عسكرية .. وقواعد عسكرية ..

انه يمثل المصالح التى يمكن أن تضار اقتصاديا وسياسيا ، اذا تجمعت هذه الدول العربية فانها ستكون قوة يمكن أن تواجهه لذلك فهو يصر على مواصلة سياسته ليس فى التفريق والتمزيق المادى فقط ، بل وأيضا فى التمزيق الفكرى والمعنوى والثقافى أيضا ..

× **الصهيونية العالمية** : وهى فى هذا الأمر ليست مجرد اداة للاستعمار والاستعمار الجديد فحسب ، بل أنها صاحبة مصلحة اساسية فى الوجود بالوطن العربى والامتداد والتوسع ، مصلحة اقتصادية وسياسية .. وايضا عنصرية .. وهى تجد فى القومية العربية القوة الوحيدة والحقيقة الكفيلة بالقضاء على آمالها فى التوسع أو حتى فى الوجود ..

لذلك فانها تخوض الحرب الضارية متعاونة مع الاستعمار والى جواره للقضاء على نمو التيار القومى ، وما يستتبعه بعد ذلك من ضرورة المواجهة الحقيقية والمشتركة لآمالها واحلامها ومخططاتها بالنسبة للمنطقة العربية كلها ..

× **القوى الرجعية** .. والقوى الرجعية فى الوطن العربى داخل القصور او خارجها تقف دائما ضد بروز تيار القومية العربية ، وترى ان فى نمو هذا التيار شبحا يهددها ، ويؤرقها ، فالقومية العربية تستهدف القضاء على هذه القوى وعلى ما تمارسه من

استنزاف وضغوط على الجماهير ، وما تحققه من ثروات على حساب جوع الشعوب وفقرها .. وترى القوى الرجعية أن تجزئة الوطن العربى يعطيها فرصة قوية فى تأكيد وحماية نفسها ، وضمانا لاستمرارها فى تعطيل تيار التقدم وخوفا من مواجهة لتيار ارادة الشعوب النامى ، فانها بالضرورة لا بد أن تتعاون مع الاستعمار ، تلتمس فيه الحماية ، كما يلتمس فيها معاونته فى البقاء .. لذلك فان رغبة الاستعمار ومخططاته فى قتل تيار القومية العربية يلتقى بالطبيعة مع رغبة الرجعية العربية وايضا مع مصالحها ويكون هذا الالتقاء حلف المصالح المشتركة الذى يقاتل ضد القومية العربية ، القائمة على وعى الجماهير وارادتها ، لأن هدف القومية فى النهاية هو الوحدة العربية التى لا يمكن ان تتحقق دون مضمون اجتماعى ثورى .

* * *

كانت فكرة القومية العربية موجودة اذن من قبل عبد الناصر ولكن الدارس لهذا لفكر لا بد ان يقف ليسال نفسه سؤالين :

- **كيف نشا الفكر القومي عند عبد الناصر ..**
- **ثم هل استطاعت الناصرية أن تتخذ خطوات لياخذ هذا الفكر بعده فى التنفيذ .**

واقعتان تاريخيتان يمكن الاستشهاد بهما عند الحديث عن نشأة القومية العربية عند عبد الناصر وبداية احساسه بها

الاولى من كلماته هو . .والثانية من كلمات سياسى عربى هو السيد احمد الشقيرى ..

● عبد الناصر يتحدث بنفسه عن القومية العربية ، ويحدد العالم العربى كدائرة اولى لا بد ان ينطلق منها العمل ويروى فى

كتاب فلسفة الثورة ، كيف نشأ الفكر القومى العربى عنده فيقول ..

« ما من شك فى أن الدائرة العربية هى اهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا .

فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك .

وامتزجت هذه الدائرة معنا ايضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى ، فى حدود عواصمها ، من مكة ، الى الكوفة .. ثم الى القاهرة .

ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية .

وانا اذكر فيما يتعلق بنفسى أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وانا طالب فى المدرسة الثانوية اخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنا قوميا فى فلسطين اغتصبته من أصحابه الشرعيين .

وحين كنت أسائل نفسى فى ذلك الوقت : لماذا أخرج فى حماسة، ولماذا اغضب لهذه الأرض التى لم أرها ، لم أكد أجد فى نفسى سوى أصداء العاطفة .

ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع لما اصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة ، وادرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الاخير فريسة سهلة تتخطفها انياب مجموعة من الوحوش الجائعة !

ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الاعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدات ادرس وانا طالب فى كلية اركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

ولما بدات ازمة فلسطين كنت مقتنعا فى اعماقى بأن القتال فى فلسطين ليس قتالا فى ارض غريبة ، وهو ليس انسياقا وراء عاطفة، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس ..

ولست أريد أن ادخل فى تفاصيل حرب فلسطين - الآن - فذلك بحث تتشعب فيه الاحاديث ؛ وانما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب .

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة واذن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها لحدود سلامتها .

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة ، واذن فهى جميعا ، كل منها فى بلاده ، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست راسها بالذل والعار .

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية وفى حجورها .

وكنت يومها اركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه احيانا وتهاجم فى اكثر الاحيان .

وكنت اخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو ثم اسبح بعيدا مع الخيال .

واحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها .

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى .

هذا هو المكان الذى نقبع فيه ، هذه مواقع كتيبتنا ، وهذه مواقع الكتائب الاخرى المشتركة معنا على الخط .

وهذه قوات العدو تحيط بنا ..

وهذه قوات اخرى لنا ..

هى ايضا محاصرة لا تستطيع الحركة الواسعة وان بقى لها مجال للمناورة المحدودة .

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى نتلقى منها الاوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا اكثر من الذى يصنعه بنا نحن القابعين فى منطقة الفالوجة .

ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى المصلحة المشتركة وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى ارض فلسطين .

هذه جيوش اخواننا .. جيشا جيشا .. كلها هى ايضا محاصرة .. بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت تحيط بحكوماتها .. لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها أيدى اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا ما يجرى ، وضللتها حتى وجودها نفسه .

واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض،فاجس اننى أدافع عن بيتى وعن اولادى ، ولا تعنينى احلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ !

وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى فوق الاطلال المحطمة ببعض اطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعد أن خربت بيوتهم

وضاع كل ما يملكون ، واذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى ، وكنت اراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش مندفعة امام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش او خرقة قماش ..

وكنت دائما اقول لنفسى :

ــ قد يحدث هذا لابنتى !

وكنت مؤمنا ان الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث ــ وما زال احتمال حدوثه قائما ــ لأى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الان .

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا .

وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى .

كنت اتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب بعضها مع بعض .

كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا ، وفى بيروت ، وفى عمان ، وفى بغداد ، وغيرها .

وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى .

منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، ونفس العوامل .. بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا !

وكان واضحا أن الاستعمار هو أبرز هذه القوى .

حتى اسرائيل نفسها ، لم تكن الا أثرا من آثار الاستعمار ..

فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطانى لما استطاعت الصهيونية ان تجد العون على تحقيق فكرة الوطن

القومى فى فلسطين ، ولظلت هذه الفكرة خيالا مجنونا ليس له اى امل فى واقع » .

« واعود الى الذى كنت اقوله من ان الاستعمار هو القوة الكبرى التى تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غير مرئى ، اقوى واقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخناقنا فى « الفالوجة » وبجيوشنا جميعا وبحكوماتنا فى العواصم التى كنا نتلقى منها الأوامر .

وابد بدات بعد ان استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى ، اؤمن بكفاح واحد مشترك ، واقول لنفسى :

ـ ما دامت المنطقة واحدة ، واحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحدا .. والعدو واحدا مهما حاول ان يضع على وجهه من اقنعة مختلفة ـ فلماذا تتشتت جهودنا ؟

ثم زادتنى تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته .

فقد بدات خبايا الصورة تتكشف ، والظلام الذى كان يحيط بتفاصيلها ينقشع .

واعترف انى كذلك بدات ارى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدات اؤمن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى ان تزول ، لانها من صنع ذلك العدو الواحد نفسه .

ولقد بدات اخيرا فى اتصالات سياسية من اجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته ، وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة ، هى ان العقبة الاولى فى طريقنا هى « الشك » ، وكان واضحا ان بذور هذا الشك قد بذرها فى نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه لكى يحول بيننا وبين الكفاح الواحد !

واذكر انى جلست فى الايام الاخيرة الحدث مع اخ من ساسة العرب ، وكان معنا زميل له ، وبدات التكلم ، وبدأ هو يرد على الذى اقوله ..

وكان يقول العبارة ثم يلتفت الى زميله ليرى أثر الذى يقوله فى وجهه ، بدل ان يحاول استكشاف اثره فى أنا .

وبدات أقول له : تغلب على كل ما فى نفسك من شكوك ، وقل لى كل ما فى قلبك ، وانظر الى وفى عينى ولا تدر وجهك !

ولست اريد بذلك ان اهون من أمر العقبات التى تحول بيننا وبين توحيد الكفاح ، فلا شك ان بعضها معقد تمتد أصوله الى طبيعة البيئة وظروف شعوبها التاريخية والجغرافية ، ولكن المؤكد أنه يمكن مع شيء من المرونة القائمة على بعد النظر ، لا على التفريط ، إيجاد الخط الذى يستطيع الجميع أن يقفوا فيه ، بلا تحرج ، وبلا عنت ، لمواجهة الكفاح الواحد .

ولست اشك دقيقة ان كفاحنا الواحد يمكن ان يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها ونتمناه .

ولسوف أظل دائما اقول اننا أقوياء ولكن الكارثة الكبرى اننا لا ندرك مدى قوتنا !

اننا نخطىء فى تعريف القوة ، فليست القوة أن تصرخ بصوت عال ، انما القوة أن تتصرف ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها .

وحين احاول ان أحلل عناصر قوتنا لا اجد مفرا من أن اضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب ان تكون أول ما يدخل فى الحساب .

● **اول هذه المصادر اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة ،** المترابطة بكل رباط مادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة انبعثت فى

جوها الاديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط اغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام ، هذا هو المصدر الاول

● **أما المصدر الثاني فهو ارضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم** ، ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارته ، وممر جيوشه .

● **يبقى المصدر الثالث وهو البترول الذى يعتبر عصب الحضارة المادية** ، والذى بدونه تستحيل كل ادواتها ـ المصانع الهائلة الكبيرة لكافة انواع الانتاج ، وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المتسترة تحت أطباق الموج ـ تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدأ لا تنبعث منها حركة .. او حياة .

واذن فنحن اقوياء ، اقوياء ليس فى علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، انما اقوياء حين نهدأ ، أو حين نحسب بالارقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقى لقوة الرابطة بيننا ، هذه الرابطة التى تجعل من ارضنا منطقة واحدة لا يمكن عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيرة لا تربطها بغيرها رابطة ..

* * *

ويوجه الكاتب الانجليزى ديزموند ستيوارت ، سؤالا مباشرا لجمال عبد الناصر فى أول ابريل ١٩٥٥ ((عن الوقت الذى بدأتم تشعرون فيه بالعروبة)) ويجيب عبد الناصر :

ليس هناك وقتا معينا ، وقد بدأت طلائع الوعى العربى تتسلل الى تفكيرى وانا طالب فى المدرسة الثانوية ، عندما كانت مشاعرى واحساساتى تتفاعل مع كل ما يدور فى الوطن العربى من احداث ، وكان اهم الاحداث التى ملكت على تفكيرى فى ذلك الوقت هى

ثورة العرب فى فلسطين ثم الفظائع الوحشية التى كان يرتكبها الفرنسيون فى سوريا ..

ثم يتحدث الزعيم عن الفوائد التى ستحققها القومية العربية ويقول : تهدف القومية العربية الى استقلال العرب ، وضمان حريتهم وسلامتهم اننا لا ننشد التدخل فى شئون الدول الاخرى وكل ما نريده هو تحقيق السعادة والرفاهية لجميع ابناء الوطن العربى ، **ولقد تبلورت فى ذهنى فكرة القومية العربية كمذهب** سياسى عندما كنا ندرس فى كلية اركان الحرب المشكلات الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط . وكنت قد قرأت **تاريخ العرب منذ اقدم العصور** ، وعرفت انه عندما كان العرب وحدة**متماسكة** استطاعوا رد المعتدين على اعقابهم كما حدث أيام الحروب الصيلبية وبعد أن فرق المستعمرون بين العرب اصبحوا عرضة للهزيمة وفريسة للسيطرة الاجنبية وكانت هذه الحقيقة ماثلة امام عينى طوال فترة المناقشة التى كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر ولاول وهلة اتضح لنا ان مصر مثلها فى ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، لا يمكن ان تضمن سلامتها الا مجتمعة مع كل شقيقاتها فى العروبة فى وحدة متماسكة قوية ..

* * *

نشأة الفكر القومي عند عبد الناصر اذن بدأت مع بداية تفتحه على الحياة وهو مازال طالبا بالمدرسة الثانوية .

ولكن الاحداث المتتابعة فى الوطن العربى ، واشتراكه فى حرب فلسطين بالذات ، وما أصاب الأمة العربية من هزيمة عسكرية قد وضع امامه أبعاد الصورة .. التى عبر عنها فيما بعد بان هنالك من يقول كيف نهزم فىحرب فلسطين مع اننا كنا ٧ دولعربية و٧ جيوش عربية ضد دولة واحدة .. واجاب على السؤال .. لقد هزمنا لاننا كنا ٧ دول عربية ولم تكن دولة واحدة ، ولاننا كنا ٧ جيوش ولم تكن جيشا واحدا .. والحقيقة ان النكبة التى حلت بالوطن العربى

سنة ١٩٤٨ بالهزيمة العسكرية فى المعركة ضد قيام اسرائيل ، قد زادت من عمق الوعى القومى . تسد لجماهير العربية التى واجهت كلها شبح الاستعمار الصهيونى الذى يهدد مصيرها ، ووجودها .

كما انه من خلال معركة الحرب العربية العريضة فى سبيل تحرير ارض فلسطين بدات الجماهير العربية من المحيط الى الخليج تفيق ، ويزداد ايمانها بالمصير المشترك ..

ولقد سبق حرب فلسطين وفى سنة ١٩٤٥ انشاء جامعة الدول العربية التى تضم كل التناقضات بين الدول العربية ، وتجمعها فى كيان واحد .. وقد دخلت الجامعة العربية حرب فلسطين .. وهزمت الجامعة العربية فى حرب فلسطين ايضا .

وهذه الدراسة لا تهدف الى توضيح العوامل والظروف التى ادت الى قيام جامعة الدول العربية ، ولكن اردت فى هذا المجال ان اقول شيئا واحدا هو : ان وجود هذه الجامعة فى حد ذاته لم يكن امل الجماهير العربية . ولا مطلبها .. بل لعله ايضا لم يكن مطلب الحكومات العربية .. وانما كان تنفيذا لمخطط رسم خارج البلاد العربية ذاتها .

والجامعة العربية — على العموم — فى فكر عبد الناصر بحكم كونها جامعة للحكومات لا تقدر ان تصل الى ابعد من الممكن .. ان الممكن هو خطوة فى طريق المطلوب الشامل ، ان تحقيق الجزء هو مساهمة فى تقريب يوم الكل ، على ان لا يكون هناك تحت اى ظرف من الظروف وهم تحميلها اكثر من طاقتها العملية التى تحدها ظروف قيامها وطبيعته .. ان الجامعة العربية قادرة على تنسيق الوان ضرورية من النشاط القومى العربى فى المرحلة الحاضرة ولكنها فى نفس الوقت تحت اى ستار وفى مواجهة اى

ادعاء ويجب أن تتخذ وسيلة لتجميد الحاضر كله ، وضرب المستقبل به »

* * *

عندما روى السيد احمد الشقيرى فى مذكراته عديدا من اللقاءات بين الملوك والرؤساء العرب تحدث عن أول لقاء له مع جمال عبد الناصر (١)

فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ وذلك بعد ان تحدث الرئيس فى عيد الثورة عن الوحدة العربية ذهب اليه احمد الشقيرى أحد كبار موظفى الجامعة العربية ضمن وفود من العرب « لنعرب له باسم الشعوب العربية عن تقديرنا العظيم لهذا الكلام الواضح الصريح الذى خلع فى دقيقة واحدة القناع عن الثورة المصرية ، وأبان وجهها العربى الاصيل »

« واستقبلنا الرجل بالروب والبيجاما وقد ذهبنا اليه على غير موعد ، وكان المنزل غاصا بالضباط الاحرار وممثلى الصحافة العربية والاجنبية وتحدث مندوبو العراق والاردن وسوريا والاقطار العربية الاخرى مشددين على وحدة عربية تكون مصر طليعتها ، واصبحنا وكاننا فى مؤتمر عربى عام ولم يبق علينا الا ان تعلن الوحدة ونبادر الى انشاء الدولة العربية المتحدة »

« وسألني الرجل بصوته الاجش ، ووجهه يطفح طيبة وحمية وما هو مصير الجامعة العربية بعد الوحدة ؟

قلت : تصبح الجامعة دارا للحكومة العربية الاتحادية

وقال : واذا لم توافق بعض الحكومات العربية على الوحدة .

قلت : اذن تبقى الجامعة ، ولكن تكون فيها الحكومة العربية الاتحادية والحكومات العربية الاخرى التى لا تريد الوحدة . وبدلا

---

(١) كتاب حوار واسرار مع الملوك والرؤساء

٣ - العرب فى المشرق بدأوا محاولة الاتفاق على الوحدة فى دمشق بعد الحرب العالمية الاولى ولكن الحلفاء حطموا تلك الخطوة التاريخية .

٤ - الثورة العربية التى قادها الشريف حسين « بعد الحرب العالميـة الأولى » لم يكن هدفها اقامة دويلات وانما اقامة الدولة العربية الواحدة .

٥ - المشرق العربى رفض التجزئة التى فرضـتها الاتفـاقيات الاستعمارية ، فى مؤتمران بدمشق فى ٨ مارس ١٩٢٠ ... والمؤتمر السورى الذى اعلن وحدة ديار الشام ، والمؤتمر العراقى الذى اعلن الرغبـة فى قيـام وحدة بين العراق وسوريا .

٦- اتسع نطاق المطالبة بتوحيد المشرق العربى فعقد فى اغسطس ١٩٢٩ فى جنيف مؤتمر ضم مندوبين عن الاتحاد السـورى والمؤتمر الفلسطينى ، ومجلس الادارة اللبنانى وممثلين عن الجمعيات العربية فى المهجر ، وكان فى مقـدمة ما اتخذوه من قرارات مطالبة عصبة الامم بالاعتراف بحق هـذه البلاد بأن تتحد معا فى حكومة واحدة وأن تتحد بدورها مع باقى البلا العربية المستقلة فى شكل ولايات متحدة .

٧ - ان المسـاومات التى تمت بين بريطانيا وفرنسـا هى التى فرضت الحـدود الدائمة فى المشرق العـربى ومن الأدلة الفاضحة على ذلك انفصال دمشق عن مرفئها التـاريخى بيروت وانفصال شرق الاردن عن دمشق وهو متصرفيه الكرك وانشطرت فلسطين بحدودها عن ديار الشام وهى سورية الجنوبية ، وانفرد العراق ، ولم يكن الا ولاية من الولايات العربية التى تحكمها الدولة العثمانية .

٨ - ليس بين البلاد العربية ما يمنع الوحدة بل ان كل الأسباب تدعو اليها فليس بينها من الفـوارق اللغوية او العرقيـة

من جامعة الدول السبع تكون جامعة الدول العربية الاربع وكلما قل هذا العدد زدنا قوة وصفة ومنعة .

قال : « وانت تبقى » امين مســاعد فى الجامعة العربيـة والا ايه ..؟

قلت : ارجو ان يكون لى مكان فى الحكومة الاتحادية

قال : وتختار ماذا من العمل فى الحكومة العربية المتحدة

قلت : اكون مسئولا عن جهاز الاعلام والارشاد القومى

قال : وتعمل ماذا

قلت : ادعو الدول العربية الاخرى الى الدخول فى الاتحاد

وضحك الرجل وضحكنا جميعا »

ثم يروى الشقيرى فى مذكراته كيف طلب منه الصاغ صلاح سالم فى هذه الأيام الأولى للثورة ملفا كاملا عن القضية العربية ، وفى هذه الجلسة قال له صلاح سالم « جمال عبد الناصر هو عقل الثورة المفكر ، وراسها المدبر ، وارى أن تكتب له مذكرة مفصلة عن الوحدة العربية وترسلها الى مدير مكتبه . »

ويقول احمد الشقيرى انه كتب مذكرة طويلة وسلمها باليد الى مكتب جمال عبد الناصر وانه ذكر فيها ٩ نقاط قد يكون من المهم عرضها لانها فى نفس الوقت تعكس تطور فكرة الوحدة العربية وهى :

١ ـ حركة الوحدة العربية المعاصرة لا تستهدف بناء حياةعربية جديدة ، ولكنها تتطلع الى اعادة بناء الحياة العربية الواحدة

٢ ـ الاستعمار الاوربى هو الذى خلق هذه الحدود المصطنعة القائمة بين البلاد العربية .وقد كان الوطن العربى على مدى ٤٠٠ سنة فى عهد الاحتلال العثمانى من غير حواجز ولا حدود

او الاجتماعية ما بين شعوب الاتحاد السوفيتى أو بين شعوب بريطانيا العظمى أو الولايات المتحدة وهذا الاتحاد السويسرى الذى يضم أجناسا متعددة تتكلم الفرنسية والايطالية والالمانية ولغة رابعة مجهولة الاصل .

٩ - الوحدات الالمانية والايطالية والامريكية والروسية تنبىء كلها عن حقيقة مهمة وهى أن الدور الوحدوى يجب أن ينهض به القطر الاكبر والبطل المؤهل وأن مصر هى القطر الاكبر اما البطل المؤهل فأرجو ان يكون واحدا منكم أنتم يا رجال الثورة .

ويروى احمد الشقيرى انه ارسل المذكرة الى مكتب جمال عبد الناصر ، وبعد اسبوع استدعى لمقابلة الرئيس ، وذهب فى الموعد فوجد المذكرة بين يديه ورأى اشارات القلم تحت كثير من سطورها ثم قال له الرئيس :

ـ يا اخ احمد المذكرة طويلة « أوى » وتحتاج لوقت طويل لدراستها ووقت اطول لمناقشتها وانت تعرف مشاغلنا كثيرة فى الوقت الحاضر ، مشاكلنا فى الداخل ، ومشاكلنا مع الانجليز .

قلت : الوحدة العربية عمل ضخم ، وانى لا اطالب بانجازها غدا **ولكنى اريدها ان تكون فى برنامجكم .**

وقال : هل قرات كتاب فلسفة الثورة ، **نحن لسنا فراعنة نحن عرب اولا واخيرا** . . هل تعتقد اننا نستطيع أن نبدأ الوحدة العربية عن طريق الجامعة العربية ..

قلت : لقد كان هذا ظن المشتغلين بالقضية العربية وانا الان فى الجامعة العربية اجتاز مرحلة التجربة ، غير انى أخشى أن تصبح الجامعة بديلا عن الوحدة .

قال : انظر الى هذا « الدولاب » فيه آلاف الرسائل والبرقيات من كل انحاء الوطن العربى ، كلها تطالب بالوحدة ومنذ قامت

الثورة ونحن نستقبل الوفود العربية فماذا تريد أن نعمل ، وماذا نستطيع أن نعمل فى ظروفنا الحاضرة ..

ويظل الشقيرى يروى تفاصيل الحوار بينه وبين الزعيم ، وينتهى الى ان يقول انه غادر سراى الجزيرة حيث مقر مجلس قيادة الثورة وهو يقول لنفسه « لقد خلقت مصر تلك المدرسة السياسية التى كانت تدعو قبل سنين الى انشاء اتحاد فيدرالى بين مصر والسودان وارتريا والحبشة واوغندا لانشاء دولة حوض النيل تريد الان ان تبنى **دولة المحيط والخليج** » .

هذه الواقعة تقول لنا ان عبد الناصر فكر فى الوطن العربى والقومية العربية منذ بداية الثورة .

واذا كان الفكر القومى قد تبلور عنده قبل قيام الثورة ، فان العمل لتحقيق هذا الفكر ، وبعثه ، وخروجه على الناس ، كان بعد الثورة .. وفى السنوات الأولى لها ..

* * *

مقدمة دستور سنة ١٩٥٦ تقول : نحن الشعب المصرى الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير يقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها .. ثم تقول مادته الأولى :

مصر دولة عربية ذات سيادة ، وهى جمهورية ديمقراطية .. **والشعب المصرى جزء من الامة العربية ..**

كانت هذه هى البداية التاريخية الرسمية نحو تأكيد اعلان موقف مصر من القومية العربية ، ورفعه كهدف .. وكانت مصر مازالت تخوض أعنف معاركها مع الاستعمار ، تلك المعركة التى ظهر

خلالها واضحا أن مصر لا تقف وحدها .. وتبلور احاسيس المصير الواحد والأرض الواحدة ، عند الجماهير فى الوطن العربى ، التى ساندت بكل طاقاتها مصر ، نفسيا ، وماديا ، ومعنويا ، وباجراءات حاسمة ومؤثرة فى مواجهة المصالح الاستعمارية .. ولقد كانت هذه المعركة تستهدف فى الأساس القضاء على القومية العربية .

ويحدد عبد الناصر أحد اسباب العدوان بانه استهدف خنق تيار القومية العربية ، وايدن نفسه يعرف بهذه الحقيقة فعبد الناصر يقول فى افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٥٧ :

« ان القومية العربية هى أمضى أسلحتنا فى الدفاع عن وطننا ، سواء فى ذلك حدودنا المصرية المحلية ، أو حدودنا العربية الشاملة ان القومية العربية نداء عاطفى ، ورابطة تاريخية ، ومصلحةمشتركة ثم هى بعد ذلك ضرورة استراتيجية تفرضها مقتضيات الدفاع العسكرى البحث .. وان الدرس الذى تعلمناه من تجربة العدوان على مصر اكد هذه الضرورة وقدم السند العلمى لها ، وان ما حدث فى سوريا العظيمة مثلا لم يكن مجرد مشاركة فى المشاعر وتجاوب فى الاحاسيس ، بل كان اعمالا عسكرية لها حسابها فى احتمالات ميدان القتال .. »

« كان نسف البترول عملا عسكريا .. وكانت احتشادات القوات السورية على حدودها مع اسرائيل عملا عسكريا وحتى التعبئة العاطفية فى شوارع دمشق وحلب وحمص وحماة كانت طاقات لها تأثيرها العسكرى فى ميدان القتال .. كذلك كانت غضبة الشعوب العربية كلها ، فى السودان ، وفى العراق ، فى السعودية ، وفى الاردن ، فى لبنان ، فى ليبيا ، فى اليمن ، فى الكويت ، فى البحرين ، فى قطر فى تونس ، فى الجزائر ... كان المعنى الهائل لهذه القضية ان جبهة القتال تعد الشعب على المعتدى » .

« لم يكن موقف الامة العربية اثناء عدوان سنة ٥٦ ، موقفا من اجل مصر وحدها بل دفاعا عن القومية العربية ، فالعدوان الذى

دبر فى الظلام ، واختار مصر لينقض عليها ، متعللا وراء تاميم القناة دافعا باسرائيل لتكون مخلبه ، واداته لتلعب الدور الذى أوجدها من اجله ، وانما كان يستهدف ايضا القضاء على العملاق الجديد على القومية العربية التى بدا صوتها يعلو ، ويرتفع ، وانظار العالم العربى تتجه نحو مصر لتقوم بدورها الطليعى والرائد فى تجميع الامة العربية ، وليس ادل على ذلك من أن ايدن نفسه وقف قبل العدوان الثلاثى على مصر يقول :

« نحن لن نمكن مصر اطلاقا من أن تنجح لان مصر اذا نجحت معناه نجاح القومية العربية ، وعبد الناصر اذا نجح معنى هذا أن القومية العربية تحقق اهدافها ولن نستطيع الوقوف أمامها بعد ذلك فى الوقت الذى نريد فيه حماية اسرائيل .. »

« اذن غرض ايدن هو اذلال القومية العربية ، والقضاء على القومية العربية وتفتيت القومية العربية » .

وبعد ذلك يشرح عبد الناصر كيف أن الشعوب العربية كلها تعاونت فى رد العدوان واسهمت بطاقاتها مع مصر فى معركتها ومعركة الأمة العربية وأن الاستعمار فوجىء بقوة القومية العربية اثناء العدوان فيقول فى ٩ نوفمبر ١٩٥٦ :

« الشعوب العربية فى كل مكان تعاونت معنا ضد الاستعمار وضد مصالح الاستعمار من العراق الى مراكش .. دخلنا المعركة وكانت القومية العربية كلاما .. وخرجنا وقد اصبحت عملا حقيقيا ، الشعوب العربية عرضت نفسها للخسارة ، ولكنها كانت ضربة قاضية للاعداء .. القومية العربية هى الهدف .. هى الغرض هدف الاستعمار .. انهم يريدون أن يقضوا على هذا التكتل .. ولقد قلت لكم من أشهر أن القومية العربية قد انبثقت .. ان القومية العربية لم تكن كلاما يقال وانما أصبحت عملا فعالا » .

« والاستعمار حينما جند جنوده ليواجه مصر كان يعتقد انه سيواجه شعبا منعزلا ولكنه فوجيء بالقومية العربية تتحفز وتنطلق وتهدد وتعمل لتقضي عليه ، وتقضي على مصالحه » .

● وقبلها مرات ومرات ، وعلى امتداد الايام قبل عام ١٩٥٦ ، عام معركة القومية العربية المسلحة الأولى كان عبد الناصر يؤكد الخط العربي للثورة ، ويؤكد القومية العربية ففي ٢٦ اغسطس ٥٣ قال عبد الناصر : ان ما ترويه قصة الاستعمار في مصر هو ترويه في كل مكان ، وفي كل زمان ، واليوم نرى التاريخ يسطر نفس السطور على ارض مراكش ، وما « الجلاوى » الذى باع نفسه للشيطان ، وابتغى العزة عند المستعمر الا واحدا من كثيرين . ففي كل بلد اكثر من جلاوى ، وفي كل بلد اكثر من منافق » .

« وهيئة التحرير ما قامت الا لتحرير مصر والسودان ، ودعم اتصالاتها مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها في شتى الميادين ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها المشتركة .. ايها الاحرار في كل دولة عربية ايها الأحرار في كل شعب عربي .. ايها الاحرار في كل مكان .. هبوا وجاهدوا في الله حق جهاده » .

● وفي ٤ يوليو ١٩٥٤ قال القائد في افتتاح اذاعة صوت العرب : اطلقت مصر صوت العرب من قلبكم القاهرة حربا على المستعمرين .. وشوكا يدمي ظهور الغادرين ، اطلقته مصر يعلن ذاتيتكم وقوتكم امة واحدة ، لا تفصلها الحدود ، ولا تمزقها الشهوات ، ولا يقف بينها وبين الحرية تآمر الاستعمار ..

● وفي عيد الثورة الثاني في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٤ قال القائد :

« ان هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة متحدة يتعاون ابناؤها في الخير المشترك ، وهي تؤمن بان الموقع الذى يحتله العرب بين قارات العالم ، وخدماتهم العظيمة للحضارة ومواردهم

الإقتصادية القيمة واتصالاتهم بالشرق الاسلامى وبالشرق كله يرشحهم لمكانة كبيرة تتيح لهم التأثير على شئون العالم .. وتؤمن الثورة أيضا بأن مشاكل العرب هى مشاكل المصريين واذا كانت مشكلة الاحتلال استنفدت الى الان الجزء الاكبر من جهد المصريين فانه لم تصرفهم ابدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من اجل تحرير العرب ولا شك ان المستقبل سيشهد صورا جديدة من تعاون المصريين والبلاد العربية فى هذه الرقعة الهامة من العالم . وقد اثبتت رحلات الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد ان ما بين مصر والشعوب العربية أقوى من ان يفسده او يضعفه سعى الساعين أو تضليل المفسدين وان الشعوب العربية جمعاء اسرة واحدة متصلة ومترابطة ومتحابة كقبضة اليد الواحدة ، وانها تهدف جميعا الى الحرية والى تحقيق العدالة الاجتماعية الى صور رفيعة من التقدم » .

« كما تؤمن الثورة بأن عبء الدفاع عن البلاد العربية يقع اول ما يقع على العرب ، وهم جديرون بالقيام به ، ولا جدال فى أن قدرتهم على اداء هذا الواجب تزداد كلما رفعت العقبات والحواجز التى بين العرب وبين ما يلزم لجيوشهم . من الأسلحة والعتاد .. وهى حواجز وعقبات غير طبيعية لابد ان تزول عاجلا وان حكومة الثورة لتغتبط أعظم الاغتباط لما تراه من توثيق العلاقات بين العرب وباقى اعضاء الكتلة الاسيوية والافريقية واطراد نجاح هذه الكتلة وظهور آثارها فى المجال الدولى ولا يستطيع اى منصف ان ينكر ان هذا عامل كبير من عوامل الاستقرار ، وعنصر خطير من عناصر السلام الدولى فهى بريئة من الاغراض الاستعمارية .. » .

● وفى ٢٩ مايو من نفس العام يلتقى عبد الناصر بوفود الطلاب العرب ، ويقول لهم : « اننى لم اتمكن من التفرقة بينكم ، اى بين الجزائرى والعراقى ، او بين الاردنى والسورى ، لم اتمكن من ان افرق بين الاسماء والأقطار فكلكم قد اجتمع تحت اسم واحد هو

العروبة وقد شعرت في الوقت نفسه شعورا قويا بالأخوة معكم وبانى أخ يقف بين اخوته أخ في الدين وفي القومية العربية والمشاعر والأهداف » .

« هذا الاستعمار الذى لم يتمكن من التفرقة بيننا برسم الحدود وتخطيطها فجاء يعمل بالشعب يحاولون اليوم الدخول في تجربة اخرى هي استعمال الدسيسة والخداع بين الشعوب العربية لقد فرقوا وقطعوا أوصال العرب بعد الحرب الاولى وجاءوا بعد الحرب الثانية فانشأوا اسرائيل ثم بنوا الاحقاد والضغائن بين الامم العربية »

● وفي ٢ فبراير ١٩٥٥ يقول لجموع من اللبنانيين : انى اشعر اليوم ان العرب ، وان الوحدة العربية لا تحتاج الى ميثاق يكتب ولا تحتاج الى كتاب يوقع ، ولكنها موجودة بينكم أنتم العرب اجمعين .. ويجب أن نسير الى الامام بقوة نحمل مشعل القوة من اجل العرب ومن اجل أهداف العروبة ،حتى نتخلص جميعا من الالام فان آلام مصر من آلام لبنان وآلام لبنان من آلام سوريا ووآلام سوريا من آلا مالعراق ، وآلام العراق من آلام الاردن .. ان هذه الآلام نشترك فيها جميعا » ..

« ان قوتنا في قوميتنا ويجب أن نحافظ على قوميتنا ان قوتنا مواردنا فيجب أن نحافظ على مواردنا يجب ان نحافظ عليها من أجل العرب ومن اجل العروبة » .

● ويقول لوفد الشباب السورى في ٢٦ فبراير ١٩٥٥ : « ان هناك دعايات مغرضة تقول انه لا توجد في مصر روح عربية ، ولكنها خاطئة وبعيدة عن الحقيقة ولعلكم لمستم ذلك بانفسكم والدليل على ذلك وانا شاب كانت تنعكس روحى دائما تجاه العرب وليس تجاه اوربا بالمرة » .

« ان فلسطين ضاعت قوميتها ويجب أن ندافع عن هذا الخطر الذى يهددنا جميعا » .

« لقد مررنا بظروف متشابهة ، واحسسنا دائما احاسيس متجانسة وكافحنا كفاحا خالدا كان له صدى ضخما » .

● في ١٤ مايو ١٩٥٦ يقول « ان المؤامرة على القومية العربية ما زالت مستمرة ، هذه المؤامرة التي بدأت مع وعد بلفور واستمرت حتى ضاعت فلسطين ، وما زالت تتآمر على باقي المنطقة العربية »

● وفي اول يونيو سنة ١٩٥٦ ألقى جمال عبد الناصر خطابا تاريخيا في المؤتمر التعاوني يعتبر من الوثائق الهامة في دراسة الفكر الناصري .. وقد قال فيه : « ان الوطنية العربية والقومية تسيران قدما الى الامام ولابد أن تتحقق أهدافهما ، وقلنا للانجليز انه لا فائدة من محاولة بسط نفوذ على مصر أو على المنطقة العربية وانه اذا كان هناك احد سيعتدى علينا من الخارج فنحن أولى بأن ندافع عن أنفسنا » .

● وفي خطاب تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ : قال جمال عبد الناصر « ان القومية العربية تتقدم وتشتد .. انها تسير الى الامام وهى تعرف طريقها وتعرف سبيلها انها تعرف من هم أعداءها ومن هم أصدقاءها ، وان قوتها في قوميتها ، وانا اليوم اتجه الى اخوان لنا في سوريا .. سوريا العزيزة .. سوريا الشقيقة ، لقد قرروا أن يتحدوا معكم اتحادا سليما عزيزا كريما .. لتدعم سويا مبادىء الكرامة ولنرسى سويا القومية العربية والوحدة العربية ..

نرحب بكم أيها الاخوة ، وسنسير معا أيها الاخوة متحدين بلدا واحدا وقلبا واحدا ورجلا واحدا .. سنسير معا متحدين لنرسى مبادىء الكرامة الحقيقية ونقيم في ربوع الوطن العربى استقلالا سياسيا حقيقيا واستقلالا اقتصاديا حقيقيا » .

وقال في نفس الخطاب كلمته الشهيرة : « كلنا سندافع عن حريتنا وعروبتنا وسنعمل حتى يمتد الوطن العربى من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى » .

وعندما يشرح عبد الناصر فى بيانه للشعب بعد ذلك قصة تأميم القناة يقول انه : « بدأت الاصوات فى العالم العربى تقول انه ليست قناة السويس ولكنها قناة العرب .. وبدأت القومية العربية تظهر بأحسن صورها وبأجلى معانيها . ويقول « اننى سئلت . هل هناك خطة موضوعة ومنظمة ومدبرة حتى يحدث ما حدث فى البلاد العربية فقلت أنتم لا تفهمون .. من هو الرجل الذكى الفذ الذى يستطيع ان يقوم بكل هذا التنظيم ؟ انها القومية العربية ، أصبحت حقيقة واقعة .. ان الشعوب العربية تعتبرها طريق وجودها ، وعزتها وكرامتها ، لقد ظهرت القومية العربية بعد تهديد مصر ، هل يستطيع اى انسان أن ينظم هذه المشاعر ، لابد أن نفهم ... العرب اليوم غيرهم بالامس » .

● وبدأت الحرب على القومية العربية .. تنبهت الدول الاستعمارية الى خطر القومية العربية وبدأ عبد الناصر يواجه المعركة ويواجه عدوا شرسا مرة ثانية .. ولم تصبح القومية العربية التى يحاربونها فى فكر عبد الناصر ، هى قضية جمال عبد الناصر ..

فهذه الدعوة لا تتمثل فى شخص أو اشخاص ..

« القومية العربية ليست جمال عبد الناصر ، وليست أى زعيم من الزعماء ، ولكنها أقوى من هذا كله .. انها دعوة أمة بأسرها تستجمع قواها ، لتنقض على الماضى .. على التخلف ، والتفتت والتجزئة .. على الاستعمار واعوانه .. »

المضمون الثوري للوحدة

لقد كانت الدعوة للوحدة العربية هي التعبير عن القومية العربية وتجسيد كيان هذه القومية فى شكل قانونى ودستورى بتحقيق امل الدولة العربية الواحدة وفى هذه المرحلة كان الفكر الناصرى يتجه ايضا الى التحالف مع مختلف القوى لمواجهة الاستعمار ..

نفس الفكر الذى انطلق منه فى تحركه الداخلى .. ففى الداخل عندما رفع شعار « كلنا هيئة التحرير » ، رفع على المستوى العربى شعار « وحدة الصف » وكانت المواجهة الناصرية للاحلاف الاستعمارية بمواثيق ، واتفاقيات عربية على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية .. وكان فى مقدمتها الاتفاقيات العسكرية فى مواجهة ما ردده الاستعمار حول ملء الفراغ الذى ينجم عن تركه لقاعدة قناة السويس .. ووقعت اتفاقات دفاع مشترك بين مصر وسوريا ، والاردن والعربية السعودية ...

فوحدة الصف اذن شعار رفع لتجميع القــوى الوطنية ، وحشدها فى مواجهة القوى الاستعمارية ، رغم كل التناقضات بينها فقد كان تحرير الارض هو الهدف الملح فى تلك الظروف ...

ولكن الفكر الناصرى بعد ذلك اسقط هذا المفهوم ، مثل ما اسقط صيغة التجمع الوطنى ـ بدون عزل اعداء الشعب ـ فى الداخل ـ ورفع شعارا اصيلا للوحــدة هو وحــدة الهــدف .

وبذلك اعطى الوحدة المضمون الاجتماعي الثوري الذي تريده الجماهير .. حدث ذلك بعد تجربة الوحدة مع سوريا كما سنرى، ويعبر عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان مفهوم الوحدة العربية قد جاوز النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الامة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات » ..

« ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوات الى مرحلة اصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة » .

« ان وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الامة العربية كلها واختلاف الاهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى ، واختلاف مراحل التطور . . ان وحدة الامة العربية قد وصلت فى صلابتها الى حد انها اصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية » .

((ان وحدة الهدف لابد لن تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلته الثورية السياسية الى الثورة الاجتماعية)) .

ولا بد ان ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة ، سابقة من النضال الوطني ، هى مرحلة الثورةالسياسية ضد الاستعمار ..

والنتهى الفكر الناصرى الى قواعد واسس للوحدة العربية استخلصها من تجربته .. فى اروع عمل قام به عبد الناصر فى المجال العربى ، وهى تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التى قامت فى فبراير سنة ١٩٥٨ ..

وقبل ان نتعرض لهذه التجربة التى ادت الى عوامل هامة فى الفكر الناصرى بالنسبة للقومية العربية بالذات وكانت سببا جوهريا

فى معرفة انه لا بد من تأصيل فكر الوحدة العربية ، واعطائها المضمون الاجتماعى .. اولا لا بد ان نذكر ان عبد الناصر قد ترجم شعار القومية العربية بما تحمله من مضامين الى اعمال ، فقد ساهمت مصر فى كل معارك التحرير السياسى او الاجتماعى فى المنطقة العربية فى ليبيا وفى تونس وفى الجزائر فى المغرب ، فى اليمن الجنوبية ، فى اليمن الشمالية فى العراق ، وسوريا ، الاردن ، ولبنان .. بل ان من اخلد معارك عبد الناصر ، تلك المعركة الاخيرة التى خسرناه فيها .. وكانت أيضا من أجل القومية العربية من اجل فلسطين ، ولقد عبر عبد الناصر عن ذلك عندما قال : انه ليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية ، الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته ..

* * *

لم يرفع عبد الناصر شـــعار القومية العربية ، والوحدة العربية ، وانما اتجه بهذا الشعار نحـــو التطبيق ، لاقامة اول دولة عربيـــة واحدة فى العصر الحديث بوحدة مصر وسوريا الدســـتورية بارادة الشعبين ، بل باجماعهما .. فالوحـــدة العربية هى الثمرة والهدف لدعوة القومية العربية ..

لقد كان لذلك الدور التاريخى والمجيد الذى لعبه الشعب المصرى بقيادة عبد الناصر عدة معان :

● فقـد اعطى للقوميـــة العربيـــة أرضـــا جديدة متحررة تقود النضال ضد الاستعمار ، وتصر على حق الشعب العربى فى أرضه .. وانطلاق هذه الدعوة من مصر الثورة بالذات .. اكبر الدول العربية واكثرها مقدرة واستقرارا يعطى للامة العربية قاعدة انطلاق قومى وثورى ، مكن المناضلين من أجل الحرية العـربية

والوحدة العربية من أن يتجهوا نحو مصر .. يحملون معها ، ومنها مشعل الكفاح القومى ..

● المعارك المتتالية التى خاضها الشعب المصرى وأبرزت وجه مصر العربى ، جمعت حولها الشعوب العربية الآملة فى التحرر ..

● قيادة عبد الناصر الثـــورية الواعية ، التى لعبت الدور الأساسى فى كل هذه المعارك والتى كانت تؤكد على الوجه العربى لمصر ، وتدافع عن حرية كل البلاد العربية ، فجرت النضال العربى فى حركة نضالية واحدة صاعدة تلتقى فى الامل والهدف مع ما يسعى اليه عبد الناصر .

● الشعوب العربية المستعبدة من داخلهـــا وخارجها والتى تعانى من الحكومات الرجعية رأت فى انطلاقة الثورة المصرية النموذج الذى تنشده ..

ولقد التقى كل ذلك مع امل الشعب السورى الذى كان ينفعل بالقضية العربية ، ويتطلع الى الوحدة ، ويسعى اليها بعد أن كان قد نص عليها فى دستوره .

واتخذ البرلمان السورى قرارا بالوحدة مع مصر ..

وفى مصر تم لقاء مع وفد من زعماء سوريا وعلى رأسهم رئيس الجمهورية شكرى القوتلى ..

ولم يغادر الوفد المصرى الا بعد ان تم اعلان الوحدة .. على اساس أن :

يستفتى الشعب فى مصر وسوريا على الوحدة وشخص رئيس الدولة ..

ويقول عبد الناصر فى تصريحاته للوفد الصحفى العراقى سنة ١٩٦٦ : « انا حينما اجتمعت مع اخواننا السوريين الذين اتوا الى القاهرة سنة ١٩٥٨ لطلب الوحدة لم أكن على اتفاق معهم ، وكنت اعتقد انهم يسيرون فى طريق عاطفى ، فقلت لهم اننا نحتاج الى فترة

تمهيدية مدتها خمس سنوات قبل أن نقيم الوحـدة الدستورية حتى نستطيع ان ندرس المتناقضات ونحلها ، وحتى نستطيع ان نؤمن الوحدة ، ولكنهم الحوا على قيام الوحدة خوفا من انشقاقات فى داخل الجيش وانا كرهت فى هذا الوقت قبول الوحدة رغم انى لست انفصالى ، أنا وحدوى جدا ، ولكن أنا كنت احسب الامور ، وكان تقديرى فى هذا الوقت ان الوحدة بهذا الشكل عمل خطير جدا ولكنى اضطررت ان أقبل حينما وجدت أن عدم قيام الوحدة قـد يسبب تصادما بين الجيش السورى » .

● وكان اصرار عبد الناصر على ان تتم الوحدة بارادة الشعب العربى فى كل من مصر وسوريا .. وهو الاصرار الذى ترجمه عمليا فى ضرورة الاستفتاء على الوحدة ، وفى الموقف الذى اتخذه عنـد الانفصال بمنع كتيبة المظلات المصرية من أن تطلق النار او تشتبك مع قيادة الانفصال لانه « لا يمكن أن تفرض الوحدة بالقوة .. »

وفى أول فبراير ١٩٥٨ أعلنت الوحدة بين مصر وسـوريا ، ووقف عبد الناصر ليعلن للجماهير ان : هذا اليوم الذى تلتقى فيه جمهورية مصر مع جمهورية سورية وتتوحد الجمهوريتان لتكونا الجمهورية العربية المتحدة ، هذا اليوم من أيام العمر التى نعتز بها على مر الزمن ونعتز بها على الايام .

« ان الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر ويعلن مشيئته لقيام دولة جديدة ، دولة عظمى ، دولة قوية تنبع ارادتها من شعبها وتنبع ارادتها من نفسها ، وتنبع ارادتهـا من ضميرها ..

« اليوم الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر قيام هذه الدولة التى تثق فى قوتها وتثق فى حقها فى الحرية وتثق فى حقها فى الحياة ، هذه الدولة التى تعمل من أجل ارساء قواعد العدالة وارساء قواعد السلام .

« يا اخوانى اننا نشعر جميعا انا استطعنا ان نقيم دولة عظمى

قوية حقيقة لأول مرة فى هـــذا المكان بعـد أن كان الاجنبى يقيم بيننا ويعلن عن نفسه انه يمثل القوة الكبرى .. ويمثل القوة العظمى .

« لقد كنا نتكلم عن القومية العربية وكانت القومية العربية شعارات وهتافات وكانت القومية العربية نداءات عاطفية ونداءات معنوية : كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها وكنا نشعر بقيمتها كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر ان أعداءنا أرادوا دائما ان يفرقوا بيننا وكنا نشعر أن أعداءنا أرادوا دائما أن يقسموا الامة العربية الى أمم صغرى يتحكمون فيها ويسيطرون عليها وكنا نشعر ان كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الاخرى وكنا نشعر أن لابد من أن نتضامن ولابد أن نتحد ولابد أن نتآزر ولابد أن نتآخى حتى ندفع عنا أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن ..

« واليوم ايها الاخوة المواطنون بعد ان كانت القومية العربية هتافا وشعارا اصبحت حقيقة واقعة » .

« اليوم اتحد الشعب العربى فى سورية مع الشعب العربى فى مصر ، وكونت الجمهورية العربية المتحدة ، هذه الجمهورية المتحدة ستكون سندا للعرب جميعا ، ستكون قوة للعرب جميعا ، ستعادى من يعاديها وتسالم من يسالمها وتتبع سياسة تنبع من نفسها سياسة تنبع من ضميرها » .

* * *

فى مجلس الامة المصرى يشرح عبد الناصر اسباب قيام الوحدة ، ومقومات الدولة الجديدة التي اصبح اسمها الجمهورية العربية المتحدة .. والتى اصبحت تضم الاقليم الشمالى سوريا .. والاقليم الجنوبى مصر .. والتي اصبح لهـا علما مثلث الالوان . ذو نجمتان .. ترمزان الى دولتى الوحدة ..

ويشرح عبد الناصر أيضا الاساس الدستوري الذى تقوم عليه الدولة الجديدة والترابط بين الاقليمين .. ونضالهما .. ويتعرض لمقومات القومية العربية ..

وخطاب عبد الناصر أمام مجلس الامة فى ٥ فبراير ١٩٥٨ .. وثيقة هامة تحكى فصولا رائعة من النضال من أجل القومية العربية وتلقى الضوء الكاشف على جذور هذه القومية ، ومقوماتها .. فيقول عبد الناصر :

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

هكذا ترون الوحدة حقيقة ، حقيقة نسعى اليها ، أو حقيقة قائمة بالفعل .

هكذا ترون أن الصراع من أجل القوة ، من أجل الحياة ، يتم ويتحقق بالوحدة ، وترون أن الوحدة لا تتم ولا تتحقق الا بقوة الحياة .

وهكذا ترون أن تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة ، هو بنفسه تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة .

ولقد تختلف التفاصيل ، ولكن المعالم البارزة هى نفس المعالم .

نفس المعالم ، نفس الغزاة ، نفس الملوك نفس الأبطال نفس الشهداء .

بل انه لما بدا فى بعض الاحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية ، وتقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحت حكم أسرة محمد على باشا ، لم يكن الامر فى باطنه يمثل ما يبدو فى ظاهره .

لم يكن البعد سطحيا ، ولم تكن الحقيقة الا باللسان .

اما الشواهد الحقيقية ، واما الادلة الاصيلة فكانت تؤكد أن ما قربه الله لا يمكن أن يبتعد وما وصلته الطبيعة لا يمكن ان ينقطع ..

من بين الشواهد والادلة أن جيش الفلاحين الذى سار تحت قيادة ابراهيم باشا ، ليحرر سورية من الظلم العثمانى كان يسمى نفسه الجيش العربى .

ومن الشواهد والادلة ، ان القاهرة التى سارت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، الى فتح النوافذ لتيارات النهضة ، تحولت الى قلعة للفكر الحر فى الشرق العربى ، وما لبث رواد الحرية فى سورية ورواد الحرية فى المنطقة العربية كلها ، أن وفدوا اليها يتحصنون باسوارها المنيعة ، ويبعثون منها اشعاعات الفكر، لتعبىء وتلهم بل ان القـــاهرة تحولت فى مطلع القرن العشرين فاصبحت هى ودمشق ، المركز الرئيسى للجمعيات السرية ، التى راحت تناضل جبروت سلاطين استانبول ، من أجل تحرير الامة العربية ، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء .

هكذا كانت الوحدة هى الحقيقة ، وكان ما عـدا الوحـــدة اصطناعا ..

هكذا كان واضحا أنه اذا تركت المنطقة تستوحى طبيعتهـا وتستلهم مشاعرها ، وتستمع الى دقات قلبها ، فان اتجاهها الى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه ..

وهذا هو ما حدث .

حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطلعت الى مصر ..
وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت الى سورية ..
ولقد كان التقلوب بل التوافق والتماثل كاملا حتى قبل أن يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد أن تم توقيعه وارادت له بعض القوى أن يبقى حبرا على ورق .

لقد كان فى سورية رد فعل لكل حركة فى مصر كما كانت أصداء الذى يحدث فى دمشق تتجاوب فى القاهرة .

فى مصر وسورية ذلك الفوران الذى أعقب الحرب العالمية الثانية ، وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة فى افريقيا وآسيا،

وكذلك هذا الفجر الذى نشهد اللحظة مطلعه .

ان الليل الذى سبق فجر الوحدة هو ـ دون شك ـ أطول ليالى كفاح أمتنا العربية ، ذلك أن الأمل الذى يتحقق لنا اليوم ، هو أقدم عمر فى تاريخ أمتنا .

قد بدأ معها منذ بدأت .. ونشأ على نفس الارض ، وعاش نفس الحوادث ، واندفع الى نفس الاهداف ، فلما استطاعت أمتنا أن ترسى قواعد وجودها فى هذه المنطقة ، وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكدا أن الوحدة قائمة ، وان موعدها بات قريبا .

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو بنفسه الكفاح من اجل الحياة .

ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا .

فما من مرة تختلف الوحدة ، الا تبعتها القوة ، وما من مرة توافرت القوة الا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

وليس محض صدفة ان اشاعة الفرقة ، واقامة الحدود والحواجز ، كانتا أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن فى المنطقة ويسيطر عيلها .

وكذلك لم يكن محض صدفة أن محاولة الوحدة فى المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة ، طلبا للقوة ، بل طلبا ـ كما قلت ـ للحياة .»

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

ولقد كان اسلوب السعى الى الوحدة يتشكل بالعصر الذى تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير، وبقيت الغاية فى كل وقت ، وهى هذه اللحظات التى نعيشها الآن .

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح ، هو وسيلة التعبير فى الطفولة الاولى للبشرية واتحدت المنطقة حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدى الناس .

واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة فى دعوة عباده الى الحق .

واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة فى امة عربية واحدة .

واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان .

واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولا أن يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية . وكان معنى الوحدة قاطعا فى دلالته حين اشتركت المسيحية فى الشرق العربى فى مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر .

واتحدت المنطقة بالمشاركة فى العذاب ، يوم حلت عليها غارات الغزو العثمانى ، واسدلت من حولها أستار الجهل ، تعوق تقدمها ، وتمنعها من الوصول الى عصر النهضة فى أوربا .

بل ان المنطقة اتحدت فيما تعرضت له فى كل نواحيها ، من سيطرة الاستعمار عليها ، وقد كان اتحادها فى الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ، ومقاومته فى تعدد صوره .

ومع الوحدة فى الثورة كانت الوحدة فى التضحيات ، فان المشانق التى نصبها جمال باشا فى دمشق عاصمة سورية ، لم تكن

تختلف كثيرا عن المشانق التى نصبها اللورد كرومر فى دنشواى ، هنا فى مصر .

فى سورية ومصر هذه الهزات العنيفة ووراءها تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

فى مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ، ولكن من غير سلاح . ثم كانت فى القاهرة ودمشق تلك الآثار التى ترتبت على حرب فلسطين ، والتى كان أولها تلك اليقظة التى تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم فى سورية ومصر نفس المعارك ، ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا أن المعارك التى خاضتها دمشق هى نفس المعارك التى خاضتها القاهرة ، معركة الاحلاف العسكرية معركة السلاح ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات ، معركة التحرر الاقتصادى ..

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس ، بنفس العنف ، وبنفس القوة التى خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس .

وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية ، واعصابها كلها فى دمشق ، وامام اعصابها قطعة من جيشها احتل جنودها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من صنع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة ونبيلة وعميقة لهذا الذى ربط مصر وسورية مهدت الطبيعة ، مهد التاريخ ، مهد الدم ومهدت اللغة ، مهدت الاديان ومهدت العقائد مهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية ..

كذلك اشتركت فى التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن والنفى والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذي نشهد مطلعه بعد ليل طويل .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

لقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذي اتخذه مجلس النواب السوري ، واتخذه مجلسكم : بالعمل فورا لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية .

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لا يمكن تجاهله وصدى مستجيبا لنداء قدسي لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه .

ولم يكن هذا الواقع موجودا في دمشق والقاهـرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك النداء القدسي في هذا النطاق وحده لا يتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا في كل أرجاء الوطن العربي .

وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج ، ذلك التيار الذي شقت القومية العربية كلها مجراه ، وحددت له خط سيره .

وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجي للحقيقة الواقعة .

ولقد كانت هـــذه المحادثات في القاهـرة تجربة جديدة في التاريخ .

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة أو حكام ،

وانما كانت اجتماعات تمت بنـاء على ضغط والحاح وارادة عنيدة مصممة صادرة من قلوب الشعب .

ولقد كان خيرا على أي حال أننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى .

فلقد كان ينبغي للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تثبت وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق

القوة ، طريق الحياة . وان الساعة التى تطلع اليها اجدادنا ، وعمل من اجلها آباؤنا قد دقت اجراسها .

وانه قد كتب لجيلنا بعد ليل طويل ان يشهد مطلع صبحها .

كان معناه ان الذى تخيلوه فى المنى قد اصبح واقعا ، وان الذى ذاقوا من اجله الموت قد أصبح هو الحياة نفسها .

كان معناه ان الذى نصبت المشانق لتحول دونه قد اصبحت له وحدة قوة القانون وقدرته .

كان معناه ان الذى اصطنعت الفرقة بينه ، قد عاد الى طبيعته التى اودعها الله فيه ، وكان متجانسا متحدا .

كان معناه أن السلاسل تكسرت ، وأن السدود انهارت ، وان الحواجز سقطت ، وأن الشظايا المتناثرة والأجزاء المتفرقة توشك ان تعود الى بعضها بل الى كلها .

كان معناه ان سوريا ومصر ، قد قررتا تحمل المسئولية التاريخية التى تهيأتا لها ، بصفة كونهما بلدين عربيين خلص زمام الامر فيهما لابنائهما ، وتحققت لهما فى أراضيهما سيادة حقيقية ، واستقلالا كاملا .

كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة .

ولقد انتهت محادثاتنا ، الى اعلان الوحدة رسميا وتوقيع هذا الاعلان ، فى يوم السبت الاول من فبراير سنة ١٩٥٨ .

وقد أودع هذا الاعلان التاريخى ، فى مكتب مجلسكم ، وكانت النتيجة الكبرى له هى توحيد مصر وسورية فى دولة واحـــدة ، اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

يكون نظام الحكم فيها ديمقراطيا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة ، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين

امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ويكون لها علم واحد ، يظلل شعبا واحد وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها ابناؤها فى الحقوق والواجبات .

ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية لتقوم عليها الجمهورية فى فترة الانتقال :

١ - الدولة العربية المتحدة ، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الامة العربية .

٢ - الحريات مكفولة فى حدود القانون .

٣ - الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم .

٤ - يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامه يحدد اعضاؤه ، ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى

٥ - يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية .

٦ - الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ، ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون .

٧ - انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغائها لا يكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها فى غير الاحوال المبينة فى القانون ، ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها .

٨ - القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون .

٩ - كل ما قررته التشريعات المعمول بها فى سوريا وفى مصر تبقى سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها ،

١٠- تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : سوريا ومصر .

١١- يشكل فى كل اقليم مجلس تنفيذى ، يراسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى .

١٢- تحدد اختصاصات المجلس التنفيذى بقرار من رئيس الجمهورية

١٣- تبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند ابرامها ، ووفقا لقواعد القانون الدولى .

١٤- تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها فى كل من سوريا ومصر . الى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

١٥- يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

١٦- تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

١٧- يجرى الاستفتاء على الوحدة ، وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى يوم الجمعة الموافق ٢١ فبراير

وهنا لا بد لى من وقفة الحدث فيها عن دستور ١٦ يناير ، الذى كان مجلسكم اعظم نتائجه .

ان هـذا الدسـتور خالد ، ولم يكن معقولا أن الثورة التى وضعته ، واعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب ، وخلاصة تجاربه ، ترضى لهذا الدستور أن يسقط او يضيع .

ولكن الدسـتور ، كمـا قلت لحضراتكم ، يوم كان لى شرف الحديث اليكم هنا ، فى يوم ١٦ يناير الماضى ، ليس مجرد النصوص الجامدة ، وانما هو الحركة الدائمة اليقظة ، فى اتجاه المستقبل الذى نسعى اليه ، وهو الاطار الذى ينظم هذه الحركة ، ويجمع صفوفها .

ولقد وقعت حركة هائلة جمعت شعبين من أمة واحـدة فى جمهورية متحدة وكان لا بد أن يتسع الاطار لكى يستطيع أن يضم النطاق الجديد .

لذلك كان لا بد لدستور ١٦ يناير أن يدخل فى تجربة حيـاة الفسح ولرحب . وكذلك كان لا بد لمجلسكم ، الذى كان أعظم نتائج دستور ١٦ يناير ، أن يدخل نفس التجربة .

قلت لحضراتكم مرة ، اننا نعتبركم مجلس الثورة الجديد ، باعتبار أن الثورة مستمرة ، وانه لما يدعو الى الامل أن تجربة الشهور القليلة التى مضت ، منذ بدأ مجلسكم يمارس عمله ، كانت تبشر بتعاون كامل ، يستهدف صيانة مصالح الشعب ، ويسعى الى بناء المجتمع الجديد .

وانه لحق علينا أن نقول لحضراتكم فى هذه اللحظة الفاصلة فى تاريخ شعبنـا انكم كنتم عـلى خير ما كنـا نؤمل ونتمنى ، وان مشاركتكم لنا فى المسئوليات كانت خير عون لنا فيما مضينا لتحقيقه من الامور .

وانه لما يسعدنى ، أن التطور العظيم الذى نعيشه ، لن ينهى صحبتنا على الطريق ، وانما هو على العكس ، سيقوى الاواصر

بيننا ، ويشد الصلات ، ويجعلنا فيما نحن مقبلون عليه أكثر اندفاعا واصلب عودا ، واعز وحده وتضامنا .

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

على اننى ارى أن من واجبى فى هذه اللحظات أن اصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم ، ان الطريق الذى نقبل عليه طويل وشاق .

ان رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس .

وانما رحلتنا هى مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد .

ولكن هذه كلها هى الثمن العادل للامل الكبير الذى نسعى اليه .

ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه امامنا على الطريق ان الذين لا تروقهم وحدة سوريا ومصر . ولا توافق اغراضهم ، لن يتقبلوها بالرضى والسكوت وانما ستكون المساعى ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات .

لهذا اقول لكم من الآن . اننا فى سعينا على طريق املنا ، يجب أن نظل مفتوحى الاعين منتبهى الحس والوجدان .

ولكن علينا أن ندرك أن لهذه الفترة الرائعة اخطارها أيضا .

وربما كانت شهوات أنفسنا أكبر الاخطار التى يتعين علينا مواجهتها ، لقد مرت علينا قرون من الزمان واحلامنا واميننا ورغباتنا واهدافنا حبيسة وراء الحواجز والسدود التى صنعها الاستعمار .

ولقد تهاوت الحواجز والسدود ، لما زال وجود الاستعمار من بلادنا ، وهكذا بدأت الاحلام والامانى والرغبات والاهداف تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة فى مثل تدفق الفيضان .

ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقى لسرعة الحوادث فى جيلنا، وهذا أمر طبيعى ، بعد أجيال عديدة مكبوتة . ولكن هذا أيضا تحذير كما هو تفسير .

انه تحذير بان من أول واجباتنا ان نقيم من الحكمة خزانات على أمانينا ثم تفتح عيونها ليمر التيار .. على شكل الفيضان المنظم ولا يخر فوق رءوسنا كالطوفان العالى الشديد .

انني واثق أن التجربة التى نواجهها اليوم ستحقق كل ما يرجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها ، طوال الليل المظلم .

وانه لمما يؤكد ثقتى ، ان الله تعالت قدرته ، قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق ، وخير أخ ، وخير حبيب .

فقد أكد شعب سوريا بتجارب الايام ، تجربة بعد تجربة ، أنه طليعة القومية العربية ، وانه راس الحرية فى اندفاعها ، وانه الحارس الامين لتراثها المجيد .

لقد بزغ امل جديد على افق هذا الشرق .

ان دولة جديدة تنبعث فى قلبه .

لقد قامت دولة كبرى فى هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية ..

دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، وترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، ولا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق .

وكان طبيعياً أن تقف قوى الاستعمار والرجعية ضد الدولة الجديدة ، التى أبرزت كيان القومية العربية .. والتى وقفت متحررة فى مواجهة قوى الاستعمار والرجعية ..

وبدأت المؤامرات على الدولة الجديدة .. مؤامرات يخطط لها الاستعمار ، ويعهد الى القوى الرجعية فى العالم العربى بتنفيذها أو يقوم بها بنفسه

ولم تتمكن الدولة الوليدة من أن تعيش حياة طبيعية بلا مؤامرات من داخلها أو من خارجها ..

القوى المعادية بدأت تدفع بأعدائها فى الداخل عن طريق الرشوة ، والخداع ، واستخدمت كل الاسلحة .. الحرب النفسية .. الشائعات .. الاموال .. تهريب السلاح .. تجنيد العناصر الخائنة ..

وكانت هناك خمسة عوامل رئيسية ألهبت هذه القوى :

● أولا : الموقف السافر الذى اتخذته الدولة الجديدة من الاستعمار ، والذى جعل الاستعمار يفقد أعصابه ، ويتحرك بهستيرية ، وخاصة فى بعض الدول المجاورة لسوريا .

● ثانيا : صدور القوانين الاشتراكية التى كشفت بوضوح عن الوجه التقدمى للدولة الجديدة .. مما جعل الرجعية العربية كلها تخاف على مراكزها ، وقصورها واستغلت فى ذلك الدين كسلاح .. والحرب النفسية كسلاح ثان .. وأخيرا سلاح التآمر ..

● ثالثا : كانت الدولة الجديدة ذات أثر مباشر فى الدول العربية . وخاصة الدول المتاخمة لنا .. وكان قمة ذلك هو اسقاط الحكم الرجعى العميل فى العراق .. والقضاء على الحكم الملكى وعلى نورى السعيد بثورة ١٤ يوليو ، وهى الثورة التى استطاعت القوى المعادية ان تحتويها بعد ذلك .. وتضمها ..

الى جانبها ، وتنحرف بها عن غايتها ، وتستخدمها كأحد ادواتها في محاربة الدولة العربية المتحدة الجديدة .

● **رابعا** : الدور الذى لعبه حزب البعث العربى ، والخلافات التى نشبت بين اعضائه ، وخاصة بعد ان صدر قرار حل الاحزاب .. فمن ناحية لم يلتزم به حزب البعث وظل يمارس نشاطه سرا رغم انه كان يشارك فى الحكم وفى اتخاذ القرارات ومن ناحية ثانية كان التنظيم الجديد « الاتحاد القومى » تنظيما وليدا .. وتسللت اليه عناصر انتهازية انقضت على تجربة الوحدة بعد ذلك .. لقد كان حزب البعث على حد قول عبد الناصر فى مباحثات الوحدة « يضربنا بالسياط ، بالشعارات « العملاء لا الشركاء » و « الاستعمار المصرى » .. وهذا الكلام . » ويقول عبد الناصر « حزب البعث تصادم معانا . معانا فى الجمهورية تصادم .. انا أقول انه كان السبب فى جريمة الانفصال ، بهذا التصادم .. وباطلاق الشعارات ، والتشويه والذى حدث من حزب البعث وانه « وقع حكم بالاعدام من حزب البعث السورى على الجمهورية العربية وعلى جمال عبد الناصر ، ولكن عدل ربنا ووعى الامة العربية لم يمكنهم مما أرادوا .. فلم ينفذ فينا هذا الاعدام ، ولا نفذ فى مصر . ولا نفذ فى عبد الناصر »

● **خامسا** : الاخطاء التى حدثت من الجانب المصرى ، وقد اعترف بها عبد الناصر ، وباسبابها وقال « احنا برضه عملنا تعميم كبير جدا للعملية ، وبدانا بعد الانفصال على طول .. بحثنا ايه الاسباب .. وايه الاخطاء .. وايه كذا . .وايه كذا .. وتكلمنا فى جلسات على كل هذا » وقال عبد الناصر « احنا انتقدنا انفسنا نقد ذاتى .. » ولقد مارس عبد الناصر عملية النقد للاخطاء التى وقعت من الجانب المصرى فى زمن الوحدة ..

● **سادسا** : الرجعية العربية السورية المتمثلة فى الراسمالية السورية التى اضيرت من عمليات التاميم او حتى ضربت فى تطلعاتها وخاصة اصحاب الشركات والتجار الذين ساعدوا الانفصال بل

ومولوه لينقضوا على المكاسب الاشتراكية للجماهير

● سابعا : المد الشعبى والجماهيرى الذى بدا ينمو ويعلو فى الاقطار العربية المختلفة ، وعجزت عن ايقافه كل وسائل الضغط والارهاب .

واستطاعت القوى الرجعية ان تجهز على اول تجربة للوحدة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ – بعد القوانين الاشتراكية بشهرين اثنين بارتكاب جريمة « الانفصال »

* * *

ولكن اروع مواقف عبد الناصر كانت فى بيانه الذى وجهه الى الامة العربية فى ٥ اكتوبر ١٩٦١ ، والذى تحدث فيه عن انجازات الوحدة فى خلال ثلاث سنوات ونصف ..

اكان ذلك عقب نكسة الانفصال الذى حدث فى سبتمبر ١٩٦١

تحدث عبد الناصر عن الوحدة ، وتاثيرها فى المجالات العربية والدولية .. وعن حرية المواطن السورى التى حصل عليها بعد أن تحررت لقمة العيش برفع السيطرة الراسمالية والاحتكارية عنه، بموجب الخطوات الثورية الاشتراكية ، وعن قانون الاصلاح الزراعى وملايين الليرات التى انفقت فى مجالات الزراعة والصناعة ومختلف مرافق الخدمات .. وخطة التنمية واستصلاح الاراضى .. وقال عبد الناصر : انه ليس من المهم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية المتحدة ، ولكن من المحتم ان تبقى سوريا » ..

وطالب من الجامعة العربية ان تتحقق من ٣ مسائل راى انها هامة وهى :

١ – ان كل احتيـــاطى الذهب وغطـاء العملة السورى موجود بسوريا كما كان قبل الوحدة .

٢ – انه رغم دعايات الرجعية والاستعمار فان عدد المعتقلين فى سوريا كلها لم يكن يتجاوز ٩٥ شخصا وانه امر بحفظ عديد من قضايا التآمر على الوطن السورى

٢ - ان تتحقق لجنة الجامعة العربيـــة من ان قوة المظلات التى
هبطت فى اللاذقية مساء يوم الانفصال ٢٨ سبتمبر كانت تحمل
تعليمات بعدم اطلاق النار ولم يكن معها ملايين الليرات المزيفة
كما ادعت عناصر الانفصـال .

وكذلك طلب عبد الناصر الى لجنة الجامعة العربية ان تتحقق من طبيعة الاعمال التى كان يقوم بها ابناء الاقليم المصرى فى سوريا وكيف زودت مصر سوريا بحشد من الأطباء والمهندسين والمدرسين لكى تسارع فى دفع عملية التطوير . وان احـــدا منهم لم يذهب ليستغل أو يفتح تجارة او ليجنى ربحا .

* * *

وتبقى بعد ذلك اجزاء من هذا البيان الهام لا بد من الرجوع اليها لانها تعكس فكر عبد النـــاصر حول الوحدة فى أشد لحظات المحنة والازمة . فقد جاء فى هذا البيان :

« اننى اكاد ارى الامة العربية ، مقدمة على محنـــة رهيبة ، واشعر ان واجبى يحتم على ان افعل كل ما فى وسعى ، كى اجنب الامة العربية هذه المحنة ، لكى يبقى لها دائما تنبهها الى الاخطار المحيطة بها ، وقدرتها على النضال من أجل أهدافها ، لا يشغلها من ذلك شىء ، ولا يشد اهتمامها منه اى اعتبار مرحلى مؤقت .

« وانى لاقول لكم جميعا ، بضمير راض وقلب مستريح اننى لا اقبل ، مهما كانت الظروف ، ان أرى الشعب هنا ، والشعب فى سوريا ، اطراف معركة واصحاب خلاف وانشقاق .

« لا استطيع ان اتصور فى القاهرة ودمشق ، الا اخوة كفاح ، والا زملاء معركة والا شركاء قدر ومصير ، مع كل عاصمة عربيـــة اخرى ، مع كل مدينة عربية ، مع كل قرية عربية .

« ولقد شعرت خلال الايام الاخيرة ، ان ما حدث كله ، قد فتح فرصة واسعة امام اعداء الامة العربية ، من قوى الاستعمار ، ومن

أعوانه ، ومن قوى الرجعية فى المنطقة ، ومن أعداء تقدم الشعوب »

« ولقد رأيت رأى العين ، فرحتهم جميعا فى هذه الفرصة ، التى تفتحت منها لمصالحهم ، وعلى حساب المصلحة العربية .

« لقد احسست انهم يريدونها معركة يتقاتل فيها عناصر ابناء الشعب السورى مع بعضهم . معركة تقع فيها الفتنة بين الشعب العربى فى سوريا ، وبين الشعب العربى فى مصر ، معركة تقع فيها شعوب الامة العربية فى حيرة لتتوه بعدها فى الظلام .

« انني اذا كنت قد رفضت أن تكون الحرب العسكرية وسيلة الى تدعيم الوحدة فاني ارفض الآن ، أن تكون الحرب الاهلية بديلا لذلك ، لعلكم تذكرون ان الاجماع الكامل كان من الشروط الاساسية لقبول قيام الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨

« واني اليوم لا ارضى ، بأن تبقى وحدات من الجيش السورى متربصة بالشعب ولا أن تبقى جموع من الشعب متربصة بعناصر من الجيش السورى .

« ان الجيش السورى يتحمل مسئوليات كبرى تجاه العدو المشترك للامة العربية ، ولن أقبل مهما كان من تصرفات الاخرين ، ومن اخطائهم ، بل وخياناتهم ، أن تتحول مهمة الجيش السورى الى عمل بوليسى »

« انكم تعرفون اننى داعية وحدة ، وانكم تعرفون موقفى عندما فرضت الارادة الشعبية السورية الحرة ، هذه الوحدة الشاملة فى فبراير ١٩٥٨ »

« انتم تعرفون انه كان من رايى ان الوحدة ، خصوصا فى فترات البناء الوطنى ؛ عملية شاقة ومرهقة ، وكان من رايى التمهيد لها تدريجيا ، على سنوات نتمكن خلالها من أن نضع الاسس الحقيقية لها قبل أن نقيم اطارها الدستورى ، لكنى نزلت على الارادة الشعبية السورية ، وكنت اشعر فى اعماقى اننى بهذا احمى الوطنية

السورية ، وأشارك في انقاذ الوطن السوري مما كان يتهدده من أخطار »

« ولقد أحسست بعد اتمام الاطار الدستور للوحدة ، الفرقة الداخلية ، وفي مواجهة ضغط القوى الاستعمارية ، انه ليس أمامنا وقت نضيعه ، لهذا فقد كرست جهدي كله لعمليات البناء في سوريا ، وكان تقديري أن نمضي في ذلك باسرع ما نطيق ، لكي يكون هناك أساس للتقدم نحو الرخاء »

« فلقد تمت خلال ثلاث سنوات ونصف من الوحدة ، اعمال حقيقية لم تشهدها سورية في كل تاريخها ، أقول ذلك لا لكي أتفاخر به أو اتباهى ، وانما أقوله كأمر واقع ، تشهد به الارقام وتؤكد به قدرة الشعب السوري على بناء نفسه ، اذا ما أتيحت له الفرصة لتركيز جهوده واحسان توجيهها . »

« في هذه السنوات الثلاث والنصف ، حاولنا بكل جهودنا ، توجيـــه الشعب السوري الى تكريس جميع امكانيـــاته في اتجاه البناء ، بناء الوطن ، وبناء المواطن »

« انني اشعر في هــذه اللحظات انه ليس من المحتم ان تبقى سوريا قطعة من الجمهورية العربية المتحدة . ولكن من المحتم ان تبقى سوريا . »

« انني اشعر ان الذي يشغل بالي ليس هو ان اكون رئيسا للشعب العربي في سوريا ، ولكن الذي يشغل بالي هو ان يكون الشعب العربي في سوريا وان يصان له كيانه . »

« ولست اتصور أن اقبل بحال من الاحوال أن أرى فتنة تهدد الشعب السوري أو خطرا يتربص به أو شـــاغلا يشده ويبعثر طاقته عن أن تتجه بكل امكانياتها الى حراسة المكاسب الشعبية التي حققها في عهد الوحدة ثم يجد أن ما في يده يسلب منه يوما بعد يوم ، بينما هو مشغول بقضية فرعية مؤقتة سوف تحسمها في نهاية المطاف حتمية التاريخ واعني بها الوحدة .

« لهذا فانى اعلن على مسمع منكم جميعا ، يا ابناء الامة العربية اعلن ما يلى :

اولا : اننى اطلب الى جميع القوى الشعبية المتمسكة بالجمهورية العربية المتحدة وبالوحدة العربية أن تترك الان ان الوحدة الوطنية داخل الوطن السورى تحتل المكانة الاولى . ان قوة سوريا قوة للامة العربية وعزة سوريا عزة للمستقبل العربى، والوحدة الوطنية فى سوريا دعامة للوحدة العربية وتمهيد حقيقى لاسبابها .

ثانيا : لقد بعثت الان الى رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بان لا يقف فى وجه طلب قبول سوريا عضوا فى الامم المتحدة .

ولقد مر الان اكثر من اسبوع على ما حدث فى دمشق ولم تستطع الحركة التى قامت هناك ان تحصل على اى اعتراف دولى بها ، لم تعترف بما حدث فى سوريا حتى الان الا خمس دول ! واسميها بالدول تجاوزا .

وفى نفس الوقت فان العالم المتحرر قد عبر لى بحركات شعوبه وبرسائل زعمائه عن تأييده للجمهورية العربية المتحدة .

وانى اعتبر ان ذلك يكفى ، فلست اريد ان اقيم حصارا سياسيا او دبلوماسيا من حول سوريا ، فان الشعب السورى فى النهاية سوف يكون هو الذى يعانى من هذا الحصار ويقاسى .

ثالثا : لقد طلبت الى وزارة الخارجية ان لا تقف الجمهورية العربية المتحدة حائلا دون عضوية سوريا فى الجامعة العربية .

« على انى ارجو ان تقبلوا بصدر رحب بعد ذلك راينا فى نقطة اخيرة ، تلك هى ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تقبل الاعتراف باى حكومة فى دمشق من جانبها ، الا بعد ان تتجلى ارادة شعبية سورية حرة تقرر بنفسها طريقها . »

« لا يفوتنى فى هذه الحفلة أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة على العواطف النبيلة التى ابداها الشعب اللبنانى وحكومته تجاه أبناء الجمهورية العربية المتحدة الذين اخرجوا من سوريا بطريقة لا أملك الكلمات لوصفها، وان كان يعزينى عنها ويعزى الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة، أن الشعب السورى ودع بدموعه كل أبناء الجمهورية العربية المتحدة العائدين اليها بعد أن خرجوا من سوريا » .

« كذلك لا يفوتنى أن أوجه شكرى العميق وشكر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة الى جميع الشعوب العربية التى وقفت بمشاعرها وتأييدها مع أول تجربة للوحدة العربية . »

« وانى لاثق ، نفس ثقتى بالله ، أن هذه التجربة لن تكون الاخيرة وانما كانت التجربة عملية رائدة استفدنا منها الكثير فى تقديرنا ، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربى وللوحدة العربية التى اشعر ان ايمانى بها يزيد قوة وصلابة »

« ان التاريخ طويل امام الامة العربية والكفاح مستمر ويزداد عمقا بالتجربة .

« لقد حاولت جهدى ان أؤدى واجبى كجندى فى خدمة هذه الامة العربية وحاولت ان لا أدع مجالا لفرقة ولا افتح طريقا لفتنة **ان عدوى وعدو امتى هو الاستعمار والرجعية المتعاونة معه والقاعدة التى يتحفز منها لضرب آمالنا هى اسرائيل** . ان أملى هو حرية الوطن العربى وحرية المواطن العربى . »

« وانى لاثق فى حتمية الوحدة بين شعوب الامة العربية لثقتى بالحياة وثقتى بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال . »

« أعان الله سوريا الحبيبة على أمورها ، وسدد خطاها ، وبارك شعبها ، وستبقى الجمهورية العربية المتحدة رافعة أعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون سندا لكل كفاح عربى ولكل حق عربى ولكل امل عربى . »

•

يحلل بعد ذلك عبد الناصر اسباب الانفصال فيقرر عددا من الاسباب التي دفعت الى الانفصال وهي .

x اسرائيل وقفت دائما ضد الوحدة وخصوصا بعد ان حاصرتها دولة الوحدة واصبحت لاول مرة بين فكي الكماشة ..

x الاستعمار كان دائما يتصدى للوحدة يتصدى للقومية العربية .. كان الاستعمار يتصدى لفكرة التحرر .

x القوى الرجعية فى العالم العربى تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية وضد الوحدة

x القوى المعادية للتقدم كلها تعادى الوحدة .. لان الوحدة رفعت شعار الثورة الاجتماعية وحولته الى واقع عندما اتخذت اجراءات بالقضاء على الاستغلال والقضاء على تحالف الاقطاع مع راس المال واقامة كفاية وعدل ، ومجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

« ولهذا كله فى سنة ٦١ تآمرت كل هذه القوى ضد الوحدة التى قامت سنة ٥٨ بين مصر وسوريا ، تآمر الاستعمار ، مع الصهيونية مع الرجعية من اجل فسخ هذه الوحدة ، وحصلت النكسة فى سبتمبر سنة ١٩٦١ . فهل أثر هذا فى ايمان الجماهير العربية بالوحدة ؟

« ابدا لم يؤثر .. شعرب الجماهير العربية بالحزن ولكنها لم تيأس .. بل سارت فى طريق الوحدة .. فى طريق القومية العربية، فى طريق الامل (١)

عبد الناصر والشعب المصرى لم يكفرا بالقومية العربية ولا بالوحدة رغم تجربة الانفصال المريرة .. وبعد الانفصال تاكد موقف الايمان بالقومية العربية من جديد عمليا عندما ذهب الجيش المصرى الى اليمن ليدافع عن حرية شعب اليمن فبعد نكسة الانفصال وفى سنة ١٩٦٢ قامت الثورة فى اليمن ، وتصدت لها قوى الاستعمار

---

(١) عيد الوحدة ١٩٦٦ م

وتصدت لها قوى الرجعية ولكن كانت وحدة النضال العربي تدعونا الى أن نساند اليمن في وجه الاستعمار والرجعية التي كانت **تحاول بعد الانفصال ان تعزز النجاح وتأخذ مواقع جديدة في العالم العربي .**

« كما ذهبت الى اليمن كنا نشعر اننا تؤدى واجبا علينا تستدعيه المبادىء التى نادينا بها .. وحدة النضال العربى » .

وبعد نكسة الانفصال ، ومع سوريا ، بل واجلها ، كانت الاحداث التى وقعت فى العالم العربى ، واتخذت فيها مصر الناصرية العربية موقفا شجاعا عربيا انتهى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وأيا كانت أسباب العدوان ونتائجه التى سوف يكشف الستار عنها ذات يوم فان الحقيقة الكبرى أن الموقف المصرى الناصرى كان رد فعل ونتيجة مباشرة للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ..

* * *

تجربة الوحدة بين مصر وسوريا .. كشفت عن ضرورة وجود المضمون الثورى للوحدة ، ونبذت الى الابد شعار وحدة الصف ..

فقد كان عبد الناصر يرى « أن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، بعد أن كان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .. أن الاستعمار نفسه دون أن يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الاجتماعية وذلك حين توارى بمظاهرردء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها ..

« أن الاستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه واصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيدا لانتصار الثورة السياسية فى بقية اجزاء الوطن العربى ودعما لحق الانسان العربى فى حياة اجتماعية افضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثورى (١) » .

---

(١) الميثاق .

ويحدد الميثاق الفكر الناصرى كل ما يتعلق بالوحـــدة فى ٦ قواعد هى :

١ ـ ان التقاء القوى التقدمية الشعبية على الامل الواحد فى كل مكان من الارض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الارض العربية ، هو فى حد ذاته دليل على الوحدة اكثر مما هو دليل على التفرقة .

٢ ـ ان الوحدة لا يمكن بل لا ينبغى ان تكون فرضا ، فان الاهداف العظيمة للامم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها

ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة

انه ليس عملا غير اخلاقى فحسب ، وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الامة العربية فى تطورها الشامل .

٣ ـ وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ، لكن الوحدة العربية طريق طويل قـد تتعـــدد عليه الاشكال والمراحل وصولا الى الهدف الاخير .

٤ ـ ان اى حكومة وطنية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى ، **هو خطوة نحو الوحدة** من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية فى الوحدة .

٥ ـ ان اى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الامة العربية ، هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جـــذورها فى اعماق الارض العربية .

٦ ـ ان استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ـ كما أثبتت التجارب ـ فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف .

ان تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب ان تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية ، هذا الاختلاف الذى فرضته قوى العزلة الرجعية والاستعمارية .

ويحدد الفكر الناصرى ايضا دور الجمهورية العربية المتحدة فى العمل من اجل الوحدة فى عدة خطوات هى :

● ان جهودا عظيمة واعية يجب أن تتجه ايضا الى فتح الطريق امام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع ان تحدث اثرها فى محاولات التمزيق ، وتتغلب على بقايا التشتت الفكرى الذى احدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وما تركته دسائسه ومناوراته من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

● والجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بانها جزء من الامة العربية ، لا بد لها ان تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى . ولا ينبغى الوقوف لحظة امام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

ولا بد لها ان تحرص على أن تصبح طرفا فى المنازعات الحزبية المحلية فى اى بلد عربى . ان ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فان هذه المساندة يجب ان تظل فى اطار المبادىء الاساسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه الى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

● ان الجمهورية العربيةالمتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى .

انها مطالبة بان تتفاعل معها فكريا من اجل التجربة المشتركة لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع ان تفرض عليها صبغة محددة لصنع التقدم .

● ان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى امر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال . ان ذلك لا يؤثر ـ ولا ينبغى له أن يؤثر ـ على قيام جامعة الدول العربية .

* * *

عبد الناصر كان يرى ان امل الوحدة بين الشعوب العربية لا يمكن ان يتحقق الا اذا سبقته وتاكدت قبله .. آمال اخرى للجماهير .. الحرية السياسية اولا قبل الوحدة .. والحرية الاجتماعية ثانيا قبل الوحدة « فهناك ترابط كبير بين الاشتراكية والوحدة .. لذلك نقول باستمرار اننا لن نتحد ابدا مع اى بلد عربى الا حين يطبق الاشتراكية ، ويعلن ماذا يعنى بالاشتراكية »

● وكان **عبد الناصر يرى** « ان القوى المعادية للتقدم فى العالم العربى كلها تعادى الوحدة خصوصا بعد أن منحها النضال الثورى والجماهير مضمونا اجتماعيا » .

● وعبد الناصر كان يرى « ان أهداف الاستعمار من التجزئة والتقسيم واضحة ، ضد العمل الوحدوى ، ومنع الاجزاء الممزقة من تحقيق وحدتها الطبيعية ، والهاء الشعوب كلها بهذا الخطر الذى يزرع فى قلبها واستنزاف طاقتها فى مقاومته .. وتهديدها بعد ذلك عسكريا من هذه القاعدة « اسرائيل » فى كل مرة يشعر فيها الاستعمار انه على وشك أن يواجه هزيمة التصفية النهائية (١).

● وعبد الناصر كان يرى « أن التخلف هو الشىء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على ارضنا الى الابد .. والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة الفاصلة .. اذا تمكنت الامة

---

(١) فى حفل تكريم اولبرشت سنة ١٩٦٥م

العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها .. والذى تحاول الرجعية ان تفرضه الان » .

● وضع عبد الناصر عددا من المسائل التى تبلور آفاق المستقبل بالنسبة للوحدة العربية .. بعضها طرحه قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ على الوطن العربى والبعض الاخر طرحه بعد العدوان، تضمن رأيه فى القوى الجديدة التى برزت بعد العدوان ، وفى مقدمتها منظمات المقاومة الفلسطينية وهى :

١ - بعد سنين من الانفصال فرضت ضرورات النضال العربى شكلا من اشكال الوحدة .. « وهى مؤتمرات القمة » « كنا نتساءل هل هذه التناقضات الموجودة بين الدول العربية تعيقنا عن العمل من اجل فلسطين . وكان رايى أن هذه التناقضات رغم وجودها ، لكن يجب أن ننساها .. ونحاول مع الدول العربية بكل تناقضاتها المختلفة أن نعمل من اجل فلسطين (١)

« وان مقتضيات الدفاع العربى فرضت أن نتناسى الخلافات والتناقضات ونحاول أن نصل الى **وحدة العمل** من اجل فلسطين » .

٢ - معركة وحدة القوى الثورية معركة أيضا متشعبة متعددة الجبهات .. جبهة تعمل فيها القوى الثورية فى داخل أوطانها الصغيرة ، لكى تثبت وجودها وتأثيرها ، وجبهة تلتقى عليها القوى الثورية معا ، وتنسق عملها معا وتحدد أهدافها ووسائلها معا (٢).

والجبهة الثالثة التى تتصادم فيها القوى الثورية مع التحالف المعادى لامال الامة العربية ، التحالف الثلاثى ، الاستعمار والرجعية : على يمين الاستعمار واسرائيل على يساره .

---

(١) عيد الثورة ١٩٦٦

(٢) عيد الوحدة ١٩٦٧

٣ ـ المعركة مع العدو لها الاولوية على اى شيء .. والمعركة تقتضى امة عربية واحدة فهى « تستلهى تعبئة كل بندقية عربية ، وكل جنيه عربى ، وكل فرد عربى .. وكل جهد عربى ، لا بد من جبهة عربية واحدة نواجه بها اعداءنا ..

٤ ـ ان هناك معركة واحدة ، وليس هناك معركة اخرى غيرها فى العالم العربى ، وهذه هى معركة الامة العربية ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة بقوى الاستعمار .. لسنا من انصار انشاء محاور عربية ، لا نتدخل فى الشئون الداخلية لاى بلد عربى وانما تهمنا مساهمة كل بلد عربى فى المعركة .. نحن مع كل تغيير يزيد من القوى العربية المحتشدة من أجل المعركة ، وضد اى صراع شخصى او طائفى او فكرى لا يكون من شأنه أن يضيف الى المعركة دائما ولا يأخذ منها »

٥ ـ ان حيوية الامة العربية رجالها ونساءها وشبابها تضغط تلقائيا وتحدث بقوة التطور ذاته معجزات هائلة (١)

٦ ـ بعد ١٩٦٧ وبعد النكسة حينما قال الاعداء ان الامة العربية قد تفتتت وان الامة العربية قد انتهت ، وان روح القومية قد ضاعت وان الثورات التقدمية فى طريقها الى الزوال (٢) بعد هذا شهدت ارض الامة العربية الثورة السودانية .. وحصل النضال العربى على دور ليبيا كاملا لصالح الثورة العربية ولصالح التحرير العربى .. بقيام الثورة فيها .

٧ ـ أن الشعب المصرى لم يكن فى هذه الوقفة التاريخية الرائعة فى جو الحرب .. وامام مخاطر العدوان والارهاب .. وانما وقفت معه أمته العربية كلها تدرك دوره فى النضال .. وتوفى له حقه فى تحمل العبء الاكبر من تبعات المعركة المصيرية المثيرة » (٣)

---

(١) مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٩
(٢) ٢٣ يوليو ١٩٧٠
(٣) ٢٣ يوليو ١٩٦٨

« كانت الجماهير قادرة على التمييز بين الذين يتاجرون بالكلمات ، فى أسواق المناورات الضيقة ، ومزايداتها ، وبين الذين يتقابلون مع الموت فى ساحة ميدان القتال . »

٨ ـ ان الشعب الفلسطيني خرج ليأخذ قضيته بنفسه ويدافع من حقوقه بنفسه . » (١)

« ان البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق . ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، وأصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا ان ننكر دور جماهير الشعب الفلسطيني . الشعب الفلسطيني الذى يرزح تحت الاحتلال يناضل نضالا مستمرا . »

« ليس هناك معيار اوفى ، ولا ادق ، من الموقف الذى يتخذه اى فرد او اى جماعة ، أو اى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، ولتدعيم جهودها ».

« لقد ظهرت المقاومة الفلسطينية ، واستطاعت المقاومة ان تحـــول الشعب الفلسطيني من شعب اللاجئين ، الى شعب من المقاتلين . واستطاع العمل الفلسطيني أن يفرض نفسه على كل العالم » .

« ان العدو سيحاول دائما ان يفرق بين ابناء المقاومة الفلسطينية ، وبين ابناء الشعب الفلسطيني .

« اننا نرى محاولات الاستعمار وأعوانه فى الوقيعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، وكنا نرى فى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الاستفزاز الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك أن اخوانـــنا يرون من ذلك مثل ما نرى . وان وعيهم بضرورات الموقف اشمل وأعمق . بحيث يعطى لنفسه القـــــدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها . »

---

(١) ١١ يونيو ١٩٧٠ .

● اولا : « المقـاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات فى مقدمتها تعتبر من اهم الظواهر الصحية ، فى نضـالنا العربى .. وهى التجسـيد العملى للتحول الكبير الذى طرأ على الشعب الفلسطينى تحت ضغوط القهر وحوله من شعب لاجئين الى شعب مقاتلين .

● ثانيا : « اننا لا نتغافل عن بعض الاخطاء التى يمكن ان تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، ولكننا نعتقـد ان الامة العربية عليها من موقف المحبة . وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح . »

« كل القوى فى امتنا العربية ، وكل الاطراف بل وكل الافراد فيهم ان يدركوا الى اعماق الاعماق ، أنه ليس امامنا جميعا بديل عن القتال من اجل الحق الذى نطلبه ومن أجل السلام الذى نسعى اليه .. ولا يمكن ان كون الحق تفريطا .. ولا يمكن أن يكون السلام استسلاما .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شىء غير الاقتتال .. والاقتتال رصاص طائش يعرض الاخ لسلاح أخيه .. القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الارض .. القتال شرف .. والاقتتال جريمة . »

٩ ـ « تيـار التاريخ يسير الى الامام .. والدول الكبرى التى حاولت ان توقف هذا التيار ، لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعى للتاريخ ، بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية والتضامن العربى ، سبيل الامان .. والسـبيل الوحيـد لحمايته .. والسبيل الوحيد لرفع مستواه .. والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا » (٢)

١٠ ـ « الهزيمة دائما لاعداء التاريخ ، واعداء التقدم . (٣) والنصر دائما للسائرين مع تيار التاريخ .. مع تيار التقدم .. وهذه كلها معـارك يتحقق فيها النصر لشعبنـا .. ولشعوب الامة

---

(١) ٢٦ نوفمبر ١٩٥٩ بلد تنليد السد العالى .

(٢) عيد النصر ١٩٦٦ .

العربية .. ولكن النصر النهائى فى حرب المصير كلها .. يتحقق ويتأكد بالقوة الذاتية الشاملة فى جميع الاتجاهات » « ان التاريخ لا يعود الى الوراء .. وان حركة التقدم دائما الى الامام .. مع أمانى الشعوب الحقة .. ومع آمالها العزيزة .. ان أمتنا العربية قادرة .. ان أمتنا العربية لتحرك .. الحرية والاشتراكية والوحـــدة لها المستقبل على الارض العربية .. معناها ان الاستعمار والرجعيــة واسرائيــل تحارب معركة الماضى .. وانها سوف تذهب مع الماضى مهما طولت ومهما اشتدت ضراوتها .. ومهما جربت أن تتحدى الزمن » (١) .

١١ـ الناس فى بعض الاحيان .. يعيشون على الاحلام ، وهم بعد ذلك قادرون على تحقيق تلك الاحلام ، لماذا كنا غير قادرين على تحقيق احلام الوحدة بسبب التعقيدات التى تواجهها ، وبسبب الحقبة الطويلة التى عانينـــا فيهـــا ، فى بلادنا من الاستعمار فان الذين سيأتون بعدنا سوف يكونون قادرين على تحقيق ذلك .. يقولون أننى رفعت شـــعار الوحـــدة العربية ، لا .. ان ذلك ليس صحيحا ، ان هذا الشعار قديم وعندما كنت طفلا فى المدرسة الابتدائية ، كنت أقرأ شعار الوحدة العربية ، فهو اذن شىء فى روح العرب .. وفى دمائهم فاذا لم نكن قادرين على تحقيقه ، فان ابناءنا يستطيعون تحقيقه (٢) .

١٢ـ ليس المهم هو حساب الايام ، ولكن الاهم هو حساب النصر، على الا تكون الايام ضائعة والا تتسرب ساعاتها بين أيدينا .»

---

(١) عيد الوحدة ١٩٦٧ .

(٢) من حديث مع محطة اذاعة كولومبيا الامريكية ، يوليو ١٩٦٥ .

و ... البت ابناء هذا الشعب دائما « انهم الامناء . الامناء بالكلمة .. والامناء بالفعل (٦) » .

لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة ـ بالنسبة له . كلمات .. وانما كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له اعمالا .. كانت كلها بالنسبة له قتالا .. وليس هنالك علم شريف يرفرف على الارض العربيه الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته (٤) » .

---

(١) المؤتمر القومى ٢٢ يوليو ١٩٧٠ م

وثائق

هـذه مجموعة من الوثائق ، من كلمات واقوال الزعيم الخالد رأيت ان اضمنها هذا الكتاب لعدة امور :

١ - انها تعكس بشكل مباشر جذور الفكر الناصرى .

٢ - ان بها من الكلمات ما يكشف تطور هذا الفكر وخاصة تلك الكلمات الهامة التى قالها فى افتتاح اللجنة التحضيرية والتى تعتبر من اهم واخطر ما قاله الزعيم .

٣ - أن كلماته حول التنظيم السياسى لا يمكن ان يستغنى عنها اى مفكر سياسى ، كما انها تكشف رايه بوضوح فى كل القضايا المتعلقة بالتنظيم ، وقضية التنظيم السياسى من القضايا التى يجب أن يكون فكر عبد النـاصر فيها واضحا أمام المشتغلين بالعمل السياسى اولا ، وامام المثقفين بالذات ، ثم أمام الجماهير العريضة التى آمنت بفكر عبد الناصر وارتضته طريقا تتقدمها .

مفهوم العمـــل السياسى

نريد ان نضع اسسا وتقاليد نسير عليها ، ويسير عليها الاتحاد الاشتراكى بجميع مستوياته ..

وحتى نصل الى ذلك فلا بد ان نتعرف على مشاكل البلد ونتعمق فى مشاكل الناس ثم نتحدث عنها ونناقشها ، ونصل الى حلول بشانها ، ولا بد ان نتكلم بصراحة فى جميع الموضوعات ..

اننا مستعدون ان نسمع هنا اى كلام ، عن اى شىء ، واى شخص بكل صراحة وبكل وضوح دون ان نجامل احدا ، لانى اعتبر ان المجاملة تهدم ..

ومن الممكن ان نختلف هنا فى الاراء ووجهات النظر الى اى مدى ، فنحن نريد ان يتكلم كل شخص وان يبدى رأيه .

يهمنا أن نتعرف على الوسائل العلمية الايجابية ، التى تمكننا من أن ندفع بالاتحاد الاشتراكى ، بحيث يكون فعلا تنظيما يوصل بين القيادة والجماهير ويؤمن بالثورة واهدافها ، وان يكون مستعدا للكفاح والنضال ، من اجل تحقيق الاهداف التى اعلنتها الثورة .

لذلك يجب ان نحدد رسالة الاتحاد الاشتراكى ، وان نحدد واجبه تحديدا واضحا .. حتى يؤدى مهمته الاساســية وهى : العمل الجماهيرى ، والعمل السياسى . وذلك هو الذى يجعلنا نقول بان الاتحاد الاشتراكى يشمل البلد كلها .

كنا نعتمد فى الاثنتى عشرة سنة الماضية فى العمل الاشتراكى والعمل الوطنى على الجهد الادارى .. وكان اعتمادنا على العمل الشعبى محدودا .. وقد وصلنا فى المرحلة التى نمر بها الان ، الى مرحلة التحدى بين القوى الاشتراكية والقوى المضادة للاشتراكية ، وسوف تنشا فى هذه المرحلة معارك .. فالقوى المضـادة للاشتراكية تريد ان توقفنا عند الحد الذى وصلنا اليه ، وهى تعمل باستمرار لتصل الى هدفها ولذلك فهى تتسرب بين تنظيمات الفلاحين وقوى الشعب العاملة الاخرى .

ولهذا نريد أن نضع سياسة تنظيمية جديدة ، يكون اهم شىء فيها هو العمل ولا نريد ان نعمل بطريقة الوزارات والادارات .. نريد ان نعمل بطريقة التنظيمات السياسية نريد ان نغير الوضع ونبتعد عن الاهتمام بعملية الكلام بقدر الامكان حيث ان الناس ملوا من كثرة الكلام دون نتيجة .. نريد النتائج .. ونريد الناس ان يعرفوا ماذا تم من عمل .. !

اننا نعتبر ثورتنا ثورة فريدة فى نوعها ، اذ اننا حاولنا فى بدايتها ان نجمع « نلم » كل الناس من اجل تصفية الاحزاب الاخرى التى كانت موجودة .. وقد فجحنا فى هذا بالنسبة لهيئة التحرير والاتحاد القومى لتحقيق اهداف محدودة .

اما بالنسبة للاتحاد الاشتراكى فان اهدافنا تعتبر بالنسبة له اهدافا واسعة وعميقة لتحقيق المجتمع الاشتراكى الذى نتطلع اليه ..

ولا بد ان يكون مفهوما لنا جميعا ان الاشتراكية ليست مطالب فقط كما قد يفهمها بعض الناس انها مجرد توزيع للاراضى ومنح علاوات وما الى ذلك .. بل ان الاشتراكية اداء اكثر منها مطالب ..

فمن يريد ان يبنى بلده يجب ان يضحى وان يتبنى هذه المبـــادىء عن ايمان ونحن نريد اناسا يؤمنون بهذه المبادىء ، ويتبنونها ، ويحاربون فى سبيلهـــا ويضحون بجهدهم ووقتهم ويعملون ليلا ونهارا فى سبيلها ..

ان العملية ليست مرسومة فى تفكيرى ، فانه من مناقشاتنا سوف نصل الى الخطوات التى نسير فيها لانه كما قيل هنا قد يكون هناك غموض .. ومناقشاتنا سوف تزيل ما قد يبدو غامضا .. وليس فى ذهنى رسم معين للعملية وما هو فى ذهنى ان ننطلق جماهيريا هذا هو الاساس .. فما هو الاسلوب .

لكننى اتصور ان امامنا عمليتين :

عملية التفسير وتنشيط الاتحاد الاشتراكى القائم فعلا .

والعملية الاخرى هى عملية التنظيم السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى .

وسوف نستفيد من عملية التنشيط فى المدى البعيد .

اما عملية استكشاف الناس فى الاتحاد الاشتراكى القائم فعلا فهى عمليـة ليست سهلة .

ان هدفنا ذو شقين : الشق الاول هو ان نحيى الاتحاد الاشتراكى الموجود ، وان نخلق اتصالات كاملة مستمرة ذات اتجاهين : اتصال من القيادة الى القاعدة واتصال من القاعدة الى القيادة .

اما الشق الثانى فهو عملية اختيار الناس الذين يعملون فى التنظيم السياسى الحركيين ، القياديين ، الذين نعتمد عليهم اعتمادا كاملا فى الدعوة والفكر وكل مهام الاتحاد الاشتراكى ويتم ذلك بطريقة غير روتينية .

يجب الآن ان نعمل .. وبسرعة .. ولا يجب ان يكون عملنا مكتبيا فلو عملنا عملا مكتبيا فسنكون وكاننا لم نفعل شيئا ..

اننا نريد ان نتحرك ، فنحن فى حاجة الى ان نتحرك ، ولا بد ان نتحرك .

التنظيم العام

حتمية قيام الاتحاد الاشتراكى :

فى مراحل التفكير الاولى لاقامة تنظيم سياسى برزت لبعض الوقت فكرة قيام التنظيم فى حيز ضيق .. وكنت قد تكلمت عن هذا فى مؤتمر القوى الشعبية للاتحاد الاشتراكى .. ولكن وجدنا استحالة تنفيذ هذا الراى لاننا كنا سنخلق المعارضة قبل ان يقوم التنظيم نفسه .

فعندما قلنا اننا سوف تكون الاتحاد الاشتراكى من ٥٠ الف عضو فقط تبينا انه عند التطبيق فسوف نبتعد كثيرا عن الناس .. وبذلك ستوجد المعارضة قبل ان يوجد الاتحاد الاشتراكى .

فمثلا ، كانت مدينة بور سعيد كلها تريد الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى فاذا قلنا اننا سنختار الفا او الفين منها فقط .. فاين يذهب الباقون ؟.. انهم كانوا سيسقطون بسهولة فى ايدى القوى المضادة للاشتراكية .

وكانت الرجعية ستجد الفرصة حينئذ لتؤثر على الجماهير واجتذاب هذا الجزء الكبير نحوها .

وحينما تاخر تشكيل الجهاز السياسى لبعض الوقت ، وتركنا التنظيم للرجعية استطاعت بالفعل ان تستميل بعض الناس الى جانبها ، حينما زعمت مثلا اننا بصدد تصفية الطبقة المتوسطة .

واننى اخشى على الملايين الستة من الرجعية ، التى بدات تضاعف من نشاطها بعد اطلاق الحريات امامها والغاء الاحكام العرفية .. لان الوضع الطبيعى فى مثل هذه الظروف ان تنشط الرجعية عن ذى قبل ..

فاذا لم ننشط اكثر من الرجعية بحيث نكون على اتصال دائم بهذه الملايين الستة فان الرجعية تستطيع ان تنجح فى اهدافها ..

فيجب ان يكون تنظيمنا قائما على الاتصال بجميع قواعد الاتحاد الاشتراكى لاعطائها وجهة نظرنا ، وفكرنا ونتلقى منها وجهة نظرها ، وفكرها ، ونضع مشاكلها امامنا نحل منها ما يمكن حله ونوضح لها الموقف بالنسبة للمشاكل التى تستعصى على الحل ..

وفى نفس الوقت يجب ان نقوم بعملية التوعية الاشتراكية ..

فالاتحاد الاشتراكى انما يشمل العمل الجماهيرى والعمل السياسى ..

وتجربة اقامة التنظيم السياسى بحيث تجد فيه جماهير الشعب المستفيدة من التغيير الثورى ، مجالا لنشاطها ، هى تجربة لها امثلة فى البلاد الاخرى ..

فمثلا فى الاتحاد السوفييتى يبلغ عدد السكان ٢٠٠ مليون نسمة ، والذين قاموا بالثورة وهم اعضاء الحزب كانوا يبلغون عام ١٩١٧ عشرة آلاف شخص ولكنهم اعتمدوا على العمال والجنود والفلاحين كذلك فيما بعد ..

ولو ان الحزب اعتمد على العشرة آلاف شخص وحدهم لما نجحت الثورة ...

تقييم التجربة :

قام الاتحاد الاشتراكى ليكون التنظيم الذى يوصل بين القيادة والجماهير ويؤمن بالثورة واهدافها ، ويكون على استعداد للكفاح والنضال من اجل تحقيق الاهداف الاشتراكية التى اعلنتها الثورة .

ولكن هل استطاع الاتحاد الاشتراكى ان يؤدى رسالته ؟

الحقيقة هى اننا نشكو حتى الآن ، كذلك البلد كلها تشكو ، لان الاتحاد الاشتراكى لم يعمل شيئا .

ونحن فى الحقيقة واجهتنا مشكلة ... وهى ان الثورة لم تقم على تنظيم شعبى ولكنها قامت على عدد قليل من ضباط الجيش ... وكانت البلد مهيأة بالفعل للثورة وانا اعتبر ان هيئة التحرير نجحت فى عملها ، لانها تصدت للاحزاب القديمة .. واستطاعت ان تسير الى حد كبير ، وان تحقق الاهداف المطلوبة منها ..

وقد نجحنا بالنسبة لهيئة التحرير ، والاتحاد القومى ، فى تحقيق اهداف محدودة .

ولكن واجهتنا بعد ذلك مشكلة ، حينما وصلنا الى مرحلة « كلنا هيئة التحرير » ومعنى هذا ان الناس كلها دخلت هيئة التحرير ، بينما لم تكن توجد العناصر

القيادية التى تعمل وتوجه بعد ... ان عملية « كلنا هيئة التحرير » تعطى العملية نوعا من السلبية .

وبالنسبة للاتحاد الاشتراكى ، فان اهدافنا ليست محدودة ، حيث تعتبر اهدافنا بالنسبة له اهدافا واسعة وعميقة .

والمفروض ان تكون المنظمة من عدد او مجموعة صغيرة على اسس معينـــة وتقوم هذه المجموعة بنشر الدعوة ... ثم ينضم اليها اناس آخرون ـ وتكبر المجموعة .. وهكذا ولكننا سرنا على عكس ذلك ..

ان اصعب عملية هى تنظيم الناس ... والتنظيم معنـــاه اننا ننظم الجماهير ونعيش معها ، ونتكلم معها ، ونتفاعل معها ، حتى تتفاعل معنا .. وبدون التنظيم فلن نستفيد الفائدة الكاملة .

ويجب اذن الا نلقى العيب على الناس ، بينما نحن الذين تركناهم وتركنا لجـان الاتحاد الاشتراكى لمدة سنة ونصف ، ولم نحدد للجان العشرين العمل الموكول اليها .

ولو اجرينا انتخابات اخرى بعد ستة اشهر مثلا ، فسوف تكون العملية بالنسبة للاتحاد الاشتراكى هى مجرد عملية شكليات ، ويكون الاتحاد الاشتراكى عبارة عن هرم مرسوم على الورق ...

فاذا لم نجمـــع القوى الاشتراكية ، فلن توجد اية فاعلية سياسية للاتحـــاد الاشتراكى ، وطالما انه لا يوجد بين القيادة والقاعدة ، وطالما لم نحدد للجان الاتحاد العمل الذى تقوم به ، فاى شىء ننتظر من هذه اللجان ان تبحثه ؟ ...

نحن اذن مسئولون عن هذا ، انهم لا يعملون شيئا ...

ولو فرض مثلا وجئنا بشخص يعيش فى مجاهل افريقيا .. وطلبنا اليه ان يتكلم عن الكهرباء فهل يستطيع ذلك ؟ كيف يتكلم عنها وهو لم ير الكهرباء طوال حياته ؟

والملاحظة حتى اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة وبين الناس . والذى اريد ان اقوله هنا ، ان تنظيم الاتحـــاد الاشـــتراكى حتى الآن ، هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية التى عقدت لذلك حينما عقدت المؤتمرات كان يقـول فيها كل شخص اى شىء مهما كان .

وفى رايى ان ما يحدث فى المؤتمرات وغيرها اليوم ، هو نتيجة وجود جميع العناصر الاشتراكية ليست منظمة فان العناصر المعادية للاشتراكية منظمة .

فيجب ان ننظم العناصر الاشتراكية حتى يكون هناك صمام الامان داخل الاتحاد

الاشــــتراكى ، وهو التنظيم الملتزم ... اما الآن فلا يوجــد فى الاتحاد الاشتراكى تنظيم ملتزم .

يضاف الى ذلك ، اننا نقاسى من محاولة هدم الناس بعضها البعض فكل شخص يلقى اللوم على الآخر ... والحقيقة أنه توجد نغمة يحاول فيها كل انسان ان يزعم انه ملاك طاهر ، وان الآخــر مخطىء وانه هو الذى لا يخطىء ... وهــذا نوع من الانانية فى المناخ الموجود ...

وطبيعى أننا مسئولون عن معالجة هذه الأمور فى الامانة العامة ... فانا لا اعتبر ان الدنيا « متوقفة » نتيجة لما يظهر من نقد أو ما يطرأ من بعض المشاكل العارضة فالدنيا بخير ، ونحن اذا استطعنا تنظيم أنفسنا يكون من السهل علينا عمل اى شىء ... ولقد تم بالفعل عمل الكثير الذى يشبه المعجزات .

خطة عمل لتنشيط الاتحاد الاشتراكي :

يجب ان يكون هدفنا هو تنشيط الاتحاد الاشتراكى .. واقامة التنظيم السياسى والا فكما اعتقد ان الاتحاد الاشتراكى سوف ينهار ...

وفى رأيى ان الذين قد يقولون « لا فائدة » أناس مغالطون .. اننا اليوم نبـدأ من نقطة البداية ...

نبدأ بالتنظيم ... وطالما انه لا يوجد تنظيم فان الناس لا يشعرون بان الاتحاد الاشتراكى قائم وفعال ويعمل من اجلهم .

وفى الوقت نفسه فاننى لا أريد ان نبدأ بعملية سلبية ..

بل يجب أن ننطلق من ناحية الانجاز ، وكذلك لابد ان ننظر الى مشاكل الناس ونحاول حلهـا ...

وان كنا نريد هنا فى الامانة ان نؤجل الحديث عن المشاكل حتى نضــع قوائم التنظيم لان المشاكل كثيرة ، وبدون التنظيم فلن نستطيع هنا فى الامانة حلها وطبيعى اننا لا نستطيع ان نترك هذه المشاكل او نهملهــا دون حل ، انما نحـاول فى الوقت الحاضر وحتى يقوم التنظيم ان نحلها عن طريق مجلس الامة والاجهزة المختلفــة ولا نقحم الامانة العامة اليوم فى المشاكل قبل ان نوجد التنظيم .

فالتنظيم هو الذى يجعل القيادة متصلة بمشاكل الناس لتحلها .. والمشاكل لن تنتهى وهى ليست موجودة فى مجتمعنا فقط ، بل هى موجودة فى جميع أنحاء الدنيا وفى كل البلاد المتقدمة كما نقرأ فى الصحف الاجنبية .. وفى الوقت الذى

كنا نناقش هنا فى مجلس الامة مشكلة تطوير التعليم الجامعى مثلا ، كانت صحف انجلترا مثلا تتحدث عن مشاكل كثيرة فى التعليم بانجلترا .. ولا شك ان التنظيم هو الذى يجعلنا قادرين على التعرف على مشـــاكل الناس لنحلها أو نرد عليها بالصراحة والوضوح والاقناع ..

فنحن لا نستطيع أن نحل مشاكل لا نعرفها ، او نكون بعيدين عنها .. ان ما قلته فى مجلس الامة يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ مثلا ، لم يكن نتيجة وجود جهاز منظم يعرض مشاكل المجتمع لكن ذلك تم نتيجة لاتصالى بالناس عن طريق الرسائل التى اتلقاها .. وما من شك ان عرض هذه المشاكل عن طريق جهاز امين نابع من الاتحاد الاشتراكى يكون افضل بكثير .

هل الاتحاد الاشتراكى ، قدم لى أو حدد لى شيئا لكى اتحدث فيه ؟ هل ساهم الاتحاد الاشتراكى فى تلمس مشاكل الشعب وقدم لى نقطا لكى اتكلم عنها ، عندما عرف الاتحاد الاشتراكى ولجانه وتنظيماته اننى سأتحدث الى المواطنين عن السياسة العامة فى جلسة مجلس الامة يوم ١٢ نوفمبر ؟.. هل قدم لى اعضاء مجلس الامة ـ والمجلس ينبثق من الاتحاد الاشتراكى موضوعات لكى اتناولها فى حديثى ؟ لم يحدث .

فيجب ان نصل الى وضع المشاكل تحت نظر قيادة الاتحاد الاشتراكى حتى يمكن دراستها وحلها وحتى تتم التوعية السليمة تجاه المشاكل التى لا يمكن حلها .

الأمانة العامة والأمانات الفرعية :

اعتقد ان وجود الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى قد ملأ جزء من الفراغ .. فعندما تجتمع الامانة العامة كل يوم او اثنين فى الوقت الحاضر فستكون هنـــاك الفرصة لمقابلة الناس لنفتح لهم قلوبنا ـ ونتعرف على أمورهم وآرائهم ومشاكلهم .. وهذا امر اعتبره من الواجبات التى يجب أن تقوم بها مكاتب الاتحاد الاشتراكى .. والامانة العـــامة هى التى تعمل و « تشـــغل » الاتحاد الاشتراكى وتخلق الحيوية والحركة فيه ..

ان اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى ترسم السـياسة ، ولكن العمل الفعلى الحقيقى هو من عمل الامانة العامة .

ليس هناك ما يمنع من ضم بعض الاعضاء الآخرين الى الامانة العـــامة بحيث نستطيع ان نمثل جميع النواحى والقطاعات فى الامانة العامة .

وهذا التمثيل الكامل سيساعد على ان يكون هناك اتصال بكل فئات المجتمع ..

ولما كان الاتحاد الاشتراكى هو منظمة للمجالس الشعبية ولكل المنظمات فانه اذا فقدت هذه المنظمة اتصالها بالشعب ومختلف فئات الجماهير فانه ينتهى كل شىء بالنسبة لها ..

هنا لابد ان نتساءل : ماهو التنظيم السياسى ؟

اعتقد انه اتضح لنا جميعا الآن ان التنظيم السياسى هو الجهاز الذى يخلق اتصالا مستمرا وامينا بين القاعدة والقيادة ، بحيث تحس القيادة بطلبات القاعدة وبحيث تحس القاعدة باتجاهات القيادة وفكرها ..

ولقد كان السبب فى الفراغ السابق انه لم تكن توجد امانة عامة « متفرغة » تمثل « الطلمبة » الماصة الكابسة التى تعطى وتأخذ من الوحدات .. ومن ناحية اخرى فنحن لا نستطيع ان نحقق اى نجاح فى الاتحاد الاشتراكى على اساس ان نجتمع هنا ونكتفى بأن نقول « قررنا كذا وكذا »

ان كل شخص فى الاتحاد الاشتراكى يريد ان يعمل ، وان نشعر به وهو يعمل مع الجماهير ومن مواقعها ..

فلا بد لذن ان يكون هناك اتصال بين الوحدات الاساسية والامانة العامة وهذا يحقق لنا الكثير مما نرجوه ..

نستطيع مثلا ان ننظم وصول التقارير الى القاعدة باستمرار ووصول التقارير الى القيادة دائما ..

يمكن مثلا ان تكون هناك مبرقات « اجهزة تيكرز » فى الاتحاد الاشتراكى وفى كل محافظة كما هو الحال فى وكالات الانباء وفى الاحزاب الامريكية ، حيث تصل التقارير بسرعة الى الجهاز المركزى ..

ولقد كان الرأى فى اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى اثناء دراسة فعالية التنظيم بين المحافظات والمركز الرئيسى ، على اساس انه لا بد ان ترسل تقارير يومية من المحافظات الى المركز الرئيسى ، ومن المركز الرئيسى الى المحافظات وان تكون هناك اجهزة « تيكرز » متصلة بالمحافظات لاقامة هذا الربط المستمر ..

والذى اتصوره بالنسبة للامانات الفرعية بعد ان شكلت الامانة العامة ان يكون فى محافظة القاهرة امانة للعمل مثـــلا وكذلك محافظة الاسكندرية ، والغربية ، وبور سعيد وهكذا ..

وستكون علاقة الامانة العامة بامانات العمل عن طريق امانة العمال لان الامانة

العامة لا تستطيع ان يكون عملها المباشر بكل الامانات الفرعية فى المحافظات للعمال والفلاحين والشـباب وهكذا ، ويتم ذلك عن طريق الامانة الفرعيـة الرئيسية لكل فئة ..

وفى رأيى أن يكون فى المحافظات والمراكز والاقسام نفس التقسيمات الموجودة فى الامانة العامة ، اى ان تكون هناك امانات فرعية لاوجه النشاط المختلفة .

ويجب ان نساعد هؤلاء الذين سيعملون فى المحافظات ونمدهم بكل الامكانيات للعمل المثمر ، لاننا لا نستطيع ونحن هنا أن نعمل بالنسبة لكل عمال الجمهورية مثـلا ..

وفى نفس الوقت فان الشخص الذى يكون مسـئولا عن العمال فى محافظـة كمحافظة القليوبية مثلا ، يعطى أمانة العمال البيانات عن شئون العمال واحوالهم وافكارهم بالنسبة لمحافظته كما يعطى امين المحافظة للاتحاد الاشتراكى الذى يمثل التنظيم ككل ، لان امين المحافظة يجب أن يلم بكل نشاط المحافظة وامورها .

بهذا تسير العملية فى الناحية الاقليمية وفى الناحية العامة فى وقت واحد .. وما يتم بالنسبة للعمال مثلا يتم كذلك بالنسبة للشباب والفلاحين وهكذا ..

والموضوع الاخر ـ الذى احب ان أعرض له هنا هو العمل ـ وكيفية ممارسة العمل وايجاد مكاتب للعمل ومقار هذه المكاتب حتى يحضر الناس اليها فى اى وقت يشاءون .

يجب أن تكون هذه المكاتب مفتوحة ليلا ونهارا بصفة مستمرة ، وهذه المكاتب تقوم الى جانب وجود الاماكن الاخرى مثل النـوادى وغيرها حتى يجتمع الناس ويتحدثون عن امورهم المحلية ويتناقشون فى امور بلادهم .

ونريد كذلك ان نحدد اختصاصات كل مكتب ، وان يتم اختيار الاشخاص الذين سيعملون بها حتى يبدأ العمل فورا بحيث يقوم المسئولون عن قطاع العمل مثلا بتحديد المسئولين عن قطاع العمال فى المحافظات ، ثم تحديد المسئولين فى المراكز والاقسام حتى نصل الى الوحدات الجماهيرية اى يجب ان يوجد تسلسل فى خطة العمل والمفروض فى كل مسئول عن قطاع ان يعمل بين الجماهير .

وعلى كل امانة فرعية ان تضع لها برنامجا وتقوم بعملية الاستكشاف ولا تعمل فى المكاتب حيث لا ينقصنا الجلوس فى المكاتب ، ونريد عملا من خلال الجماهير ويجب أن تعمل الامانات الفرعية مع بعضها بحيث تتكلم لغـة واحدة فى تناسق وبحيث توجد وحدة فكرية ولا تختلف على التعاريف .

ولا بد ان يجتمع اعضاء الامانة العامة معا ويتم الاتصال بينهم ، حتى ولو كان ذلك فى مقابلات خاصة ، لانه لو عمل كل مكتب فى الامانات منفصلا عن المكاتب الاخرى فسوف تكون العملية غير سليمة .

ان الوحدة الفكرية ضرورية .. وهكذا يستدعى انشاء معهد اشتراكى ، وان تقوم بتفسير النقاط التى يتساءل الناس عنها .. فالطلبة فى معسكراتهم مثلا كانوا يتساءلون عن معنى الاشتراكية العملية لان البعض يقول انها الماركسية والبعض الآخر يقول انها هى الشيوعية .

ويمكن ايجاد مكتب يكون مسئولا عن الدعوة بالاضافة الى المكتب المسئول عن المعهد الاشتراكى بحيث لا يخرج اى شخص بدون دراسة ولا يصدر كلام لا يفهمه الناس - وفى رايى أن يكون بامانة البحوث كل المراجع المطلوبة ويكون لديها جميع الوثائق .. فمثلا لو طلب عمل بحث فى موضوع معين مثل موضوع النقابات فسوف نقدم هذه الامانة دراسات مقارنة عما هو فى الاتحاد السوفييتى مثلا ويوغوسلافيا وغيرهما .

وهذه البحوث ليس من الضرورى أن تنشر وانما تكون بحوثا ودراسات مقارنة .. وبهذا فان عمل امانة البحوث مختلف عن عمل امانة الدعوة .. وانا اعتبر ان العملية خطيرة جدا بالنسبة للمعهد الاشتراكى وبالنسبة للدعوة ، ولذلك يجب أن نسير فيها خطوة خطوة .

اننا نستطيع ان نخصص اوقاتا فى التليفزيون مثلا لتذاع ندوة كل حوالى اسبوعين تتكلمون فيها مع الناس وتشرحون لهم .. ويمكن فى الصحافة نشر موضوعات بهذا الشكل .. وفى رايى ان الذين يكتبون فى الاشتراكية اليوم يعقدون الموضوع ولا بد ان نبسط الامور للناس .

وبالنسبة لتشكيل الامانات الفرعية فنحن نعمل على اساس شعبى .. ولذلك فان العمل الواجب بالنسبة للامانات الفرعية والذين يعملون فيها ، هو العمل القيادى بين الجماهير .. وانا اتصور ان لجنة الامانة الفرعية قد يصل عدد اعضائها الى عشرة ويجب ان تكون مرنين فى هذا الموضوع .. وبعد ذلك يمكن ان نقسم كل امانة فرعية الى مكاتب فرعية بكل منها عدد وليكن عشرة ايضا ..

اننى ارى انه كلما زاد العدد كلما كان ذلك افضل ، لان هذا معناه اننا ندعم قاعدة العمل فى الاتحاد الاشتراكى .

اننا نسير ونستكشف ، وفي سيرنا لا مانع من التغيير اذا اقتضى الامر ذلك .. فمثلا بالنسبة لتنظيمات القاهرة سيكون التنظيم على مستوى الاقسام . فاذا لم نتمكن من عمل التقسيم على مستوى الاقسام فيمكن ان يتم على مستوى المناطق ، ولكون عندنا لجنة للمنطقة وكذلك الحال بالنسبة للاسكندرية .. وقد يكون للقاهرة اربع او خمس لجان وتكون هناك لجنة لكل منطقة من هذه المناطق .

وما يتم في القاهرة يجب ان يتم في الاسكندرية فقد تكون هناك منطقة لشرق القاهرة ومنطقة لغرب القاهرة ومنطقة لشمال القاهرة ومنطقة لجنوب القاهرة الى آخره .. وبدلا من ان تكون هناك لجنة واحدة تكون هناك خمس لجان ، وبدلا من ان يكون في لجنة القاهرة ثلاثون عضوا يصبح بها مائتان او ثلاثمائة عضو .. واعتقد ان هذه اللجان التي ستكون في القاهرة سوف تساعد على تنشيط الاتحاد الاشتراكي لانه سيكون لكل خمسة اقسام مثلا لجنة .. وبذلك نجد اننا بدانا نعمل فعلا ونتوسع .

ولكن يجب ان نعرف أولا ما هو العمل ؟

ان مسئوليتنا ان نجمع كل الناس في جميع القطاعات .. فنحن عندما نعقد الآن مؤتمرا فاننا نجمع فيه الاشتراكيين مع العناصر المضادة للثورة وقد تكون العناصر المضادة للثورة على درجة من القوة على أساس ان البلد بطبيعتها محافظة ، والناس بطبيعتهم محافظون ، فعمليتنا الاساسية هي ان نجمع العناصر الاشتراكية .

ففي قطاع المهنيين مثلا .. نبدأ بعمل أمانة للمهنيين وبعد ذلك نبدأ بعشرة من المحامين وعشرة من المهندسين وعشرة من الاطباء .. ومن طريق هؤلاء نخلق الوعي ونكتل القوى الاشتراكية بالاضافة الى القوى السليمة التي ليست مضادة للثورة .

وهنا اريد ان اعبر عن اهمية اختيار الاسماء .. وهذا يستدعي ان اقول لكم تصوري للمؤتمر القومي العام ..

انني اتصور ان المؤتمر سيضم اعضاء الامانة العامة وأعضاء المكاتب الفرعية والامانات الفرعية وتصوري للمؤتمر اجمالا انه سيضم ايضا لجان المحافظات وجميع اعضاء مجلس الامة ويمكن ان نضم للمؤتمر ايضا عضوا من كل لجنة او قسم او مركز .. بالاضافة الى اللجنة التنفيذية العليا والوزراء .. والمحافظين .. على اساس انهم الجهاز التنفيذي .

هذا هو الشكل الذي اتصوره اليوم اذا اردنا أن نعقد مؤتمرا قوميا عاما للاتحاد الاشتراكي العربي .. وهذا يستدعي ان يكون اختيارنا للاسماء اختيار

دقيق جدا لان الشخص الذى سنختاره سيسير فى العمل السياسى ويكون عضوا فى أكبر تنظيم سياسى .

وفى بحثنا لموضوع العناصر التى ستحمل هذه المسئولية ، ناقشنا فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا موضوع اعادة النظر بالنسبة للامناء فى المحافظات وانهم لا بد ان يكونوا متفرغين ويمكن ان يحصلوا على مرتبات تساوى مرتبات المحافظين على اساس أن يكونوا حركيين ومتفرغين ومقيمين فى محافظاتهم ولن تعتبر العملية كانها وظيفة على مستوى المحافظة .

اما بالنسبة لاعضاء مجلس الامة واختيار بعضهم كامناء للاتحاد الاشتراكى فى المحافظات فان عضو مجلس الامة مشغول بعمل المجلس حيث يمكث ثلاثة أو اربعة ايام فى القاهرة للعمل بالمجلس .. فاختيار عضو مجلس الامة لهذا العمل عملية صعبة .

وبعد ان يتم هذا فى المحافظات نبحث الموضوع على مستوى المراكز والاقسام .

وهذا لا يمنع بعد مدة ان نعيد تنظيم انفسنا .. اى يجب ان نكون فى عملنا فى منتهى المرونة بحيث لو سرنا فى التنظيم ووجدنا ما يستدعى اعادة تنظيم انفسنا فسوف نغير التنظيم اى اننا لا نضع تنظيما جامدا او خالدا ..

وبوجه عام فلا مانع من عملية التنظيم ، من ان نستفيد بالتنظيمات التى نجحت فى البلاد الاخرى .

رقابة ومتابعة :

لا بد ان يفهم الناس ان هناك رقابة وان من ينحرف سيفصل .. لنفرض ان هناك اناسا انحرفوا فى الاتحـــاد الاشتراكى ، فهل نتركهم ؟.. ان كل الذين يتاجرون فى السوق السوداء مثلا ، اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ، فهل اتخذ اجراء بفصل هؤلاء الناس من الاتحاد الاشتراكى ؟.. لذلك يجب ان نقول ان هناك رقابة ويمكن ان تجرى تحقيقات بواسطة مكتب الرقابة والمكتب له اختصاصان : الرقابة على كل الاتحاد الاشتراكى باجهزته ، بحيث يبلغ عن اى انحراف او خروج عن رسالة الاتحاد الاشتراكى ، سواء بالنسبة للافراد او المنظمات الفرعية .. وفى تصورى انه يوجد مكتب للرقابة بالقاهرة وكذلك بالاسكندرية وفى المحافظات ويكون هناك اتصال بين هذه المكاتب . والاختصاص الثانى بالنسبة للمحافظات حتى نعيد النظر للاستغناء عن العناصر الغير نشطة ، وانا اتصور ان تكون هناك لجنة خاصة لاعادة النظر فى لجان المحافظات ولا مانع من استبعاد السلبيين والذين لا يلتزمون .

وعملنا هو تكوين وايجاد لجان سليمة للاتحاد الاشتراكى على مستوى البلد كلها .. ولو وجدنا امينا غير صالح نستبعده ونأتى بغيره .. ولو وجدنا لجنة غير صالحة نعيد تشكيلها ويكون ذلك على مستوى المحافظات والاقسام والوحدات الاساسية واذا وجدنا بعض الناس الصالحين نضمهم الى اللجـان فورا على اى مستوى من المستويات المذكورة .

مجال عمل الاتحاد الاشتراكى :

يجب ان نحدد للجماهير عمل الاتحاد الاشتراكى ، فاننا اذا حددنا مجالات هذا العمل فان الامور تصبح امامهم سهلة وواضحة .. لا بد ان نقول لهم ما هى السياسة فى الوضـع الجديد وفى المرحلة التى نمر بهـا .. مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية نقول لهم مفهوم السياسة الآن ومفهومها قبل ذلك .

ونحن اذا حددنا للناس موضوعات معينة للتباحث فيها غير الموضوعات اليومية مثل قصر التكلم على مؤتمر عدم الانحياز او مؤتمر القمة الافريقى فسوف نقضى على اللجان بالتجمد .

اذن يجب ان نهتم بالناحية الشخصية لرفع الظلم عن الناس .. فاذا لم نبحث من كل هذه الامور فسيكون كل ما نقوله « كلام فى الهواء » .

فواجبنا اذن ان نحدد رسالة الاتحاد الاشـتراكى بالتفصيل .. هل له ان يبحث المشاكل ام لا ؟.. واى شىء تبحثه اللجان ؟ لقد قرأت مقالا عن الصين والتنظيم الصينى جاء فيه انه توجد لجنة شارع وقد اجتمعت هذه اللجنة وقررت طرد بعض الاشخاص من الشارع لفساد اخلاقهم ويعلن الكاتب ان الناحية الاخلاقية فى الصين تسير على ما يرام .. وقد يعتقد بعض الناس ان الاشتراكية لا تؤثر فى الناحية الاخلاقية .

ولا مانع من قيـام الاتحاد الاشتراكى بالبحث فى مثل هذه الامور الاخلاقيـة واللجنة عليها مسئولية دراسة ما يصلها من حالات وقد يتضح من الدراسة انها عملية تشهير او انها عملية حقيقية .

يوجد العثرات فى الشركات والمؤسسات مثـلا سلوكهم غير اشتراكى ؟ فهل يقوم الاتحاد الاشتراكى بعملية الرقابة ؟

وهناك نقطة يجب الا تغيب عن اذهاننا .. فقد تظهر اشاعات .. وواجبنا ان نقوم باستمرار باصدار تفسيرات وتعليمات وبيـــانات للوحدات الاساسية عن كل شيء .

فاذا اتصلنا بالناس يوميا واعطيناهم التفسيرات فسوف نسد الطريق امام مروجي الاشاعات فالمطلوب ان نتصل بقواعد الاتحاد الاشتراكي باستمرار ونرد على استفساراتهم ، فاذا تم هذا الاتصال بيننا وبين القواعد فلن تستطيع اية دعاية ان تنجح لانه يمكن ان يكون لدينا باستمرار التفسير الصحيح .

واذا كنا نريد للاتحاد الاشتراكي قيمة رهيبة فيجب أن يتم الاتصال بقواعد الاتحاد الاشتراكي .

فاذا كان هناك اتصال بحيث تعرض الخطة في المحافظات وتناقش ليعرف كل شخص في المحافظة عدد المدارس التي ستنشا فان احدا لن يطلب انشاء مدرسة غير مدرجة في الخطة لان المدرسة التي يطالب بانشائها سياتي دورها في وقت معين ..

وبالنسبة للاجور مثلا يجب أن تكون الخطة معروفة للمنظمات بحيث يكون معلوما اننا سنعطي اجورا قيمتها كذا ولن نزيدها لان امامنا عملية تشغيل عمــال عاطلين ويكفي اننا اوجدنا لهم عملا ولا نستطيع لهذا ان نرفع الاجور .. اى انه يجب أن نوضح كل العمليات للناس ، وهذا يحل المشاكل العديدة .

نحن نعمل لمصلحة العمال والفلاحين ولكن العمال والفلاحين في حاجة الى ان يفهموا أن مصلحتهم في « كذا وكذا » وان هذا هو النظام البديل لتحالف الاقطاع مع الراسمالية ..

ولكن ليس من الضروري ان يتدخل الاتحاد الاشتراكي مثـلا لرفع الجزاءات عن العمال لان هناك عمالا يستحقون فعلا هذه الجزاءات ، ولهم تاثير سيىء على الانتـــاج .

كذلك يستطيع الاتحاد الاشتراكي ان يقول لنا ان ناحية معينة فيها تعطل وان قصورا او خللا في هذا القطاع او ذاك اى بين اللوائح التي تؤخر والتي تعقد والتي تسبب المشاكل لكي نستطيع تغييرها .

يجب علينا اذن أن نعمل ، ولو نخطيء ، ولكن علينا الآن ان نوعي الناس وان يشعروا انه يوجد عمل ونشاط .

وعمل الاتحاد الاشتراكي وارد في الميثاق ومفروض ان ننفذ الجزء الموجود في الميثاق ..

القيــــادات والــــــــكوادر

حتمية ايجاد القيادات على كافة المستويات :

اذا بدانا اعمالنا بالاهتمام اولا بتنظيم ستة ملايين شخص فانها ستكون عملية مستحيلة ونحن يهمنا ان ننظم اولا القيادات والكادرات .. والعملية التنظيمية مبنية على القطاعات المختلفة .

ان العملية لابد ان تنجح ، لانه لا يمكن ان نقوم كل يوم بتجارب جديدة ونحكم عليها بالفشل ولذلك فالعملية فى حاجة الى دفعة قوية لتنجح ولكن لابد من وجود خطة عمل ..

وامامنا ثلاثة امور لا بد من تحقيقها :

اولا : العمل الاشتراكى .

ثانيا : يجب ان يشعر الناس أن مصلحتهم فى التحول الاشتراكى ، ويجب ان تقتنع القوى العاملة بأن هذا التحول الاجتماعى كان فى مصلحتهم دائما .

ثالثا : يجب ان يكون هناك وعى اشتراكى .. وحتى يكون هناك وعى اشتراكى يجب ان توجد قيادات اشتراكية ، تسلك سلوكا اشتراكيا ، وتناضل من اجل التوعية الاشتراكية ، ومن اجل تثبيت الاشتراكية .

ان العمل السياسى هو ما نحتاج اليه فعلا ، حتى نتحرك ونسير فى طريقنا .. لان اى خطأ قد يحدث ، سوف يستغل وتحاول القوى المعادية للاشتراكية ان تضخمه .

كذلك فان المجتمع المصرى بطبيعته مجتمع محافظ لا يتحمس قسم كبير منه فى بادىء الامر للتحول الاشتراكى ــ ومن تلقاء نفسه دون قيادة وتوعية .. فكيف يمكن العمل اذن بدون قيادات تؤمن بالعمل الاشتراكى وتقنع الناس أن التحول الاشتراكى فى مصلحتها ، وتناضل من اجل توعية الشعب بالاشتراكية ؟ خاصة وانه قد تكون هناك استجابة لما تقوله القوى المضادة للاشتراكية ..

فمثلا : عندما قمنا بتنفيذ تجربة التجميع الزراعى بمحافظة كفر الشيخ كانت القوى المضادة للاشتراكية تنشر بين الناس ان هذا ليس تجميعا زراعيا ولكنه تاميم للارض . والفلاحون معذورون اذا صدقوا هذا لانه لم يحاول احد ان يوضح

للناس حقيقة الامر ويبين لهم فائدتهم من ذلك خاصة وانه كانت توجد دائما تناقضات بين الشعب وبين الحكومات المتعاقبة منذ قبل الثورة .

ولا ننسى ان هناك بقايا كثيرة لهذه التناقضات ، ولا يمكن ان نترك هذا التناقض دون أن نزيله عن طريق توعية الناس ، كذلك فقد علمت أن بعض العمال يتساءلون « لماذا ندخر بينما الحكومة ستاخذ هذه المدخرات قيل هذا من بعض العمال في لجنة الاتحاد الاشتراكي بالقاهرة . فما معنى هذا ؟ ان معناه ان العمال لا يفهمون الاوضاع ولا يدركون ان التغيير الذى حدث انما حدث لمصلحتهم .. وان اولاد الطبقات التى كانت غنية ومتحكمة فى ثروة البلد ، كانت لديهم وحدهم فى الماضى فرص التعليم والحياة والميسرة أما العمال واولاد العمال فاين كانوا يذهبون ؟ .

، لا بد ان يفهم العمال حقيقة الاوضاع ويدركوا ان هناك توسعا ، وتنمية وتصنيعا وان كل هذا لمصلحتهم ولمصلحة اولادهم .. وهذا لا يتاتى الا بالتوعية عن طريق القيادات الواعية المؤمنة وفى الحقيقة هذا هو الاساس الذى يجب ان نعمل عليه .

لا بد من تحريك الناس لنعرف النواحى الايجابية والنواحى السلبية .. والمفروض ان الكادر او القيادة هو الشخص الذى يقوم بهذا ويجب ان يكون هناك قياديون صالحون فى كل مكان يقومون بهذه العمليـة ويمنعون الانحرافات التى نواجهها .

لماذا يحدث اليوم مثلا فى مؤتمرات الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ان تدور المناقشات ، ويقال كلام يعتبر خارجا عن الموضوع ؟ وليس هناك سبب واحد الا انه لا توجد هناك عناصر قيادية .. فتستطيع العناصر القيادية الواعية فى الوحدات الاساسية أن توجه هذه الوحدات وتوجه الجماهير .

ان الجماهير موجودة .. فمثلا عندما نسافر الى بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر كل عام يستقبلنا الناس ، ونجتمع بهم ثم ينفض الاجتماع فى نهاية اليوم . فمن الذى يقوم بالدور القيادى للجماهير بعد هذا ؟ .. لا يوجد احد يقوم بهـذا الدور القيادى .

خصائص العنصر القيادى :

، كيف اذن أن توجد الشخص القيادى فى كل وحدة اساسية ليستطيع توجيه الناس الوجهة الصحيحة ؟

لو كان هناك اتصال بين القيادة والوحدات الاساســية عن طريق القيادات ، العناصر القيادية فاننا نستطيع توجيه الجموع الشعبية الاتجاه السليم ، وفى نفس الوقت كنا نسمع لهم ، ونتعرف على أمورهم وناخذ منهم مشاكلهم وكذلك كنا نوجههم عن طريق هذه القيادات الاشتراكية .

لقد كنا دائما نلتقى بالكثيرين من العناصر غير الصالحة لان العنصر الانتهازى بطبيعته يدفع نفسه ليحاول الظهور والتسلق .. اما الاشخاص الصالحون فليس من السهل التعرف عليهم والاساس اذن ان نحدد ((من هم الاشتراكيون ؟)) . لان ذلك يساعدنا على أن نعمل بسرعة ولا بد ان نعمل بسرعة حتى يقف الاتحاد الاشتراكى على قدميه ويؤدى دوره الايجابى المنظم .

واليوم لا بد من ايجاد الكادر السياسى ، دون ان ننتظر تنظيم العمل الجماهيرى حتى لا تكون العملية صعبة معقدة .

والمطلوب فى الشخص القيادى أن يكون مؤمنا بالاشتراكية ، مخلصا وان يكون حركيا . واذا كان الشخص قادرا على التنظيم ، وقياديا ، وواعيا ، فسوف يكون عصــبا .... ومن المصلحة بالطبع أن يكون العنصر القيــادى ، جماهيريا ، وفاهمــا .... ونحن اذا نظــرنا الى أى حزب فى دور التــكوين ، نجد انه يلتقط العناصر التى تتوافر فيها هذه الصفات ، ثم تقوم هذه العناصر بقيادة العمل الجماهيرى .

وليس هناك اتصال قائم بالقاعدة اليوم .. فاذا ما طلبنا من الوحــدات الاساسية ان تحدد لنا الشخصيات القيادية ، فما الذى يضمن هؤلاء ؟ بل اننا لا نعرف كثيرا من اعضاء لجان المحافظات .

اننى اعرف بعض العمال مثلا تحدثوا فى لجان الاتحاد الاشتراكى عن رفع الاجور وبعضهم طالب بمطالب خاصة .. الى آخر هذا الكلام . ولو ان هؤلاء جاءوا معنا هنا واستمعوا الى ما نقول عن الادخار وأثره على المصالح المباشرة التى تمس حياتهم والمصالح المستقبلة فسوف يقولون عن ايمان انهم لا يريدون لينا ولن يطالبوا برفع الاجور .

واذن فالامر يحتاج الى شخص جماهيرى وقيادى يدرك حقائق الاحوال والامور يكون على صلة دائمة بهؤلاء ، ولا بد ان يكون العنصر القيادى ((من فوق)) على مستوى المسئولية القيــادية حتى يقود هؤلاء الى الوجهة الصحيحــة ويكون هو الكادر القيادى ..

ان شخصا أو شخصين يمكنهما توجيه آلاف الناس الوجهة التى يريدونها وهذا ما ينقصنا والحقيقة ان عدد الاشتراكيين قليل ، وكذلك فان عدد الحركيين قليل كما ان العدد الذى ، يهتم بالعمل العام قليل ايضا .. ولكنه من ناحية اخرى فان القيادة لا تحتاج فى الواقع الى اعداد كبيرة من الناس .. فالقياديون فى اى تنظيم ليسوا بالعدد الكبير ، ولكن القياديين دائما يكونون عددا محدودا فى كل مجموعة .

وسائل اختيار القيادات الاشتراكية :

فكيف اذن نجمع القوى الاشتراكية وننظمها ؟ وما هى سبل تجميع العناصر الاشتراكية ووسائل استكشاف هذه العناصر القيادية ؟..

قد تكتشف هذه العناصر عن طريق المعرفة الشخصية ، وعن طريق السماع، وعن طريق الاختيار .

والنقطة الصعبة هى فى كيفية اختيار الكادر السياسى وتحديد هذه العناصر لان هناك عشرات من الناس يصلحون ككادر قيادى ولكن كيف يتم الاختيار ؟.. ان لذلك وسيلتين :

الاولى : تتم على اساس المعرفة الشخصية لاشخاص يرشحون لهذا الكادر .
الثانية : هى ان يتم الاختيار على اساس العمل الجماهيرى والمعرفة اثناء ممارسة العمل نفسه .

وبالنسبة للوسيلة الاولى فان الاختيار سينتهى الى المعارف الشخصية مهما خلصت النيات والاساس فى الحقيقة هو وجود عناصر يمكن اختيارها اثناء العمل .. ولكن الاختيار اثناء العمل يتطلب وجود العمل اولا .. وتلك هى الصعوبة فى المسالة لاننا نقول انه لا يوجد عمل لعدم وجود قيادة .. ثم نقول لا بد من العمل حتى يمكن ان نكتشف القيادة اثناء الممارسة .

اذن فالعمل الاساسى هو ان تبدا القيادة الموجودة بالفعل ، وان كانت قليلة العدد بالبادرة الى ايجاد مجالات للعمل ، والاتصال الفعلى المباشر بالجماهير ، وتستطيع هذه القيادة القائمة بالفعل من خلال هذا ، ان تختار العناصر التى تثبت انها تصلح للقيادة ونرى ذلك سواء عن طريق لجنة العشرين او خلال المؤتمرات المختلفة .. وفى رايى ان المؤتمرات التى عقدت حتى الان قد ابرزت ان هناك عناصر صالحة يمكن التعرف عليها من بين الاشخاص الذين لعبوا دورا اساسيا فى هذه المؤتمرات .

وبذلك نبدأ بالقدوة المختارة اولا وان كانت قليلة العدد .

وليس امامنا اليوم الا عملية الاختيار الشخصي في هذه المرحلة لم نمارس الاختيار من خلال العمل الجماهيري لان لجنة العشرين مثلا دخلها اشخاص كل همهم ان يصبحوا اعضاء في لجنة العشرين للاتحـــاد الاشتراكي وعن طريق ذلك يستطيعون حل مشاكلهم الشخصية والوصول الى اغراضهم وتطلعاتهم والذى لا بد ان نبدأ على اساس شخصي ، وليس امامنا حل بديل لهذا الا اذا كنا نريد ان ننتظر فترة اخرى واني ارى ان الامور لا تسمح بالانتظار .

فلا بد ان نعتمد على الناحية الشخصية وفي نفس الوقت نختار العنـاصر الاخرى من خلال العمل الجماهيري .

واريد هنا ان اعرض لنقطتين :

● النقطة الاولى :

ان العنصر الجيد الصالح لا يعرف الاشخاص السيئين ، فاذا عرفهم فانه يعرفهم بصفاتهم السيئة هذه . الا اذا كان شخصا ساذجا ولا يستطيع ان يحكم على الناس .

والعنصر الصالح تكون مجموعته صالحة .. ولهذا اذا تم اختيار العنـاصر الصالحة منذ البداية اختيارا سليما فسوف نضمن عملية الاختيار بعد ذلك . انها قائمة على اسس وقاعدة صالحة .. فالناس بشر ، وهم عبارة عن مجموعة من العوامل فاذا كان الاختيار الاول سليما فغالبا يكون الاختيـــار الثاني سـليما والثالث سليما كذلك وهكذا .

● النقطة الثانية :

لو تم الاختيار بواسطة النواحي الادارية فسوف نصل الى النتيجة التي نحن فيها اليوم ونريد ان نغيرها .

اننا نختار بعض الناس مهما كان العدد قليلا من مختلف انحـــاء الجمهورية ثم يقوم هذا العدد القليل بتجليد نفسه لاختيار عدد آخر على مسئوليته ، وسوف نجد انفسنا قد نجحنا في العملية اكثر من طريقة الاختيار بواسطة الناحيـة الادارية .. والامثلة على ذلك كثيرة فبعض الشباب تم اختيارهم بواسطة المدرسين وقيل بان هؤلاء الشباب ممتازون وكل ما فعله بعض هؤلاء انهم حضروا المعسكرات واخذوا بدل سفر وتنزهوا .

ولقد اتضح ان الطلبة مثلا يعرفون بعضهم احسن من المدرسين لان الطـالب يعيش وسط الطلبة وفى المعسكرات ويبدو سلوكه واضحا لمثله من الطلبة .

كذلك فان اختيار الطلبة مثلا عن طريق بوليس الجامعة عملية خاطئة ، بل وتبدد الثقة ولو اخترنا اى شخص فى اية محافظة مثلا وطلبنا منه ان يجند عشرة اشخاص فانه سيجند هذا العدد ويختار أحسن مما لو طالبنا المحافظ بالاختيار لان المحافظ سيوكل العملية الى سكرتير المحافظة ، وهذا بدوره سيختار الاشخاص الذين يتملقونه « يمسحون له جوخ » ويعملون على خدمتـــه .. اما الاشخـاص الاخرين الذين لهم راى صريح وحر فى المحافظة فسوف يحاربهم .

وفى كل محافظة نلمس هذا الانقسـام بين الناس شلة وبطانة للمحافظ ومجموعة اخرى لا يحبها المحافظ .

ونحن غير مستعدين لان يكون الاتحاد الاشتراكى مجردا من شخصيته وكرامته او يكون عبارة عن شلل وبطانات او شيئا من هذا القبيل ، بدلا من ان يكون قائما على عناصر اشتراكية وقيادية منزهة .

ويمكن اختيار القيادات فى المحافظات حسب العمل الذى ستقوم به ، ولكن لا يجب أن نوكل هذا للمحافظين أو للنواحى الادارية ، لان مثل هؤلاء سيختارون من تربطهم بهم صلات ..

فاذا أخذنا القيادات الصالحة فى لجان المحافظات ثم نمضى فى عملنـــا فسوف نصل بعد ذلك الى مستوى المركز والقسم .. وعن طريقهما نستكشف العنـاصر الصالحة الموجودة فى القرى . بحيث لا نبحث ولا نستكشف عن طريق النواحى الادارية ..

واعتقد انه اذا ما تم تكوين قيادات المحافظات فسوف تكون العملية سليمة .. ومن السهل بعد ذلك ان نصل الى مستوى المركز والقسم ، لكننا لا نستطيع أن نبدأ العمل على أساس مستوى الوحدات الاسا سية لانها عملية غير ممكنة فى البداية ولكن يجب ان يكون معروفا لنا من هو الاشتراكى ومن هو غير الاشتراكى .

وخلال الاثنى عشر عاما الماضية ، تجمعت عنـــدنا معلومات مثلا عن العمـــال وغيرهم من القطاعات الاخرى . ونستطيع أن نحدد الصالح وغير الصالح ومن له « شلة » من العمال ومن هو اشتراكى ثورى .. اى ان عملية الاختيـــار لا تعتبر أنها بدأ من الصفر .

كذلك الحال بالنسبة للاطباء والمحامين لو سئلنا عن المحركين منهم فسوف نستطيع تحديدهم .. والحال كذلك بالنسبة للجامعيين والصحفيين والمهندسين .. الى آخر القطاعات العاملة .

وهذه العملية قائمة على المعرفة الشخصية او التجربة او السماع ، بعد عمل سنوات الاثنتى عشرة الماضية . • والتجربة هى معرفة مواقف الاشخاص ..

اما بالنسبة للسماع فهى حيث نسمع عن سمعة الشخص الطيبة .

وعملية تجميع الكادر الذى سيكون هو التنظيم الاساسى القائم بالفعل ، هى فى الواقع بمثابة تجميع و « لم » العصب الذى يجب ان يكون فى الاتحـــاد الاشتراكى لانه بدون هذا العصب فلن يكون للاتحاد الاشتراكى التأثير الكافى .

أهمية الاختيار :

ان ايجاد القوى القيادية التى تمثل طلائع الاتحاد الاشتراكى والتى نعتمد عليها هو أساس نجاحنا .

وهناك نقطة هامة هى اننا ثورة اخذت الحكم ولم يكن لديها تنظيم ثورى ولكن نحن لدينا فى الوقت نفسه سلطة الدولة وهى ضرورية لتنفيذ التحول الاشتراكى وتحقيقه ماديا وهى لازمة لدفع خطى العمل الوطنى ، فليس من الصعب ان نكون التنظيم ومعنا السلطة فى الدولة وليس من الصعب ان نكون القيادات ونجمعها .. فاذا استطعنا ان نستكشف القوى القيادية ونجمع الكادرات والقيادات فى اقل وقت ممكن فاننا نكون بذلك قد وفرنا على البلاد مشكلات كثيرة سوف تواجهها بالضرورة بسبب وجود الفراغ القائم لعدم تنظيم القيادات والكادرات .. وهذه المشاكل هى نتيجة حتمية للتطورات الداخلية فى المجتمع مع التحول الاشتراكى ..

فيجب اذن ان نتحرك بسرعة واذا اخطأنا ــ وسوف نخطىء ــ فى اختيـــار بعض الاشخاص فذلك لا يعيقنا ولا يجعلنا نتردد . • وفى الوقت نفسه نتدارك كل خطأ .

ان الشخص الذى لديه استعداد لان ينقلب على الثورة بين يوم وليلة لا يصلح ان يكون قياديا لانه ليس اشتراكيا .. فالشخص الذى نأتى به ونضعه فى الامانة العامة او فى اللجنة الفرعية ، ثم بعد ذلك يظهر له اتجاه آخر يشد به فينقلب ، فهذا الشخص ليس اشتراكيا بالمرة لانه يعبر عن ناحية شخصية ، ولا يعبر عن تجرد للعمل الاشتراكى من اجل الهدف الاشتراكى الذى نسعى اليه ..

اننى اعتبر ان مثل هذا الشخص انتهازى اكثر منه وطنى .. فلو قررنا مثلا اننا سنخفض عدد اعضاء هذه الامانة بحيث يقل العدد خمسة اعضاء فهل معنى هـذا ان يتحول هؤلاء الخمسة غدا الى اشخاص معـــادين للاشتراكية او للعمل الاشتراكى ؟؟

كذلك فان القيادة القائمة الان هنا ، فى حاجة الى ان تعمل من خلال الناس ، اذ ان كل امين حينما يمارس عمله من خلال الجماهير فسوف يعرف ماذا يجرى فى قطاعه وما هو تصرف كل شخص ممن اختارهم وطبيعته ونفسيته .

واذا تم اختيار عشرة اشخاص فى كل امانة فرعية مثلا ، واختار كل واحد من العشرة فى محيطه عشرة آخرين ، فسوف يكون لكل امانة فرعية مائة شخص ويختار كل واحد من المائة عشرة فيرتفع العدد الى الف ، اى ان تكون كل امانة لها تنظيم ــ .. لكن يجب ان يتم الاختيار من خلال الناس لا بالوسائل المكتبية ، فلو اخترت العناصر القيادية بالطرق المكتبية فقد يأتى شخص يجلس امامك من المكتب ويبدو لك لطيفا وفى منتهى الذوق ، لكنه وفى محيطه قد يكون حكم الناس عليه من سلوكه ، ان خلقه عكس مايظهر تماما . واذن فلا بد ان يكون عملنا من خلال الناس لا من خلال انفسنا لان العمل من خلال نفس الواحد يجعلنا نعيق التقدم الاشتراكى .

واعتقد انه بعد ان نقيم الكادر القيادى فانه يمكننا ان نعقد مؤتمر الاتحاد الاشتراكى . ان المطلوب منا اساسا هو ان نجد اناسا او عناصر قيادية او كادر ثورى ان اماكن عقد المؤتمرات او الاجتماعات ليست مشكلة .. فاننا نستطيع ان نعقد مؤتمرا سواء كان فى الجامعة او فى الشارع او فى شادر .. ولكن طالمـا انه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس سيحضرون ثم ينصرفون ولا شيء غير ذلك .

اننا نريد ان نبدا فى تكوين الكادر الثورى الاشتراكى على الاسس التى اتفقنا عليها وبذلك نجمع القوى الاشتراكية الموجودة .

اننا لنتساءل اليوم عن الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكى فى اى بلدة او مدينة فلا نعرفه وحينما كنت فى يوغوسلافيا مثلا نزلت من المركب الى احدى البلاد مع الرئيس تيتو ولم يكن هناك برنامج معد لزيارة هذه البلدة ، وبعد دقيقة واحدة من نزولنا الى ارض البلدة جاءت اللجنة التى تمثل الحزب ، وهو يعرف اعضاءها بالاسم ، لانهم محددون ومعروفون ولهم نشاط .. وجلسنا معهم حوالى ساعة ..

وهنا فى اسيوط مثلا من هم اعضاء اللجنة ؟ الاشخاص الثوريون الملتزمون

الذين نعرفهم أين هم الاشخاص الذين يدافعون عن الاشتراكية على اساس انهم اصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية .

قد يقول قائل انهم كل اهل البلد .. ولكن اين القيادات التى يمكن ان تتقدم وتقود كل البلد .

لا شك أنه يوجد الاشتراكيون ولا نعرفهم ، ولهذا يوجد انعزال بيننا وبينهم .. الاشتراكيون موجودون فى كل مكان.. لكن يجب ان نجمعهم وننظمهم *. يجب ان نعمل وان يتحدد من خلال العمل من الذى يعمل مع الثورة ، ومن هم المقتنعون بالاشتراكية ولكنهم تائهون .

ولهذا السبب فاننى اقول ، اننى لا اتصور أنه يمكن اجراء انتخابات اخرى او عقد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى الان .. لان هذا معناه ان العملية لا تخرج عن كونها عملية اجراءات .

وقبل ان تجرى عملية الانتخابات الجديدة يجب ان نستبعد غير الاشتراكيين ويدخل اللجنة الشخص الاشتراكى الكفء .. كل اشتراكى كفء نظيف يريد ان يعمل وان يدخل اللجنة يجب أن تتاح له فرصة الدخول ، لان عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى يجب ان يكون شخصا قياديا يناضل من اجل تدعيم الاشتراكية .

ولا يجب ان يغيب عن اذهاننا ونحن نبدا فى عملية تجميع العناصرالاشتراكية انلنعرف بان الرجعيين يتجمعون *. ولو ذهبنا الى نادى الجزيرة نجدهم هناك نجدهم فى النقابات وفى البيوت وعلى الموائد .. نحن نعرف الرجعيين .. وانا لو سئلت عن الرجعيين فسوف أسرد اسماءهم لكن لو سئلت عن الاشتراكيين فاننى لا اعرفهم كلهم لانه لم تأت فرصة ممارسة العمل السياسى بواسطة الاشتراكيين حتى نعرف هؤلاء الاشتراكيين .

تنظيم العناصر القيادية :

ان لدينا مشكلة عويصة وهى أن العناصر المضادة للثورة والاشتراكية موجودة بالفعل داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر حركية .. ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى وجود العناصر الحركية المخلصة بشكل منظم .

وفيما يتعلق بما يقال هنا من وجود بعض المشاكل المفروض أن يكون لدينا اناس يقولون بصدق ونزاهة عن هذه المشاكل ويقولون لنا كذلك الحل الذى يفكرون فيه .

ولا شك ان كل هذه المشاكل تواجهنا اليوم ولا نعلم عنها ، يمكن ان تحل ان كان لدينا كادر او حزب داخل الاتحاد الاشتراكى يتكون من الناس حركيين مخلصين يقودون الاتحاد الاشتراكى الذى يمثل الجماهير فعلا .. لانه لا يمكن ان نقوم بتوعية ٦ مليون شخص بمفردنا ولا يمكن فى الوقت نفسه ان نعتبر ان الستة مليون عضو كلهم حركيون ومخلصون .

ومهما فعلنا فلن نستطيع ان نجعل من الستة مليون كلهم حزبا لاننا سنجـد شخصا يؤيد الثورة اليوم ، وقد ينقلب غدا عليها لمجرد أنه لم يعين فى وظيفة ما والمفروض أن الشخص المخلص الاشتراكى الحقيقى المناضل الذى ، لا تؤثر عليه عمليات بهذا الشكل مثل التعيين فى وظيفة ويتطلع اليها أم لا .

هناك اشخاص يتحدثون اليوم عن الغلاء مثلا ، علما بانهم ـ طبقيا ـ لا بد ان يكونوا مع الثورة التى اعطتهم الفرص وعملت وتعمل لمصلحتهم .. فبعض العمال مثلا يقولون ان الغلاء يؤثر عليهم .. لماذا يقولون هذا ؟ لانه لا يوجد من يقول لهم حقيقة الوضع هى «كذا وكذا» حتى يتبينوا حقائق الامور وسيرها ، وانها لمصلحتهم ومصلحة غيرهم ممن لم يجدوا فرصة العمل بعد .

ويجب ان يتم التجميع مع التوعية لان التجميع بدون التوعية والاتصال المستمر يعتبر عملا سلبيا ، وكما ان التجميع يساعد على التوعية فان التوعية أيضا تساعد على التجميع .. وذلك بالاضافة الى العناصر التى نعرفها ونسمع عنها .

ان مشاكلنا الرئيسية التى تظهر او تطفو هى نتيجة انعزال القيادات عن الناس ووجودنا فى حلقة صغيرة .. علينا ان نوسع هذه الحلقة وسنجد عند وضع العناصر موضع الاختبار انه قد ظهر الشخص الاشتراكى وظهر ايضا الشخص الغير مؤمن بالاشتراكية ولكنه يرددها اسما وشعارا فقط .

السلوك القيادى :

ان العمل او الواجب بالنسبة لهذه الكادرات فى الامانات الفرعية ، والذين يعملون فيها هو العمل القيادى بين الجماهير .. اى انه عندما نختار احد المحامين مثلا يجب أن يتوافر فيه شرطان : ان يكون قياديا حركيا ، وان يكون مؤمنا بالنظام الاشتراكى ومخلصا له ..

قد يستدعى العمل ان يتفرغ لهذه العملية .. فالذى نختاره من المحامين

مثلا ، يجب ان يكون قادرا على تجنيد الناس من المعامين المرتبطين بالثورة وبعد ذلك نستطيع ان نوجه وان نسمع .. فيجب ان يكون الشخص المرتبط بالثورة والاشتراكية قادرا على ان يعطى التوجيهات وان يبلغنا ايضا بالاراء الموجودة فى القاعدة .. هؤلاء هم الذين نريدهم .. لا نريد اشخاصا يجلسون فى المكاتب يقرءون اوراقا ويرسلون تقاريرا فقط ، اننا نريد اناسا يعملون فى وسط الجماهير .. وبدون هذا فلن نستطيع ان نتشعب فى وسط الاجهزة المختلفة والجماهير المختلفة الموجودة فى المجتمع .

والذى اتصوره ان اللجنة الفرعية للامانة العامة اذا اختارت واحدا من المحامين مثلا فلا بد ان يكون معه عشرة افراد او اكثر ، من الذين تنطبق عليهم نفس الخصائص القيادية لاننا لا يمكن ان نعمل فى قطاع المحامين مثلا بشخص واحد فقط .. وكذلك نفس الشىء بالنسبة للاطباء وهيئة التدريس والعمال .. وهكذا ..

اما اذا اخترنا واحدا من كل طائفة ومن كل قطاع مثل المحامين او الاطباء ثم اتصلنا بالمحامين ككل او الاطباء ككل فكأننا لم نفعل شيئا .

ولكى نعمل فى وسط هيئة التدريس مثلا يجب ان يكون للتنظيم اشخاص يمثلون كل جامعة وعناصر تمثل كل كلية .. وبذلك نجد ان التنظيم فى حاجة الى اكثر من خمسين اسما .. فاذا وجدنا الخمسين شخصا فيمكن ان نقول بحق انه امكننا ان نشكل القيادات والكادرات فى كل الجامعات .

وعندما نختار اشخاصا يمثلون كلية الحقوق فلا بد ان نضع فى الاعتبار ان نختار الاشخاص الذين تنطبق عليهم الصفات المعروفة وان يكونوا هم فعلا الذين يقودون فى كلية الحقوق . وانهم الاشخاص القياديين المرتبطون الاشتراكيون .. وهذه بالطبع عملية تختلف عن عملية الانتخابات .

وفى رأيى اننا نعتمد فى هذه العملية الاولى ، على المعرفة السابقة ولنتيجة الممارسة التى استمرت اكثر من عشرة سنة . فاننا لسنا غرباء عن البلد ونحن لا نعيش فى قارة اخرى ولا فى ابراج عاجية . اننا نعيش فى مصر ونسمع عن كثير من الناس ولدينا امكانية كبيرة جدا لكى نسمع هؤلاء الناس الذين سمعنا عنهم موضع الاختبار العملى واعتقد ان نتيجة الاختبار ستكون ٩٠ فى المائة سليمة .

اننا لا نستطيع الانتظار المباشرة والعمل اولا ثم نختار الانتخاب . لا بد ان نعمل

بسرعة والحقيقة اننا لسنا قادمين او مقبلين على العمل من لا شيء او من فراغ تام لاننا نعرف الناس ولنا اختلاط بهم .

وحينما نبدأ فى اختيار هذه العناصر القيادية فكاننا نبدأ من نقطة البداية بالنسبة للتنظيم السياسى .. فاذا انتظرنا الممارسة والعمل حتى نختار الذين سيؤلفون التنظيم السياسى فاننا سنحتاج الى وقت طويل .

وفى رايى ان العملية فى حاجة الى ان نسرع بالاختيار ، فليس امامنا الان ان نعمل على أساس الممارسة السابقة ، وعلى اساس اتصالاتنا السابقة وفى نفس الوقت ندخل فى الممارسة والعمل فى التنظيم السياسى .

ويصبح بعد سنة من الممارسة ان ننحى بعض الناس .. وقد يصح ان يحدث هذا بعد اربع سنوات فننحى شخصا قام بعمل انانى .. والتجديد الذى يحدث يكون نتيجة الممارسة ومعاملة الناس .. فان معاملة الناس هى اصعب ما يمكن فقد يظهر شخص ممتاز فى البداية ثم قد يصاب بطبع الانانية نتيجة عوامل وظروف بشرية كان يجد نفسه وصل الى شيء ، فيتطلع الى الوصول الى شيء اكبر .. مثل هذا الشخص سوف ينحى .. اى اننا فى تعاملنا مع الناس سنضطر الى تنحية بعض الناس على اساس سلوكهم وعملهم .

وحدث مثلا ان كانت هيئة من اساتذة الجامعات اختيرت فى اول الثورة على انها ستكون النواة « الخميرة » الطيبة والقيادات ، وهذه المجموعة من هيئة التدريس كان المفروض انها « ملتقية » مع الثورة الاشتراكية .. وكان هؤلاء مندمجين مع الثورة اندفاعا كبيرا .. ولكن حينما حدثت أزمة ١٩٥٤ انقلبوا على الثورة وانقلبت هذه المجموعة ووقفت موقفا معاديا باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز الاربعة اشخاص .

كذلك حدثت فى احدى الكليات خلال المؤتمرات ان تخيل بعض الناس انه توجد فرصة فى وقت ما ، ولذلك اخذوا يطالبون « بكذا وكذا .. وهذا السلوك ان دل على شيء فانما يدل على ان ناحية اخلاقية غير سليمة ولا يمكن ان شخصا من هؤلاء يكون اشتراكيا مؤمنا .. ان العملية ليست مسالة حساب « ضعف وقوة » وانتهاز فرص للضعف والقوة ، فقد كنا نستطيع ان نتخذ اجراءا صارما وشديدا ضدهم لكن العملية ليست ابدا مناورة « ضعف وقوة » انما هى عملية مبادىء ، وايمان ، وسلوك ، وعقيدة ، وتمسك بهذه العقيدة .

تنظيم الجهاز السياسى

التنظيم الملتزم ضرورة :

نحن نعمل عملا ذا شقين .. الاول ان نحيى الاتحاد الاشتراكى ولجانه ولكن فى رايى اننا مهما احيينا هذا الاتحاد الذى يضم ستة ملايين شخص والذى لا يمكن أن نعتبره الركيزة السياسية التى نعتمد عيها ، فانه لا بد ان يكون العمل قائما على اساس جهاز سياسى موجود فى داخل الاتحاد الاشتراكى .. وهذا هو الشق الثانى لعملنا .

والحقيقة ان هناك نقطة تسبب لنا مشكلة باستمرار وهى نقطة تستحق التفكير وتتعلق بالتنظيم على مستوى الاتحاد الاشتراكى ، لانه مهما عملنا على مستوى الاتحاد الاشتراكى ، فلن يكون هناك التزام كامل .

ان المشكلة هى ان العناصر المضادة للثورة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر « حركية » ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه العناصر الحركية المخلصة .

والحل الذى يؤدى الى ذلك هو ان يكون لدينا كادر او حزب داخل الاتحاد الاشتراكى الحزب الاشتراكى المرتبط الذى يحرك ويوعى الجماهير ، اما الستة مليون عضو فاننا مهما فعلنا لا نستطيع ان نجعلهم كلهم حزبا .

يجب اذن أن نعمل على اساس هدف .. هل الهدف ان نقيم تنظيما على الورق .. طبعا لا .. لان وجود التنظيمات على الورق لا يحقق هدفنا .. وانا لاعتقد أن الهدف الاساسى هو ان ينشط الاتحاد الاشتراكى كاتحاد جماهيرى يجمع كل الجماهير .. وفى نفس الوقت نخلق تنظيما سياسيا مبنيا على تجميع الاشتراكيين الحقيقيين .. اننا نطبق الاشتراكية بدون اشتراكيين وانا لا استطيع ان اقول اننا نطبق الاشتراكية باشتراكيين.. والحقيقة اننا نطبق الاشتراكية ونريد ان نوجد الاشتراكيين بعد ذلك .. ونتيجة لهذا فانى السؤال : هل الاتحاد الاشتراكى سيعطينا ـ كاتحاد ـ امكانية تكوين تنظيم « اشتراكى » ؟.. انى اقول لا .. اذن من اجل تحقيق هذا الهدف ، لا بد أن نقيم تنظيما سياسيا ثم نبحث كيفية ربط هذا بذلك .

انني اكرر ما سبق ان قلته .. ان امامنا هدفان .. احياء الاتحاد الاشتراكي وفي نفس الوقت تكوين حزب اشتراكي داخل الاتحاد الاشتراكي .. اقولها بصراحة .. وبدون هذا سنظل دائما نلف في حلقة مفرغة .. فبالنسبة للعمال مثلا يوجد الصالحون وغير الصالحين وبالنسبة للنقابيين ايضا نفس الشيء . فعندما نجمع النقابات نكون قد جمعنا الصالح مع غير الصالح جمعنا العنصر الاشتراكي والمضاد للثورة والانتهازي معا .. فهل هذا هو المطلوب ؟ ان المطلوب هو تشكيل العناصر الاشتراكية .. وهنا يأتي الجهاز الذي عبرنا عنه في الميثاق بأنه الجهاز السياسي .. ومعنى ذلك أن يكون عندنا تنظيمان .. التنظيم العام وهو الاتحاد الاشتراكي .. والتنظيم الخاص وهو الجهاز السياسي .. وفي تصوري ان الجهاز السياسي لا بد ان يكون عبارة عن حزب اشتراكي .. وهذا هو الذي نقصد به ان يكون لدينا في كل مصنع لجنة تمثل الجهاز السياسي ولجنة تمثل الاتحاد الاشتراكي وبذلك يكون لدينا تنظيمان .. تنظيم عام يجمع كل الناس .. وتنظيم خاص يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين يمكن ان يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية ، والذين يعتبرون بمثابة العمود الفقري للاشتراكية .. ولكن مهما حاولنا العمل الثوري القيادي على اساس الاتحاد الاشتراكي كله فسنجد انفسنا نلف في حلقة مفرغة لان العملية عملية انتخاب واسترضاء ثم تنقلب في النهاية الى عملية مطالب ولا يمكن بالنسبة للستة ملايين ان توجه التزامات اما بالنسبة لعشرة آلاف مثلا فان ذلك ممكن اذا تم تنظيمهم .

اذن يكون هناك اتحاد اشتراكي يجمع الناس كلها وفي نفس الوقت يكون هناك اشتراكيون منظمون .

ومثل هذا موجود في يوغوسلافيا مثلا حيث يوجد اتحاد الشيوعيين والاتحاد الاشتراكي واتحاد الشيوعيين يضم عددا قليلا واستطاعوا بذلك ان يسيروا الاتحاد الاشتراكي .

والذي اريد ان اؤكده اننا يجب الا نتصور ان عملنا اليوم في التنظيم المقسم الى وحدات اساسية ووحدات مراكز واقسام ومحافظات اهم من التنظيم السياسي .

اننا نريد الحزب الاشتراكي داخل الاتحاد الاشتراكي وبدون هذا الجهاز السياسي الذي اسميه الحزب الاشتراكي فلن نستطيع ان نقود الجماهير او نتصدى للقوى المضادة .

ان التنظيم المطلوب فيه ان ننظم هذا الحزب الاشتراكى الذى يعتبر الجهاز السياسى فى كل المستويات .. والاتحاد الاشتراكى هو كل الجماهير .. والجهاز السياسى هو الحزب السياسى الاشتراكى المبنى على تجميع القوى الاشتراكية ، وهو ما نركز عليه كهدف والا فانه سيكون لدينا جنود بدون قيادات او قيادات بدون جنود .

كيفية تكوين الجهاز السياسى :

انا نظرنا الى العالم كله نجد ان الاشتراكية فرضت فرضا عن طريق قلة من الافراد ، وحتى أصحاب المصلحة فى الاشتراكية تستطيع الرجعية التى تكونت على مدى الاف السنين ان تؤثر عليهم .. فالعمال والفلاحون هم اصحاب المصلحة .. ولكن هل هم اشتراكيون ؟ .. هل نستطيع ان نعتبر كل عامل عنصر اشتراكى ؟.. انا فى رايى ان الاشتراكية تفرضها القلة التى تستطيع ان تقود .. ففى العالم كله نجد دائما فى كل دعوة من الدعوات أن القلة هى التى استطاعت ان تكافح وتقود .. ففى بداية الاسلام مثلا لم يكن يوجد مسلمون .. كان يوجد محمد وقلة من المسلمين .. وكان اعدى اعداء الاسلام هو ابو سفيان وقد اسلم فى النهاية واصبح احفاده مسلمين وكذلك نجد ان المسيحية بدات بعشرة او اثنى عشر فردا ثم سارت الدعوة بعـــد ذلك وانتشرت .. فاى دعوة لا بد ان تبدا بقلة من المؤمنين بها ..

فاذا اردنا ان ننجح فى بناء قاعدة اشتراكية فلا بد أن ننظم على مستوى اصغر من الاتحاد الاشتراكى الذى يجمع كل الجماهير .. وانا اعتبر أنه قد آن الاوان لكى نواجه هذه النقطة مواجهة صريحة .. وحتى تاريخنا لم يستطع احد ابدا ان يقيم فكرة معينة على اساس جمع كل الناس فمثلا فى المسيحية والاسـلام كما ذكرت قد يؤمن كل الناس اخيرا او قد يؤمن اغلبهم بها .. ولكنا نجـد دائما ان الذى يدعو الى الفكرة ويعمل لها عدد قليل .

ومثلا بالنســـبة للثورة المصرية،نجد انه قام بها عدد قليل لا يتعدى مائة ضابط من اربعة آلاف ضابط .. ولو كنا قد حاولنا ان نجمع الاربعة آلاف ضابط لكنا ما نزال نجمع فى هذا العدد حتى الان .. وفى الحقيقة ان عملية التركيز على القلة عملية مطلوبة .

والاشتراكيون موجودون فى كل مكان .. ولكن كيف نجمعهم وننظمهم ؟.. هذا هو عملنا .. وواجبنا ان نعمل ونستكشف هؤلاء الناس ..

وعلى هذا الاساس فانه يجب علينا فى اتصالاتنا بالفلاحين او بالوجه البحرى او الوجه القبلى ان نعمل على ايجاد ركيزة الحزب الاشتراكى فى كل محافظة .

ونحن الان سوف نعمل على مستوى الجمهورية وسوف يكون فى كل جهة لجانة فرعية وبعد لن ننتهى من هذا يمكن ان يشكل هؤلاء التنظيم السياسى ويكونون هم اعضاؤه .. والخلاصة ان نبدأ بعدد صغير ثم يكبر بعد ذلك .. ويمكن أن نقول على هؤلاء انهم العمود الفقرى للتنظيم السياسى .

وقد قلنا ان اعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى يختارون بالانتخاب ولم نقل ذلك بالنسبة للجهاز السياسى بل سننتقى اناسا اشتراكيين .

وأرى انه يمكن تجميع الناس وتكوين الجهاز السياسى ليقوم بمهمته وسط الجماهير ولقد بدأ الحزب الشيوعى الروسى مثلا بعشرة آلاف شخص واصبح الان يضم عشرة ملايين شخص وكلنا نعلم كيف تم هذا ؟..

واعتقد ان وضعنا اسهل .. لقد قال بعض الناس اننا اخذنا السلطة ومن الصعب ان ننظم الجماهير .. وانا اقول العكس .. ان السلطة سوف تساعدنا على التنظيم .. وهدف اية مجموعة مهما كانت صغيرة هى ان تستولى على السلطة فى النهاية .. واذا عملنا جميعا كدعاة فسوف نجد الناس .. على ان يعمل كل واحد فى مجالاته عملا مستمرا .. وكلما وسعنا دائرة الموجودين فى هذه القاعدة المختارة فسوف نسير بسرعة اكبر وكلما وسعنا دائرة اللجان الفرعية فسوف نقطع خطوات اكثر .

اننى اعتبر وكأننا سنبدأ من نقطة البداية ونركز على عملية التنظيم ، فاذا خلقنا التنظيم ، نستطيع أن نحقق اى شىء بعد ذلك .

تنظيم تحالف قوى الشعب العاملة

ان الشعور بالتحالف بين قوى الشعب العاملة امر في موجود .. وان قيام هذا التحالف بالفعل لا يمنع ان كل فئة او كل واحد من قوى الشعب العاملة يشعر بمصلحته .. ولكن علينا أن نضع هذا التحالف موضع التنفيذ ، ونحدد نظامنا ونجتمع بقوى الشعب العاملة ونجمعها .

ومن الامور الهامة التي يجب أن نضعها في خطة العمل ازاء تجميع قوى الشعب العاملة وتنظيمها وتحقيق هذا التحالف بينها بالفعل ، هو مقابلتنا للناس والعمل من خلالهم ، ولا بد ان يفتح كل قلبه للجماهير .. وبهذا يثق بنا الناس .. فاذا لم يتم ذلك فسيكون كل كلامنا عن تحقيق التحالف بين قوى الشعب العاملة مجرد كلام على الورق .

التناقضات الطبيعية :

ولنبدا في هذا الموضوع من نقطة البداية وهي ان هنالك تناقضات بين فئات قوى الشعب العاملة وبعضها .. هذا التناقض موجود بالفعل ، وسوف يستمر هذا التناقض رغم وجود الاتحاد الاشتراكي .. فالعمال مثلا لهم مصالحهم الخاصة وكذلك الفلاحون لهم مصالحهم الخاصة .. ولذلك سنجد هنالك تناقضا بين العمال والفلاحين .. وسنجد تناقضا آخر بين المثقفين من جهة وبين العمال والفلاحين من جهة اخرى . بل سنجد نفس التناقضات بين ابناء الفئة الواحدة وهم العمال مثلا .. فالعامل الصناعي يحصل على اجر اكبر من العامل الزراعي .. ومع ذلك يريد العامل الصناعي أن يزيد اجره ، والعامل الزراعي يريد أن يزيد أجره كذلك .. وسيطالب المثقفون دائما بالمزيد رغم أن العمال مثلا موجودون في اوضاع اقل منهم .

وسنجد ان هنالك تناقضا آخر بين كل قوى الشعب العاملة وبين الحكومة وهكذا وسوف يظل هذا التناقض لكننا نعتبر انه تناقض طبيعي .

اما اذا بلغ حد التصادم فان ذلك يكون خطأنا .. ولا بد أن نصلح خطأنا في هذه الناحية على وجه السرعة .. ولكن لن نستطيع ان نمنع هـذا التناقض اننا يجب ان نحاول دائما ان نحل التناقضات ونقضى على حدتها .

ولسوف تظهر تناقضات جديدة كلما قمنا بحل التناقضات القائمـة ، لان العمال مثلا سيطلبون المزيد من الحكومة .. وكل شخص يريد أن يصل الى احسن مستوى في اقرب وقت .

ان مسئوليتنا ان نحد من هذه التناقضات ، لكننا لن نستطيع ان نمنعها لان الاوضاع التى ما زلنا فيها لا تمكننا من تحقيق كل احتياجاتنا في اقرب وقت . ولذلك سيستمر هذا التناقض الطبيعى .. وأنا اعتقد ان ذلك لن ينتهى الا اذا وصل المجتمع الى درجة كبيرة جدا من التقدم .. وهـذه التناقضات تختلف عن التصادمات التى نلاقيها بيننا كاشتراكيين وبين الرجعية والراسمالية المستغلة .

مصالح القوى العاملة فى المجتمع الاشتراكى :

يجب ان يكون تفكيرنا ملتزما بوضوح الاسلوب .. وعلى هذا فيجب ان يعرف الناس انه يوجد صراع طبقى .. ومن استفاد وهم اعضـــاء القوى العاملة للشعب لواجبهم الحفاظ على هذه المكاسب وتدعيمها .. فاذا فقدت هـــذه المكاسب فسوف يرجع عامل اليوم الى عامل مستغل بواسطة صاحب العمل .. وكذلك الفلاح والمثقف وكل القوى العاملة .

اى ان عملية الايضاح والتوعية عملية اساسية بالنسبة لوضع تحالف قوى الشعب وتنظيمه موضع التنفيذ .. وهذا يستدعى الوحدة الفكرية لم تكتيل الناس الذين يمثلون قوى الشعب العاملة من اجل النضال فى سبيل المكاسب التى حصلوا عليها .. ونعطيهم الفرصة لابداء آرائهم .. وهذا يخلق نوعا من الحيوية ..

ويجب ان يكون ابداء الاراء داخل اللجان دون شعور باى تهديد ، حتى نقضى على الخوف والتردد الذى يشيع عنه اعضاء الاشتراكية .. فهذا هو الســبيل الوحيد لبعث الحيوية اللازمة لتحقيق الاحساس بقيام التحالف بين قوى الشعب العاملة .

فاذا لم نهتم بكلام الناس وآرائهم فان البيروقراطية تنشا ، ولا تكون هناك فائدة من عملنا .. اما اذا خلقنا الكادر ووجد الوعى ووصل الى القرية مثلا فاننا نكون قد نجحنا .

ولو وجد الكادر بين قوى الشعب العاملة فسوف يقوى بتوصيل الرغبات والاراء والمشاكل الى الاتحاد الاشتراكى الذى يستطيع ان يوصلها الى القيادة .. وعن طريق السلطة التنفيذية يمكن ان نحل هذه المشاكل بعد دراستها .. والكلام عن هذا سهل ولكن التنفيذ هو الامر الصعب لانه لا يوجد الان كادر أو حزب .. ولو وجد الحزب فى كل مكان فلن نجد كل الناس يقولون « كلنا اتحاد اشتراكى أو كلنا هيئة التحرير » فهذا يعطى العملية نوعا من السلبية بين قوى الشعب العاملة ويضعف حيوية التحالف بينها ..

ونحن مسئولون عن تنظيم الناس وتنظيم هذه القوى العاملة ..

تجميع القوى العاملة ووحدة الفكر :

أريد أن الى نقطة حول خطة العمل وفكره عقد مؤتمرات فى هـذه المرحلة للفلاحين والعمال والمثقفين والراسمالية الوطنية .. الخ .

اننا اذا عقدنا اليوم مؤتمرات دون ن نوجد التنظيم السياسى ، فاننا نكون قد اتجهنا الى غير الاتجاه الذى يلزم لخلق الحيوية فى تحالف قوى الشعب العاملة واخشى ان ينقلب الامر الى اقامة اجهزة بيروقراطية اذا لم نعرف ما هو هدفنا .

ان هدفنا هو جمع الناس .. الناس الاشتراكيين فى كل قطاع .. وانا لا اتصور اننا عندما نبحث موضوع المهنيين مثلا أو المثقفين نقوم بعقد مؤتمر وتجمع اعضاء النقابات لان هذه العملية لن تعطينا اية نتيجة ولن تحقق التحالف بين قوى الشعب العاملة . بمعنى ان المؤتمر فى هذه الحالة سيجمع العناصر الاشتراكية والعناصر المضادة للثورة وعد نلبس العناصر المضادة للثورة قناعا زائفا فلا نعرفها ولا نتبينها ..

وكذلك بالنسبة للعمال ، فانه يوجد عمال صالحون وعمال غير صالحين .. وبالنسبة للنقابيين نفس الشىء .. فاذا عقدنا لهم مؤتمرا نكون بذلك قد جمعنا الصالح مع غير الصالح .. فهل هـذا هو المطلوب ؟ .. ان المطلوب هو تكتيل العناصر الاشتراكية فى قوى الشعب العاملة وجمعها حسب خبراتنا ومعرفتنا ونستطيع بعد ذلك أن نقسمها الى نوعيات ..

فعن طريق العشرين الذين نختارهم من كل نقابة مثلا نستطيع ان ناخذ ١٠ أو ١٥ ، او ٢٠ شخصا آخرين .. وبذلك نكون قد اوجدنا حزبا داخل العمـال هو الحزب الاشتراكى الذى نستطيع عن طريقه ان نوجه وان نقود وان نوعى ..

حتى يكون الحزب المنتشر بين قوى الشعب العاملة هو الحزب الاشتراكى الذى يستطيع ان يتكلم ونسمع لكلامه ونحن مطمئنون الى أن كلامه غير مغرض .. وبدون وجود هذا الحزب فاننا سنظل نردد بالكلام فقط عبارات « تجميع وتكتيل قوى الشعب العاملة »

انه من الخطأ فعلا ان البعض نادوا بعقد مؤتمر لهيئة التدريس لبحث مشاكل التعليم العالى لان وزير التعليم العالى هو الذى يعقد مثل هذا المؤتمر الذى يحضره كل من يريد اما نحن كاتحاد اشتراكى فلا نستطيع ان نفعل ذلك لاننا نملك التنظيم داخل هيئة التدريس حتى الآن . فاذا وجد هذا التنظيم فلا مانع من جمع هيئة التدريس لان كل من سيتكلم منهم سوف يتكلم وهو مخلص وراغب فى العمل الاشتراكى وفى انجاح هذا العمل .. لان الموجودين سيمثلون حينئذ قوى الثورة .

اما جمع هيئة التدريس عن طريق الاتحاد الاشتراكى فان هذا المؤتمر سيجمع القوى المضادة للثورة مع القوى الاشتراكية .. والقوى المضادة للثورة سوف تحاول خلق المشاكل باستمرار .

كذلك الامر بالنسبة لفئات الفلاحين فالمطلوب هو تكوين الحزب الاشتراكى فى كل محافظة .

وفى رايى ان الاتحاد الاشتراكى بوضعه الحالى لا يستطيع ان يقوم بالعمل السياسى ولا بتحقيق تحالف قوى الشعب العاملة .. لان الاعضاء الموجودين فيه اليوم يمثلون عناصر ثورية وعناصر مضادة للثورة .. وعلى هذا الاساس فانه يجب فى اتصالاتنا بالفلاحين او بالوجه البحرى او القبلى - ان نعمل على ايجاد ركيزة الحزب الاشتراكى فى كل محافظة تمثل تكتل القوى الاشتراكية .

وانا اقول حزبا لكى اوضح الموضوع وبذلك يكون هناك اتحاد اشتراكى يجمع كل الناس وفى نفس الوقت يكون هناك اشتراكيون منظمون .

وانا اعتبر ان عملنا يجب ان ينحصر فى العمل السياسى فى الوقت الحاضر حتى نستكمل تشكيل هذا الحزب .

وهكذا نستطيع ان نجمع الصالحين فى النقابات والمحافظات وفى كل مكان وهم الذين لا نعرفهم جميعا حتى اليوم .

استكشاف العناصر الاشتراكية :
بين قوى الشعب العاملة :

يجب ان تضم مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى تحالف قوى الشعب العاملة وليس تحالف قوى الشعب المضادة فتتصادم هذه القوى المضادة مع قوى الشعب

العاملة .. ويجب ان نجعل الناس يحسون بالاطمئنان وهم يدلون بآرائهم بصراحة ووضوح حتى نسمع تفكيرهم وآراءهم .

ويجب ان ننظم العناصر التى مع الثورة ولا ننزعج من اى رأى تقوله هذه العناصر ما دمنا نثق فى ايماننا بالاشتراكية وفى سلوكها .

وفى رايى ان مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى اليوم هى مؤتمرات تضم القــوى العاملة للشعب والقوى المضادة للشعب العامل .. والقوى المضادة عبارة عن مجموعة متكتلة ومتمرنة وتستطيع ان تؤثر على قوى الشعب العاملة بما عندها من وسائل وامكانيات وخبرة فى التضليل .

الاتصال المستمر مع قوى الشعب العاملة ضرورة :

ان عمليتنا الاساسية فى هذه المرحلة بالنسبة لتحالف قوى الشعب العـاملة هى عملية تنظيم مع حل بعض المشاكل التى قد تعوقنا فى التنظيم .. فمثلا علينا ان نوضح راينا بالنسبة للنقابات المهنية ، وهذا يحل لنا مشاكل كثيرة .. وفى الوقت نفسه يمنع الرجعيين والعناصر المضادة من استغلال النقابات .. ان توضيح الراى بالنسـبة لاى مشـكلة يمنع الراسمالية او الرجعيــة من استغلالها ، او تضليلها .

فنحن لا نستطيع ان نقول اننا سنلغى النقابات المهنية ، لانه يمكن للنقـابة المهنية ان تكون موجودة فى المجتمع الاشتراكى ، ولكن على الاساس النقابى الحقيقى بان يشترك فيها كل من يعمل فى المهنة باجر .

ولا يمكن ان نقول موقفنا من النقابات المهنية هو الالغاء .. والحقيقة ان هناك كلاما كثيرا يقال بالنسبة للنقابات المهنية .. ولذلك فمن واجبنا ان نوضح لهم موقفنا بهذا الشكل .

وما قيل عن الجمعيات التعاونية والمشاكل فى قطاع الفلاحين يرجع الى انه ليس هناك اتصال وهذا ما يدعونا الى ان نسير فى عملية التنظيم ونركز عليها ، فاذ حدث ان قمنا بتنظيم قطاع العمال .. والفلاحين فى محافظة ما وكونا التنظيم والجهاز السياسى فسوف نجد ان هذه المشاكل تبلورت وتحددت فيمكن حلها .. ولا يمكن ان نتفرغ فى الامانة الآن لحل المشاكل واستعراضها ودراستها قبل ان نوجد التنظيم الذى هو الاداة السليمة للاتصال .

الرجعية والراسمالية الوطنية :

ولكن هنـاك عملية اساسية هامة نضعها موضـع الاعتبار ، بالنسبة لاحدى دعامات قوى الشعب العاملة وتلك هى الطبقة المتوسطة التى نسميها « الراسمالية الوطنية » .

هذه الطبقة لها مشاكل عديدة ومن الاجدى ان تثار بصفة خاصة مشاكل هذا القطاع على مستوى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ولا مانع من الاتصال بشانها بالسيد رئيس الوزراء .. لكن يجب ان تثار هذه المشاكل هنا فى الامانة العـامة حتى تكون لدينا فكرة ومعرفة بمشاكل هذه الطبقة ، خاصة وانه ستجدد امامنا المشاكل العديدة نتيجة وجود القطاع العام مع القطاع الخاص .

يجب علينا ان نحل هذه المشاكل .. والحقيقة ان الصعوبة التى واجهتنا حتى اليوم بالنسبة لمشاكل هذا القطاع ، هى آننا لا نعرف هذه المشاكل الا عن طريق الشكاوى فقط .

ان عملية الراسمالية الوطنية هى عملية « جمع » أكثر منها عملية تنظيم ، وهدفنا ان لا تتمكن الرجعية من هذا القطاع بالتضليل حتى تنفصل عن تحالف قوى الشعب العاملة .

والواقع ان الرجعية تحاول بكل الوسائل ان تفصل هذا القطاع وتنزعه من تحالف قوى الشعب العاملة .. ولذلك اعتبر آننا فى شبه صراع بيننا كاشتراكيين والراسمالية الوطنية جزء من تحالف قطاعات المجتمع العامل ـ وبين الرجعية والقوى المضادة للثورة بل اننى اعتبر ان الرجعية قد نجحت الى حد ما فى هذا الامر لان الرجعية حتى الآن آنشط من الاشتراكيين .

وساعد على نجاح الرجعية فى محاولاتها لفصل هذه الطبقة عن تحالف قوى الشعب بعض الاخطاء التى وقعت فى تطبيق الاجراءات الاشتراكية مثل ما حدث فى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ..

فلقد وضعنا للجمعيات التعاونية الاستهلاكية هدفا ، ثم تركناها تنفذ لتصل الى هذا الهدف ، ولكنها انحرفت عنه .. اننا انشانا الجمعيات الاستهلاكية على اساس أن نمنع السوق السوداء وان نوازى التجارة فى السوق ، ولكنها انحرفت عن هذا الهدف المحدد لها فمارست هى الاحتكار بدلا من منع المحال التجارية من ممارسة الاحتكار أو من رفع الاسعار .. وينتج عن مثل هذه الاخطاء ان تنشط الرجعية وتستغل هذه الاخطاء لتفضحها لكل هذه الطبقة ـ التى هى جزء من

قوى الشعب العاملة ـ تميل الى الرجعية وتنفصل عن القوى الاشتراكية لتكون مع القوى المضادة للاشتراكية وترتمي في احضان الرجعية بعد ان تشعر بسبب هذه الاخطاء ان الاشتراكية تحاول ان تصفيها ان تقضي عليها .. بينما نحن في الواقع نريد تنظيم هذه الطبقة لمصلحتها حتى تكون قوة حيوية من قوى الشعب العاملة . واذا لم تكن هذه الطبقة مع الاشتراكيين فمعنى ذلك ان تاخذها الرجعية في صفها وستجد فيها الات صالحة لنشر كل ما تريد ان تنشره من تضليل ومحاولات للعمل المضاد للثورة وفي رايي ان الكثيرين من العناصر الرجعية الذين كانوا مختبئين من قبل قد بدءوا يظهرون ويمارسون نشاطهم ومحاولاتهم بعد الغاء الاحكام العرفية واطلاق الحريات .

ووجد هؤلاء في بعض الاخطاء التي وقعت فرصة لتكون حججا يثيرونها ويحاولون بها أن يمارسوا عملياتهم مثلما حدث في موضوع التموين وخلافه ..

واكثر من ذلك فان الرجعية تحاول ان تمارس جهودها ونشاطها ، حتى في محيط العمال والفلاحين انفسهم الذين هم ركائز القوى العاملة للشعب وركائز الاشتراكية والثورة .

ان المشاكل او الاخطاء التي حدثت مثل موضوع بنك التسليف أو الاخطاء التي حدثت في تطبيق التسويق التعاوني .. كل هذه الاخطاء وغيرها تجعل ركائز تحالف قوى الشعب العاملة « تكفر » بما نقوله عن الاشتراكية ، في الوقت الذي تتربص الرجعية وتتلمس مثل هذه الاخطاء لتنشط في كل اتجاه وتبدي استعدادها مثلا لاعطاء الفلاحين نقودا مقدما على محاصيلهم .

وهناك خطأ آخر له صفة الانحراف يضعف من تحالف قوى الشعب العاملة وذلك الخطأ هو ظاهرة البيروقراطية .. لقد كان الفلاحون مثلا ياخذون احتياجاتهم الزراعية بتسهيلات في الدفع ، ولكن بمجرد ان وجد القطاع العام فانه اصبح لا يعطي الفلاحين الا نقدا .

فالاخطاء في التطبيق والانحرافات التي تحدث الى جانب البيروقراطية كلها عوامل تساعد الرجعية في نشاطها لتفتيت تحالف قوى الشعب العاملة بل وان تكسب الرجعية الى جانبها بعض الناس الذين هم الدعائم لتحالف قوى الشعب العاملة في مجتمعنا الاشتراكي .

ونحن لم ننشط بالنسبة لمواجهة هذا الموضوع وواجبنا الآن ان ننشط وان نوضح الامور باستمرار وان نحل المشاكل باستمرار وان نفهم الناس دائما بالاوضاع والاهداف فى صراحة ووضوح ..

مستقبل تحالف قوى الشعب العاملة :

فالمهم ان نحقق التنظيم لتحالف قوى الشعب العاملة وان يقوم الانسجام والتفاهم بين الناس .

والذى اتصوره انه بعد فترة من الزمن سوف نلغى كل هذه التنظيمات النوعية التى نعمل على اساسها حتى لا توجد حساسيات .. فالضرورة هى التى تجعلنا نسير مرحليا بهذا الشكل لاننا فى حاجة الى تنظيم .. ولكن فى تصورى انه يجب الا نعمق التناقضات بين قوى الشعب العاملة .. لانه فى النهاية سوف لا نجد تنظيما واحدا عندنا .. انما سنجد عدة تنظيمات اذا ما تعمق التناقض بين القوى العاملة .. اننا نرجو ان يذوب كل هذا التقسيم الطائفى بعد فترة تصل الى سنوات .. وما جعلنا نسير فى البداية بهذا الشكل هو اننا نعمل كحزب تقابله احزاب تعمل فى البلد الآن .. فانه توجد فعلا قوى مضادة للثورة تعمل وتنشط .

وعلى هذا الاساس قسمنا انفسنا نوعيا الى عمال وفلاحين وراسمالية وطنية وغير ذلك من قوى الشعب العاملة .. لكننا لن نسير على هذا التقسيم باستمرار .. فهل سنبقى على هذه التقسيمات التى تخلق حساسية بين هذا وذاك ؟..

ستكون هناك لجنة للاتحاد الاشتراكى فى المصنع ولجنة فى القرية وفى النهاية لا بد ان نذيب هذه التقسيمات النوعية والطائفية كلها .

ولذلك ففى رايى ان عملنا لا يجب ان يسير على اساس طائفى .. ولقد كانت اسهل طريقة للعمل فى التنظيم هى ان نقسم انفسنا الى قطاعات او طوائف .. فاذا نجحنا فاننا نستطيع ان نقيم جهازا سياسيا يمثل تحالف قوى الشعب العاملة معا بدلا من جهاز لكل طائفة على ان تذوب هذه التقسيمات وتنتهى .

علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات الأخرى

لا بد أن نحدد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الدولة لاننا لا نستطيع ان نفصل الدولة عن الاتحاد الاشتراكى . ولا يمكن ان ننسى ان هناك تناقضا فى المجتمع ولا يمكن أن نترك هذا التناقض .

فقد يجتمع الاطباء فى وزارة الصحة مثلا ويقولون انهم مستقلون ان مستشفى القصر العينى ـ بما فيه من فساد مستقل أيضا ـ وكيف تكون الدولة مسئولة وكل واحد فيها يقول أنه مستقل ؟.. لم .. ما هو الاستقلال ؟.. ان استقلال القضاء مثلا الذى يتردد كثيرا نجد فى حالته ان رئيس الجمهورية هو الذى يعين رؤساء المحاكم وله حق توقيع الحركة القضائية لاعتمادها ، وله كذلك الا يعتمدها .. ووزير العدل هو الذى يعرض هذا الموضوع .. فهل هذا تدخل فى استقلال القضاء ؟ ان استقلال القضاء مقصود به الا تتدخل الدولة فى حكم القاضى والا تهدده بالفصل مثلا اذا لم يحكم بشكل معين فى قضية ما .. هذا هو استقلال القضاء .. وهو أساس التعامل بين الناس ..

اما قلنا ان الجامعة مستقلة والقضاء مستقل فانه لا داعى لوزارة التعليم العالى ووزير التعليم العالى اذن .. وكذلك فانه لا يكون هناك داع لوزير العدل .. بل لا يستطيع مجلس الامة ان يناقش موضوعا مثل موضوع الجامعة لانه لا يوجد مسئول عن الجامعة فى السلطة التنفيذية وبالتالى لا يمكن ان يوجه المجلس سؤالا الى الحكومة عن التطور الجامعى كما حدث مثلا لان الجامعة مستقلة عن الحكومة وعن الدولة .

ان الدولة الاشتراكية مسئولة عن كل شىء .. والجامعة مثلا يمكن ان تكون مستقلة لو كانت تدار برأسمال خاص والحقيقة ان الدولة هى التى تمول الجامعة وتشرف عليها .

بل اننا لم نترك اليوم مصنعا مستقلا استقلالا ذاتيا كاملا فنحن نرسل ميزانية كل مصنع الى مجلس الامة لكى يراجعها .. فكيف يمكن ـ فى هذه الدولة المسئولة عن كل شىء ـ ان نقول ان الجامعة مستقلة ولا شأن للدولة بها .

ولو كانت الجامعة مستقلة فانه لا يمكن ان يناقش موضوع الجامعات فى مجلس الامة لانه على هذا الاساس كيف نناقشه والجامعات مستقلة ؟.. ونقول ان القضاء مستقل لكنه مستقل من ناحية الاحكام .. اما التنقلات والتعيينات واختيار اعضاء مجلس القضاء الاعلى وكل هذه الشئون فانها تسير وفق التنظيم العادى .. اى ان

الامور فى هذه النواحى تخضع للناحية التنفيذية والقضاء مستقل من ناحية الاحكام وضمانها ..

كذلك فانه لا توجد اية جامعة فى العالم مستقلة لا فى الدول الراسمالية ولا فى الدول الشيوعية .. فالجامعات فى الدول الراسمالية يديرها اصحاب النفوذ فى الطبقة الراسمالية وتتبع الجامعات فى الدول الشيوعية نفس الشيء ، اى يسيطر عليها اصحاب النفوذ والسلطة فى الدول الشيوعية .

الاتحاد الاشتراكى والنقابات :

ثم ما هو وضع الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للنقابات ؟.. ان هناك تناقضات بينهما .. ان التناقض قائم لوجود المنافسة بينهما .. والذى اتصوره ان يكون هناك عدد كبير من اعضاء الاتحاد الاشتراكى اعضاء فى اللجنة النقابية .

واذا كانت هناك عناصر قيادية فى كل مؤسسة جماهيرية فان هذه العناصر هى التى ستدخل لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية .. والا فان عملية النقابات والاتحاد الاشتراكى وصلتهما ببعضهما سيكون بها خلل .

ولكن لا بد ان نعرف أن الاتحاد الاشتراكى هو المنظمة الاساسية ، واعضاء اللجنة النقابية اصلهم اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى . والتناقضات الموجودة الآن بين الاتحاد الاشتراكى والنقابة يجب ان نحلها والا فاننا سنصل الى الدرجة التى نتساءل فيها هل نلغى الاتحاد الاشتراكى ؟.. ام نلغى النقابات ؟.. هذا اذا ما تركنا التناقضات تستفحل وتزيد .

ولو استطعنا ان نخلق قيادات تقوم بالتوعية فانه لا يحدث مثل هذا التناقض ولقد كانت هناك مشاكل كثيرة فى الماضى بالنسبة للنقابات .. اما اليوم فلا توجد الا اسباب فرعية ومشاكل بسيطة مثل الخصومات والعقوبات وما الى ذلك .

وبالنسبة للترشيحات للاتحاد الاشتراكى والنقابة فانه لا يمكن تحديد عدد المرشحين للنقابة ولو تقدم عشرة افراد للترشيح لعضوية اللجنة النقابية فيجب ان يتم ترشيح العشرة .. اما الاتحاد الاشتراكى فالوضع يختلف بالنسبة للترشيح لعضوية لجنته .

ولا بد أن ندرك ان عمل النقابة هو عمل الاتحاد الاشتراكى ، وان كان الاتحاد الاشتراكى هو المنظمة الام .. وليس من الضرورى ان يكون الاعضاء هنا هم نفس الاعضاء هناك .

وانى اقول لا بد من احياء اللجان الموجودة فى القرى والمصانع اولا وخلق الاتصال بيننا وبينها ، وبعد ذلك نخلق الكادر المسئول فى المصنع او القرية ..

اليس اعضاء الجمعية التعاونية مثلا اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ؟.. وكذلك أعضاء مجلس القرية ؟ وهذا يكون الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الاساسى .

فاذا كان الاتحاد الاشتراكى قوة فان كل من يتصدى له سيفصل ، واذا كانت لجنة الاتحاد الاشتراكى قوية وتستطيع ان تتصدى لكل من يخرج عن دوره او ينحرف فان كل الناس سوف يدخلون فى كنف لجنة الاتحاد الاشتراكى ، ومن يحارب الاتحاد الاشتراكى او يخرج عن مبادئه فيجب ان يفصل .. بل ان الجمعية التعاونية مثلا اذا قامت باعمال خارج نطاق دورها وتتعارض مع الاتحاد الاشتراكى او تنحرف فيجب ان تحل .. وكذلك لجنة النقابة .

وهكذا بالنسبة لعضو النقابة الذى يرفض حضور لجنة الاتحاد الاشتراكى او الاجتماع الذى تدعو اليه .. لو ان لجنة الاتحاد الاشتراكى فصلت عضو النقابة هذا لما اقدم عضو فى اللجنة النقابية على التاخير او الامتناع .

اى ان العملية تكون : هل لجنة الاتحاد الاشتراكى لها شخصيتها واحترامها اولا ؟.. وبهذا سيظهر الاتحاد الاشتراكى انه الصورة الاساسية وانه القوة .. اما اذا كانت لجان الاتحاد الاشتراكى ضعيفة « كذا وكذا » الى آخر ما نسمع فستكون الصورة بالعكس .

اريد أن يكون عندنا تصور للعمل .. فنحن نريد ان نجمع الناس وان يكون لنا تنظيم فى النقابات مرتبط بالتنظيم السياسى .. واذن فالتنظيم السياسى هو الاهم وهو الموضوع الاول وليست النقابة مثلا هى الموضوع الاول فى الاهمية .

بهذا يكون التنظيم السياسى له تاثير فعلى على النقابات ويكون هناك تفاعل بين النقابات وبين التنظيم السياسى وليس تناقضا او منافسة كما هو الحال الآن .

ونحن اذا اخذنا النقابات بشكلها الحالى فسنجد ان هناك انفصالا بين النقابات والتنظيم السـياسى .

وبالنسبة للعمل الحزبى فانه حتى قبل الثورة كان لكل حزب من الاحزاب عدد من الاعضاء فى كل نقابة مهنية .

فعندما نختار احد المحامين مثلا يجب ان يتوافر فيه شرطان .. ان يكون قياديا وحركيا وان يكون مؤمنا بالنظام الاشتراكى مخلصـا له ويجب أن يكون قادرا على تجنيد الناس من بين المحامين ليرتبطوا بنا .. فلو اعلنت اننى سازور نقابة المحامين غدا على سبيل المثـال فسوف يذهب كل المحامين الى النقـابة .. ولكن من منهم مرتبط بالثورة والاشتراكية ؟ .. الحقيقة ان هذه هى العملية التى تنقصنا .

وفى كل انتخابات يجب أن يكون العمل السـياسى هو صاحب التاثير الاول .

ونحن لا نستطيع ان نقول اننا سنلغى النقابات المهنية فى الوقت نفسـه ولكن يمكن ان نعمل على تطوير النقابات .. ويمكن للنقابات المهنية ان تكون موجودة فى المجتمع

الاشتراكي . ولكن على الاساس النقابى الحقيقى بان يكون المشترك فيها هو كل من يعمل باجـر .

واذن فان العملية الاساسية مع النقابات هى عملية تنظيم مع حل بعض المشاكل التي تعوقنـا في التنظيم مثل توضيح الرأى بالنسبة للنقابات المهنيـة وهذا يمنع الراسمالية المستغلة او الرجعية من استغلال النقابات المهنية وخلق جو الشك في اذهان اعضائهـا .

ولذلك يجب ان نلتقى بالناس ونفتح صدورنا لهم ونقول لهم ما هى السياسة في الوضع الجديد وفي المرحلة التى نمر بها .. مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية نقول لهم ما هو مفهوم السياسة الآن ومفهومها قبل ذلك .

ويجب الا نلقى العيب على الناس بينما نحن الذين تركناهم ، ولا نقول ان العيب على العمال مثلا او على مجالس الادارة لاننـا لم نقل للعمال ولا لمجالس الادارة ان العلاقة هى كذا وان عمل لجنة الاتحاد الاشتراكي هو كذا وعمل مجلس الادارة هو كذا ، بحيث يعرف كل واحد دوره .. ويجب أن نحدد لهم عمل الاتحاد الاشتراكى وهذا سيسهل الامور لكل الناس ولكل التنظيمات .. بل نقول للنـاس .. ما هى السياسة .. ان احد مجالس الادارة مثلا قال للجنة الاتحاد الاشتراكى ان عملهـا منحصر في السياسة ... فهل السياسة هى ان ترسل اللجنـة برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر بتأييد مؤتمر عدم الانحياز مثلا ؟ .. لابد ان يعرف الناس ما هى السياسة في المجتمع الجديد .

النقابات او لجان الاتحاد الاشتراكى باى شكل من الاشكال .. فهذا هو صمام الامان حينما يدخل الاشتراكيون هذه التنظيمات .

واعتقد ان الاشتراكيين قد يكونون قلة .. ولكن اعتقـد ان هناك اشتراكيين وعناصر طيبة لم تظهر الى الآن وبعض الناس يمكن ان يؤمنـوا بالاشتراكية ويكونوا عناصر اشتراكية صالحة وقد يكون من هؤلاء نقابيون فمن يكون اشتراكيا هو الذى يعمل معنـا .

الخلاصة ، اننا لو بدانا بعدد صغير فهذا افضل من الانتظار .

فالوضع الآن هو انه يوجـد عمال صالحون وعمـال غير صالحين .. وكذلك بالنسبة للنقابيين فهناك العناصر الصالحة والعناصر غير الصالحة .. فحينما نجمع النقابات اليوم فكاننـا قد جمعنـا الصالح مع غير الصالح .. جمعنـا العنصر الاشتراكى والمضاد للاشتراكية والانتهازى معا .. فهل هذا هو المطلوب ؟ ان المطلوب هو تكتيل العناصر الاشتراكية وجمعها في التنظيمات المختلفة ، وفي النقابات حسب خبرتنا ومعرفتنا للاشخاص ، ولاعمالهم وعن طريق العدد الذى نحصل عليه من كل نقابة وليكن عشرين نستطيع ان نضم ١٠ او ١٥ او ٢٠ آخرين .. وبذلك نكون قد

اوجدنا حزبا داخل العمال وهو الحزب الاشتراكى الذى نستطيع عن طريقه ان نوجه وان نقود داخل جميع هـذه التنظيمـات والمؤسسات .. ولذلك فيجب ان نجمـع الناس الصالحين الموجودين فى النقابات .. وهم الذين لم نعرفهم ونريد استكشافهم وتنظيمهم .

ان تجربتنا جديدة .. وهذا يقتضى منا ان تكون صدورنا واسـعة لكل النـاس ويجب الا نخشى ان يتكلم الناس فى اى مكان فى البـلد .. ويجب الا تكون عنـدنا حساسية من احاديث اعضاء مجلس الامة مثلا وغيرهم فهذه علامات الصحة .. لكن لابد أن نعمل .. ولابد ان نفهم الناس الشاكل والا فان الرجعية تستطيع ان تضم اليها العمال والفلاحين والموظفين وكل القوى التى نعتبرها ركائزنا .

علاقة الاتحاد الاشتراكى بالمجالس الشعبية ومجلس الأمة :

والاتحاد الاشتراكى له السـلطة على الاجهزة التنفيـذية عن طريق المجالس الشعبية حيث ان المجالس الشعبية من الاتحاد الاشتراكى وهى التى تحدد العلاقة بين السلطة التنفيذية وبين السلطة الشعبية .

وعندما تكون المجالس الشعبية فانها تستطيع القيـام بدور كبير ستكون لها سلطات هامة .. وفى رايى ان المجالس الشعبية ليست الا تعبيرا عن سلطة الاتحـاد الاشتراكى فى المنطقة .. فتوصيات الاتحاد الاشتراكى اليوم يمكن ان تدخل فيهـا الطلبات الشخصية ... اما فى المجالس الشعبية فان العمليـة ستختلف عن هـذا لانها ستكون مثل مجلس الامة بالنسبة للدولة ..

وفى رايى انه يجب ان نترك لمجلس الامة حرية الكلام كما يشاء .. ليتـكلم من يشاء من الناحية الدينية مثلا او غيرها .. ويجب أن نترك الفرصة حتى لو اشتط البعض .. انى اريد ان ياخذ المجلس وضعه كمجلس نيابى ..

لقد قيل عن مجلس الامة مثلا انه سيكون مجلس « نمر » صورى وقد سمعنـا هذا الكلام لكن المجلس اخذ وضعه كمجلس نيابى .

وفى نفس الوقت يمكن ان يجرى بحث موضوع انشاء اللجنة البرلمانية وستنبثق منها لجنة تنفيذية تضم اعضاء مجلس الامـة الموجودين فى الامانة بالاضافة الى عدد اخر من الاعضاء .

لقد استمعت الى المناقشات التى تدور بالمجلس وحول الموضوعات المختلفة وفى رايى انه احسن مجلس نيابى بالنسبة للمجالس السابقة .. ونحن نهدف فى خطواتنا دائما ان تكون هناك اجهزة قوية لا اجهزة صورية .. وفى رايى ان المجلس يستطيع فى المستقبل ان يوجه .. بمعنى ان الحكومة حتى بالنسبة للامور التى هى من سلطتها

يمكن ان تأخذ برأى المجلس ، طالما ان هناك تنظيما داخل المجلس وعلينا ان ننظم .. ننظم انفسنا وننظم العمل داخل المجلس والذى اريد قوله هو انه لا يجب ابدا ان « تكلبش » المجلس او نقيده ، ويكون مجلسنا بحق احسن مجلس فى البلاد العربية من المحيط الى الخليج .. وهو بالفعل احسن مجلس .

ان أى حزب له لجنة فى البرلمان تدرس للعضو الموضوع الذى يتكلم فيه وتساعده هذه اللجنة . ونحن لدينا نقص فى هذه الناحية فالعضو يعتمد على جهوده الخاصة لكى يتكلم فى أى موضوع .

اما فى الاحزاب والتنظيمات الحزبية فى الخارج فان العضو فى البرلمان يعتمد على الحزب او التنظيم الحزبى الذى يعد له كل شىء .. وبهذا يكون الكلام الذى يقال فى المجلس كلاما له قيمة .

نحن نعطى مجلس الامة كل امكانيات ممارسة العمل الديمقراطى ويمكن ان يكون فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى اكبر عدد من اعضاء مجلس الامة .. كما انه يمكن ان يكون اعضاء مجلس الامة الموجودين معنا لجنة تبحث الامور بحثا موضوعيا ولكن يجب الا نطلب من الاعضاء تأييد الحكومة فقط .. دون الوقوف موقف المعارضة فهذا كلام خطأ .

لكن يجب معرفة حدود الموضوع الذى يثار فيه الكلام وابعادها وجوانبها من اولها الى آخرها .. بحيث اذا ما تعرضنا لمناقشة موضوع الاسكان مثلا فى مجلس الامة نناقش الموضوع بكل حرية فتتضح جوانبه المختلفة .

واذن فالاساس فى العملية هو ايجاد التنظيم الملتزم بحيث لا نكون جامدين متزمتين ويمكن مثلا ان يكون للحكومة موقف معين وينتقد اعضاء مجلس الامة موقف الحكومة .. ولكن يجب ان يكون هذا فى حدود الديمقراطية السليمة ، ولهذا فارى ان تشكل لجنة من اعضاء مجلس الامة الاعضاء فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .. ويمكن أن ينضم الى هذه المجموعة عدد آخر من أعضاء مجلس الامة لبحث كل موضوع بحثا موضوعيا .

وفى رايى ان مجلس الامة يجب أن يترك لاعضائه حق الكلام وحرية المناقشة كما يريدون حتى نزيل العقد الموجودة فى النفوس وفى نفس الوقت ننظم انفسنا داخل جميع التنظيمات القائمة .

ولقد كشفت ممارسة الديمقراطية السليمة فى مجلس الامة خلال المناقشات التى دارت حتى اليوم ان هناك تعاونا تاما بين الحكومة وبين مجلس الامة لانهما جهازان يمثلان تنظيمين فى هيئة واحدة .. ويجب ان يشعر الناس اننا جميعا نعمل لهدف واحد ومن اجل مصلحة واحدة .

ولكل عضو حرية الكلام .. وابداء الرأى ولن يترتب على ذلك أية مشاكل .

وانا اعتبر ان مجلس الامة هو جزء من التنظيم .

الديمقراطية الاشتراكية والمفاهيم العالمية

يوجد فى العالم نظامان هما الراسمالية والاشتراكية ...

ونحن فى اجتهادنا للتعبير عن ممارسة الديمقراطية والاشتراكية يجب ان لا ننقل تعاريفا من الكتب انما يجب ان يكون لدينا نوع من التصور للبحث عما يلائم ظروفنا نحن وما نمارسه بالفعل ...

والاشتراكية مثلا يمكن ان تطبق باشكال لا اول لها ولا آخر طبقا لظروف كل بلد وكل مجتمع ...

ونحن لنا طريق الى الاشتراكية منفرد لا ننقله من احد انما نمارسه وفق احوالنا وظروفنا وطبيعتنـــا ...

فما هو طريق الديمقراطية الاشتراكية اذن ؟

انني اقول ان الاشتراكية شيء واحد ولكن الطريق الى تحقيقها يختلف ... ونحن نختلف عن الدول الشيوعية وعن الدول الاشتراكية الاخرى .... فالنظــــام الشيوعى قائم على اساس ديكتاتورية البلوريتاريا اى حكم الطبقة العاملة ونحن نقول وننادى « بديمقراطية كل الشعب » ... وفلسفتنا ليست مبنية على ديكتاتورية اى طبقة لكننا نصل الى اهدافنا بطريق ديمقراطى ... وتجربتنا هى اذابة الفوارق بين الطبقات ولذلك فهى تجربة فريدة ومختلفة عن الآخرين ...

فلو طبقنا ما يطبق فى الدول الشيوعية فان ذلك لا يلائمنـــا .... ولذلك فان التعاريف والمفاهيم المنقولة بالتالى لا تتفق مع ما نمارسه بالفعل ...

والنقطة الهامة اذن ان تعاريفنا تختلف عن الآخرين ...

فنظام البلوريتاريا حينما يطبق لابد من ان تكون هناك عملية « كسر وبتر » وقطع خالص ... ولكننا سرنا ونسير بعملية « تفتيت مع لم وجمع » ...

اننا نقول ديمقراطية كل الشعب ولا نقول ديكتاتورية طبقة ...

كذلك فنحن لا نقول « ديكتاتورية الشعب العامل » ولكن نقول « ديمقراطيـة الاشتراكية اى تحقيق الاشتراكية بالوسيلة والطريق الديمقراطى ، وهذا ما جعلنى اقول ان ممارستنا للتجربة نقوم فيها بعملية « تفتيت مع جمع ولم » ...

ولا نستطيع أن نقول أن تجربتنـا اصبحت كاملة مائة فى المائة ولكنهـا تجربة ديمقراطية الاشتراكية واعتقد انها تجربة فعلا ...

اننا نسير على اساس ديمقراطى فى جميع مستوياتنا وجميع مراحل الممارسـة واختلافنا فى التجربة لا يتوقف على النظام الشيوعى فقط ، بل انه يختلف كذلك عن الدول التى تعمل لتحقيق الاشتراكية فى مجتمعاتها ... بل اننا نختلف عن الطريقة المتبعة فى الجزائر ...

ففى الجزائر تسير التجربة بالنسبة للانتخابات على اساس المرشح الواحد ... اما بالنسبة لتجربتنا تجاه الانتخابات وحتى تمارس الديمقراطية فى شكل جوهرى هو ان ينزل عدد كبير فى الانتخابات كمرشحين ...

فنحن نؤمن ان عملية الانتخابات على أساس قائمة « تصدر وعلى الناخبين ان يقبلوا من فى القـائمة او يرفضوهم فتعد لهم قائمة اخرى فان ذلك يعنى قبول احتكار السياسة بواسطة مجموعة من الناس دون غيرهم ..

فنحن نؤمن ان عملية الانتخابات على اساس (مكررة) .

وانا اعتبر ان الناحية الديمقراطية والممارسة عملية اساسية بالنسبة لنا كدولة وكمجتمع ..

وهناك ناحية هامة اخرى ، لا بد من وضعها فى الاعتبار ، حتى لا ندخل فى ديكتاتوريه أخرى ..

اذا لم ننشر الوعى حتى يمارس كل مواطن الديمقراطيـــة السليمة فاننـــا سنجد انفسنا فى مواجهة ديكتاتورية الحكومة ..

حقيقة ان الحكومة ليست طبقة ، ولكنا نرفض اى نوع من انواع الديكتاتورية.

ويجب الا ننظر الى حاضرنا فقط ، ولكن نظرتنا الى المستقبل تحتم علينـا ان نعمل على الا تقع بلادنا تحت اى سيطرة سواء كانت ســـيطرة طبقة او افراد او هيئات ..

لنفرض انه تولى السلطة شخص له نزوات ، فانه سوف يسوء استخـدام السلطة .. وكذلك الحال بالنسبة للطبقة او الفئة او الجماعة ..

واذن طريقتنا التى نسير عليها هى العمل من اجل تحقيق الاشتراكية عن طريق الممارسة الديمقراطية ..

وسوف نواجه متاعب كثيرة فى ذلك ، ولكنى اعتقـد انه بدون هذا السبيل، فقد نجد انفسنا فى مجاهل ومتاهات لا نعرف ابعادها ونهاياتها ..

وانا اقول واحـــذر اننـــا اليوم موجودون وغدا نحن غير موجودين : والحل الوحيد لضمان الامان وتاكيد الكرامة لشعبنا والسلامة لبلادنا ومجتمعنا هو ان نسير فى طريقنا على درجات ونخطو على هدى وبينة ونحقق ما نريد على خطوات :

الخطوة الأولى :

اننا فتحنا الابواب امام الجميع ، فباب الانتخابات مثلا مفتوح .. وهذا لا يمنع ان يظهر شخص يبين ان تناقضا موجودا ويكون هو نفسه تعبيرا عن هذا التناقض ..

ويجب الا يخيفنـــا ذلك فى ممارســـتنا لتجربتنا فنحن نعتبر مثل هــذا من علامات الصحة وليس من علامات المرض ..

الخطوة الثانية :

اننا جعلنا العمل السياسى حق للجميع فنحن لا نريد ان يكون العمل السياسى احتكارا لفئة معينة لان ذلك يسبب جمودا ويقودنا الى صور الديكتاتورية التى لا اول لها ولا آخر ..

ان سبيلنا الى تحقيق الاشتراكية هو ممارسة كل اعمالنا بالطريق الديمقراطى واذا احجمنا عن ذلك فسوف يقودنا ذلك الى المحسوبيات والانحرافات الكثيرة ..

وفى الوقت نفسه فهذا السبيل هو ضمان المستقبل .. فطالما ان الديمقراطية قائمة بالفعل فلن يستطيع احد أن يفسد او يغتصب أو ينحرف بالمجتمع ..

واذا كنا نفترض ان هذا هو اساسنا لتحقيق الاشتراكية فلا بد ان نفتح ابواب العمل السياسى للناس .. وسوف يخلق ذلك مشاكل وتناقضات كثيرة الا انه من الواجب علينا أن نحل هذه المشاكل ونعالج هذه التناقضات .

ولا شك ان المشاكل ستزداد فى المستقبل ، لاننا فى الواقع ـ كما يقول الكثيرون نسير فى عمليات تطوير اكثر مما نتصور . وهذا وحده يخلق بالتالى مشاكل اكبر مما نتصور .. وفوق ذلك نسير فى تجربة فريدة نواجهها نحن ونمارسها ولكن يجب ان يكون معلوما لنا جميعا اننا نسير فى خطى تطويرنا دون أى ضغط او حتميات الالزام ..

وما دمنا قد آمنا بديمقراطية كل الشعب وحق كل مواطن فى العمل السياسى وممارسته فلا بد أن يفهم الناس حقيقة المشاكل وابعادها ..

ان السد العالى سيعطينا مثلا مليونا ونصف مليون فدان وهذه المساحة غير كافية .. اريد ان يفهم الناس .. كل الناس ذلك ويدركون انه لا بد من العمل حتى نحقق الكفاية والا فان البلد ستنقسم الى طبقتين :

طبقة تعمل وتأكل .. وطبقة لا تجد العمل ولا تجد الاكل ..

كذلك فان قوى الشعب العاملة لا بد أن تفهم عن عقيدة أن التغيير الذى لم ويتم فى صالحها رغم ما واجهنا وما يواجهنا من مشاكل وصعاب ..

فاذا قام الاتحاد الاشتراكى بدوره فى التوعية فان الطبقات العاملة التى ترتكز عليها كقوى اشتراكية سوف تفهم ماهية هـــذه المشاكل وطبيعتها وسنعرف عن

ايمان ان التغييرات التي حدثت في المجتمع لصالح هذه الفئات ولصالح الشعب العامل ككل ..

هكذا يتضح انه ليس امامنـــا في السبيل الذى نسعى فيه اذا كنا فعلا نريد عملا اشتراكيا وديمقراطية سليمة ..

اما اذا خلقنا ديكتاتورية من الف شخص مثلا فان هذه العملية لا تفيدنا ولا تتفق مع مجتمعنا ومصلحتنا .. ولو حدث ذلك فاني اخشى ان ثروات البلد ستذهب الى الاقارب والمحاسيب والشلل والاصدقاء وبطانات الالف شخص .

ان طريقنا ليس هو طريق ديكتاتورية البلوريتاريا لتحقيق الاشتراكية ولكنه طريق الديمقراطية .. ديمقراطية كل الشعب ..

وليس معنى القول بان تجربتنا في تحقيق الاشتراكية هي تجربة فريدة ان نغلق على انفسنا الابواب ولا نقبل معرفة الاتجاهات والافكار الاخرى فان هـــذا هو الجمود نفسه .

علينا ان نقرا ونطلع ونبحث وناخذ ما يمكن أن يطبق عندنا بالتصرف الذى يلائم ظروفنا وتجربتنا ..

بل ليس لدى مانع من ان ناخذ من ماركس او من اى شخص ما يتناسب معنا ..

فنحن مثلا عندما نقول « اشتراكية علمية » فمعنى ذلك ان كل شيء يجب ان يسير على اساس علمى .. فيمكن اذن للجنة الدعوة والمعهد الاشتراكى ان يحددوا لنا التعاريف والمفاهيم التى تتمشى مع وضـــعنا وطبيعة تجربتنا وسلوكها وسبيلها ..

ولكن لا اريد ان نقحم انفسنا في موضوعات عقيمة بحجة التعمق لاننا اولا نريد خلق الوحدة الفكرية بين الناس .. والوحدة الفكرية لم توجد بعد .. ولذلك اسباب منها ان الذين يقومون على التفسير لهم ثقافات مختلفة .. وهذا هو السبب اننا نجد كلا منهم « يفسر على كيفه » وكلا منهم يقول وجهة نظره التى تختلف عن الاخرين ..

وسبب آخر ان مجتمعنا نفسه كان عبارة عن تناقضات اجتماعية وفكرية ومن اجل ذلك فلابد ان ندخل ابواب الفكر الاشتراكى بتمهل وبساطة .. فانـــنا في مرحلة حساسة جدا وتلك هى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ..

وطالما اننا فى مرحلة التحول والانتقال ، فسوف يوجد الفكر اثناء التطبيق وهذا هو ما يدعونى الى القول بأن نتمهل ونتبسط فلا داعى للتعمق طالما اننا فى مرحلة التحول الاجتماعى والتحول الفكرى كذلك خاصة واننا فى المراحل الاولى للتطبيق ..

الا ان الاساس قائم والسبيل محدد وسوف يزداد التعمق وسيزداد التفصيل كلما خطونا فى طريقنا الى الاشتراكية على مدى الايام ..

وانى ارى ان الميثاق الذى وضعناه واضحا لا يحتاج الى التفسير والاجتهادات العقيمة التى لا نحتاجها فى الوقت الحاضر .. وعلينا أن نجعل الميثاق هو الاساس لأى موضوع من الموضوعات ..

وحينما نرجع الى الميثاق ، فسنجد فيه ردا على كل شىء مع التبسيط .. فاذا كانت هناك نقاط تحتاج الى تفسير فلا بد ان يشترك فى ذلك اكبر عدد بل يجب ان نناقش هذا ونتحدث عنه فى اللجنة التنفيذية العليا وفى الامانة العامة ..

ومن الممكن ان يعد لنا المعهد الاشتراكى ، موضوعا للمناقشة او نحدد نحن فيما بيننا هنا موضوعا لمناقشته فى جلسة من الجلسات . بحيث نحدد نحن بتصورنا وواقعنا وتجربتنا التفسيرات لطريقنا الى الاشتراكية ..

وكما قلت ، يجب أن نبسط للناس كل شىء فى هذه الفترة .. وكلما قمنا بهذا التبسيط فان المفاهيم سوف تكون أسهل بالنسبة للجميع .. اما التعقيد فانه يتأتى من وجود افكار اشتراكية قديمة ومتباينة فى نفوس بعض الناس ..

وهدفنا فى الوقت الحاضر هو أن نحقق وحدة الفكر .. فكيف نصل فى الصحافة واجهزة الاعلام مثلا الى هذا الهدف فى تحقيق وحدة الفكر .. اذا كان كل واحد من القائمين على هذه الاجهزة والاقلام يتكلم حسب اجتهاده وحسب ما التقط فى قراءاته من الافكار والاراء النظرية ..

وطالما ان القائمين على الفكر والاعلام والتوعية غير منظمين فانه لا يمكن تحقيق وحدة الفكر ..

كيف تسير العملية فى الاذاعة مثلا ؟

انهم يجتمعون ويتناقشون ثم يخرج كل واحد ، ليقول ما يريده هو ، وهذا سببه أنه ما زال هناك قصور فى التنظيم ..

فعندما نصل الى وحدة الفكر بالنسبة للامانة العامة ثم نصل الى وحدة الفكر بالنسبة للامانات الفرعية فان هذا يساعدنا مساعدة كبيرة جدا على ان تتسع وحدة الفكر فى المجتمع ومن طريق التنظيم الذى نقيمه فى الصحافة واجهزة الاعلام يمكن ان نجعل من ينظم هو الذى يقول وجهة نظرنا التى التقينا عليها ..

ويمكن ان ناخذ أناسا من التليفزيون والاذاعة والصحافة ودور النشر ونجعلهم دعاة وننظمهم .. وبمجرد قيام التنظيم ستوجد وحدة فكرية ..

ولكنى أرى أن الشيوعيين ليسوا هم الذين يقومون بعملية التفسير أو الدعوة لاشتراكيتنا لان هناك اختلافا بيننا وبين الشيوعيين .. وحتى الشيوعيون نوجد بينهم اليوم خلافات .. والمناقشات الطويلة بين الاتحاد السوفيتى والصين ترجع الى وجود خلافات كبيرة بينهما بالنسبة لديكتاتورية البلوريتاريا .. وديمقراطية كل الشعب .. فالصينيون يقولون اليوم ان الروس انقلبوا الى « بورجوازيين » .. ورأى الصين مثلا انه لا داعى أبدا ان ينتقل الاتحاد السوفيتى الى مرحلة اكثر رخاء طالما انه توجد دول شيوعية اخرى لا زالت تقاسى وفى رأيهم انه لا بد ان تكون لتحقيق الخطوات الى الاشتراكية فيها مشاركة وان يســاعد الاتحاد السيوفيتى الدول الشيوعية الاخرى التى لا زالت تقاسى .

وكذلك ترى الصين ان من مصلحتها ان تبدا مرحلة الديمقراطية لكل الشعب وأن تنتهى ديكتاتورية البلوريتاريا .. بينما اليوغوسلافيون يقولون انه لا بد أن تبدا مرحلة اضمحلال الدول والحزب وقالوا هذا فى البرنامج الذى أعدوه عام ١٩٥٨ بالنسبة للادارة .

ومن ناحية اخرى فان الروس كما نشرت جريدة ازفستيا بدءوا يوزعون ارباحا على عمال النسيج بالذات اى انه حدثت تغييرات فى الاتحاد السوفيتى بعد ٤٥ سنة من تطبيق النظام الشيوعى ..

وقد غيرت يوغوسلافيا التعاريف وقابلتها فى ذلك مشاكل كثيرة ..

وبالنسبة للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية مثل حزب جى موليه بفرنسا فانى اعتقد انه انحرف وسار فى طريق اليمين ونحن نعتبر متقدمين عنهم .. ولكن هذا لا يمنعنا من ان نعمل معهم ونتصل بهم .. والحزب الاشتراكى الايطالى كذلك ..

لا مانع من اجراء اتصالات بالاحزاب الشيوعية مثل الحزب الشيوعى الايطالى

ونتصل ايضا بحزب الاتحاد الهندى وغيره .. وعلى هذا الاساس نستطيع ان نكون على صلة بالحركة الاشتراكية فى اوروبا واسيا .

وهناك نقطة لا بد ان تتضح لنا فى رايى وهى ان اية خطوة اشتراكية تقدمية فى اية دولة وخاصة الدول العربية لا بد ان نساندها . فلا بد ان يكون مبدؤنا الاشتراكى واضحا وليس معنى مساندتنا لخطوة اشتراكية اننا نؤيد حزبا او جماعة اننا نحن نؤيد العمل الاشتراكى ايا كان مبعثه .. اننى لا اقول اننا نؤيد حزب البعث مثلا وانما نحن نؤيد الخطوة الاشتراكية التى اتخذت فى سوريا مثلا .

وهذه نقطة نحتاج ان نعرفها جيدا وهى ان حرصنا على الديمقراطية السليمة لا يعنى ان نسمح لاى حزب او لاى تنظيم ان يقوم او نسمح للشيوعيين بان يعيدوا تنظيم انفسهم باى حال من الاحوال فان كان الشيوعيون فى بلادهم لا يسمحون لاحد بان يشكل تنظيمات فهل نسمح للشيوعيين بذلك فى بلدنا ؟..

هل يستطيع خروشوف الان مثلا ان ينظم اى تشكيل فى الاتحاد السوفيتى ؟..

طبعا لا يمكن .. هل هو شيوعى او غير شيوعى .. طبعا شيوعى .. ولكنه مع ذلك لا يستطيع ان يقيم تنظيما فى الاتحاد السوفيتى .

ان تربتنا فريدة ولا بد ان يكون لدينا تصور وابتكار ونحن نحققها فى خطانا .. ولكن عند المناقشة يجب ان يكون الكلام مبنيا على اساس الميثاق .

فنحن مثلا نقول اننا لسنا ضد الدين .. وكوننا نقول ان الاســــلام دين اشتراكى لا يمنع ان تكون اشتراكيتنا قائمة على الميثاق .

ممارسة الديمقراطية :

اننى لا اريد ان تكون الصحف كلها نسخة واحدة .. اننا نريد ان يجتهد الناس فى اى موضوع من الموضوعات لان الشعور السائد بين الناس ان الجرائد مراقبة وهى فى الحقيقة لا تخضع لرقابة .. ويجب ان يفهم الناس ذلك .. ويجب ان يترك باب الاجتهاد مفتوحا بالنسبة للكتابة فى الموضوعات الاشتراكية .

ويجوز ان تكون للناس اراء مختلفة .. فمثلا فى المجلة التى تصدر فى براغ تنشر فيها اراء مختلفة جدا عن اراء الحزب الشيوعى .. ونحن يجب ان نسمح بنشر الاراء المختلفة عنــا حتى يشعر النــاس بانه يمكن لكل شخص ان يبــدى رايه ويمكن ان يتبينوا النواحى المختلفة .

نريد اشخاصا يتحدثون بصراحة عن كل شيء وعن كل شخص مهما كان مركزه وحتى الآن لا يوجد هؤلاء الاشخاص والسبيل الوحيد لهذا هو الديمقراطية .. مثلا الكلام الذى قيل من خروشوف بعد عزله من الحكم بخصوص تعيين زوج كريمته رئيسا لتحرير جريدة برافدا ، لم يكن احد يجرؤ ان يقوله عندما كان خروشوف فى الحكم ، لان النظام هناك فيه عيوب .. ونحن نريد نظاما يستطيع اى فرد ان ينتقد حتى رئيس الجمهورية اذا اخطأ ..

ولكن لا داعى ابدا لنشر اخبار مجهولة او مقنعة كان ينشر ان مؤسسة حدثت فيها سرقات قد يكون هذا الخبر صحيحا وفى هذه الحالة لا مانع من أن ينشر اسم المؤسسة بالتحديد ..

حرية الصحافة اذن مكفولة ونحن اذا قيدنا العملية فان صحافتنا سوف تفقد قيمتها ، وليس هنا فقط وانما فى العالم العربى أيضا ..

ونحن فى الحقيقة خلال ممارستنا للديمقراطية السليمة نهدف ان تكون لدينا اجهزة قوية لا اجهزة صورية .. وليس الامر قاصرا على الصحافة فقط .. فمجلس الامة يجب ان ياخذ وضعه كمجلس نيابى صحيح وسليم ولكل عضو حرية الكلام وابداء الراى .. ولن يترتب على هذا اية مشاكل .

فاذا كانت هناك احزاب فان الرجوع فى موضوع التعليم العالى الذى ناقشه مجلس الامة يعتبر هزيمة للحزب الحاكم ، اما نحن فموقفنا يختلف .. اذ يوجد تعاون تام بين الحكومة والمجلس وهما جهازان يمثلان تنظيمين فى هيئة واحدة ..

طالما انه لا توجد احزاب فلا مانع من ان نضرب الامثلة على أنه يمكن أن تستجيب الحكومة لراى المجلس كما حدث بان تؤجل عملية التعليم العالى لمدة سنة وان تاخذ الاراء كلها وتعيد النظر فى العملية .. أن هذا لا يؤثر على الحكومة بل هو بالعكس من ذلك فان الموقف يؤدى الى تقوية وضع المجلس .

بل اننى لا امانع ان يقف عضو مجلس الامة الذى يقولون انه لا يريد ان يطالب بتحديد الملكية الزراعية بخمسة وعشرين فدانا .. بل اكثر من ذلك لا مانع من ان يطالب العضو الاخر الذى تقولون عنه بتاميم الارض الزراعية ..

فعندئذ ستحدث مناقشة فى هذا الموضوع .. ستظهر آراء قد تكون خافية .. ثم يوافق المجلس اولا يوافق على هذا الكلام .. وتلك هى الديمقراطية السليمة .. ديمقراطية كل الشعب .. من اجل تحقيق الاشتراكية ..

شرح للميثاق.. قبل أن يصـــدر

يسعدني أن التقي بكم في هذه القاعة وأنتم على وشك أن تبـــدءوا مهمتكم الكبرى في خدمة امتكم المناضلة التي اخذت على عاتقها بشرف وبسالة ان تطـور حياتها في جميع المجالات ، وان تزيل عن كاهلها اثقال قرون طويلة من الظلم والقهر لتبني مجتمعا سعيدا تسوده الرفاهية على اسس من العدل والحرية .

امتكم التي نذرت نفسها برغم ما تحمله من اثقال وما تواجهه من مسئوليات ان تكون قاعدة لتحرير الامة العربية كلها سياسيا واجتماعيا .

وامتكم التي تقف في كل مكان على الارض بقدر طاقتها حامية لشرف الانسان ولحقه في الكرامة والسلام .

أمانة الخطوة الأولى :

في خدمة هذه الامة ، تبدءون اليوم مهمتكم الكبرى في التحضـــير لمؤتمر وطني يمثل القوى الشعبية وتجاربها في شتى الميادين من ان يضع ميثاق العمل الوطني الذي يكون بدوره اساس الانتخابات العامة القادمة بعد انتخاب القواعـد الشعبية التاسيسية للاتحاد القومي والتي ينبثق منها بالانتخاب الحر المؤتمر العام للاتحاد القومي الذي يضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحـــدة . ويضاعف من خطورة المهمة التي تقومون بها اليوم في خدمة امتكم اعتباران ، اولهما : انكم بهـذه المهمة التي اوكلت اليكم تحملون امانة الخطوة الاولى التمهيدية لقيـــام التنظيم الشعبي القادر على دفع الثورة الاجتماعية التي آن اوانها في وطننا بعد اســـتغلال للجماهير طال مداه .

وثانيهما : ان الظروف تحتم عليكم الفراغ من مهمتكم الكبرى في مدى لا يتجاوز

---

(١) خطاب الرئيس في افتتاح اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ .

شهرا من الزمان على حد ما جاء في البيان السياسي الذي صدر بتحديد خطـوات العمل السياسي بتاريخ السبت الخامس من نوفمبر .

مهمتكم اذن دقيقة في التطور الثوري لامتكم لم هي ايضا دقيقة بحكم الجهـد الذي يتعين عليكم بذله في فترة محدودة مركزه من الزمان .

لكني اثق ، واظنني في هذا اعبر عن راي الامة ، بان في طاقتكم جميعا ، جهودا قادرة على الخدمة العامة باخلاص وشرف .

تجربة الثورة في معاركها :

وفي الحقيقة ، انني لا اريد هنا ان القي خطابا افتاحيا لاعمال اللجنة : وانمـا الذي اريده ، هو ان امامكم تجربة العمل الثوري في وطننا ، كما رايتها ، وكما بدت لي طوال الفترة الاخيرة التي عشتها مع نضال هذا الشعب العظيم ، خلال سنوات حافلة ، مليئة بالاعمال الكبرى ، مليئة بالمعارك الكبرى في نفس الوقت ، بغية تحقيق هذه الآمال .

معارك مع الاستعمار ، متعددة الالوان تبدا باطلاق الاكاذيب وتنتهي باطـلاق القنـــابل .

معارك مع الرجعية ، المتعاونة مع الاستعمار متعددة الاساليب ، تبـدا بمظـاهر المحبة وتنتهي بطعنات الظهر والظلام .

معارك مع التخلف الطويل ، الذي ارغمنا عليه ، والذي ورثنا منه ما يعـــانيه شعبنا من المشاكل الهائلة ، التي يتحتم علينا حلها ومواجهتها مواجهة عملية مستنيرة لكي تتيح لشعبنا ان يحقق انطلاقاته الكبرى ، في مجالات الانتاج وحتى توزيع فائضه وهو ما يعبر عنه بالكفاية والعدل .

معارك مع انفسنا . مع نقط الضعف فينا ، حتى لا ننسى على الطريق ، اهدافنا الاصيلة ، وحتى لا تخدعنا مظاهر الامور عن حقائقها . وحتى لا ننسى اننا في الاصـل والاساس جيل حمل مسئولية العمل الثوري ، ولا بد له تحت كل الظـــروف ان يتمسك بعزيمة الثوار ، وبتجرد الثوار ، اية مرحلة هي المرحلة القادمة ؟... اية مرحلة التي بتمر بها الثورة ؟

مبادىء ثورة ٢٣ يوليو :

مرحلة الثورة الاجتماعية ، هذه المرحلة لها بلورها ، هـذه المرحلة لها خط

سيرها ، هذه المرحلة لها ترابط فى كل شىء مررنا فيه ، هذه المرحلة نتيجة كفـاح طويل ، ونتيجة وعى وتصميم من الشعب .

قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكانت هذه الثورة ، هى حصيلة كفاح الشعب من اجل الحرية ، ومن اجل الاستقلال ، ومن اجل العـدالة ، العـدالة الاجتماعية .

فى اول يوم من ايام الثورة ، اعلنت مبادىء الثورة المبادىء الستة : القضـاء على الاستعمار واعوانه ، القضاء على الاحتكار ، اقامة عدالة اجتماعية سليمة ، اقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

سنة ١٩٥٢ كان فيه انجليز فى بلدنا ، كان فيه ٨٠ الف عسكرى انجليزى ظللنا ٨٠ سنة بنحاول ان نخرجهم من بلدنا بدون شىء خلاف الوعود من بريطانيا ، كنـا بنحاول بالمفاوضات وكنا بنحاول بالمساومات والاتفاقات والمعاهدات ، ولكن وصلنا فيهم الى معاهدات ووصلنا الى اتفاقات ولكن لم نصل الى ان نتخلص من الاستعمار .

ثورتنا سياسية اجتماعية :

يوم ٢٣ يوليو كانت هناك ثورة سياسية ضد الظلم وضد الاستبداد السياسى ومن اجل التخلص من الاستعمار واعوان الاستعمار .

وبدات فى نفس الوقت ثورة اجتماعية ، تهدف هذه الثورة الى تحقيق العدالة الاجتماعية ، واحنا من قبل الثورة كنا نحس ، ونشعر ، ونرى دواعى هذه الثـورة والثورة الاجتماعية . ولكن منذ اول يوم من ايام الثورة بدانا ايضـا فى الثـورة الاجتماعية ، ولكن معالم الطريق لم تكن واضحة تمام الوضوح .

من اول يوم فى الثورة قلنا ان احنا بنجابه ثورتين : ثورة سـياسية ، وثورة اجتماعية ، فى كتاب فلسفة الثورة ، والخطب اللى قلتها من اول يوم من ايام الثورة ان علينا ان نجابه ثورتين ، ثورة سياسية وثورة اجتماعية ، مرة قلت ان علينا ايضا ان نجابه ثورة ثقافية لان الثورة الثقافية لازمة لنا علشان ندعم ثورتنا السياسية ولازمة لنا علشان ندعم ثورتنا الاجتماعية ، وقلنا ايضا من الاول ان الثورة السياسية بتحتاج الى تجميع قوى البلاد ضد الاحتلال وضد الاستعمار وضد اعوان الاستعمار ، وقلنا ان الثورة الاجتماعية بتفرض ان نمنع الاستغلال وان نعيد توزيع الثروة ، وكان هناك تضارب بين طبيعة كل من الثورتين .

الثورة السياسية والثورة الاجتماعية لان الثورة السياسية كانت تستدعى ان

تجمع جميع القوى حتى نقضى على الاستعمار وحتى نقضى على اعوان الاستعمار وحتى نقضى ونتخلص من الاحتلال .

صدام للقضاء على الاستغلال :

اما الثورة الاجتماعية فكانت تحتم علينا أن نصطدم مع قطاعات مختلفة فى الامة من اجل اقامة العدالة الاجتماعية السليمة ، ومن أجل القضاء على الاستغلال بكل معانيه ، الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى ، وهذا نوع من التضارب عانينا منه ، فى بلدنا وعانت بلاد أخرى كثيرة من البلاد التى استقلت حديثا والتى ارادت ان تضع الثورة السياسية وتضع الثورة الاجتماعية فى نفس الوقت موضع التنفيذ .

تجربة ثورة ٢٣ يوليو :

تجربة ٢٣ يوليو ، انا لما بقول على هذه التجربة اللى مرت فى العشر سنين اللى فاتت باقولها علشان بنشوف الدروس اللى احنا قدمناها ، ولكن كنا نعبر عن امل الشعب فى القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم اعوان الاستعمار ، ولكن لم يكن فى خاطرنا ابدا ان نحكم كنا نعتقد اننا قد نستطيع ان ننفذ المبدأ السادس او الهدف السادس من اهداف الثورة وهو حياة ديمقراطية نطمئن لها ويطمئن لها الشعب .

محاولة مع الاحزاب :

كان بيبان لنا من اول يوم انه عمل سهل خصوصا بعدما خرج الملك وبعدما تخلصنا منه وطلبنا من حزب الوفد ان يطهر نفسه من المستغلين ، ثم طلبنا منه أن يستعد ليتولى الحكم باعتباره كان قبل كده يمثل الاغلبية . ولكن كان لنا طلب واحد وهو اننا حين ننفذ الهدف السادس او حين نضع الهدف السادس من اهداف الثورة او من مبادىء الثورة موضع التنفيذ وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لم يكن لنا باى حال من الاحوال ان نهمل الاهداف الخمسة الاخرى ، والتى تقضى بالقضاء على الاستعمار واعوان الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى ، فطالبنا ان تتعهد الاحزاب وان يتعهد الوفد بالذات بوضع هذه الاهداف موضع التنفيذ .

اجتماعات مع سراج الدين :

وكانت البلورة الاولى لاقامة حياة اجتماعية سليمة او اقامة عدالة اجتماعية البلورة كانت تحديد الملكية او تنفيذ قانون تحديد الملكية ، حصلت اتصالات مع

الوفد . اجتمعت مع فؤاد سراج الدين اربع مرات من اجل بحث هذا الموضوع ... اجتمع مجلس ادارة الوفد مرة واثنين وثلاثة واربعة ليبحث طلبنا . طلبنا كان تحديد الملكية ، تحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان و ١٠٠ فدان للابناء ، يعنى تحديد الملكية كان ٣٠٠ فدان .

كانت ايه النتيجة ، طوال هذه الاجتماعات ، كانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم ، وكانت هناك محاولات من جانبهم لاقناعنا .

نظراتنا للارض ونظرتهم :

احنا كنا بنطالب بتحديد الملكية وتوزيع الارض على الفلاحين على اساس ان هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تحرر الفلاح اللى نشأ فى الارض ، ملازم للارض والذى اعتبر سلعة فى الارض ، عبد للارض ، ملك لمالك الارض ، ملك للاقطاعى . هم كانوا بينظروا للارض نظرة اخرى ، كانوا بيقولوا اذا كنتم عايزين تحددوا الملكية طيب ما تفكروا فى اسلوب آخر ، فكروا فى الضرائب التصاعدية ، قد تساعدكم فى رفع دخل الخزانة وتساعد فى رفع دخل الخزانة وتساعد فى رفع ميزانية البلاد ، كان مفهوم بيختلف عن مفهوم ، كنا بنقول ان احنا مش عايزين فلوس للخزانة ولكنا نريد ان نحرر الانسان ، هم ماكانوش بيفهموا معنى تحرير الانسان بالكلام اللى احنا بنقوله وبيعتبروه كلام شعارات ، كلام مابيجيش منه ناتج ولا عائد ، ولكن الناتج والعائد يمكن ييجى من الضرائب التصاعدية ، وعلى هذا الاساس لم نستطع ان نتفق ..

ما اتفقناش ابدا . هم كانوا بيفكروا بعقلية واحنا كنا بنفكر بعقلية ، احنا كنا بنقول نريد الفلاح ان يمتلك حتى يكون حر ويستطيع انه يقول ايوه او لا طالما هو متملك الارض يشعر بحريته ، والحرية مش معناها باى حال من الاحوال برلمان وقبة برلمان وشعارات ديمقراطية ، ولكن الحرية هى حرية الفرد . اذا استطاع الفرد انه يقول ايوه واذا استطاع الفرد انه يقول لا يبقى حر ، لكن الفرد اللى ملازم للارض وملازم للاقطاعى واللى بيشتغل فى الارض مع الاقطاعى زيه زى البهايم اللى موجودة عنده لا يمكن بحال من الاحوال انه يشعر بالحرية ولا يمكن الا ان يكون تابع للاقطاعى وتابع لصاحب الارض ليسير وفق هوى صاحب الارض وليست لارادته اى قيمة .

على هذا الاساس رفضو هم تحديد الملكية اللى طلبناه ، رفضوا انهم يحكموا رفضوا ان يعودوا الى الحكم على اساس تحديد الملكية . طبعا احنا كنا نصمم على تحديد الملكية . وكان الامر بالنسبة لى فى هذه الايام غريب كل الغرابة ، ولكن بعد كده طبعا تبينت ان العملية لا تحتاج الى غرابة ومافيهاش الغاز ومافيهاش عقد باى

حال من الاحوال ، ازاى الواحد يقعد يتفاوض مع الاقطاعى وصاحب الارض علشان تحديد الملكية ويطلب منه صك على اخذ ارضه وتوزيع املاكه ، وكان حزب الوفد فى هذا الوقت عايز يمثل طبقة من ملاك الارض ، من طبقة الاقطاعيين ، وده طبيعى انهم لن يقبلوا الوضع الطبيعى انهم يرفضوا هذا الكلام . واحنا فطنا فى الآخر أن احنا كنا بسطاء جدا حينما طلبنا من الاقطاع ان يقبل بنفسه ان يوقع صك القضاء على الاقطاع وتحرير الارض وتحرير الفلاح ، لان معنى هذا حتى من الناحية السياسية ، القضاء على الحزب نفسه لان الحزب كان بيعتمد على الاقطاعيين فى كل بلد .فى كل مديرية فى هذا الوقت كانوا بيعتمدوا على الفلاحين اللى بيشتغلوا عندهم انهم يدوهم اصـــواتهم .

معركة الاصلاح الزراعى :

بعد كده كان لا بد لنا ان ناخد خطوة حاسمة فى الموضوع واصبحت معركة قانون الاصلاح الزراعى فى اول الثورة ، وكلكم تعرفوا ، اصبحت معركة عنيفة لانه فى الوقت اللى احنا كنا بنتكلم والوقت اللى كنا بنتفاوض كانوا اصـــحاب الارض بيعملوا رابطة ، كان رئيس الحكومة فى هذا الوقت بيعطف على اصحـــاب الارض ، مجلس الوصاية ايضا فى جانب اصحاب الارض وعقدت هنا فى مجلس الوزراء اجتماع مجلس الوصاية من اجل الناعه بقانون الاصلاح الزراعى ، ولكن ايضا مجلس الوصــــاية كان يريد ان يقنعنا بشىء ضد قانون الاصلاح الزراعى ولم يكن الاصلاح الزراعى فى ذلك الوقت كان دليلا على الحاجة الى الثورة الاجتماعية وعلى الالحاح فى طلبها أجتمع مجلس الثورة بعد كده وقرر اقالة الوزارة المدنية الموجودة اللى كان يراسها على ماهر واقامة وزارة اخرى لتنفذ الاصلاح الزراعى ، واقيلت الوزارة ونفـــذ قانون الاصلاح الزراعى .

وانتصر الفلاح :

بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى مرينـــا فى معركة تدل على صـــعوبة الثــــورة الاجتماعية ، الثورة السياسية اسهل بكثير من الثورة الاجتماعيــــة ونرى ما قلت دلوقت لم تكن الثورة الاجتماعية باى حال من الاحوال هى قانون الاصلاح الزراعى ، ولكن قانون الاصلاح الزراعى كان تعبيرا عن الحاح وكان تعبيرا عن الحاجة الى هذه الثورة الاجتماعية ، وكان تعبيرا عن آمال الفلاح وكفاحه الطويل من اجل التحرر من ربقة الاقطاع .

موقف الرجعية من معارك الثورة :

بعد كده دخلنا معركة مستمرة . بدانا اول معركة من اجل تنفيذ الهدف الاول من اهداف الثورة ، القضاء على الاستعمار واعوانه . القضاء على الاستعمار واعوانه معناه ان ندخل مع الانجليز فى معارك مستمرة سواء من الناحية السياسية او فى منطقة القنال اذا دعا الامر الى حرب العصابات . دخلنا معارك مع الانجليز من اجل الجلاء ، معارك مع الانجليز من اجل الاستقلال . كان ايه موقف الرجعية واحنا نجابه الانجليز سواء من الناحية السياسية او نجابههم فى منطقة القنال ؟ الرجعية كانت دايما متخوفة ، والرجعية كانت دائما تعتقد بان المساومة هى السبيل الوحيد للحصول على اتفاق ، باى طريق كان مع الانجليز . والثورة الاصيلة لا يمكن باى حال من الاحوال ان تعرف المساومة .

الانجليز فى راى عبود :

وانا اذكر اول ايام الاتفاق مع الانجليز والحملات اللى بدات على الانجليز وانا شفت ناس من اللى كانوا بيتعاونوا مع الانجليز ، شفت واحد ، شفت عبود مثلا ، عبود كان بيقول لى ، يعنى ، انت صغير يا جمال بك انت مش عارف الانجليز ابدا ، الانجليز دول دوخوا الدنيا ، ازاى احنا نقف قصاد الانجليز اذا كنت بتتفاوض مع الانجليز ، ما تنساش ان دول انجليز ، الانجليز اللى كسبوا الحرب العالمية الثانية ، الانجليز اللى دوخوا المانيا ، الانجليز اللى عملوا ، الانجليز اللى ســـووا ، اذن الواقع اللى كان موجود فى بلدنا او التراث اللى كان موجـــود فى بلدنا له اثر . السياسيين الاخرين بيعتبروا ان منطق المساومة هو المنطق المفروض ، كانت الرجعية لغاية دلوقت بتعتقد ان السفير الانجليزى او السفير الامريكى يستطيع ان يؤثر او يستطيع ان يكون له دخل فى الوزارة . كلنا نعرف قبل الثورة كل شهرين او ثلاثة كانت تيجى وزارة ، ويوم السفير البريطانى ما لقى معاهدة مع على ماهر قبل الثورة سقطت الوزارة . كانت الرجعية لا زالت تجد فى الانجليز حماية ، حماية لها وحماية لاستغلالها وحماية لتحكمها ، وحماية لسيطرتها . لان الانجليز باستمرار فى الماضى كان الانجليز بيحموا الرجعية ويعتبروا الرجعيين هم اصـــدقاؤهم الطبيعيين وهم رجالتهم .

وجاءت ازمة مارس :

اما الرجعية حتى فى كفاحنا مع الاستعمار البريطانى كانت دائما متخوفة ، تبث روح التردد ، تدعو الى المساومة ، هل انتهى دور الرجعيـــة من اول يوم من ايام

الثورة ؟. لم ينته باى حال من الاحوال . فى ازمة مارس ، الازمة اللى حصلت فى مجلس الثورة واللى وقف فيها محمد نجيب فى جانب والثــورة فى جانب ، كانت اساسا بفعل الرجعية . بعد نجاح الثورة جاء محمد نجيب ، بعد نجاح الثورة عين محمد نجيب رئيس لمجلس الثورة . بعد نجاح الثورة بدات الرجعية تسعى الى محمد نجيب حتى تبث بذور الفرقة .

ونجحت الرجعية واثرت واستطاعت ان تقنعه بانه يستطيع ان يحكم البلد لوحده . وحصلت ازمة مارس . كلنـــا نعرف ايه هذه الازمة . ايه اللى حصل فى ازمة مارس ؟. خرجت الرجعية كلها من جحورها من اجل ايه ؟ طبعا اولا من اجـل الحفاظ ، او من اجل حماية مكاسبها ومن اجل استغلال الفرصة حتى تقفز لتستغل وتؤمن النظام الراسمالى المستغل اللى كان موجودا قبل الثورة .

وخرجت الرجعية من جحورها :

خرجت لتحكم ، لتحكم بمن ، تحكم بواسطة السياسيين ، والرجعيـــة عمرها ماكنتش بتحكم بنفسها ، عمرنا ماشفنا اصحاب ملايين رؤساء وزارة بلدنا ، ولـكن اللى كانوا بيبقوا رؤساء وزارات هم اللى بيشتغلوا عندهم بمرتبات شهرية ، اما فى الشركات ، يا اما محامين للشركات ، يا اما مستشارين للشركات .

اذن كانت الرجعية بتتربص دائما بالثورة ، لتجد اى فرصة ، لو لتنتظر اى فرصة لتنقض حتى تستطيع ان تحكم .

وزى ما قلت فى خطاباتى قبل كده ان الرجعية لا تستطيع ان تشعر بالطمانينة باى حال من احوال ، الا اما كانت تحكم ، والرجعية دائما تحكم بطريقة غير مباشرة .

الرجعية تستطيع ان تكيف نفسها وفق العصر ، ترفع شعار الديمقراطية ، اذا كان شعار الديمقراطية يجلب الجماهير ، لان سلاح الرجعية هو الجماهير ، الشعب نفسه ، تخدعه ، ترفع الشعارات ، بعد كده متكبلة ، بعد كده حينما تصـــل الى هدفها ، طبعا بتتناسى هذه الشعارات .

وانتهت الازمة :

وانتهت ازمة مارس ، وبدا موقفنا فى السياسة الخارجية يتضح ، وابتدانا نعلن بعد ذلك سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى . وبدا الانجليز فى الجلاء من مصر ، جلاء كامل لاول مرة .

ما هو موقف الرجعية ؟. الرجعية فى هذا بيمثلوا السياسيين القدامى بيمثلوا الاقطاع ، بيمثلوا الراسمالية المستغلة ، كان موقفهم واضح من اول يوم ، التشكيك ان احنا وقعنا فى الوقعة اللى مش حاننفد منها ، نفدنا من السلاح ونفدنا فى سياسة عدم الانحياز .

ازاى نستطيع أن نتبع سياسة عدم الانحياز ؟. ازاى نستطيع ان ندافع عن بلدنا ؟. الشعارات اللى كانت بترفعها الرجعية ، كيف يمكن ان نحمى بلدنا ضد اسرائيل .. كيف يمكن ان نحصل على السلاح ؟ كيف يمكن ان نعتمد على انفسنا فى اى مجال من المجالات ؟. وكان التشكيك ، كلنا نذكر فى سنة ١٩٥٥ ، التشكيك فى سياسة عدم الانحياز وما يمكن ان تجره هذه السياسة على البلاد من اضرار ، وبعد كده حينما فتحنا الطريق الى الشرق ، وحينما بدانا الاتفاقات مع الدول الشرقية ، اول ناس على طول كيفوا نفسهم حسب الوضع ، وتعاملوا مع الدول الشرقية ، اكثر ناس كسبوا من التجارة مع الدول الشرقية هم الراسماليين اللى كانوا بيعارضوا قبل كده ان احنا نكون لنا سياسة حيادية ايجابية غير منحازة ، فى كسر احتكار السلاح كان للرجعية موقف ، وانا اذكر ازاى الرجعية شعرت بالخوف ، ازاى فيه بعض الناس ذكرونى بجواتيمالا . ازاى قالوا لى جواتيمالا اخذت سلاح من الشرق ، امريكا ماسبتهاش ، امريكا مش حاتسيبنا ، امريكا لازم حاتتخلص علينا ، امريكا لازم حاتقضى علينا ، باى حال وباى وسيلة .

التفكير الرجعى باستمرار هو المؤثر ، فى تاميم قنال السويس ، موقف الرجعية ايضا من يوم ما اعلنت تاميم قناة السويس ، بدا التشكيك والفرحة .. من عمليات قبل كده ، نفذنا من سياسة الحياد ، الان الانجليز والغرب مش ممكن يسيبنا باى حال من الاحوال ننفذ بقناة السويس .

مفاوضة مع الانجليز :

بعد تاميم قناة السويس ، حصل العدوان ، ليه حصل ؟. الشعب كله هب ليدافع عن بلده ، وعن ارضه وعن شرفه ، ولكن كان الرجعيون او الفئات الرجعية المعروفة ، تجتمع لتهمس وتتكلم ، وتبحث كيف تنتهز هذه الفرصة لتخدع الشعب تضحك عليه ، وابتدوا يقولوا انهم حايرفعوا عريضة ، تحت شعار انقاذ ما يمكن انقاذه ، وانهم حايطلبوا انهم يتفاوضوا مع الانجليز ، سمعنا احنا هذا الكلام ، وانا سمعت هذا الكلام وكنت موجود فى هذا المبنى المجاور لمجلس الامة ، وانا قلت ان اى واحد حايجى يقدم عريضه بهذا الشكل سيعتبر خائن ولا يحتاج الى محكمة وانما الواجب على انا ان انفذ عليه حكما فورا فى حديقة مجلس الوزراء ..

لان اى تردد بالنسبة لهؤلاء الناس قد يضر بالبلد وهم فاكرين ان البلد تستطيع ان تحتمل الاساليب اللى سارت او اللى ساروا عليها فى الماضى .

طبعا اختلفوا على شىء واحد ، وهو مين اللى ييجى يقدم هذه العريضة .. بعد كده احنا سبناهم ، ماكانش فيه اى داعى ابدا باى حال من الاحوال ان احنا ناخذهم على هذا الكلام او ناخذهم على الهمس ، او ناخذهم على الامل اللى شعروا بيه . او ناخذهم على المنى فى الحكومة حماية الانجليز ، هم حاييجوا يحكموا تحت حماية الانجليز او تحت حماية الاستعمار .

وكان شعارنا او شعورنا الاساسى هو ، ان لا داعى باى حال من الاحوال ان احنا نلوث كفاحنا الباسل ، وكفاح الشعب فى هذه المعركة واستشهاده واستبساله بان احنا نخرج هؤلاء الناس علشان نحاكمهم على تآمرهم وتركناهم ولم نصبهم باى شىء .

الرأسمالية والشركات الممصرة :

فى الحصار الاقتصادى بعد كده ، تراجع الحصار الاقتصادى بعد معركة قناة السويس .

الرجعية ايضا لها دور ، حرضوا العمال بالاضراب ، بعدين لما اعلنوا تأميم الشركات البريطانية او الفرنسية ، مش تأميم ، اعلنا تمصير على طول اتلموا على بعض وقدموا يفط وجه القيسونى وجايب كشف متقدم له بيد الراسماليين ، وكل واحد فيهم عايز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء فى اللى اصلها فرنسية او اصلها انجليزية . وانا فى هذا اليوم قلت له : ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، وان احنا من الشركات اللى اتوضعت تحت الحراسة لن نستطيع باى حال ان احنا نخلى الراسماليين يزيدوا من تحكمهم بانهم ياخدوا ايضا ممتلكات فرنسا وممتلكات انجلترا .

كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت ، ان احنا نقيم القطاع العام ، ونبدا قطاع عام فعلا على اساس واسع ، ونبدا فى تطبيق الاشتراكية بمفهومها الحقيقى اللى يبدا بخلق قطاع عام فى الصناعة وفى التجارة .

راس المال الجبان :

التصنيع ، بدانا فى التصنيع ، باستمرار كل كلامهم ان كل هذه الاجراءات مابتطمنش ، راس المال خايف ، راس المال كاشش ، راس المال جبان ، راس المال عايز يطمئن . وطبعا مين راس المال ؟. هم عايزين نسيب لهم كل شىء .

راس المـال الاجنبى موش حايسلفهم ابدا طالما فيه اجراءات طيب .ازاى احنا نطمئن واحنا ثورة ؟.. دا كنا بلغى الثورة ، الحل الوحيد هو ان نعلن انتهاء الثورة علشان نطمن راس المـال الخايف وراس المـال الكانش وراس المـال الجبـان .

وكل هذه كانت شعارات بترفع ، وكانت كلمات بتتقال علشان تلف فى مضمضنا وعلشان تخوفنا ، وعلشان تخلينا نستجيب لرغباتهم . سعر الجنيه كان بينزل بره لانهم هم يعنى عايزين ايضا يحكموا ليطمئنوا اطمئنـــان كامل ، وليزيدوا اســـتغلالهم .

راس المـال الخايف ، راس المـال الكانش ، راس المـال بعد الثورة ، اللى غير مطمئن ، عمل ايه قبل الثورة ؟ سنة ١٩٥٢ حصـــل ايه ؟ ايه الاموال اللى استثمرت من اجل التصنيع ؟ قبل الثورة ١٩٥١ كل اللى استثمر من اجـــل التصنيع ٢ مليون جنيه و ١٠٠ الف كمان ، او ١٢٠ الف ، كل الفلوس اللى صرفت فى الصناعة من القطاع الخاص السنة اللى فاتت استثمر من اجل الصناعة ٨٨ مليون جنيه ، تقريبا ٤٤ مرة او اللى بيستثمر قبل كده .

الغرض من الكلام ده كان دايما ان احنا بنخاف ، ان احنا بنحاول ان نلقى اليهم بمقاليد الامور . المخاطرة ، بيقولوا ان راس المـال عايز يطمئن ، احنا كنا راس للمـال بنعقد الاتفاقات فى الخارج ، راس المـال بنوفر له العملة الصعبة ، بنوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل . وهو كل اللى بيعمله كان انه بياخد ارباح المصانع ، ايه المخاطرة اللى فى مقابلها راس المـال كان بياخد كل هذه الفوائد ؟ . مفيش مخاطرة باى حال من الاحوال . مشروعات طبعا تحولت الى ارباح شخصية كلنا نعرف ان المشروعات الصناعية حققت ارباح كثيرة فى السنين الاخيرة . نظـرا لمنع استيراد جميع البضائع الاستهلاكية ، واحنا بنستورد فى استهلاك ١٠ ٪ ، ولكن ١٠ ٪ لبان لان احنا الاستيراد بتاعنا بيزيد ، ولكن البـــاقى ، ال ٩٠ ٪ بنستورد المواد الخام او السلع .

المعركة كانت من اول يوم :

انا حبيت اقول هذا السر علشان ابين ان المعركة كانت من اول يوم ، من سنة ١٩٥٢ ، وهى معركة فيها شد وجذب وفيها صراع طبقى ما نقدرش نقول ان مفيش صراع طبقى ، طالما فيه فلاح بيشتغل عامل تراحيل ومش لاقى ياكل ، وفيه واحد بيكسب فى السنة نص مليون جنيه وبيجيب العشا بتاعه من مكسيم من باريس بالطيارة .. يبقى لا بد انه يكون فيه صراع طبقى ، والا لما ماكنش فيه صراع طبقى

ما يبقاش هذا الشعب ، شعب حى ، ولكن ان دائما هذا الشعب ، شعب حى ، وكافح ، وقاتل ، وقبل الثورة فيه قتلى ، فيه اراضى البدراوى وكان فيه قتلى . كلنا نعرف حصل ازاى ان الفلاحين ثاروا من اجل كرامتهم ومن اجل انسانيتهم ، كان فيه قتلى رغم التحكم ، ورغم انه كان معروف ان اللى حايعصى حايموت ، واللى حايعصى حايتخرب بيته ، لان هؤلاء الناس هم اسياد البلد .. اذن كان فيه صراع طبقى .. ما نقدرش نقول انه مفيش صراع طبقى اتى انا لما بقول فيه صراع طبقى ، انا باعمل صراع طبقى فى البلد ، انا من اول ماتشات فى هذا البلد ، وانا طالب شاعر ان فيه صراع طبقى . وانا فى ثانوى شاعر ان فيه صراع طبقى وانا بعد كده فى كلية الحقوق كنت شاعر ان فيه صراع طبقى ، وبعد كده وانا فى الجيش لم انعزل عن هذا الشعب ، كنت شاعر ان فيه صراع طبقى لان كان فيــه ظلم اجتماعى وكان فيه طبقة تسود وتتحكم وكان بقية الناس بيشعروا انهم حرموا من ابسط الحقوق . طبعا الصراع الطبقى كان موجود دائما . وانا من اول يوم من ايام الثورة كنت اشعر بهذا الصراع الطبقى ، ومن الدوافع التى دفعتنا الى أن نعمل على وضع قانون الاصلاح الزراعى موضع التنفيذ من أول يوم ، هو هــذا الصراع ، وهذا التنافس الكبير الموجود بين فئات الشعب ، فيه القلة بتاخـد كل شيء والغالبية محرومة من كل شيء .

دور الثورة الاجتماعية :

بعد تراجع الاستعمار فى سنة ٥٧ ، بعد الحصار الاقتصادى وهزيمة الحصار الاقتصادى ، كان من الواضح ان دور الثورة الاجتماعية قد جاء .

الثورة السياسية حققت نصر كبير ، حققت مرة واحــدة خروج الانجليز مرتين مرة فى الجلاء ومرة بعد العدوان على بورسعيد . ثم معارك قنال السويس ، ثم اممت معظم المصالح البريطانية والفرنسية فى مصر .

ده تراجع ، بعد انتصار القوى الشعبية فى معركة السويس ، طبعا كان هنـاك اثر ورد فعل كبير فى جميع انحاء المنطقة اللى بنعيش فيها . وسقطت عروش ، واهتزت عروش ، فى هذه المنطقة ، لم تقيمها ارادات الشــعوب ، وانما اقيمت غصبا عن ارادت الشعوب . بالنسبة لينا احنا بعد النصر فى المعركة الســياسية كان من الطبيعى ان ننتقل الى المرحلة الثانية ، الثورة الاجتماعية اللى تكلمنا فيها من اول يوم ، واللى بدأنا فيها ، عمل ما يعتبرهوش كبير ولكن عمل بسيط ، من اول يوم ، ولكن اللى اطلقناه من اول يوم ، اعلنا من اول يوم ان فيه ثورة ســياسية وثورة اجتماعية . الثورة السياسية واضحة المعالم ، الثورة الاجتماعية لم تكن

واضحة المعـــالم ، ولم يكن قانون الاصلاح الزراعى الا توضيح لهـــذه الثـــورة السـياسية .

معركة العدالة الاجتماعية :

بدات معركة ثانية ، اللى هى معركة العدالة الاجتماعية اتكلمت فى سنة ٥٧ فى راس السنة دى ، بيقولوا الله ده الحاجات دى مفاجآت بتطلع مفاجآت ، فى ٥٧ اتكلمت فى الجامعة فى مؤتمر التعاون ، مفيش حاجة ماقلتهاش واللى يرجع لهـذه الخطبة فى سنة ٥٧ حايجد الكلام اللى انعمل سنة ١٩٦١ بالتفصيل . وهــو كان مفروض انه يتعمل سنة ٥٨ ، الكلام خاص بالنسبة للاســـتغلال ، والراسمالية المستغلة ، ودكتاتورية راس المـال ، وعدالة التوزيع ، والتوزيع فى التجارة ، مفيش كلمة ما اتقالتش .

بدانا فى سنة ٥٧ نتكلم عن الاشتراكية ، وندعو للاشتراكية . وبدانا فى سنة ٥٧ برفع شعار اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى ، على اساس رفع هذا الشـعار من سنة ٥٧ ، بدانا نركز على هذا الشعار . وقلنا ان المعركة قبل كده . يمكن فى سنة ١٩٥٦ اول مرة بدأناه ، فى العدالة الاجتماعية فى معركة من اجل الكفاية ، ومعركتنا من اجل العدل ، من اجل الكفاية ان احنا نتوسع فى الانتــاج ، فى كل ناحية من نواحى الانتاج ، ثم تكلمت ايضا عن الحاجة الى عدالة التوزيع وان يوزع الدخل القومى بطريقة عادلة بين ابناء الامة بدلا من ان تستاثر به طائفـــة محدودة كما كان الحال بالنسبة لنا فى المـاضى .

كانت الاشتراكية برضه زى ما قلت فى هذه الايام ، هى طريقنا الى العدل ، او كان الشعار اللى رفعته هو اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى هو طريقنــا الى العدل ، وكان من الواضح ان العدل اللى كنا ننادى به هو فعلا شريعة الله ، وان شريعة الله هى من اول يوم بتنادى بالعدل ، وتنادى بالمساواة ، وتنادى بتكافؤ الفــرص .

وكان راينا انه اذا كان للحرية السياسية مفهوم ، ان يكون للمواطن الحــق فى نصيب من ثروة وطنه طبقا لجهده الخاص .

الرجعية اقلمت نفسها :

الرجعية عملت ايه ؟. الرجعية بعد هذا اقلمت نفسها ، خصوصا بعـد ان اعلنا تكوين الاتحاد القومى فى دستور ١٩٥٦ ، وبدات الرجعية تستغل تفســيرنا للاتحاد القومى ، ايه تفسيرنا للاتحاد القومى ؟. انه بيكون المواطنين كلهم اتحـاد

قومى من اجل بناء الوطن ، وبعدين انا بينت فى خطبى ان الاتحاد القومى ا يمثل حزب ولا يمثل احتكار لفئة من الناس ، ولكنه بيمثل ابناء البلد كلهم . وان احنا عايزين فى داخل اطار من المحبة والوحدة الوطنية ان تجمع البلد كلها ، بجميع طبقاتها ، وان نحل المتناقضات بوسائل سليمة . واتفقوا جدا على هذا الكلام ، كان كمان بيجد قبول ويجد استحسان . وبعدين قلت أيضا ان فيه صراع طبقى ، ولكن ماكناش عايزين نحل هذا الصراع الطبقى بالعنف ؟ ولا بالقوة . ولا بالدم ، ولا بحمامات الدم . ولكن عايزين نحل هذا الصراع الطبقى فى داخل الاتحاد القومى فى اطار من الوحدة الوطنية ، وقلنا احنا عايزين نعايش سلمى بين الطبقات وعايزين فى نفس الوقت نحل الخلافات فى داخل الاتحاد القومى .

ما بعرفش الرجعية هل صدقت هذا الكلام أو اعتبرته شعارات غير قابلة للتنفيذ ، ولكن كل اللى اعرفه ان الرجعية وجدت ان هناك فرصة لها لكى تفرق فى داخل الاتحاد القومى ولكى تسيطر على الاتحاد القومى .

وواضح كل الوضوح ان الرجعية اقلمت نفسها ، والرجعية مشيت فى الاتحاد القومى ، وبعدين مابقناش نقول ان ده رجعى . كنا بنقول والله ده راجل طيب وماشى . العملية مش فلان رجل طيب ، لان هو فى العملية دى بيستغل مثلا عشرة الاف جنيه ويعمل غدا ، ويوم الجمعة يعمل فول نابت وشوية عيش بخمسة جنيه ويلم الناس ، وكل الناس يقولوا ان فلان الفلانى ده راجل طيب . يعنى ويجيب الناس اللى هو واخد فلوسهم وواخد عرق جبينهم ويوكلهم أكلة ويقولوا والله الراجل ده راجل طيب ، دبح لنا دبيحة ، العملية مش عملية حسنة ، ولا عملية صدقة باى حال من الاحوال ، العملية عملية حقوق ، وعملية واجبات . والله بكل اسف احنا برضه فكرنا فى هذه الطريقة وانضحك علينا تمام زى ما انضحك على الفلاحين اللى بيدبحوا لهم دبايح كل جمعة وبيغلوهم او بيغشوهم وقلنا والله فلان ده راجل طيب وفلان ده راجل فيه شيء لله .

حلول بالوسائل السلمية :

وابتدانا ، يعنى حسن النية كان من جانبنا متوفر ١٠٠٪ ، وهم استغلوا ذ بقوا يقولوا الثورة دى رحيمة ، الثورة ... يعنى بقوا يقولوا نكت ، يقولوا ما هو اللى بيعمل حتى مؤامرة . اذا نجحت يبقى رئيس جمهورية ، اذا ما نجحش يروح شركة ، رئيس مجلس ادارة ، الكلام ده معروف يعنى كله ، وانا باسمعه وعارفه .

استقل هذا الكلام استقلال كامل ، واستقلت العاطفة ، يعني معروف يعني ، تلاقي لوحد اتقتــل منا ، تلاقي يوم عارفين أبص الاقي ولاده ومراته بعتين لي جوابات ، واللي جايين ، يقولوا والله دي نقطة ضعف وهم عارفينها ، اللي هي الرحمة والعملية اللي زي كده .

لكن من ناحيتنا ، طبيعي لا بد ان يكون هناك رحمة لان احنا مسئولين واحنـا مسئولين عن الكل ، مسئولين عن المجموع من ناحيتنا ضروري ان احنا نحـاول بكل وسيلة من الوسائل ان نحل الخلافات في اطار من الوحدة الوطنية .

من ناحيتنا ضروري ان احنا ما نكنش باي حال من الاحوال البادئين بالعدوان ولكن يجب ان احنا نحل مشاكلنا بالوسائل السليمة ، ونحل مشـــاكلنا باقل ما يمكن من الخسائر من ناحيتنا كان لازم ناخد هذا الاسلوب .

من ناحيتنا كان لازم ندعو الى المحبة ، ولكن هل كان ممكن مثلا ان احنا نتصور ايه اللي في قلب الاخرين باي حال من الاحوال ، ولكن باستمرار بنفترض حسن النية ، ونفترض انهم يقابلوا هذا بنفس الشيء او بهذا الشعور بشعور مماثل ..

مع الشعارات فقط :

الرجعية اقلمت نفسها ، وحينما اتكلم من الاقلمة ، الرجعية المعاصرة ، او الراسمالية المعاصرة ، شاطرة جداً ، انها تؤقلم نفسها وفقا لطبيعة العصر .

بعد سنة ١٩٥٧ ، رفع الرجعيون يافط الاشتراكية ، وفعلا هم اصلهم بيكسبوا من زيادة الانتاج ، واحد رجعي أو راسمالي مستغل ، او اصلا اقطاعي ، تلاقيه عامل جوابات ومحلق يافط في الاشتراكية وكلام ... ليه ؟. طالما الاشتراكية يافط بس هم مبسوطين ، طالما الاشتراكية شـــعارات بس هم زعلانين ليه ؟. ده هم عايزين كده .... مستعدين يحطوا اشعارات في الاشتراكية او اللي بنقولها عشرين مرة، بس ماتحطش الاشتراكية موضع التنفيذ وماتطبقهاش .

رشوة وخيانة للامانة :

بعد كده بدا الانحراف ، انحراف ازاي ؟. بقى فيه قطاع عام ، يعني فيــه قطاع خاص ، القطاع الخاص عايز يكسب ، الصناعة اللي كانت بـ ٢ مليون جنيه بقت بـ ٨٨ مليون جنيه ، الباقي اللي كانت في سنة ١٩٥٢ ، الحكومة بتبنيها بـ ٥ مليون بتيجي في سنة ١٩٦٠ ، الحكومة بتنزل ١٦٠ مليون جنيه للعمليـــات اللي في المشروعات الحكومية لا اول لهــا ولا اخر الراسمالية المستغلة بتنفذ وتريد ان تربح ، مش الربح الحلال اللي مفروض انهم يكسبوه ، ولكن الربح الحرام ،

لبدا على طول عملية الرشوة ، اذا كان عملية هو حايكسب فيهـا ١٠٠٬٠٠٠ او ١٥٠٬٠٠٠ جنيه ، ماعندوش مانع يدفع ٢٠٬٠٠٠ جنيه او ٢٥٬٠٠٠ جنيه علشان ياخد هو هذه العملية حصلت عمليات ، بعض الناس رفضوا الآت من انتـاج مصانعنا لانها غير مطابقة للمواصفات ، واخذوا الآت جيه من الخارج ولبعض فيها عملة صعبة احنا في اشد الحاجة اليها من عند جورج فهوم . لان جورج فهـوم مديهم رشوة . وصل الامر الى حد التخريب ، وصل الامر الى ان المقاولات ترشى والمقاولين يرشوا وبقوا اللى بيشتغلوا في التجارة بيرشوا .

في التوريد بيرشوا ، في التصدير بيرشوا ، او في الاستيراد بيرشوا ، ليه ؟. لانه حايحقق ارباح ، وعايز يحقق ارباح ، بالنسبة لى ، كان عندى فرصة لان امسكت حادثة وامشى وراها وكل حادثة عايزه شهر او شهرين والخمسين حادثة عايزين لهم ١٠٠ شهر المسك ناس ، واتحبس ناس ، اتحبس وكيل وزارة الاصلاح الزراعى موجود في السجن ، المهندس اللى معاه ، اللى بياخد ٢٪ ، واللى بياخد ١٪ .

مش احنا بس المجتمع الوحيد اللى فيه ناس بتسول لها نفسها انها تاخـد رشوة او تخرق الامانة ، وفي كل مجتمعات الدنيا ، ومنذ قامت الخليقة فيه الفاسد والطيب ، ولكن احنا علينا ان نوضع النظام اللى يمنع هذا ، ونوضع الاسس اللى تقضى على هذا الكلام قضاء كامل .

حانحل ازاى ؟. بالرقابة الادارية بنحل ازاى . بالنيابة الادارية ، مفيش فائدة لانها عمليات لا اول لها ولا آخر . فيه علة ظهرت ، فيه الرأسمالية المستغلة موجودة في البلد . فيه مشروعات كثيرة بتقوم بيها الحكومة ، هم عايزين ياخدوا هذه المشروعات والنفوس الضعيفة موجودة في كل مكان ، وبكل بساطة بيقـدروا يوصلوا للنفوس الضعيفة ، بعض الهدايا او بالرشوة .

عمليات للافساد :

اذا كان لا بد من عمل جذرى للقضاء على هذا ... فيه الناس اللى انحرفوا ايضا ، الناس اللى قالوا انهم وطنيين ، اللى فتحوا مكاتب الاستيراد والتصـدير بعد كده ، واللى ابتداوا يستوردوا فحم يستوردوا سكر ، كنا بنستورد ٢٠٬٠٠٠ طن فحم ، او ١٠٬٠٠٠ طن سكر وياخد في طن الفحم جنيه يعنى بيطلع بعشرين الف جنيه ، ليه ؟. هو كانت مهيته ايه ؟ ماهيته ٧٠ جنيه يبقى فيه انحراف بالمقابلة في مجتمعنا .

ازاى بنحل هذا ؟ . بنقضى على كل هذه العمليات ، اللى بيدوروا لهم عـلى حد من الاقارب او حد من المعارف علشان يفتحوا لهم مكاتب تصدير ، عمليات اللى

انا شفتها فى اخر سنة ١٩٦٠ ، كانت عمليات تدل على أن الرجعية الراسـمالية المستغلة بتدفع بكل قوتها لتقضى على كل معنى من المعانى التى ننادى بها . وانا وجدت نفسى عاجز ان اقابل هـذا الهجوم باى طريقة من الطرق المعروفة ، عارف لكن عاجز لانه حيروح النيابة ، بيروح النيابة بيطلعوا بكفالة عشرة جنيهات بيوضع فى الاعتقال بعد كده ، طيب وبعدين ؟. العملية طبعـا اللى بيثبت عليه فى النيـابة اهو بيروح ، لكن العمليات دى اثباتها خصوصا عملية الافساد بالذات صعبة .

الراسمالية تتسلل :

فى سنة ١٩٦٠ انا كنت اشعر ان احنا يمكن الدفع الثورى غير قائم ، الثورة بدات تتعثر ، الراسمالية المستغلة بدات تنفذ ، وبدات تتهـرب وتتسلل الى الصف .

والامثلة كانت امامى واضحة ، وكانت امامى باينة ، كان الخطر فى ايه ؟ . الراسمالية المستغلة والرجعية توشك ان تجند الوطنية ، او تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص . وكنا بنقابل ده ، هنا طبعا فى مصر ، وكنا متعثرين فى ايه اللى بنعمله ، لانه كان عندنا فى مصر غير الظروف اللى كنا فيها فى سوريا . واحنـا اجلنا حاجات كثيرة بالنسبة لمصر ، لاننا كنا بنقول ايه تاثير ده بالنسبة لسوريا ، وكنا بنعطل الاجراءات اللى ممكن تتخذ ولكن كنا فى نفس الوقت بنجد ان الرجعية هنا بتسلل وبتبدا تاخد مراكز على درجة كبيرة من الخطورة . يعنى تقريبا انا فى يوم من الايام قلت ان الرجعية والراسمالية المستغلة بدات تخطط للثورة والثورة اللى قامت سنة ١٩٥٢ صامت ، والعمل بهذا الشكل الامور مش حاتمشى ، بتبص فى الاتحاد القومى بتلاقى الرجعية المتصدرة فى الاتحاد القومى ، بتبص فى التجارة بتلاقى الرجعية متصدرة التجارة ، تبص فى الارباح السنة اللى فاتت ، انا قبـل يوليو طلبت الناس اللى ارباحهم بتزيد عن ١٠,٠٠٠ جنيـه السنة اللى فاتت والسنة اللى قبلها ، وجدت الارباح بتزيد عن ١٠,٠٠٠ جنيه تضاعفت فى سـنة واحدة ، طبعا كل واحد كان متتبع الظروف الاجتماعية الوضع الاجتماعى فى لجنـة كان بيقدر يشوف هذه الامور ، وبيشوف الارباح الخيالية اللى كان مستلف ٣ مليون جنيه او عليه دين للحكومة ٣ مليون جنيه سددهم على سـنتين . طيب اسددوا ازاى فى السنتين وهو ماكانش عنده فلوس ؟. قطعا مش معقـول دفع ضرائب ، مش معقول حصل على هذه الاموال بطريقة شريفة ، لانه انا كان عنـده ٣ مليون جنيه ارباح ، عشان يسدد منها حاجات بهذا الشكل وفقا لقانون الضرائب

هذه الارباح لازم بيعود منها جزء كبير جدا للحكومة ، نرجع طبعا للدفاتر ما تعرفش .

اذن فى سنة ١٩٦٠ كان من الواضح ان الثورة اللى قامت فى سنة ١٩٥٢ الثورة الوطنية اللى قامت سنة ١٩٥٢ ، على ان تكون ثورة سياسية ، وعلى ان تكون ثورة اجتماعية ، خلصت دورها فى الناحية السياسية ولم نستطع ان تندفع فى دورها فى الناحية الاجتماعية ، وطبعا فيه اسباب كثيرة لهذا ، ومبررات كثيرة لهذا ، لا يمكن باى حال من الاحوال ان تمنع الدفع الثورى لوضع الثورة الاجتماعية موضع التنفيذ .

البلد يملكها ٥٪ :

فيه ناس كثيرة النهاردة ، بعد القوانين اللى اتنشرت فى الجرايد ، بيقولوا لك امال كانوا ساكتين ليه من سنة ١٩٥٢ ؟ . طبعا سنة ١٩٥٢ كنا نواجه ثورة سياسية كان فيه ٨٠،٠٠٠ عسكرى انجليزى ، طلعوا سنة ١٩٥٦ ، فى شهر يونيو ، رجعوا تانى فى شهر نوفمبر . طلعوا تانى فى شهر ديسمبر . سنة ١٩٥٧ قابلناه بعد كده ، حصار اقتصادى سنة ١٩٥٨/٥٧ بعد كده دخلنا على الوحدة مع سوريا بدانا نتعثر ، بدانا نجابه موقف فى الموقف اللى كنا فيه البلد مين اللى كان بيملكها ؟. اللى بيقرا القوائم اللى طلعت دى بيجد ان البلد مش ملك ابنائها باى حال من الاحوال . البلد ملك لفئة قليلة لا يمثلوا خمسة فى المائة اقل من ٥ ٪ ، والباقى هم بيشتغلوا علشان يحققوا ارباح لهذه الفئة القليلة .

سيطرة راس المال :

فى سنة ١٩٦٠ انا كنت لملى اتكلم واقول سيطرة راس المال على الحكم ، سنة ١٩٦٠ انا ابتديت اشعر بالخوف او الخطر من سيطرة راس المال على الحكم ، زى ما قلت لكم مش معنى سيطرة راس المال على الحكم انى اجيب اللى ابيقوا الراسماليين والمليونيرات ويكونوا وزارة باى حال من الاحوال .. لا .. ولكن دول كانوا زمان بيروحوا للوزراء معروف انهم بتوع وزارة ، ده من شركة فلان ، وده من شركة علان ، ابتدأوا دلوقتى ينفذوا الى كبار الموظفين القضية اللى حصلت مثلا فى مديرية التحرير . دى تبين فعلا ان فيه خطورة من سيطرة راس المال على الحكم . لانه اصلا اللى كان فى الوزارة استاذ او استاذ مساعد فى الجامعة ، وجه وتولى مسئولية بهذا الشكل ثم بعد هذا قبل ان ياخذ رشوة وهو بعد ما بقى وكيل وزارة يبقى الواحد ساعات بيشعر بالقلق ، والخوف على مصرنا وناس

مشيوا بهذا الشكل . وبيبقى ده نوع من سيطرة راس المـال على الحكم ، لان رد انتاج مصانعنا والحصول على انتاج مصانع خارجية رغم اننا فى حاجة الى كل مليم من العملة الصعبة ، ده ايضا بيمثل ان هناك خطر كبير لان راس المـال يريد ان يسيطر على الحكم وينفذ ، مش قادر يسيطر من فوق اهو بييجى يسيطر من اى حلقة من الحلقات بيجدها ضعيفة .

محاولة استغلال للثورة :

ما كانوا زمان بيرتبوا الوزارات وبيبقى رئيس الوزارة او الوزير هو الشخص اللى بيحقق اهدافهم وبيحقق لهم اغراضهم ، مش قادرين النهاردة ان يؤلفـــوا وزارات يبقى يتعاونوا من بعض افراد الجهاز الحاكم .

الان حاولت الرجعية ان تستغل الثورة الوطنية لحسابها ورفعت شـعارات الاشتراكية طالمـا كانت هذه الشعارات فى مطبقة .

وطبعاً كان لا بد للثورة الوطنية ان تاخذ طريقها ، ولا بد للثورة الوطنية ان تاخذ طريقها .

من الواقع لينا ايه هو هدف الثورة الاجتماعية ؟. هدف الثورة الوطنية شيء واضح ، تحرير الشعب لبناء الوطن ، تحرير الشعب من الاستغلال ، تكافؤ الفرص.

ناس كتير بيقولوا ، مامندناش نظرية ؟ بدنا والله تقولوا لنا نظـــرية . فين النظرية اللى احنا ماشيين عليها ؟. بيقولوا اشتراكية ديمقراطية تعاونية ، ايه هى النظرية ؟. ايه هى حدود النظرية ؟. انا باسال ايه هى اهداف النظرية ؟. انا باقول انى ماكنتش مطلوب منى ابدا فى يوم ٢٣ يوليو ، انى اطلع يوم ٢٣ يوليو معايا كتاب مطبوع واقول ان هذا الكتاب هو النظرية . مستحيل لو كنا قعـدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ، ماكناش عملنا ٢٣ يوليو ، لان ماكناش نقـدر نعمل العمليتين مع بعض .

اللى بيقولوا ايه هى النظرية بيقصدوها اوى وبيصعبوها ، يعنى عملية تعجيز وربنا اداانا مثل فى هذا عشان نطبقه فى الحياة .

فى الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع متجلد ويقول له ادى النظرية ، آدى القرآن ، ادى العقيدة ، ماعملش كده ، ليه ماعملش كده ؟. عشان تدينا فى حياتنا عبرة لينا وعظة لينا نتبعها .

ابدا الاسلام اشهد ان لا اله الا الله وان سيدنا محمد رسول الله جملتين ، مابداش ابدا بكل ما هو موجود فى القرآن .

خطوة وراء خطوة :

ثم بدا بعد هذا ايضا « فى الاسلام ، تدينا عقلة وعبر فى حياتنا ، فى الاول من الخمر قال نزل سؤال عن الخمر ، الخمر فيها اثم يعنى مسموح بيها ، بعد كده قال : ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، معنى كده ان طول النهار محدش بيشرب الخمر ، ولكن بعد صلاة العشاء بيقدروا يشربوا ، بعد كده حرم ، وقال انما الخمر والميسر الى آخر الآية .. رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . حرم تحريم قاطع طيب ليه ما قالش الآية الاخيرة من الاول ، ما يقدرش فى الاول ، اباح وقال فيهما ضرر ، ادانا فى هذه طريق للعمل ، ادانا فى هذا دليل للعمل ، اداتا فى هذا وسيلة للعمـــل .

بيمشى مرحلة ورا مرحلة ورا مرحلة ، لغاية ماجه فى الآخر وحرمها ، وفعلا كانت الناس مقتنعة بالتحريم .

٢٣ سنة لغاية ما نزل القرآن ، وتم نزول القرآن ، ليه ربنا عمل كده ؟ .

حتى يعطينا الفرصة والدليل والوسيلة التى تقدر نعمل بيها فى حياتنا وفى دنيانا ، فى جميع الديانات تمشى الامور بهذا الشكل ، مفيش نبى نزل عليه كل شىء مرة واحدة ، باستمرار خطوة ورا خطوة .

يوم ٢٣ يوليو الكلام اللى انا باتكلمه النهاردة ، لو كنت قعدت معاكم يوم ٢٣ يوليو ما كنتش اعرف الكلام ده ، لانى ما كنتش مشيت فى تجربة العشر سنين اللى انا اتوجدت فيها فى العشر سنين اللى فاتت . كنت اقعد يوم ٢٣ يوليو وتقولوا لى عايزين محاضرة فى التكتيك اقول لكم محاضرة فى التكتيك ، او فى موضـــوع عسكرى تقولوا لى اتكلم عن الثورة او فى العمليات اللى احنا بنتكلم فيها النهاردة كان طبعا الموضوع يبقى من الصعب على أن انا اتكلم فيه .

مبادىء الثورة الستة :

ولكن كل هذه المبادىء الستة ، المبادىء الستة لما بنفسرها بنجد فيها كل حاجة : القضاء على الاستعمار واعوان الاستعمار ، القضاء على الاقطاع ، القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حياة ديمقراطية سليمة . كل شىء بيدخل ضمن هذه

المبادىء الستة ، هى المبادىء الستة لو فصلناها او فسرناها بنبص تلاقيها نتدينا النقطة دى . واحنا ظروفنـــا حتى ان التطبيق الثورى ، تطبيقنا الثـورى يمكن سابق النظرية ، يعنى ايه النظرية . النظرية هى دليل العمل ، بعدين من اى شىء بتيجى النظرية ؟ .. من دراسة المشاكل . ولكن اللى بيقعدوا يقـولوا ما فيش نظرية ومايزين نعرف النظرية هم عايزين يحطوا عقد وبس باى وسيلة من الوسائل وباى شكل من الاشكال نحل العقد دى ازاى يقولوا لنا حلوها انتم باه . نكلم اى واحد يقولك ما فيش نظرية ، ايه النظرية ، حددلى النهاردة نقف فين . انا ما اقدرش احدد ح نقف فين ، الشعب هو اللى بيحدد ح يقف فين . انا ايه اللى يخلينى وايه اللى ح يمكننى من ان احدد . بالنسبة لى انا ، انا يعنى لن استطيع ان اقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان وكل واحد اصبح يشعر بفرصة متكافئة مع الاخر . ده شـــعورى وده احساسى وده املى من يوم ما كنت طالب ومن يوم ما كنت باطلع فى الشوارع على هذه البلد ، وباعتبر ان ده يمكن كان احساس وامل كل واحد فيكم فى كل ظرف من الظروف وكان بالنسبة لى بيعتبر منى ، ويمكن ساعات الواحد يحلم احلام يقظة ويشعر بانه فى الخيال .

مشروع للميثاق الوطنى :

بنعمل محاولة ان شاء الله فى المؤتمر بعد ما تخلصوا شغلكم ، بعد ما يتكون المؤتمر ، بنحاول نقدم مشروع للميثاق الوطنى بيبقى هو دليلنا للعمل . بعد كده كل سنة بنغير ، النظرية او ميثاق العمل الوطنى لن يكون الا نتيجة لدراسة مشاكل المجتمع . اى واحد يقول ان مشاكل المجتمع فى بلدنا درست دراسة كاملة ثم وضعت لها الحلول يبقى مبالغ جدا . مشاكل لم تدرس حتى الان كاملة .

وانا برضه ح اقدم الميثاق فى المؤتمر وباقول مع تقديرى ، ان الميثاق ح يتقدم للمؤتمر ومشاكلنا كلها لم تدرس . وعشر سنين المشاكل الموجودة عندنا لم تدرس والحلو لهذه المشاكل لم توضع ، ولكن واجبنا رغم هذا ان احنا باستمرار نوضع الحلول . بنقدم الميثاق ، بنقدم البرامج السياســـية والاقتصادية والثقافيـــة والعسكرية من دراسة المشاكل ، هل هذه هى الدراسة ح تكون مستوفاة ميه الميه . هل هذه الدراسة ح تكون كاملة . ما اقدرش اقول ابدا ان الدراسة كاملـــة او دراسة مستوفاة لانى لنا النهاردة طالب راس المال الاجنبى اللى بيستثمر فى مصر من اول الثورة ، بقى لهم ٣ ايام ما هماش عارفين يجيبوا راس المال المستثمر الاجنبى من اول الثورة ١٩٥٢ لغاية النهاده . ولسه لا زالت عندنا اجهزة يجب ان تكون مستعدة تمام الاستعداد . مش عايزكم تتصوروا ان الحكومة بقت مكنه ، وانهــا

بتشتغل بالديزل او بتشتغل بالكهرباء مش ح تعطل ابدا . لسه ما وصلناش لهذا الكلام ..

الثورة الثقافية مهمة :

لسه فيه خلل ، فيه نواحي مختلفة في الاجهزة اللى احنا بنشتغل فيها ح نتعرض لها النهارده ، ونتعوض له ايضاً في المؤتمر . وانا بالمناسبة باقول ان الثورة الثقافية مهمة جدا . فيه عدد كبير منكم هنا من اساتذة الجامعة ، فيه عدد كبير يستطيع ان ينقل هذا ، ثم في النقابات وفي كل النواحي . الثورة الثقافية هي اساس الثورة السياسية واساس الثورة الاجتماعية . اذا كنت انا باقعد هنا باقول ان فيه ثورة اجتماعية وان احنا عايزين نعمل ثورة اجتماعية ، والراسمالية مستغلة وبتيجوا في كلية الحقوق بتدرسوا في الاقتصاد السياسي نظرية آدم سميث .. وان العرض والطلب والكلام ده احسن كلام في الدنيا وان نظرية كذا وكذا يبقى هو ده الشيء المثالي بيطلعوا الناس يبصوا لنا كده ويستغربوا ويقولوا الله الكلام اللى احنا اتعلمناه في كلية الحقوق غير الكلام اللى هو يطبق هنا ، انا باقول لا ، العملية مش نظرية عرض وطلب ، احنا داخلين بنظام جديد لازم علشان تبقى ثورة ثقافية لازم احنا نؤلف فيه كام واحد الف كتاب اقتصاد عن بلدنا مش اقتباس طبعا من بلد ثانية ، فيه كام واحد ؟ فيه ميت الف كتاب اقتصاد عن الاقتصاد اللى احنا بنقوله النهارده ؟ . ولما نؤلف هذا الكتاب نقول ان احنا عملنا نظرية .

ولكن اما نجيب كتاب عن الانظمة الاقتصادية المعروفة والانظمة الاقتصادية المقارنة والانظمة الاقتصادية المعاصرة ، آلاف الكتب موجودة . ما بنقدرش نقول ان احنا عملنا النظرية ، المثقفين هم اللى عليهم يعملوا نظرية ، يوم ما الاقى فيه كتاب اقتصاد طالع من الاقتصاد بتاعنا والتجربة بتاعتنا وايه اللى يجب انه يحصل فيها ، باشعر ان هذا الكتاب هو جزء كبير من النظرية وان احنا ابتدينا نرسو ويوم ما الاقى كتاب الاقتصاد او عبارة فيه تكرد اللى بناخده في كلية الحقوق سنة ١٩٣٦ الواحد بيصاب بخيبة امل لا اول لها ولا آخر ، لان احنـــا فعلا اتغيرنا ، اتغيرنا في التجربة ، اتغيرنا في الممارسة ، بنعمل تجربة بتاعتنا ، اذن انتم عليكم تعملوا الاقتصاد بتاعنا . اذن الثورة الثقافية هي اســـاس للثورة السياسيه او اساس للثورة الاجتماعية .

التطبيق سابق الانظمة :

اذا كنت اخذ الاقتصاد كمثل ، فيه امثلة كثيرة في الدستور ، نفتح كتـــاب الدستور ونلاقيه برضه زى الكتاب الدستورى اللى كان بيديه وايت ابراهيم في

سنة ١٩٥٦ او فلان الفلانى سنة كذا ، بيبقى على طول احنا ما تحركناش ، تطلبوا منا المستحيل ، وانتم كل واحد فيكم يقعد فيه مجال بعمل الثورة والنظرية لان النظرية مش حا تبقى كتاب منزل ، النظرية مش حا تبقى مجموعة هـذه الكتب ومجموعة هذه الابحاث اللى كل واحد فيكم بقعد فى جهده وفى حيزه الخاص المحدود انه بيشتغل فيه

بالنسبة للناحية الدستورية فيه طبعا خلافات . وبالنسبة للنظام العربى له شوء دستورى . بالنسبة للكتب اللى بتدرس فى جامعة لندن وجامعة باريس عارفين هم بيقولوا ايه فى هذه الكتب علشان طبعا يحسنوا الانظمة بتاعتهم ، وبالنسبة لنظامنا ، وبرضه بنقول نظامنا ايه ونقول عيوبه ايه وحسناته ايه .

وانا ما عنديش مانع كل واحد بيقول العيوب العملية وحسناته ايه واقتراحاته ايه ، لان احنا لا زلنا نسير فى التجربة . واحنا بالنسبة لثورتنا اساسا التطبيق سابق النظرية ، فاذا ادلونا النظرية علشان تمشى مع التطبيق ، وطبعـا الكلام مش بالقوله لكم بس بالقوله لكل النـاس اللى سامعننا دلوقت واللى حا يقدروا هذا الكلام ، يبقى فعلا كل واحد بيشتغل فى ميدانه عمل هام جدا .

تكافؤ الفرص :

ايه هدف الثورة الاجتماعية ، زى ما قلنا تحرر الشعب ، تكافؤ الفرص ، تحرر الشعب من الاستغلال ، هل ممكن ان احنا نوجد تحـرير الشعب وتكافؤ الفرص بان انا اقف اخطب واقول ، ان احنا عايزين الحرية للشعب والفرص المتكافئة وبس مش ممكن .. مش ممكن ابدا مستحيل ، ليه ، لان احنا اتخلقنا وورثنا نظام ، فلان الفلانى اتولد فى البيت الفلانى ورث الف فدان او عشرة الاف فدان والف جنيه او عشرة الاف جنيه . التانى اتولد فى بيت آخر وورث الفقر وورث التعب وورث المصايب والبلاوى والعيا ، طيب نقول تكافؤ الفرص ازاى ، واحد ورث السلطان والسلطة والتانى ورث البلاء طبعا ده نتيجة تطور المجتمع من الاف السنين ، ابن الخولى بيطلع فلاح وابن الاقطاعى . ابن الباشا بيطلع سعادة البيه . طيب فيه تكافؤ الفرص بين ابن الخولى وابن الباشا ، مفيش مش ممكن يعنى . ورثنا هذا الاساس . اتخلقنا كده .. المجتمع طلعنا فيه كده .. طيب ليه ابن الباشا بيروح للدكتور وليه اولاد الخولى ما يشفوش الدكتور . ليه ده عايز بنسلين بيلاقيه او اى ادوية والتانى لا . هل دى العدالة ، هل دى شريعة الله ، فى رايى لا ، فى رايى اذا اردنا ان احنا نعمل ثورة اجتماعيـة لازم كل واحد يبقى له الفرصة متكافئة .. فى انه يتعلم ، فرصـة متكافئة فى انه يشتغل .. فرصة متكافئة فى انه يتعالج ، فرصـة متكافئة فى انه يعيش . بعد كده فيـه

ناس مجدين حسب الجد ، حسب جدهم بيتطوروا ، وفيه ناس غير مجدين طبعا بياخدوا نصيبهم .. لكن تكافؤ الفرص يجب ان يبدا بعملية جراحية ما نقدرش نقول عايزين تكافؤ فرصة بخطبة او بكلمة لان نبقى نضحك على نفسنا وبنضحك على عقولنا .

علينا واجب للفلاحين :

ما اقدرش اقول انا بقيت رئيس جمهورية ولازم هم حا يطلعوا اولاد رئيس الجمهورية والكلام ده الساه ، مش ممكن لان انا بقيت رئيس جمهورية علشان هذه المبادىء وعلشان آمنت بهذه المبادىء وعلشان سرنا فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعتبر ان ده ايضا بينطبق عليكم وعلى جميع المتعلمين اللى وجدوا الفرصة انهم يتعلموا ، جميع المتعلمين اللى جم من القرية واللى جم من الريف ، مش بس بنى مر ، كل المتعلمين جم من القرية وجم من الريف عارفين ، مفيش حد مالوش قرايب بيشتغلوا فى القرية ، ومفيش حد مالوش قرايب النهاردة يعنى يمكن ملاهى الحياة بتخليه ينسى ، لكن احنا كلنا علينا واجب بالنسبة لهؤلاء الناس لابد ده المجتمع ، ده اللى يمثل الشعب بمجموعة ، كل واحد عليه واجب بالنسبة لنفسه وعليه واجب بالنسبة للاخرين .

دى الثورة اللى قالوا عليها بتخوف وبتمنع راس المال الاجنبى ، اللى صرف من راس المال الاجنبى من اول يوم فى الثورة ، بقوا بقولوا لا نعمل الشىء الفلانى ده ، لا ده راس المال جبان . اما ابتداوا يلبشونا من اول يوم ، الواحد ما بقى عارف يشتغل ابدا باى وسيلة من الوسائل .

خرافة المال الاجنبى :

انا جيت فى يوم من الايام وقررت ان اقرا اربع ساعات او خمس ساعات علشان اعرف ان العمليات دى بالتفصيل ويعنى ما ابقاش باقبل الكلام ده ، كلام قطعى وآخذ بس براى الفنيين واقول ايو حاضر طيب . بنعمل قوانين لتشجيع راس المال الاجنبى سنة ١٩٥٣ ، آه بنعمل قوانين . بنديهم ايه ؛ بنديهم ، تعرفوا راس المال الاجنبى اللى دخل مصر للاستثمار من سنة ١٩٥٢ لغاية ٦١ قد ايه ؟ . ٨ مليون جنيه ، منهم للاستثمار فى البترول ١ر٥ مليون اهو ده كل راس المال الاجنبى ، قعدنا نحايل فيهم ونسايس فيهم ونطبطب عليهم ونقول لهم تعالوا طيب حا نعمل لكم قانون ، حا تضمن لكم ، ده سنة ٥٤/٥٣ بعد كده انا مش عايز راس مال اجنبى خالص يدخل للاستثمار لانى حسيت ان احنا

بياخد فى هذه الامور خازوق كبير جدا لان هو بيدخل بيجيب عشرة الاف جنيه او عشرين الف جنيه بيعمل مصنع وبعدين بيحول كل ســـنة الى الابد ارباح . يعنى بياخد العشرة الاف جنيه او «العشرين الف جنيه او التلاتين الف جنيه ، بياخدهم فى خمس سنين ، وبعدين كل سنة بقروض طبقا لهذا القانون الى احول له ارباحه للخارج بالعملة الصعبة ، اذن يعنى كتب علينا ان احنا ناخد من عرقنـا واحنا فى حاجة لكل ناتج هذا العرق ونحوله الى الخارج ، ولهذا انا اعلنت بعد كد «انى ضد اى استثمار الا اذا كانت هناك ضرورة ماسة لذلك ، واللى على اساسه يمكن واتفقنا على استثمار راس المال الاجنبى فى بعض شركات الادوية لان عندها معامل للابحاث . بعض الحالات الاخرى ، ولكن قلنا ناخد قروض ، قروض بنسددها فى عشر سنين اتناشر سنة ، خمستاشر ســـنة وتخلص ، راس المال الاجنبى بنفضل نحول له ربح كل سنة الى الابد طبعا الخـــرافة اللى كانت بتقولها الرجعية والاساطير عن راس المال الاجنبى مش شايف .

بل راس المال الاجنبى لما بييجى ما بيرضاش يدخل فى صناعات اساســـية او صناعات ثقيلة هو اما بييجى يدخل او بيقدم صناعات قده علشان يحاق ربح سريع وربح عاجل وعلشان يحول هذا الربح بسرعة . واما احنا اتجهنـــا الى القروض وعدم فتح بلادنا لاستثمار راس المال الاجنبى اتكلمت فى الاول ايضـا على طمانينة راس المال الخاص ، وراس المال الخاص بيخاف وبيكش وقلت لكم مفيش فايدة بكل الوسائل اللى بنعملها ، راس المال الخاص مش ممكن يعمل صناعة حديد ، مش ممكن يعمل صناعة ثقيلة . راس المال الخاص عايز يعمل صناعات سريعة تجيب عائد سريع ، لانه بيفكر اولا فى مصلحته قبل ان يفكر فى مصلحة البلد كبلد ، بيفـــكر فى ربحه لان راس المال عايز يشتغل بالطريقـــة الراسمالية ، يكسب ١٠٪ اذا كان يقدر يكسب ١٥٪ فى السنة اذا كان قدر يزودها الى ٢٠ ٪ يزودها ٢٠٪ ، ولذا يعنى بهذه المناسبة انا مش ضد راس المال الخاص حين يعمل ولكن انا ضد راس المال الخاص حين يستغل . فرق راس المال الخاص انه بيستغل وانه يحجب الفرصة عن الاخرين ويسلبها منه .

كيف يمكن ان تباشر الثورة الاجتماعية تاثيرها ؟

يمكن قبل ما نسال هذا السؤال وكان يجب قبـــل ما نتكلم عن الثـــورة الاجتماعية كان لا بد نسال نفسنا سؤال .. هو احنا عايزينها تنشىء راسماليـــة او اشتراكية والاجابة طبعا ببساطة ان الراسمالية على الطريقة القديمة اصبحت

مستحيلة ، والراسمالية حتى على الطريقة المفيدة اصبحت مستحيلة ، ان البلد فعلا بدات فى التحويل الاشتراكى اللى هو باقصد به العدالة

الاوامر لا تكفى :

فده موضوع طبعا مش موضوع نقاش ، يعنى موضوع مفروغ منه ؛ ولكن حا نطبقه ازاى ، حا نسير فيه الزاى ، ده اللى احنا نتكلم فيه ، فى المؤتمر حا نتكلم فيه وحانبحثه . كيف يمكن ان تباشر الثورة الاجتماعية تاثيرها . الثورة مش العدالة الاجتماعية وكيف يمكن ان نحقق المرجو منها .

فى رايى ان احنا ما نقدرش نحقق ده بالاوامر وبس . سواء فى هذه الاوامر الادارية أو التشريعات او اللوائح اللى بيطلعوها والمذكرات والكلام اللى عارفينه . وسيلة واحدة لمكن الثورة الاجتماعية من ان تباشر تاثيرها وهى الحرية الكاملة للشعب ، لان احنا عايزين نعمل الثورة الاجتماعية دى مش عشانا احنا يمكن احنا فى مستوى اجتماعى بيتغير اعلى من المتوسط ، عايزين الثورة الاجتماعية للشعب ، الن الشعب هو صاحب المصلحة الاصلية للثورة الاجتماعية ، والشعب صاحب المصلحة الاصلية فى الثورة الاجتماعية لابد ان تكون له الحرية الكاملة والديمقراطية الكاملة حتى تنجح هذه الثورة الاجتماعية بدون الحرية الكاملة ، وبدون الديمقراطية الكاملة للشعب بنبص نلاقى نفسنا انفصلنا وانعزلنا والشعب فى وادى واحنا فى وادى ، الشعب له مشاكله واحنا ما احناش عارفين هذه المشاكل بنحل فى طلاسم وبنقعد نوضع فى نظريات بس ده شىء واللى هو مطلوب ده شىء آخر ، هو مش المطلوب الواحد يقعد يحل اى مشكلة ، مفروض الواحد يقعد يحل المشكلة اللى بتجابه الناس ، مشاكل الجماهير نجد لها حل .

طبعا لما نقول ندى الشعب كل الديمقراطية ، واما نقول عايزين ندى الشعب كل الحرية ، على طول يخطر فى بالنا شىء ، ايه العقبات اللى على الطريق .

عقبات موروثة :

قطعا فيه عقبات ، ما نقدرش نقول ما فيش عقبات ، السبب ان احنا ورثنا مجتمع ، هذا المجتمع كان فيه الخير كله لاقلية والشعب محروم من كل شىء ، الاستغلال بكل معانيه سواء فى هذا الاستغلال السياسى او الاقتصادى او الاجتماعى او الاقطاعى ، الاحتكار طبعا ، راس المال المستغل ، الرجعية عندهم الفرصة ، ورثوا الفلوس ، الفلوس بالنسبة لهم السلاح والطيارات والدبابات ـ الفلوس هى الاسلحة السرية ، الارض هى الاسلحة الذرية بالنسبة لهم ؟ النفوذ ومثل

السلاح ، يمثل القوة . فيه صراع طبقى ما نتساش ان مهما حاولنا او حاولوا هم مفيش صراع طبقى ، لا فيه . فيه صراع طبقى فى كل حتة ، صراع طبقى فى كل مكان ، فيه صراع بين الشخص اللى شايف ان عمله بيروح باجر محدود وقام يطالب بانه بياخد حقه . فيه صراع بين اللى ورثوا الجهل والمرض والفقر والقلب . مهما غمضنا عنينا هذا الصراع موجود . وبعدين بدى اقول ان الصراع تملى اما نفكر فيه يتهيا لنا انه من الطبقة الرجعية ، علشان تستطيع ان تتحكم ، مش بس ييجى فى الطبقة المغلوبة على امرها ، صراع من هذا ومن هنا ، كل واحد عنده اسلحة . طبعا الطبقة الرجعية او الراسمالية المستغلة او الاقطاعية عندها اسلحة قوية تمكنها من هذا الصراع وتعطيها كل الوسائل اللى تمكنها من انها تنجح . اما بنقول عايزين نؤدى الحرية كاملة للشعب وعايزين نؤدى الديمقراطية كاملة للشعب على طول بنفكر فى العقبات . الشعب طيب ما هو ورث دى فى الماضى ، الاقطاع مرو به ، مش كانوا بياخدوا الفلاحين فى اللورى يودوهم يصوتوا للمرشح ويدوله كل الاصوات مين هم ؟ هم دول الشعب ، وكان الفلاح اللى ما يديش صوته بيطردوه هو وعيلته بره القرية وبره البلد اذن تطلع بعد كده اما نقول عايزين نؤدى الحرية للشعب نؤدى الديمقراطية للشعب ، لازم نسأل نفسنا سؤال من هو الشعب ، مين هم الشعب اللى احنا حنديهم الحرية كاملة مين هو الشعب اللى بنتكلم من اجله بنقول ان احنا عايزين نقيم مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

مرحلة بناء الاشتراكية :

علشان نعطى الحرية للجماهير بلا قيد ولا شرط ، عشان نؤدى الديمقراطية للجماهير بلا قيد ولا شرط لا بد ان نحدد من هم الشعب مين هم اللى عايزين الثورة الاجتماعية هم دول الشعب طبعا فيه تناقض واضح بين الشعب اللى عايز الثورة الاجتماعية وعايز مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وبين الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وبين الاقلية .لنى عايزه مجتمع فيه استغلال سياسى وفيه استغلال اقتصادى ، وفيه استغلال اجتماعى ، فيه تناقض واضح . طبعا كلمة الشعب بتختلف باختلاف الظروف واختلاف المفاهيم .

النهارده فى ثورتنا الاجتماعية بنستطيع ان احنا نحدد الشعب ، زى فى ثورتنا السياسية ما حددنا ، الشعب هو كل من وقف ضد الاستعمار من اجل الاستقلال ومن اجل الحرية . الشعب اللى كل واحد واقف من اجل تحقيق المبدأ الاول للثورة . انتهت المرحلة السياسية وبدأت المرحلة الاجتماعية ، ولو ان قطعا فيه

طيب ، اذن هم دول اللى نديهم الحرية الكاملة بعد كده نلاقى الناس اللى هم ضد العدالة الاجتماعية وضد الثورة الاجتماعية ، الناس اللى هم ضد التحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، الناس اللى هم بيهدفوا دائما الى الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى . دول ايه ؟ الناس اللى عايزين السلطة علشان يحكموا أو الناس اللى بيمثلوا الطبقة التى باشرت النفوذ فى الماضى ويمثلوا اقلية . هل هم الشعب ؟

الشعب واعداء الشعب :

فى رايى انهم لا يمثلون الشعب ، ولكن يمثلوا شيء آخر فى صراعنا ضد الاستعمار كان الشعب يكافح الاستعمار واعوانه من الخونة ، وقلنا كده ، القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين اول مبدأ من مبادىء الثورة واول هدف من اهداف الثورة ، وحددناها بدون لف ولا دوران ، الاستعمار واعوانه ، وقلنا اذا لم نقض على اعوان الاستعمار لن نقضى على الاستعمار لان الاستعمار يرتكز على اعوانه ، النهارده لازم نكون واضحين بدون لف ولا دوران .

الشعب هو عبارة عن مجموع الفئات التى تساند الثورة الاشتراكية ، مثل اليافطة الاشتراكية تساند الثورة الاشتراكية ولا تساند الثورة الاجتماعية والبناء الاشتراكى هم اعداء الشعب ، اذن اما بنيجى النهاده ونقول كل الحرية للشعب وكل الديمقراطية للشعب لازم احدد والراد وافصل واخصص ايه هى قوى الشعب العاملة ،ايه هو الشعب ، أعداء الشعب جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الاشتراكية والثورة الاجتماعية واللى هدفها طبعا القضاء على هذا النظام الاشتراكى والعودة الى النظام راسمالى أو مستغل او نظام مبنى على اساس دكتاتورية راس المال ، زى ما كان موجود قبل سنة ١٩٥٢ كان فيه برلمان وفيه قبه برلمان وفيه ديمقراطيه ولكن كان هناك ظلم اجتماعى صارخ .

واظن كل واحد فينا يعنى يذكر هذا ويعلم هذا . فانا بدى اقول ان هناك اصبح خلاف واضح بين الشعب واعداء الشعب فى هذه المرحلة .

حاولنا نحل بالوسائل السلمية ، حاولنا نحل فى اطار من الوحدة الوطنية ولكن النية كانت من طرف واحد . لان هناك خلافات اساسية وخلافات جذرية ولقينا الرجعية اما بتستكين بتستكين حتى تجد الفرصة وبتستكين لغاية الوقت المناسب وبتتزلف وبتتملق علشان تحمى فلوسها وبتحمى نفسها ، ولكن

بتستنين للوقت المناسب ، ولكن هل نجح الكلام اللى قلناه ، هل نجح الكلام اللى قلناه ان احنا عايزين نحل المتناقضات فى داخل اطار من الوحدة الوطنية بالطرق السلمية ، لاما نجحش . من جانبنا احنا كانت نوايانا يمكن سليمة وكنا بنقول عايزين نعمل محاولة جديدة نبين طيبة الشعب نبين عمق هذا الشعب الاصيل فى الحضارة . ولكن لايمكن ان يتم عمل النية على اتمامه من جانب واحد ، اما الجانب الاخر فهو ينتهز او ينتظر الفرص المناسبة .

علشان تكون عندنا حرية وتكون عندنا ديمقراطية لازم نفرز ونحدد اعداء الشعب ، الرجعية بنحدد ونوضع الشعب وبين اعدائه ونحقق الهدف ، الهدف هو بوضوح وبنحدد الشعب ، تعيين الحدود بالضبط بين تجريد هذه الرجعية واعداء الشعب من اسلحتهم ، الغاية من هذا ان فيه خلاف بين الشعب وبين اعداء الشعب . خلاف بين الشعب وبين الرجعية .

حماية العمل السلمى :

وعايزين نحل هذا الخلاف . نجرد الرجعية من اسلحتها . طبعا ده اسلوب ، هناك اساليب اخرى ايضا نصل الى المحاكمة ، تصل الى حرمان نصل الى نواحى كثيرة . وبهذا نبقى حلينا هذا الخلاف الكبير بين الشعب هناك وسيلة اخرى ان احنا بنحل ايضا بالطرق السلمية ، لان احنا ولو احنا حسبنا ان الطرف الاخر مش مستعد بحل بالطرق السلمية ، لكن احنا لازلنا على استعداد ايضا ان احنا نحل المتناقضات بالطرق السلمية ، ولكن لسنا على استعداد باى حال من الاحوال ان احنا نسمح بوضع العراقيل فى وجه ثورة الشعب الاجتماعية باعطاء الرجعية فرصة علشان تضرب ثورة الشعب ، او تضرب الثورة الاشتراكية ، من واجبنا ان نحمى كفاح الشعب ونحمى مكاسب الشعب . من واجبنا ان احنا نحمى الدولة ونحمى الشعب من النشاط الهدام سواء من الخارج أو من الداخل او من الاستعمار والرجعية المتعاونة مع الاستعمار .

من واجبنا ايضا أن احنا نحمى العمل السلمى للشعب كله حتى يستطيع الشعب ان يعمل فى البناء الاشتراكى ويبنى دولة اشتراكية ذات صناعة حديثة وزراعة حديثة يشعر فيها الانسان بالحرية والسعادة .

لا نريد خونة :

بالاختصار يجب ان تكون سياستنا واضحة تجاه اعداء الشعب . كل الحرية وكل الديمقراطية للشعب . ولا حرية ولا ديمقراطية لاعداء الشعب . من هنا نحدد عملنا . باعتبر دى نقطة الاساس . اذا فهمنا الحرية ، يتبقى حرية الكلام ،

حرية النقد ، حرية الاجتماع ، وما نخافش . فى مناقشات كثيرة لى كنت اشعر من بعض الناس خوف . اما نقول فيه لجان ، يقولوا اللجان وبالنسبة لاى لجان اتحاد قومى ، بيقولوا يعنى نعين جزء مننتخبش . انا رايى ان الشعب لازم . انا عزلت الرجعية بآخد الفرصة كاملة ويغلط ويصلح غلطته . واللى كان بيلخبط علينا الامور الحقيقية فى الفترة اللى فاتت ايضا عدم هذا ، الغريب بنعزل وبنحدد وبنقول .. هذه هى الرجعية ، وبعدين ان احنا نفسها الى الشعب كل واحد بيسير على يعنى مفيش ، احنا موش عاوزين خونة للبلد ولا عايزين ابدا نخلق اعداء كل واحد بيسير فى الطريق السليم اهلا وسهلا بنرحب بيه ، يعنى بنعمله حفلة وبنحتفل بيه ، كل العمليات دى . يعنى احنا مش عاوزين أعداء لان احنا اساسا ، كنا عايزين نلم كل واحد ونحل خلافاتنا الطبقية بنحلها بيننا وبين بعض بالتراضى ، بالتفاهم ، ولكن كان من العسير ان احنا نحل هذه الخلافات بالتراضى ، ولا زالت من العسير برضه لغاية دلوقتى ، يعنى هل الارض بتتاجر بسبع امثال الضريبة فى كل حته بيقولوا لى .. ما تتاجرش بسبع امثال الضريبة . بالتفاهم نلجئ بسبع امثال الضريبة حنضطر نحلها بطريقة تانيه غير التفاهم وغير التراضى ، انا حاضطر اعمل هذا وكل واحد مسئول فى هذه البلد حايضطر . بنقول الايجارات بتبقى كذا ، بيقولوا لان خلو الرجل . وكذا . وكذا .

اعادة الحقوق المسلوبة :

بنقول يا جماعة تعالوا نتفاهم على الايجارات ، مفيش بيعملوا وسائل ثانية . اما التفاهم ما ينفعش حا نضطر ناخد اجراءات ثانية علشان التفاهم ما نفعش . بالقصد من هذا ان احنا والشعب ، اما بقول احنا يعنى الشعب ، قلبه مفتوح وصدره مفتوح للتفاهم والوسائل السليمة وطول عمرنا شعبنا رحيم ، شعبنا طيب ، عمره ما كان شعب حقود ابدا . بيقولوا ان جمال عبد الناصر عنده حقد طبقى . حقد طبقى ليه . وانا بقيت رئيس جمهورية وموجود وقاعد وعندى عربية كاديلاك وكويس والحمد لله . بس ازاى نيجى لغاية هنا ونقول حقد طبقى . ابدا ده مش حقد طبقى ، مش حقد على طبقة معينة ، انا والله ما اعرفهم ولا شفتهم ولا قعدت معاهم ، لكن شفت التانيين ، شفت الشعب ، شفت العمال الزراعيين ، شفت عمال التراحيل ، شفت الفلاحين ، شفت الشعب اللى طلعنا منه كلنا ، الشعب اللى فى كل حته ده اللى شفته ، فهى العملية مش حقد طبقى على اللى ماشفتهومش العملية هى اعادة حقوق مسلوبة من الناس اللى بياكلوا فى حقوقنا وكان بمكن يتقال ، زى ما حصل زمان ان اعادة الحقوق دى منتهى بان الواحد هو بيعيد حقوقنا يلى هو رئيس الجمهورية بياخد يعنى ، فى اعلى المناصب بس هل ده الغرض .

ثورة ١٩ طلعوا يجيبوا حقوق الشعب المسلوبة لم بعد كده نسيوا الشعب وكل واحد ابتدا بدل ما يرفع مستوى الشعب رفع مستوى نفسه ، ومستوى الشعب راح فين ، بعد كده باستمرار كل واحد كان بيقول ابتدى بكدا وبينتهى عارف الوزارة حاتقعد ست اشهر والا ثمانية اشهر وبيرفع مستوى نفسه ومستوى عيلته الوزارة ما تروح وبعد كده الكلام بيبقى كلام اسطوانات وكلام انتخابات وكلنـــا عارفين العملية دى . العملية ان احنا عايزين نعيد الحقوق المسلوبة وده هدفنا وده واجبنا الاساسى والرئيسى والتى من اجله وجدنا فى هذا العمل .

وانا مابعتبروش عمل ، انا باعتبره حياة كاملة لانه مش شغله ، مش وظيفة بنخلص منها واحدة ونص ، احنا عايشينها اربعة وعشرين ساعة عمل مستمر اربعة وعشرين ساعة .

اذن صراع طبقى موجود ، العملية مش حقد طبقى ، العملية واحد محروم من حقه وعايز يسترد حقه ، احنا كلنا مسئولين ، مثقفين مسئولين قبل اى واحـــد متعلمين مسئولين قبل اى واحد ، كل واحد متعلم فى رقبته اللى ماتعلموش فى البلد بيرجع لهم حقوقهم ، لان هو وجد الفرصة انه يتعـــلم والتانيين ما وجــدوش الفرصة انهم يتعلموا . كل واحد يرجع بلده يلاقى فيه زملاؤه اللى كان بيلعب معاهم فى البلد .. فى القرية وهو جه اتعلم ، بقى مهندس قد الدنيا وتعلم فى حته كويسة وبيرجع يلاقى اللى كان بيلعب معاه بيشتغل فلاح ، هو اخذ فرصة التانى ما اخدهاش ، فرصة التعليم ، كل واحد متعلم فى رقبته دين لكل واحد ماتعلمش فى هذه البلد وعليه انه يرد هذا الدين .

حل جذرى كامل :

احنا بنتكلم عن الخلافات فتكلمنا عن الخلافات بين الشعب واعداء الشعب ، وقلنا انه يجب ان تحل حل جذرى وحل كامل والفرز هو الوسيلة الوحيدة .

بعدين قلت ان فيه ناس بيقولوا ان الشعب بيحتاج الى ارشاد ولن ممـكن مايديش الحكم السليم ، لكن زى ما قلت لكم فى رأيى بنترك للشعب انه يغلط ويصلح ، ويغلط ويصلح حايعرف ، الناصحين قوى بيعرفوا فى اى حته بيعرفوا كل واحد ، واما بنقول بندى الحرية الكاملة للشعب وبندى الديمقراطية الكاملة للشعب بعد عزل اعداء الشعب بيبقى لازم هنـــدى الحرية الكاملة للشعب مـع وجوب ان نضع فى حسابنا ان هناك خلافات وهناك ايضا متناقضات فى داخـــل الشعب ، لن تنتهى مطلقا ، ابدا . باستمرار فيه خلافات تختلف عن الخـلافات اللى بين الشعب واعدائه ، خلافات بينه وبين بعضه ، زى الخلافات اللى موجودة فى العيلة .

بين الراجل وزوجته وعيلته وأولاده فيه خلافات . الناس بيقولوا عايزين نروح السينما خمس مرات ، الثانيين ، الاولاد عايزين يروحوا السينما خمس مرات فى الشهر ، رب العيلة بيقول لهم لا روحوا مرتين ، بيبقى فيه خلاف كل يتحدد بيحسب الحكاية بطريقة مختلفة فى العيلة الواحدة ، فيه هـــذا الخلاف ، فى الشعب بقى نفسه من باب اولى حايبقى فيه خلاف . فى العيلة لما صاحب البيت بيقول بتروحوا السينما مرتين ، والاولاد عايزين يروحوا خمس مرات وبعـــدين صاحب البيت يعنى بيدخلوا فى مناقشة ، هل تصل الى عداوة ؟ عمـــرها ابدا ما تصل الى عداوة ، بتتحل بيروحوا تلات مرات او بيروحوا ، او يمكن يقولوا له طيب بلوفر ونروح مرة واحدة ، منروحش مرتين .

الخلافات لا تصل الى العداوة :

فى داخل الشعب فيه خلافات وفيه تناقضات ولكنها لا تصل ابدا الى مرحلة العداوة وده اللى ساعات بيخوفنا واللى بيسبب عنـــدنا نوع من القلق وبعض الناس بيعتبروا انه لا بد فى شىء من التوجيه و لابد من الارشاد او التدخل فى كل حته فيه تناقض مصالح . تعالى فى القرية ، الشعب ، التاجر الصغير ، الفلاح العامل الزراعى ، الثلاثة بيدخلوا ضمن تعريف الشعب لكن بين الثلاثة فيه تناقض لكل مصلحة متضاربة مع مصلحة الآخر . ولكن لا يصل هذا التضارب الى درجة الخصومة العنيفة او الى درجة العداوة ، بتتحل .

الآن هذه الخـــلافات لا بد ان نقابلها ولا بد ان نحلها ولا وسيلة لحلهـــا الا بالديمقراطية الكاملة فى داخل الشعب ، طبعا فيه فرق بين التعارض والخلاف بين الشعب والرجعية لان الرجعية بتمثل المعارضة للثورة الاشتراكية ، الرجعية بتمثل المعارضة التى اذا وجدت الفرصة بتهد كل شىء اشتراكى لتقيم حكم مبنى على ديكتاتورية راس المال وعلى استغلال راس المـال . لكن الشعب والخلافات بينه مش متجهة ابدا الى القضاء على الاشتراكية بس كل واحد له وجهة نظر ، العامل مثلا له وجهة نظر فى الاشتراكية ، الفلاح له وجهة نظر اخرى . العامل عنـــده نقابات للعمال ، الفلاح ، الفلاح ما عندوش نقابات . ده سار مرحلة وده ســـار مرحلة اقل ، الآن حتى يمكن الفلاح اما يقعد مع العامل بيبقى فيه تناقض فيـــه خلاف ، خلاف بين العمال وبين الفلاحين فى التفكير .

الاختلاف او التناقض بين الحكومة او بين الشعب ، الحكومة عايزة تنفـــذ موضوع لمصلحة المجموع وبعض الناس بيفكروا بس فى المصلحة الشخصية ، على طول تبص تلاقى فيه اختلاف ، عايزين مثلا يهدوا بيت للمصلحة العـــامة ، صاحبه

البيت مختلف ويقول انا مظلوم والحكومة ظلمتنى الى آخر هذا الكلام ، لكن هل معنى هذا ان هو مستعد يتخلى عن الاشتراكية طبعا انا عايز اقول بيت صغير مش عمارة ، هل يتخلى عن الاشتراكية ، والا ينتقل الى معارض بالقصد ان كل هذه الخلافات اللى بتجدها فى داخل الشعب بيننا وبين انفسنا ، هنا احنا حاتقعدوا تجتمعوا مع بعض حاتجدوا هذه الخلافات .

خلافات كثيرة :

خلافات كثيرة لا اول لها ولا آخر . وتقعدوا تتناقشوا فى اللجان وكل واحد حايبقى فيه راى وكل واحد حتى بيعبر عن مصلحة معينة او بيجد المصلحة المعينة فى الشىء الفلانى بيبقى فيه تعارض وتضارب واختلاف وتناقض .

ولكن ده الاختلاف والتناقض والتعارض اللى بيوجد فى العيلة الواحدة واللى لا يؤثر باى حال من الاحوال على سير الشعب فى ثورته الاشتراكية مثقفين وفلاحين برضه تجد ده فيه تناقض . اى واحد مثقف حتما بيروح الريف او متعلم حتى عايز بيت يعيش فيه مش ممكن حايقعد فى البيت اللى موجود فى القرية . فيه خلاف . لكن الفلاح واخد على البيت اللى فى القرية ، يبعت الموظف عايز بيت ، لان فيه اختلاف فيه خلاف ، بعدين حتى ساعات بيحصل اختلاف بين القيادة والقاعدة بين الحكومة وبين الشعب .

المصلحة العامة والخاصة :

زى ما قلت بين المصلحة العامة او المصلحة الخاصة احنا نبص لموضوع المصلحة العامة نيجى فئة معينة تبص للموضوع من مصلحة خاصة بين الموظفين والجماهير تشتكى من الجهاز الحكومى ومن الروتين و .. و .. الى آخر هذا الكلام ولكن ده خلاف او تناقض موجود فى داخلنا . اذا كان الجهاز الحكومى فيه اعداءنا نبقى احنا اللى غلطانين اللى لخليهم فى داخل الجهـــاز الحكومى يبقى لازم اعداءنا عن اعداء الشعب او من اعداء الاشتراكية او من الرجعية فيه ناس موجودين بجهاز الحكومة على طول بندخلهم فى عملية الفرز وبيسيبوا الجهاز الحكومى ، بعدين نمسك الجهاز الحكومى على انه من الشعب ونبتدى نحل خـــلافاتنا وتناقضاتنا ومشاكلنا طبعا فيه مراحل مع الراسمالية الوطنية مع صغار التجـــار او نيجى وبنقول التاجر ده صغير ولكن بنروح له برضه ما يعملكش بالتسعيرة ، بتبص انته كمستهلك بينك وبينه فيه تناقض كبير على اساس استغلال الراسمالية الكبيرة ولكن استغلال صغير . هروبه مثلا ، عدم تنفيذ التسعيرة بيبنى تناقض ، القصد

ان احنا فى داخل الشعب حانجد باستمرار تناقضات وخــلافات وتعارضــات والاختلافات ، ولكن علينـــا احنا ان نحل هذا بالطرق السلمية ولن تنتهى . مش حاتنتهى هذه الخلافات باى وسيلة من الوسائل ولكن من واجبنا احنا عشــان نخفف اثرها ان احنا نحلها . وبنحلها بالطرق السليمة ، وبنحلهـــا هى بايه ؟ بالديمقراطية والحرية والنقاش والتصحيح والفهم وتحديد الخطأ وتحـديد الصواب والعمل الدائم علشان نعرف فين الخطر وفين الصـواب ، ونحل امورنا ونصحح الخطا .

ديمقراطية سليمة :

طبعــا ده يستدعى ان يكون الشعب فى عمل متواصل ويســتدعى ان نسير فى تنظيمنا الشعبى بطريقة بتخلى الفرد العادى هو خلية ثورية ، وتستدعى ايضا ان احنا نغير بعض الاساليب او كتير من الاساليب التى ورثناها . الديكتـــاتورية اللى احنا قاسينا منها تحت اسم الديمقراطية ديكتاتورية راس المال ، ديكتاتورية الاقطاع . ديكتاتورية الاقلية تحت اسم البرلـــان ، وقبة البرلمان بتغيرها بديمقراطية ســـليمة لاغلبية الشعب ، مش ديمقراطية للاقلية علشـــان تستغل وتتاجر . مش ديمقراطيـــة ليتحـكم تحت اسمها الاقطـــاع وراس المـال المستغل ، لا ، ديمقراطية للفرد الفلاح العامل فى القرية ، وللعامل فى المصنع ولكل فرد من ابناء الشعب .

لا يمكن للديمقراطية السياسية انها تبقى حقيقة ابدا الا اذا كانت هناك عدالة اجتماعية ، الا اذا توافرت الديمقراطية الاجتماعية ، الا اذا تكافات الفرص الا اذا تمت المساواة . فى المجتمع الراسمالى فين الفرصة المتكافئة بين الراسمالى والعامل الاجير ، مفيش ، مفيش فرصة متكافئة .

حتى ده عنده فلوس يمكن يتمشى كويس ، والتـــانى ما عندوش فلوس يمكن ما يتمشاش ، لا يمكن ان تكون هناك فرص متكافئة . ولكن بتيجى الراســـمالية المستغلة والاقطاع بيعلنوا شعارات الديمقراطية ويبداوا يعملوا انتخابات عـــلى طريقة الغرب ، والطريقة الغربية هى طريقة الراسمالية والاقلية المستغلة صاحبة الجاه والسلطة والفلوس اللى بتستغل اللى بتكسب بتاخذ الحكم ، الاغلبيـــة عبارة عن احزاب لمصالح الاقطاعيين او لمصالح الراسماليين . هل ده النظام اللى يناسبنا لان احنا جربناه قبل ٢٣ يوليو وجـــدنا انه كل كام شهر بتيجى وزارة بيغيروا الوزارات بخمسين الف جنيه وبثلاثين الف جنيه . الياس اندراوس وكلنا عارفين الفلوس اللى كانت بتندفع ورؤساء الوزارات اللى كانوا اعضاء فى مجالس ادارة الشركات .

ديمقراطية الاقطاع :

الثورة قامت عشان تغير الكلام ده .. اذن ما ينضحكش علينا ابدا ان الرجعية تقف تركز وتقول الديمقراطية يعنى الديمقراطية للرجعية أن تحكم الرجعيــة وان تستغل وان تسيطر ، تستغل اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

فى بعض المناقشات بعض الناس قالوا ايه ، قالوا طيب نعمل حزبين ، بحزبين يعونا مقدار كبير الحرية ، ونعمل نظام زى النظام البرلمانى الغربى ، حزب يحكم وحزب يعارض . لكن يمكن انه برضه فى ٥٦ فكرت فى هذا الموضوع قبل الدستور لكبر عابر ، قبل دستور ١٩٥٦ وبعدين انا رديت على نفسى قلت ان احنا نسـينا ان فيه ثورة وان فيه ثورة سياسية وثورة اجتماعية وان عملية الحــزبين او الديمقراطية اللى بيتكلموا عليها الشعار اللى فضلوا يركزوا علينــا ليس تعبيرا عن ديكتاتورية راس المـال ليه ، لان الحرية كل الحرية لراس المـال . ولا يمـكن باى حال من الاحوال تامين الحرية والحقوق للشعب ، للطبقة العاملة اذا كان فيه ديمقراطية للراسمالية المستغلة وللاقطاع وعندهم اسلحتهم وعندهم اموالهم وعندهم نفوذهم ، لا يمكن ان تكون هناك ديمقراطية للشعب للطبقة العاملة . انا بدى افتكر برلمانات قبل ٥٣ دخل فيها عامل مين ، دخل فلان فلاح ازاى . مش فاكر . دخل فلان باشا وفلان بيه ومعروف صرفوا وكانوا بيصرفوا قد ايه عــلى الانتخابات ويستردوا الانتخابات وما دخلوش بعد كده الا بعض النــاس اللى انتموا لبعض احزاب . ومن الواضح انه طالما ان الطبقات المستغلة عندها الحزبية لتســتغل الشعب العامل ، والشعب العامل او الطبقة العاملة ليس لها حرية عدم الخضوع لهذا الاستغلال مفيش حرية . الشعب العامل ليس له الحرية فى عدم الخضوع لحد ، لانه اذا ما خضش مش حايلاقى ياكل ، مش حا ياخد اجرته ، مش حاياخد مرتبــه .

ليس امامه الا ان يخضع . اذن الديمقراطية الراسمالية الديمقراطية الاقطاعية اللى مارسناها هنا فى سنة ٢٣ مثلا من النظام الغربى لم تكن الا ستارا ، واللى بتمارس فى بعض البلاد واللى بيقعدوا يطنطنوا بالديمقراطية .. الديمقراطية ليست الا ستارا من اجل حماية الراسمالية والاقطاع والفســاد والاستغلال ، الاســتغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى بكل معانيه .

وسيلة لا غاية :

مين اللى بيقدر يمول الانتخابات زى ما قلنا ، مين اللى يقدر يعمل دعاية ؟ الراسمالية المستغلة والاقطاع .

الن الحقيقة مش ممكن يمشى على اساس الحرية المجردة او ديمقراطيـة مجرده . التفكير ان احنا نعمل حزبين بحرية مجردة وديمقراطية مجردة معناه ان الثورة بتنتهى . التفكير لازم يتجه الى ان فيه ثورة وفيه اهداف لهذه الثـورة مجـردة .

وعمر ما ينطبق ثورة اجتماعية بحرية مجردة ، عمر ما قام برلمان راسـمالى حصلت ثورة اجتماعية . ما حصلش . قامت ثورة حققت ثورة سياسية .

اللى بيطالبوا بالحرية المجردة أو بيطالبوا بالديمقراطية المجرده يمكن بينخدعوا ببعض الكلام وبيعتبروا الديمقراطية غاية وما يسلموش بان الديمقراطية وسـيلة . وليست غاية لاقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية .

مجتمع فيه تكافؤ الفرص ، لانه كيف يحقق الشعب بالديمقراطية المطلقة اهدافه فى الكفاية والعدل ، اهدافه فى العدالة الاجتماعية طالمـا ان الراسمالية المستغلة والاقطاع هى اللى ورثت عناصر القوة فى المجتمع على مر السنين .. أما الشـعب فحرم من جميع عناصر القوة . الذن الفكرة اللى مرت عابرة بنعمل حزبين يبقى عايزين ، اللى بيقول فى الشـكل مش فى الجوهر ، بيفـكروا فى اليافطـة ، مش الثورة ، الثورة الاجتماعية اللى حانعيد للانسان حقه وللفرد حقه . وبعدين باطلع من هذا باقول ان احنا من انصار الحرية الكاملة والديمقراطية على ان تكون الحرية للشعب لا لاعدائه من الرجعيين وعلى ان تكون الديمقراطية للشعب اى تكون هذه الديمقراطية ديمقراطية سياسية اجتماعية للشعب لا لاعدائه من المستغلين والرجعيين اللى نهبوا حقوقه فى المـاضى واللى عايزين ينهبوا حقوقه دلوقت واللى عايزين يحرموه من كل شىء الا من اقل شىء يمكنـه من ان يعيش . واطلع ناتى بالنتيجة نفسها لا بد من عملية فرز من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية ... حزبين والناس اللى تكلموا بهذا الشكل بيبقوا بيفكروا هناك ديمقراطية للشعب للطبقة العاملة . انا بدى افسر ولا بد من عزل أعداء الشعب . اما الخـلافات فى داخل الشعب فهى مستمرة ولا نهاية لها وحنحلها . ولكن نحلها بالحلول الديمقراطية مش بأساليب الضغط ولا بالاوامر فى القرية وفى المدينة وفى كل حته بنحلهـا بالاساليب الديمقراطية على اساس ان الديمقراطية الكاملة للشعب وان الحرية للشعب وكل شىء مبنى على الاقناع ومبنى على الفهم المتبـادل . وده ضرورى لان الرجعية دائما فى تعاونها مع الاستعمار تحاول ان تستغل الخلافات او التنـاقضات الموجودة فى داخل الشعب لتزرع الخصام وتقيم الفتنـة وتبث التفرقة وتستغل علشان تحرض الشعب اللى الثورة الاجتماعية بتعمل لمصلحته من اجل ان تحقـق الرجعية والاستعمار خططها الغادرة . اى ان العوامل الخارجيـة الاستعمارية

والداخلية اللى هى مناهضة للثورة الاجتماعية مش حاتسكت ابدا حاتلعب دورها حاتلعب بمين حاتلعب بالناس حاتلعب بالشعب اذن الديمقراطية الكاملة والحرية الكاملة هى الحماية للشعب من ان يقع فريسة لمحاولات الاستعمار والرجعية .

الانقلاب الرجعى :

فيه نقطة اساسية فى الموضوع ، نقطة مبدئية تحتاج الى تفاصيل . يمكن نتكلم بعد كده فى جلسات ثانية فى هذه التفاصيل .

فيه ناس قالوا الانقلاب الرجعى فى سوريا هو اللى فجر الثورة الاجتماعية . قالوا هنا فى مصر . طبعا ده كلام لا نصيب له من الصحة لان احنا بننادى بالثورة الاجتماعية من اول يوم . يمكن الانقلاب الرجعى فى سوريا ادى امل وادى امانى للرجعيين فى مصر انا اوافق على هذا ، وهم انتشوا وقالوا الله اذا كان ده حصل فى سوريا ممكن يحصل فى مصر واذا كان الاستعمار تآمر فى سوريا ، ما هو لازم ح يتآمر فى مصر . طبعا طمعوا وهلوا بعضهم واعتبروا ان الثورة الاجتماعية بتنتهى والثورة الاشتراكية بتنتهى وان الاسد البريطانى يمكن ينجدهم هنا زى ما كان بينجدهم زمان . كلام طبعا بس مش ابدا الانقلاب السورى وهو اساس الثورة الاجتماعية ولا القوانين اللى اعلنت فى يوليو ١٩٦١ ، واللى القدر اقوله ان الانقلاب الرجعى فى سوريا كان رد فعل رجعى للثورة الاجتماعية التى اعلنت فى يوليو من اجل مصالح الشعب ومن اجل مصالح الجماهير . الانقلاب الرجعى فى سوريا بيدينا يمكن امثلة ، اخذنا منه عظة . واخذنا منه دروس كيف تسللت الرجعية وكيف شكلت نفسها . ازاى مامون الكزبرى كان مثلا رئيس لجنة اتحاد قومى ولما ييجى ويرفع يافطة اشتراكية واو انه مثلا مناسب الشركة الخماسية . ازاى وزير الداخلية القوتلى كان يمكن من ٤ اشهر موجود هنا فى مؤتمر المحامين ، او ٦ اشهر وانا شفته فى قاعة الاحتفالات فى الجامعة وازاى دخل خطب واخواننا المحامين الموجودين هنا يمكن فاكرين الكلام ده . بس ده بيديك مثل ازاى تسللت الرجعية دروس عشر سنين :

مش بس حتى فى النواحى المدنية ، حتى فى الجيش ازاى هى شكلت نفسها للفرصة المناسبة ، خدنا دروس ايضا من رد الفعل اللى حصل فى سوريا ، دروس طبعا من اللى حصل فى سوريا ، ووجدنا ان عدد اللى اعتقلوا بعد كده ، ما اعتقلوش الا لانهم يعنى اظهروا الامانى ، اللى هم عيلة البدراوى وعيلة سراج الدين ، كلنا عارفينهم ، بيشتموا من اول يوم فى الثورة لغاية دلوقتى عشر سنين . بس بيسبوا بقينا نقول يسبوا ، وبيشتكوا لكن الثورة ماشية فى سكتها . العملية مش شتيمة

ولا عملية سب . بناخد منه ٣٠ الف فدان ، اهو الريس بيدفع قصدها شتيمة تساوى . والله لم آكن اتاثر بهذا ولكن فيه فرق بين الشتيمة وبين التآمر

الشتيمة فى جمال عبد الناصر مقبولة ، التآمر ضد الشعب مش معقول ابدا باى حال من الاحوال وباى وسيلة من الوسائل .

رد فعل الانقلاب :

ده رد فعل الانقلاب الرجعى . شوية من البدراوية على شوية من سراج الدين على شوية من حامد زكى واللا زكى عبد المتعال كل واحد ان فيه حاجة يقدر اهو يخبط فيها اى حاجة . سمعوا شوية اشاعات من محطات الاذاعة الاجنبية . قالوا ده جمال عبد الناصر قدموا له انذار ٢٢٠ ضابط راحوا قدموا له انذار بقيادة الفريق على عامر . صدقوا الاسطول فى الاسكندرية عمل ثورة ، صـــدقوا ، دمشق ابتدت بتذيع هذه الاذاعات وعمان واسرائيـــل ان الجيش فى فايد اعلن ثورة ، وبتاع ، بتنتعش آمالهم ، بيقول لك يا سلام يعنى يكون ، اسكندرية اعلنت الانفصال هى كمان بعد سوريا ! دخل الكلام ده فى نفسهم وصدقوه . طلعوا وشـــوا حيلهم وابتدوا قالوا ، نسيوا ، نسيوا العشر سنين دى كلها ونسيوا التغيير الكبير اللى حصل فى العشر سنين ، وافتكروا ان العملية زى زمان ، والا قلت سبوهم برضــه يبانوا يطلعوا ويدونا درس . ابتدت اشاعات ، اللى فيكم فى النوادى طبعا سمعوها وعارفين اللى كانوا بيروجوا الاشاعات واللى بره واللى هنا . طبعا ما كان لوش اى تاثير ، يمكن آنا آكثر مرة حسيت فيهـــا ان البلد صلبة . البـــلد كانت فيهـــا نوبة فلسفة . كل واحد بيتفلسف وكل واحد بيتكلم ، لكن ده يدل على الصلاح، ويدل على ان كل واحد مهتم . وانا كنت باقول فيه سلبية ولا مبالاة ابدا . البلد ما فيهاش سلبية ولا مبالاة ، البلد فيها اهتمام . نوبة الفلسفة اللى كنا حاسين بها كانت تدل على اهتمام كل واحد فينا . الجوابات اللى بتتبعت ، والتعليقات والوعى اللى كان موجود ، ما فيش سلبية ابدا يمكن مافيش تنظيم لكن فيه شعب ، الشعب اللى طلع واتسلح سنة ١٩٥٦ علشان يحارب الانجليـــز . انتم مافيش لا مبالاة فيه اهمية وفيه اهتمام . واد ايه انا كنت ســـعيد بنوبة الفلسفة اللى كانت موجودة فى هذه البلد واللى كنت باشوفها فى الجوابات اللى بتيجى لى لان معناه ان الناس بتهتم بكل امر من الامور .

انكشفت الرجعية هنا :

اذن اللى حصل فى سوريا ماكنتش ابدا هو سبب الثورة الاجتماعية . اللى حصل فى سوريا كشف الرجعية هنا وادانا فرصة علشان ناخد دروس مستفادة .

وادانا فرص لان احنا نعرف ان قسم من جماهير الشعب فى سوريا خدعته القوى الخارجية المعادية والقوى الداخلية المعادية للثورة الاجتماعية وللثورة السياسية وان الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى سوريا ارادت ان تسلب مكاسبه . قالوا بعد الحركة الانفصالية الرجعية او الانقلاب الانفصالى الرجعى فى سوريا ان سوريا ماكنش فيها اقطاع . بيضحكوا علينا والا بيضحكوا على انفسهم ؟ اذا كان فيه ملكيات بتصل الى مليون دنم يعنى ربع مليون فدان ، و ٢ مليون دنم ، نصف مليون فدان الجزيرة ، يبقى ازاى مفيش اقطاع اذا كان الفلاحين قاموا بثورات فى سوريا لا اول لها ولا آخر من اجل قانون العمل الزراعى وماقدروش ينفذوه أبدا الا بعد الوحدة . يبقى ازاى سوريا مافيهاش اقطاع . وقالوا ان مصر فيهـا راسمالية ، سوريا مفيهاش راسمالية الشركة الخماسية . يعنى الخماسية اللى يملكها خمسة افراد اللى هى كانت باستمرار امال ده ايه ؟ الاحتكارات والتحكم فى الاسعار امال ده ايه ؟

سيطرة راس المال . لما الشركة الخماسية تعين الوزارة وتعين الحكومة ، امال ده ايه ؟

قالوا ان سوريا مافيهاش اقطاع ومافيهاش راسمالية وماتحتاجش اذن لثورة اجتماعية . مع انى انا رحت سوريا وشفت فى القرى . شفت فى القرى النـاس بتشرب الميه بالطين . مية الصرف ماعندهمش بير مية . شفت فى القرى الفلاحين مالصدتش فى دمشق خرجت بره وشفت .

كان لا بد من ثورة اجتماعية ، كان لا بد من اصلاح زراعى ، كان لا بد من تحديد الملكية ، كان لا بد من ان توزع الثروة بين الناس بالحق . وما كنش بيقولو لى مافيش سيطرة راس المال . جينا نطبق فى سوريا سياسة العدل ، حينما نطبق فى سوريا سياسة العدل ، حينما يطبق فى سوريا سياسة التسامح قلنا فى سوريا بنلم البلد كلها فى اطار من الوحدة الوطنية . وسوريا كلنا نعرف كانت متعرضة لمؤامرات مستمرة . تتجاذبها نواحى متعددة . كانت المؤامرات مستمرة . كانت مؤامرات من نورى السعيد ومؤامرات من الدول الاستعمارية وكلنا نعرف عن هذه المؤامرات .

قضية الندشى :

مش عايز احكى قصة الوحدة ، كلنا عارفين قصة الوحدة .

بعد الوحدة جت لى قضايا كانت موجودة . فترددت هل ح نبتدى بعد الوحدة نفتح تانى هذه المحاكم ونفتح هذه الصفحات ؟ وقلت عفى الله عما سلف بنحاسب على ما يحدث من اول يوم فى الوحدة .

فى اواخر سنة ١٩٥٨ بعد ما تكونت الحكومة المركزية عملنا اجتماع للحكومة المركزية والمجالس التنفيذية طالب بعض الوزراء السوريين بمحاكمات كان فيه قضية الدندشى . كان المتهم الاول فى هذه القضية مامون الكزبرى اللى جابوه رئيس وزارة ، وكانت القضية تتجه الى عمل انقلاب ، القضية دى قبل الوحدة . والدندشى ده اعترف على الناس اللى خدوا فلوس ، ابطالها كانوا مامون الكزبرى وصبرى العسلى . صبرى العسلى ما استقلش احنا اللى طلبنا منه ان يستقيل .. لما جت لى هذه القضية بعد الوحدة وبدات عملية بغداد ، طلبنا منه ان يستقيل .. ولكن فى مجلس الوزارء طالب بعض الوزراء السوريين بعمل محكمة لمحاكمة مامون الكزبرى وصبرى العسلى وآخرين لقضية الدندشى وقضايا بغداد .

وانا فى الحقيقة رفضت وقاومت هذه الفكرة وقلت ح نبتدى نفتح محاكم شعب تانى انا باعتبر ان احنا اخذنا مبدأ على الله عما سلف . المؤامرة دى كانت موجودة ، مؤامرة بتاعت قضية الدندشى كانت قبل الوحدة .. وكان مامون الكزبرى احد اعضاء الوزراء اللى وقعت على الوحدة .. وقلت لهم عفا الله عما سلف وينسى كل حاجة ولنبتدى من اول وجديد فى اطار من الوحدة الوطنية .

النوايا من جانب واحد :

طبعا دى كانت نيتنا . وبكل اسف النوايا كانت من جانب واحد . اما الجانب الاخر فكان بيدبر ، بيتصلوا بالدوائر الاستعمارية ، الملك حسين ، اعوان الاستعمار كلهم علشان ، علشان ايه ؟ علشان ايه ؟ علشان نعيد الرجعية حكمها واستغلالها لسوريا .. التدبير ده كان قبل القرارات الاشتراكية . ولكن القرارات الاشتراكية طبقت بالنسبة للعمال ، بالنسبة لمشاركتهم فى الارباح بالنسبة للعمال ، لمشاركتهم ادارة نتيجة العمل . بالنسبة التاميم . اللى دفع مكاسبه ، القرارات الاشتراكية معناها ايه ؟ معناها ايه معناها ان الاستغلال انتهى الاحتكار انتهى الرجعية انتهت ، لما رحت سوريا السنة اللى فاتت وشفت البنوك ، طلبت مجالس ادارات البنوك واتكلمت مع اخواننا هناك وقلت لهم اللى بيقرا مجالس ادارة البنوك ، يحس ان البنوك اللى عندكم فروع لبنوك اخرى بره بتحول فلوس لبره بيحس ان الفصاحة اللى بتتكلموا عليها مش موجودة فى هذا الموضوع ودائعه مثلا ٥٠ مليون ليرة . بيسلف ١٠٠ مليون ليرة الباقى الفرق جايبه من البنك المركزى اذن الحكومة هى اللى بتسلف والبنك فرع اجنبى بيسلف اللى عايز يسلفه ، اللى بيتعاملوا معاهم طبعا واللى مش عايز يسلفه ما يسلفوش ، مجالس الادارة معروفين . مسكت البنوك كلها وحطيتها قدامهم وقلت لهم ده ، بهذا الحال لا يمكن لهذا البلد انها تمشى .

تعريب البنوك :

واصدرنا قانون وانا هناك ، بعد هذا الكلام ، قانون تعريب البنـوك . طبعا الراسمالية المستغلة ما عندهاش مانع تتعامل مع الاستعمار والرسمالية الاجنبية ولو على مصلحة البلد . العملة الصعبة قلنا لهم عايزين نرفع الدخل القومى فى عشر سنوات ، نضاعفه . طيب ازاى نترك العملة تخرج ، ازاى واحد بيشيل فلوس ويخرج ، العامل اللى بيصرف ما هيته مش ح يقدر يطلع حاجة . مين هو اللى حيطلع اما العامل اللى بيقبض ماهيته ويصرفها ح يطلع فلوس فين ؟ ح يودى فلوس فين ؟ وقلنا بناخد قرارات الرقابة على النقد لنحمى ثمرة عرق الفـلاح والعامل السورى ونعمل على اساس تنمية وخلق اعمال جديدة .

الرجعية لا تتحمل هذا :

ولكن طبعا الرجعية لم تتحمل هذا ، لم ترض بهذا ، ساعدها فى كده ان الاستعمار فى اول يوم من ايام الوحدة كان يركز عـلى سـوريا ، والصـهيونية ، اسرائيل ايضا ، ثم اعوان الاستعمار ، من اول يوم من ايام الوحدة قرروا انهم اقيموا الاتحاد العربى الهاشمى بين العراق والاردن ، وقالوا للمجابهة او للتصدى للاتحاد المصرى السورى ، للجمهورية العربية المتحدة ، برضه مش عايز اتكلم على المتاعب اللى شفناها فى الثلاث سنين اللى فاتت والتناقضات اللى حصلت او مواقف الناس . ومواقف الاشخاص ، ولكن بدى اطلع بدرس واحد اساسى ، ان الرجعية قعدت تتسلل وتدخل فى الاتحاد القومى وتدخل فى كل الهيئات ، لغاية ما وجدت الفرصة لتطعن ثورة الشعب .. ما اقلش انها تطعن الوحدة ، لان الهدف كان من طعن الوحدة ، هو طعن الشعب بالغاء القرارات الاشتراكية ولغاية النهـارده ما قدروش يلغوا القرارات الاشتراكية لانها اصبحت مكاسب للشعب ، وانا على ثقة ان الشعب لن يمكن الرجعية من ان تلغى التاميم ولا تلغى الاصلاح الزراعى ، ولا تلغى اى قرار من القرارات الاشتراكية باى حال من الاحوال .

لعبـة استعمارية :

النهاردة الاستعمار بيلعب لعبة جديدة والرجعية وراه بتساعده بالاشاعات والدس والفلوس والكلام واحنا بقى لنا عشر سنين ، كنا بنلاحظ الاول ان الاستعمار يقف والكلام ده زى ما احنا عارفين .. ده فى معركة استقلال الوطن .

في الثورة الاجتماعية فوجئنا بالعكس ، الرجعية طلعت قدام والاستعمار بيسندها ، غيروا اوضاعهم ، الرجعية اخذت الصدارة لانها بتحارب معركة مستميتة من اجل اموالها واستغلالها ، مش بس الشكل ده ، ابدا ده مش اول يوم من الانقلاب الرجعي . السوري ، يا شعب مصر ثورة على دمشق ، سمعت والله دمشق يمكن بعد الانقلاب بيومين بالليل ، طبعا الواحد كان قلبه بيجرح حينما يسمع دمشق بتردد او بتتكلم زي اذاعة الملك حسين او اذاعة بن جوريون ، ولكن ما هو كده طبيعة الامور وكده المعارك ، يعني لازم الواحد في هذه المعارك يقبل كل شيء ، كان الواحد يسمع دمشق تقول هنا دمشق ، ايها الجيش المصري الباسل قوم وثور وحطم كذا واعمل كذا وسوي كذا ، يا شعب مصر ومش فاهم ايه واحنا عملنا وسوينا وقوم اعمل كذا وكذا ، حرب ، بقيت بعدين انا مستغرب الجماعة دول مصدقين الكلام ده ، ان اللي هنا لم يصدقوهم ، بقيت اقول ، يعني ان العملية مش عملية كلام ضابط ، دي عملية اكبر من كده ، لان اللي طالع بيقول يا مصر الله ايه السبب ، يعني اذا كان عليهم بيقولوا عايزين ننفصل ، فايه السبب في الاذاعات والتحريضات والندوات لشعب مصر بالثورة ، ويا جيش مصر ثورة .. ان السبب في معاملة ضباطه هناك معاملة سيئة ، علشان يكفروا بالعروبة ؟ بعدين اسمع دمشق بتقول ايه يا مصريين انتم مش عرب انتم فراعنة ، ده طه حسين قال سنة ٣٨ انتم فراعنة مش عارف في جريدة ايه ومجلة ايه وبتاع . وهو احنا بننكر ان الفراعنة كانوا هنا في مصر .

ولكن احنا قلنا ان احنا عرب وبنتبنى القومية العربية ، طيب بدكم تخلونا نكفر ليه بالعروبة ؟ طيب مين باه اللي يهمه ان احنا نكفر بالعروبة ؟ .. اسرائيل

الضباط اللي رجعوا في الاخر من سوريا وقعدوا يشتكوا ، واحد من الضباط قال انه لما اتاسر في اسرائيل ١٩٥٦ ، واتاسر في سوريا كانت المعاملة في اسرائيل احسن من المعاملة في سوريا ، وبعدين سالوه ، سالوا الضابط ، كان الفريق موجود ، قال له يعني لو اسرائيل هجمت على سوريا ايه ؟ قال له لا ده انا باموت في سبيل سوريا وكلنا نموت في سبيل سوريا ، قال ده شيء وده شيء .. ده احنا بنعبر عن عروبتنا ، فاذا كانوا فاهمين انهم كفرونا في قوميتنا ، ودي لعبة الاستعمار والصهيونية ، ما كفروناش ، القومية العربية رايتها مرتفعة وزي ما هزت كل التيجان وهزت المنطقة ، القومية العربية رايتها عالية ، طبعا المصريين زعلوا من نتيجة الاهانات ونتيجة المعاملة السيئة ، ولكن كل واحد ، ناس كتير من اللي الواحد بيتكلم عنهم بيقولوا هم غرضهم يكفرونا بالعرب . تقرا شوية جرائد من بتوع لبنان امبارح .. جايبين مقالة لطه حسين سنة ٣٨ وبيقولوا احنا فراعنة ، آه يعني ده احنا عايزين ننقل ابو سنبل ب ٧٠ مليون دولار بتاع الفراعنة . بتبرأ من الفراعنة ؟ مين اللي بيلعب اللعبة دي ؟ طبعا الاستعمار والصهيونية .

ايماننا بالشعب العربى :

فى سنة ١٩٥٦ واجهنا عدوان وشفنا ازاى العرب وقفوا معانا ، حكمنا على القومية العربية مش حكم على عدد من الافراد او على عدد من الحكام ، ولكن ايماننا بالقومية العربية هو جزء من ايماننا بالشعب العربى اللى يمثل امة عربية واحدة .. ده امر واضح وده امر مبدئى بالنسبة لنا .

الشتيمة اللى شتموها لنا ، حرب الاعصاب اللى حصلت علينا من راديو دمشـــق ، الكلام اللى قالوه والثورات اللى قالوها والجيش اللى ثار فى فايد بعبد الناصر حاطط طيارة ورا بيتهم وبيمشى ، بيلعبوا لعبة الاستعمار ، طبعا اللى بيلعبها الملك حسين من سنة ٥٧ ، يعنى هم فى هذا متعاونين بيرفوا ايه اللى بيعملوه ، مس بس حتى دمشق والملك حسين ، ويقف المذيع ويقول هنا حسين العرب حسين مصر يا جيش مصر يا جيش مصر ثور الى آخره . الناس دول الهبلوا قالوا على الاعتقالات ، طبعا قالوا ان فيه عشرة آلاف ، المغفل عشرة آلاف ، قلنا عدد المغفلين طلعوا ٣٧ والعدد الثانى كان ٦١ ، قالوا لا عشر آلاف .. قلنا خلاص على كيفكم عشر آلاف عشر آلاف .

لم يستحوا :

الحراسة ، قالوا ان احنا فرضنا الحراسة على الموظفين حطوا من اللى فرضت عليهم ، جعلوا منهم زعماء وطنيين ، ما استحوش ما الكسفوش ما فيش ، يعنى الحراسة بتعلن ان احنــا فيه ٦٥٠ تحت الحراسة ، فى عمليــة الفـــرز الى احنا بنتكلم عليها والا ى اتكلمنا عليها فى الاول ، وبعدين فيه ١٨٦ اللى عملوا فلوسهم من تجارة المخدرات كلهم اتحطوا تحت الحراسة ، لان برضه لا بد انهم يدخلوا فى عملية الفرز وطبعا ما تقدرش ، تجارمخدرات مارفيلهم كبار تجارمخدرات بنفتشهم ما فيش ، ما نقدرش نثبت عليهم حاجة ، وما حدش يستفيد من هذه العملية الا اسرائيل واعداؤنا لان البلد بتنحل .

الكلام عن آلاف الضباط اللى اعتقلوا كلام فارغ ، اعتقل عدد من الضباط ٤ اربع ضباط فى قضية تعرفوا عنها فى المستقبل ، بس يعنى لم يزد الوضع عن هذا الامر .

كلام طبعا كتير ، كلام فارغ ، وبلاهات وسخف وانا كنت ضد الرد دايما على هذا الكلام .

آخر حاجة :

ابارح آخر حاجة يمكن ابارح انا مندق ، منكم انتم من اللجنة التحضيرية ، اتكلموا من اللجنة التحضيرية والتعيين وقالوا ان جمال عبد الناصر عين .. ضموا ، عينهم من اشقائه والزباله فى بلى مر ، اقل ما فيش حد هنا من بلى مر ، يعنى يشرفنا انكم كلكم تبقـــوا من بلى مر ، وما فيش ولا واحد من بلى مر ولا واحد من الزباله واشقائه فى الاسكندرية وبعدين باه ايه .. يا ايها الشعب العربى فى مصر ، يا ايها الاشقاء فى العروبة لقد صبرتم طويلا على هـــذا الحكم وصبركم يطول ، واننا لنعلم علم اليقين ماذا اعددتم لضرب الحكم ولن نكشف للقيادتكم ..

طبعا بيحاولوا يبينوا هناك ان فيه حاجة ضدهم ، احنا ما عملناش حاجة عملوا يقولوا فيه تسلل من لبنان ، تسلل من لبنان ليه ؟ وبعتنا اسلحة وسفيرنا فى لبنان والتركمانى الكبير اللى هو سكرتير رئاسة الجمهورية موجود فى لبنان ، وهو موجود هنا فى رئاسة الجمهورية ويطلع صورة فى اجتماعات الوزراء ، ولكن الوهم والخيال والدوامة اللى هم فيها ، وانا طبعا اكثر واحد حاسس بالدوامة اللى هم فيها .

. ونسيبهم فى الوهم ونسيبهم فى الخيال ، ونحاول احنا ان هناك نصـــنع مستقبلنا هنا فى مصر ، فى بلدنا ، نبنى بلدنا ونعمل مستقبلنا ونسيبهم فى ضباب الاوهام .

الملك حسين لما يقعد يهاتى عشرين سنة طول عمره وبقية المحطات السرية وبقية المؤامرات مؤامرات استعمارية واعوان الاستعمار ، واللى يقف ويقـول الاشتراكية ده ضد الاسلام . الاسلام ايه ؟ الجوارى اللى فى القصور والحريم ، سلب الفلوس وخبط اموال الناس كلها وتركها عرايا وجعانين ؟

الاسلام عدالة :

الشعب العربى مش ح ينضحك عليه ، لكل واحد يوم يتحاسب فيه ، مش انا ححاسب ، اللى بيحاسب هو الشعب ، مش معنى ده ابدا انا احاول التآمر على سوريا علشان ترجع سوريا للجمهورية العربية المتحدة ، انا قلت فى كلامى الاخير ان انا لن احاول باى وسيلة من الوسائل .

قالوا انك بعت متسللين ، والله ما بعتنا ولا ح نبعت ، يتآمر بأى طريقة ليه خمسة متسللين او صباعين جلنجايت نعمل بيهم ايه ؟ كلام فارغ وشغل اوهام ، طبعا انا حريص على مكاسب الشعب السورى . وانا على ثقة ان الشعب السورى هو اللى ح يحمى هذه المكاسب وهو القادر على ايجاد الحكم الوطنى اللى يحميه .. وانا على ثقة ان ما حدش يقدر يسلب من الشعب السورى مكاسبه .

سبب الحكاية واملتينا دايما مع الشعب السورى فى معركتـه من اجل الاشتراكية ومن أجل الحكم الوطنى .

قاعدة التحرر العربى :

المهم ان علينا هنا ان نبنى القاعدة ، قاعدة للتحـرر العربى ، قاعدة للمستقبل العربى ، قاعدة للديمقراطية السليمة ، قاعدة للاشتراكية العربية ، قاعدة للعدالة الاجتماعية العربية .

دى مهمتكم ، مهمة هذه اللجنة ، مهمة كبيرة ، مهمتكم التجهيز لها ، مهمتكم ان تجهزوا للمضى فى الثورة ، لتوسيع القيادة الثورية ، لتوسيع القاعدة الثورية . طبعا المهمة الاساسية هى طريق تكوين المؤتمر الشـعبى للقـوى الوطنيـة ، عايزين لتوسيع القاعدة الثورية ، عايزين لتوسيع القيادة الثورية ، بنكون المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية على اساس من القطاعات الراسية من على اسـاس انتخاب عام ، لان احنا قلنا ان الانتخابات العامة ح تبقى للاتحاد القومى بالنسبة للعمال والفلاحين والجامعات والمنظمات المهنية ، الجمعيات النسائية ، والطلاب والتجار والصناع والراسمالية الوطنية بعد عملية الفـرز وبعد عملية العزل .

مهمتنا ان احنا بنجهز لها ، مهمتنا ان احنا نجهز للديمقراطية الكاملة للشعب وللحرية الكاملة للشعب ، باعتبر ان هذه المهمة مهمة شاقة ، مهمة صعبة ، احنا لا زلنا فى مجتمع راسمالى بيتحول الى مجتمع اشتراكى ، لا زلنا فى مجتمع فى عملية تحويل ، ويمكن لسة مش فايق من عملية التحويل .

الاتحاد القومى لم يفشل :

وبعدين انا بدى اقول حاجة . الاتحاد القومى ما افترش اقول انه فشل وحتى هيئة التحرير فشـلت فى الاول ، ابدا قامت بدور مهم جدا فى الاول ، الاتحاد القومى قام بدور ، احنا بنمر بمراحل ، كل مرحلة لها ظروف ، هيئة التحرير طلما احنا كنا بنقول ان احنا عايزين نحل مشـاكلنا فى اطار الوحدة الوطنية وأن الاتحاد القومى قام بدوره ، زى ما احنا النهاردة بننتقل الى مرحلة اخرى ، مرحلة جديدة، مرحلة الثورة الاجتماعية ، بنحاول ننظم نفسنا على اساس جديد ، توسيع القيادة الثورية ، لتوسيع القاعدة الثورية ، الثورة مستمرة ، التطور الاشتراكى مستمر ، حتى نقضى على الاستغلال وحتى نقيم مجتمع ترفرف عليه الرفاهية وحتى ننهى استغلال الانسان للانسان وحتى يشعر كل فرد فى هذه الجمهورية انه عنده كل الفرص متكافئة والله يوفقكم جميعا ويوفقنا

ـ فى يقينى أن هذا الكتاب خطوة هامة وبناءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسنا ، باعتبار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضال الشعب العربى .. عن أنفسنا . وفى سبيل الارساء الصحيح الصادق والأمين لحقائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهى كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التى نرجو ـ كما تمنى ـ أن تتطور .. وتتضاعف ..

ضياء الدين داود

الثمن ١٠٠ قرش

Bibliotheca Alexandrina
0509988

مطبوعات دار الشعب
تصدر عن الشعب مؤسسة صحفية عربية
أخصائيون فى المطبوعات العاجلة
الادارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة . ت ٣١٨١٠ • مكتبة دار الشعب ـ ت
التوزيع : مكتبة دار الشعب
المطابع : قصر العينى ت ٣١٨١٠ ـ ٣١٨١٨ ـ ٣١٨١١٠
درب التبانة ـ تليفون ٨٤٤٨١٠
رئيس ... الس...
رقم الايداع ١٩٧١/٢٨٦٤
١٣٩١ هـ ـ ١...